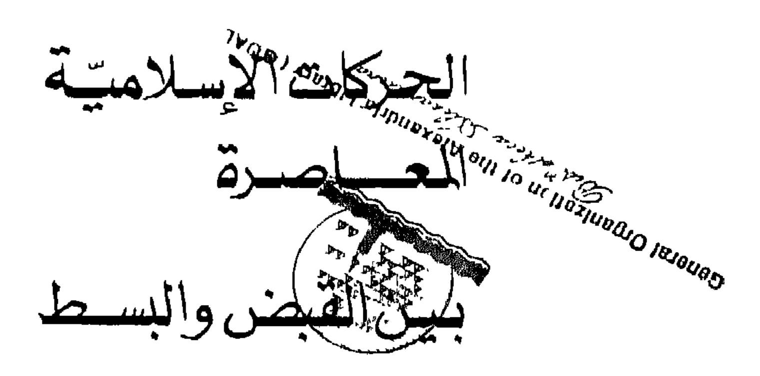
فــرح مـُوسى

خيارات الأمة وضرورات الأنظمة
عند
الشيخ محمد مهدي شمس الدين



الحركات الإسلاميّة المعــاصرة
بين القبض والبسـط

نقـــد وتحليــــل

دار الهادي
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

تلفون وفاكس: ٨٢٤٢٦٥ - ٣١٧٤٢٥ - تلكس: MCS٢٠٧٧٧ - ٢٢٥٩٧ بلاغ.
ص.ب: ٢٥/٢٨٦ غبيري - بيروت - لبنان.

الاهداء

إلى

الذين خرجوا من كهوف المذهبية والطائفية إلى رحاب الإسلام

إلى

الذين قدموا أنفسهم قرابين لله تعالى على منحر العشق الإلهي. . .

إلى

شهداء الحركة الإسلامية في العالم أقدم هذا الكتاب سائلاً المولى عز وجل أن يمن بالنصر على المسلمين.

قال تعالىٰ:

﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ الحج/ ٣٩.

المصطلحات المستعملة في الكتاب

را: راجع.
قا: قارن.
ط: طبعة.
صص: من صفحة إلى صفحة كذا.
تح: تحقيق وتقديم.
ص: ن: الصفحة نفسها.
م. ن: المصدر نفسه أو المرجع نفسه.
م. س: المصدر السابق، المذكور سابقاً.
م. ع: المحاضرة عينها.
ب. س: البحث السابق.
ك. س: كاسيت مسجلة.
ب. ن: البحث نفسه.

توطئة

لقد حاولنا في هذا الكتاب الكشف عن معاني وابعاد ما طرحه الشيخ شمس الدين حول خيارات الأمة وضرورات الأنظمة في أجواء ما يجري اليوم تحت شعار السلام في المنطقة، إضافة الى دور الحركة الاسلامية في العالم الاسلامي في مواجهة الاستعمار والمشروع الصهيوني. . . ، وقد تبين لنا ان هذا الطرح ليس من معانيه أبداً ان تكون الضرورة ممثلة للخيار أو بديلاً عنه لما بيّنه الشيخ شمس الدين من أن الضرورات لا تبيح كل المحذورات وما يسمى اليوم ضرورة لم يكن في السابق كذلك لأنه لم تكن هناك أسباب موضوعية تدفع بالسادات للتوقيع على معاهدة سلام مع إسرائيل وبصدام حسين على مهاجمة الجمهورية الاسلامية الايرانية أودولة الكويت، بدليل ان العرب كانوا في حالة تقدم وانتصار سواء لجهة دحر العدوان الاسرائيلي أو لجهة سقوط الشاه في إيران، ولم يكونوا في هزيمة، لكن بعد التحولات في العالم واستبداد أمريكا بدءً من تفكك الاتحاد السوفياتي مروراً بحرب الخليج الثانية ووصولاً الى مفاوضات مدريد مع العدو، كل ذلك أفسح في المجال أمام مفاوضات حرب جديدة بوسائل اخرى تهدف الى تحقيق الهزيمة على المستوى الوجودي بعد أن تحققت على المستوى السياسي والعسكري مما يعني ان الضرورة لا يمكن أن تتعدى هذه المفاوضات باعتبار ان الخيار المقدس للأمة يرفض نتائجها التي منها تطبيع العلاقات مع اسرائيل كما انه لا يحق للأنظمة ان تتعدى هذا الخيار، أو ان تعتبر الضرورة خياراً للأمة وفي الوقت نفسه يمكن للأمة تحاشياً للصدام الداخلي ان تراعي الشروط الموضوعية في الداخل والخارج على نحو يسمح لها بإعداد نفسها لمواجهة مشروع التطبيع، وذلك كله، كما يرى الشيخ شمس الدين، يبقى مشروطاً بإجراء مصالحة وتحقيق هدنة عامة وشاملة بين جميع التيارات في المجتمع وبينها وبين

الأنظمة. . . ومن جملة ما توصلنا اليه في هذا الكتاب ان بعض الأنظمة لا يريد الهدنة ويبحث عن الاعتراف به ويمارس القمع من أجل أن تحمل الأمة مشروعه الخاص الذي يتناقض تماماً مع مشروع الأمة، وقد اقتضت الموضوعية أيضاً التمييز بين ضرورة التوقيع وخيار رفض التطبيع وعدم القبول بتهويد فلسطين والقدس، وهنا لا بد من التذكير بأطروحة الشيخ شمس الدين التي تقول: «من الذي يملك في العالم كله أو على مستوى الأمة الاسلامية أو على مستوى الأمة العربية أو على مستوى الشعب الفلسطيني من الذي يملك شرعية أن يزيل هوية تراب فلسطين عن كونه فلسطيني فيكون إسرائيلي، مَنْ؟»، يقول في الإجابة على هذا السؤال: «من منطلق إسلامي لا توجد شرعية في الكون لأي مخلوق أن يغيّر هوية هذه الأرض من كونها فلسطين الى كونها إسرائيل».

ان الضرورات لا تبيح ذلك مهما بلغت، كما أنها لا تبيح الاجهاض والزنا واللواط والسحاق تحت شعار التنمية وتنظيم النسل وغير ذلك من المفاسد التي دعى إليها المؤتمر الذي عقد في القاهرة في أيلول ١٩٩٤م.

وكذلك لا ضرورة تدفع ببعض الأنظمة الى الخروج على التنسيق العربي بحجة تخفيض الديون!؟

ان الحركة الاسلامية ليس مطلوباً منها أن تعترف بشرعية النظام أو أن تدخل في صراع لا يخدم مشروع الأمة على الرغم من أن لها كامل الحق في أن تدافع عن نفسها ضد القمع التي تتعرض له. وبما أنها تمثل مشروع الأمة فإنه ينبغي عليها أن تكون في جميع حركاتها وسكناتها خادمة لهذا المشروع ومحققة له بالوسائل التي تحفظ النظام العام ووحدة الأمة وتماسك المجتمع.

إن نظاماً لا يحمل مشروع الأمة لا يمكن أن يكون سلامه سلام الأمة ولا حربه حربها ويبقى السؤال ماذا لو فرض التطبيع؟ وهل بإمكان الحركة الاسلامية مواجهة المشاريع الخاصة التي أنتجت سلام الناس؟ وما هو الاسلوب المبرر شرعاً للدفاع عن مشروع الأمة؟ وهل الذين صنعوا الضرورة للنظام يريدون للأمة أن تكون صاحبة خيار؟

إن ما نخشى منه هو أن تصبح ضرورات الأنظمة خيارات للأمة وهذا ما يحتّم أن يكون آخر الدواء الكيّ. . . ؟

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

بعد تأزم الأوضاع في العالم العربي - الإسلامي بين الحركات الإسلامية والأنظمة من جهة، وبين الحركات الإسلامية والمشروع الغربي من جهة ثانية، رأينا أنه من المناسب تحليل بعض الأطروحات السياسية التي يتجاذبها هذا العالم.

وبما أن الشيخ محمد مهْدي شمس الدين ينتمي إلى هذه الحركة ويعيش أزماتها ومعاناتها ويدافع عنها من موقع ما له من عمق فيها، رأينا أيضاً أن يكون هذا الكتاب عن مواقف الشيخ شمس الدين وأطروحاته السياسية التي عبر فيها عما يمكن اعتماده من مشاريع ومناهج من قبل الحركة الإسلامية سواء في لبنان أو في الخارج في مواجهة مشاريع التغريب والعلمنة، وفي مواجهة الحضارة السائدة التي لم تبقِ على صلاح في هذا العالم...

هذا الكتاب يتألف من أربعة أقسام، وكل قسم يحتوي على عدة فصول.

أما القسم الأول، فهو يتضمن الحديث عن معنىٰ الأصولية الإسلامية كمصطلح شاع وساد في الأوساط الثقافية العربية بعد أن كان قد أطلق بشكل

أساس على فرق انجيلية في الولايات المتحدة الأمريكية، وهذه التسمية تشي بجهلهم للإسلام، وبالرغبة في اعتبار هذه الحركة شذوذاً عن إسلام المجتمعات الإسلامية، وقد ترجمت هذه الكلمة في عالمنا من قبل المقلدين للغرب بهدف الفصل بين الحركة الإسلامية الناشطة في التعبير عن رأيها، وبين مسلمين آخرين لا يحملون رؤية معينة، ولا يتحركون من أجل إصلاح الواقع، هؤلاء الذين يريد لهم الغرب أن يكونوا ممثلين للإسلام بحجة أنهم ليسوا أصوليين!، ومن جملة ما بيّنه الشيخ شمس الدين في أطروحاته السياسية أن المسلمين كلهم أصوليون، ولا يوجد مسلم أصولي، ومسلم غير أصولي، وإنما هناك مسلم يحمل رؤية ويتحرك من أجلها، وآخر لا يملك رؤية معينة وساكن لا حراك به، وأن موقف الغرب من الأصولية الإسلامية هو موقف عدائي غير علمي ولا موضوعي، يهدف إلى تشويه صورة هذا العالم الذي بدأ يشعر بأزمته، ويرتفع بفكرته وحركته إلى مستوىٰ الأحداث، فالغرب المستعمر حينما يتحدث عن الأصولية الإسلامية وعن مشروعها السياسي، وحينما يتخذ منها موقفاً عدائياً غير موضوعي يعي تماماً أن هذه الحركات محقه في طرحها السياسي المنسجم مع فطرتها وعقيدتها، لكن مصلحته تمنعه من الاعتراف بهذا الحق، وتلزمه باتخاذ الموقف العدائي منها، وبالحديث السلبي عنها. . . !

ومن جملة ما جاء في هذا القسم أيضاً ما تطرحه الحركات الإسلامية من مشاريع، وما تملكه من رؤى مستقبلية، باعتبار أن العودة إلى الكتاب والسنة لا تكون عودة حقيقيةً وفاعلة ما لم تكن هذه الحركات مؤلفة لأفكارها السياسية بطريقة تسمح لها بالتعبير عن رأيها وتؤهلها لتغيير الواقع جذرياً، وهذا يتطلب، كما يقول الشيخ شمس الدين أن يكون لدى هذه الحركات البرنامج السياسي الذي يمكنها من لعب دورها الإصلاحي في الواقع، ومن إيجاد البدائل والحلول لكل المتغيرات التي يمكن أن تحصل فيه. . .

كما أننا تعرضنا أيضاً إلى أسلوب الحركة الإسلامية، وإلى ظاهرة للعنف والقمع التي تسيطر على العالم العربي والإسلامي، وانتهينا في التحليلات إلى التأكيد على أن الأنظمة هي التي تنتج العنف ومن ثم تتهم

الحركة الإسلامية بممارسته، ولم يتوان إعلامها عن اتهام الإيديولوجيا الإسلامية بأنها تولد العنف. . . وهذا لا يعني أن الحركات الإسلامية ليست مسؤولة عما يجري في الواقع الإسلامي، بل هي تتحمل المسؤولية لأنها ـ غالباً ـ ما تستجيب للمثيرات وتقوم بردات فعل عنيفة تارة ضد الأنظمة، وطوراً ضد نفسها حينما يدّعي بعضها الكليه، ويكفّر البعض الآخر. . .

مما يتضمنه هذا القسم أيضاً معنىً أن يكون للأمة خيارات وللأنظمة ضرورات الذي أعلنه الشيخ شمس الدين في أطروحته الفكرية السياسية مؤخراً ويمكن أن نلحظ هذا المعنىٰ، وأساس هذه الأطروحة في كتاب الشيخ شمس الدين الموسوم (في الإجتماع السياسي الإسلامي) حيث يمكن ملاحظة المبررات الفقهية والسياسية للهدنة مع الأنظمة فيما لو كانت الأمة غير قادرة على تحقيق واقعها بمشروعها الإسلامي، وعاجزة، لأسباب كثيرة عن إقامة الدولة الإسلامية بسبب التجزئة والتربية على ما يضاد مفهوم الوحدة. فإذا كان على الأمة أن تراعي ضرورات الأنظمة فليس ذلك من باب أن هذه الضرورات حقيقية ومقدسة ولا يمكن المساس بها أو الخروج عليها، وإنما هو من باب دفع الشرور والفتن عن المجتمع الإسلامي بحيث يكون له من ذلك الوحدة والتماسك وغير ذلك مما يحفظ لهذا المجتمع دوره وفاعليته. فالقداسة ليست للأنظمة وضروراتها، وإنما هي للأمة وخياراتها، وبناءً على هذا فإنه يجب على الأنظمة أن تراعي خيارات الأمة وأن لا تحول دون ترجمتها وتحقيقها في الواقع باعتباره واقعاً إسلامياً يميل بفطرته إلى تحقيق نفسه على ضوء الإسلام ومن خلاله.

لكن إذا كانت التجزئة والتربية المضادة للوحدة هي السبب في عدم وصول الأمة إلى المركز القيادي، وغير ذلك مما تتميز به الأمة الواحدة من وسطيه وشهادة فهل يكون البديل لعدم وجود كل ذلك هو العنف لتحقيق خيارات الأمة، أم أن البديل هو الهدنة، لما تسمح به هذه من حوار بناء يعيد الحيوية إلى المجتمع، والحياة إلى مشروع الأمة؟!

فإذا اختارت الحركة الإسلامية أسلوب العنف وتخلت عن الحوار وتحركت باتجاه أسلمة المجتمع من فوق باتجاه السلطة من دون أن تلحظ

واقـع المجتمع والـظروف المحيطة بـه، فذلـك سيؤدي حتماً إلى صـراع مع الأنـظمة، ويكـون المستفيد من ذلـك المشروع الصهيـوني باعتبـار أن العقـل الذي صاغ التسوية في الشرق الأوسط يسعىٰ لتحقيق هدف من اثنين: إمـا أن تصبـح إسرائيـل جزءً وعضـواً فاعـلاً في المنطقـة من خلال تـطبيع العـلاقات معها، وإما أن تثار النزاعات الداخلية، وفي كلا الحالين تكون الأمة الإسلامية هي الخاسرة، فما طرحه الشيخ شمس الدين يهدف إلى تفويت الفرصـة على هذا العقل المريض، من خلال هدنة تسمح للأمة بمواجهـة التطبيـع، وتقطع الـطريق على الصراعـات الداخليـة، وكل ذلـك يبقىٰ مشروطـاً بعدم تـدخـل الأنظمة لفرض المزيد من الضرورات على الأمة، لأن الأنظمة إذا فعلت ذلك تكون قد دفعت بالأمور إلى نهـاياتهـا المؤسفة وحـولت الظرورات والخيـارات إلى نقيضين لا يجتمعان، فإمـا أن تكون الحيـاة حينئذ للخيـار وإما أن تكـون للضرورة المصنوعة في معامل الأمة. . . !؟

٢ ـ أما القسم الثاني، فقد عالجنا فيه ما حققته الحركات الإسـلامية من إيجابيات وما وقعت فيه من سلبيات سواء أكانت مقصودة أم غير مقصودة، لأن أية حركـة في الواقـع لابد أن يكـون لديهـا بعض المفردات السيـاسية التي لا تتصف بـالـواقعيـة فينشـأ عن السعي لأجـل تحقيقهـا بعض الأخـطاء، والحق يقال: ان هناك الكثير من الآفات التي تصـاب بها الحـركة الإسـلامية، وعلى قيادي هذه الحركة، كما يقول الشيخ شمس الدين أن يعـالجوا هـذه الأمراض قبـل أن تؤدي إلى نتائـج عكسية، فبـدل من أن يكـون الهـدف هـو الـوحـدة والحرية، فيصبح الذل والهوان والعبودية. . .

وكذا بالنسبة إلى ما تحقق من إيجـابيات، فعلى الحـركة الإسـلامية أن تحفظ مـا حققته من مكـاسب سياسيـة واجتماعيـة وثقافيـة، وأن تتابـع أوضاع المجتمع كافة، وأن لا تتلهىٰ بالمشاكل الصغيرة على حساب القضايا الكبـرىٰ والمصيرية كونها بذلت الكثير من الجهـود والتضحيات المـادية والمعنـوية في سبيـل العزة والكـرامة والـوحدة، وقـد نصح الشيـخ شمس الدين الحـركـات الإسلامية المركزيـة، مثل الحـركة الإسـلامية في إيـران وغير إيـران أن تكون واعية دائماً لما يحاك ضدها في الغـرب والشرق وأن يكـون دعمها للحـركات

الإسلامية في أرجاء العالم مدروساً ومؤدياً إلى النتائج المرجوة، وفي الوقت نفسه نصح الشيخ شمس الدين الحركات الإسلامية التي تسعىٰ من أجل تطبيق الشريعة وإقامة الدولة الإسلامية أن لا تتخذ من إيران نموذجاً باعتبار أن ما حصل في إيران فلته، ولا يمكن أن يكون أي بلد إسلامي في العالم مشابهاً لها لما كانت عليه من إسلام وإيمان قبل مائة عام، حيث أنها كانت ـ كما يقول الشيخ شمس الدين ـ جمهورية إسلامية في أيام الشاه، وكانت كلها خميني. . . بينما نجد في أرجاء العالم الإسلامي من يقول لا دخل لنا بما يجري بين الإسلاميين والنظام الحاكم. ليس معنىٰ ذلك أن لا تسعى الحركة الإسلامية لإقامة الدولة، وإنما يجب عليها قبل الشروع في ذلك ملاحظة الظروف ومراعاة الشروط الداخلية والخارجية على أن تكون الأولوية للتربية ولإيجاد المؤسسات الثقافية والإجتماعية. . .

إن الحركة الإسلامية الفاقدة لشروط الموضوعية جعلت المواجهة مع المجتمع وليس مع النظام وهذه أخطر سلبية من سلبيات الحركة الإسلامية، وقد بينا في أحد فصول هذا القسم أنه لابد من التحدث بلغة العصر بعيداً عن تقاليد الماضي وخرافاته إذا أرادت أن تكون ـ أي الحركة الإسلامية حضارية في أسلوبها وفي سعيها لإقامة الدولة الإسلامية التي هي نتيجة ضرورية لكون الأمة مسلمة وملتزمة بالشريعة. . .

٣ ـ في القسم الثالث عالجنا موضوع الحركة الإسلامية في لبنان، مشروعها وأسلوبها ودورها المميز في مواجهة النظام الطائفي، وفي مواجهة العدو الإسرائيلي التي حالت بينه وبين مشروع تقسيم لبنان إلى دويلات طائفية في الوقت الذي كان فيه بعض الطائفيين ممن تأثروا بالدعاية الغربية يعمل من أجل تقسيم لبنان، وجعله خارج محيطه العربي الذي هو جزء منه، لقد نجحت الحركة الإسلامية في لبنان في الحفاظ على وحدة لبنان أرضاً وشعباً ومؤسسات، وقضت على كثير من المكاسب الطائفية السياسية وقد يصح القول أن جميع القوىٰ والتيارات قد انسجمت في النهاية مع هذه الحركة وأخلت لها الساحة بطريقة عفوية إفساحاً في المجال أمامها كيما تحقق مزيداً من الإنتصارات على العدو في الداخل والخارج. . .

كانت دائماً معبرة عن نفسها بما تملك من أرصدة معنوية، ومن قرارات وحدوية، ومن تفاعلات مع الآخر حتىٰ وإن كان هذا الآخر معبراً عن نفسه من خلال الآخرين، ومتهماً إياها بما لا يليق بها. . .

لقد طرح البعض مشروع إقامة الدولة الاسلامية في لبنان ولكن الشيخ شمس الدين من موقع انتمائه الى هذه الحركة رأى من منطلقات واقعية وإيمانية «فقهية» أن هذا الطرح غير واقعي وان الحل انما يكون بإقامة دولة مدنية تخدم الانسان وتذود عنه وتكون مؤتمنة على الدين وحافظة للقيم الانسانية والاخلاقية. ومن جملة ما تعرضنا له في هذا القسم أيضاً طبيعة العلاقات القائمة والمميزة بين لبنان وسوريا، وبين لبنان والجمهورية الإسلامية الإيرانية، وإلى مدىٰ تأثير هذه العلاقات على واقع هذه الدول من حيث هي دول مواجهة للمشروع الصهيوني، ومن جملة الملاحظات، أو التعبيرات السياسية عند الشيخ شمس الدين، أنه ليس من العلاقة في شيء أن يتحول الإنسان عن انتمائه، أو أن يحال بينه وبين لسانه، فالكل له من نفسه، ومن غيره، ولن يقبل ما هو من الغير قبل أن يقبل ما هو من النفس، فالشيعة في لبنان، هم لبنانيون أولاً، ومسلمون ثانياً، وشيعة ثالثاً، والعلاقات الصداقة والتعاون تقوم على هذا الأساس، وتنطلق باتجاه الحفاظ على الوطن أي وطن بما هو وطن نهائي لبنيه. . .

لاشك أن الشيخ شمس الدين حينما طرح مشروعه لحل الأزمة اللبنانية، مشروع الديمقراطية العددية القائمة على مبدأ الشورى، كان يعي تماماً أن مبدأ الديمقراطية فيما لو اعتمد من قبل اللبنانيين لابد أن يؤدي إلى الدولة النموذجية العصرية التي يطمح إليها الجميع، وينادي بها الجميع، إلا أنه للأسف، هناك من يطرح الدولة العصرية من خلال الاستمرار في مشروع الهيمنة والطائفية السياسية، مدعياً أنه بإمكانه أن ينطق العجماء ذات البيان!؟.

أما القسم الرابع، فقد عالجنا فيه موضوع الحضارة السائدة في العالم اليوم، وكذلك موضوع الثقافة (بما هي مصطلح حضاري) والموقف شبه العام منها باعتبار أن الحركة الإسلامية العالمية هي اليوم تقف في مواجهة الثقافة

الغربية السائدة التي تسعىٰ مسلحةً بقوىٰ هائلة لفرض نفسها على العالم كله، «تسعىٰ إلى تدمير ومسخ ثقافة كل الأمم خارج إطار مراكز هذه الثقافة في العالم الغربي بهدف الاستحواذ الكامل على الجنس البشري لمصلحتها. . .»، وقد انتهينا في أبحاثنا (في هذا القسم إلى تقرير نتائج عدة تؤكد أن الحضارة القائمة اليوم وكذا الثقافة السائدة ليس لها ما يقومها كونها تفتقر إلى أهم عامل من عوامل البقاء والاستمرار، وهو الأخلاق كعامل أساس في نهضة الأمم ورقيها. هذه الحضارة أدت فيما أدت إليه إلى مزيد من التدهور والإنحطاط، وحالت بين الإنسان وكماله، وكان من نتائجها أيضاً تغيير خلق الله بما أقدمت عليه من تلويث للآفاق والأعماق والأنفس، أفسدت الأرض وما عليها، والسماء وما فيها وآخرها طبقة الأوزون. . .

إن موقف الشيخ شمس الدين من هذه الحضارة هو أنها تتميز بالمركزية الظلامية، وتنفي الآخر، وتدعي الإطلاق في كل ما وصلت إليه (في مقابل النسبية الثقافية والحضارية) مما حمل أكثر شعوب أوروبا والعالم على التقليد الأعمىٰ لثقافتهم الشوهاء، وعلى محاربة الإسلام وعدم اعتباره في حياتهم، هذا فضلاً عما رسخ في أذهانهم من أن الإسلام أصبح تراثاً، وماضياً، ولم يعد له أية قيمة في الحاضر فضلاً عن المستقبل، رسخ في أذهانهم أن الإنسان في العصر الحديث ليس بإمكانه أن يستفيد من الإسلام في شيء الذي أثبت فشله ـ على حد زعمهم ـ في حل مشاكل العالم الثالث المستعصية كما يدعي علماء الغرب وتابعوهم (مقلدوهم) في العالمين العربي والاسلامي!؟.

فالشيخ شمس الدين يتفق مع كثيرين من الفقهاء والباحثين المتنورين حول ضرورة إيجاد البديل الحقيقي لهذه الحضارة والثقافة السائدتين في العالم اليوم من خلال اعتماد المؤسسات نفسها التي تعتمدها هذه الحضارة، بحيث يعمد العرب والمسلمون إلى تقويم ما اعوج من أوضاعهم وأضلاعهم، وإلى تنوير ما أظلم من أفكارهم على ضوء الإسلام، وليس من الضروري أبداً أن تنفي هذه الحضارة بما تتضمنه من إيجابيات باعتبار أن الإسلام والمسلمين سبق لهم أن ساهموا مساهمة فعالة في بناء الحضارة العالمية، وفي تطوير العلوم الإنسانية التي أدت إلى اكتشاف المزيد من الحقائق،

والكثير من القوانين، كما أنه ـ أي الشيخ شمس الدين، دعى بشكل أو بآخر، كما استنتجنا ـ إلى خوض الصراع مع جميع آليات الحضارة الغربية، لأن الحضارة ليست فقط الإنحراف الأخلاقي في أوروبا والغرب، وإنما هي إضافة إلى ذلك مؤسسات وشركات وبنوك ودول وغير ذلك مما يدخل تحت مسميات الحضارة السائدة اليوم.

يرىٰ الباحثون أنه إذا اقتصر العمل على إيجاد البديل لهذه الحضارة من زاوية أخلاقية فقط فذلك يعني إيجاد بديل فاضل خلقياً من دون الأخذ بعين الإعتبار كل ما هي عليه هذه الحضارة، وما تتقوم به، وهذا يعني عدم إيجاد البديل الكامل الأبعاد (الروحي والمادي) لأنه إذا استثنيت المؤسسات التي انتهت إليها هذه الحضارة، وإذا لم يخض هذا الصراع مع كل آلياتها ومن داخلها، فلا يلبث الإنسان المسلم أن ينحرف من جديد عن المسار الحقيقي، وأن يقع من حيث يشعر أولاً يشعر في أفخاخها من جديد...

إن الصراع معها يجب أن يكون من داخلها، وعلى جميع المستويات، لأنها ليست حكراً على الغربيين وحدهم، وإنما هي نتاج العالم أجمع، فالخروج منها وتهديم مؤسساتها ـ كما يقول البعض ـ لا يعني حتماً الوصول إلى حضارة أخلاقية، بل قد يعني ذلك الوصول إلى مزيد من المآزق النفسية، والإجتماعية، والإقتصادية، وإلى مزيد من المشاكل الحضارية..'.

على الحركة الإسلامية ـ كما يقول الشيخ شمس الدين ـ أن تعمل لأجل استيعاب الحاضر بكل ما فيه، وأن لا تتخذ موقفاً سلبياً مما هو سائد في عالمها بحجة أنه غير ملائم للإسلام، وغير منسجم مع تطلعات المسلمين، عليها أن تبذل كل ما بوسعها لأجل التخلص مما تحتوي عليه هذه الحضارة من سلبيات، وذلك لن يكون ممكناً إلا إذا اعتمدت وسائل تربوية جديدة تؤهل المجتمع السياسي للتفاعل مع العصر، وللتحدث بلغته بعيداً عن لغة الصحراء والتقليد وغير ذلك مما هو معشوق عند بعض الحركات الإسلامية!

إنها مسؤولة عن تأهيل المجتمع الإسلامي، وعن تربيته من جديد، حتىٰ يتمكن إنسانه من إعادة صرح الحضارة الإسلامية الذي قضىٰ عليها

الجهل والإستبداد سابقاً، وغير ذلك مما استأثر به الحكام وحواشيهم حينما لجأوا إلى التمتع بالنعم الإسلامية التي وفرت بجهد الأجيال الإسلامية السابقة، من دون أن يعملوا لأجل وصل الأجيال وتحقيق مزيد من النعم والمكاسب حتى يكون لهم ما كان لغيرهم من التحضر والازدهار، لقد تصارمت الأجيال بسبب عبث الحكام المستبدين، وقضى على مكاسب المسلمين ومن ثم على حضارتهم، فكانت النتيجة أن وصل العالم الإسلامي إلى ما وصل إليه من هجرة ولاجئين ويهود. . . كل ذلك أدىٰ برأي الشيخ شمس الدين - إلى حطام حضاري إسلامي، وإلى مآزق حضارية لا تعطي الإنسان المسلم شيئاً من القيمة والحرية والوجود. . . !

إن الحركة الإسلامية اليوم، وبعد أن شعرت بأزمتها عليها أن تتحرك من أجل إعادة الحيوية إلى المجتمع من خلال بعث التعاليم الإسلامية فيه من جديد، وأن تحقق نفسها بالإرتفاع بفكرتها إلى مستوىٰ الأحداث، باعتبار أن المشكلة كانت ولا تزال مشكلة حضارية، وهذه المشكلة لن تحل إلا بتطوير المؤسسات التربوية الإجتماعية، وبإعادة الإسلام إلى حياة الأمة، بحيث يتمكن الإنسان المسلم من الشعور بأزمته مما يدفعه إلى التحرك في واقعه، وإلى مواكبة العصر كمقدمات للعودة إلى الحضارة الإسلامية المكتملة الأبعاد، وإلى إحياء الثقافة الإسلامية «لا باعتبارها مواد علمية يكتفي بمعرفتها، وإنما باعتبارها مواد تربوية تساهم في تكوين شخصية الإنسان المسلم وتطبع سلوكه الحياتي بطابعها المميز. وفي الوقت نفسه لابد من أن تقوم هذه المؤسسات البديلة بمهمة تنقية عقل المسلم وقلبه من المقولات الدخيلة التي لابستها. . .». والحمد لله رب العالمين.

فرح موسى

في ١٩٩٣/١٠/٥.

القسم الأول:

الحركة الاسلامية وتناقضات الواقع

الفصل الأول: الحركة الإسلامية والتسمية بالأصولية.

الفصل الثاني: مشروع الحركة الإسلامية.

الفصل الثالث: اسلوب الحركة الإسلامية

الفصل الرابع: إمكانية الهدنة مع الأنظمة

مبررات الهدنة فقهياً وسياسياً عند الشيخ شمس الدين.

١ ـ مصطلح الاصولية[1]:

قبل الحديث عما يعنيه هذا المصطلح، وعن الأسباب التي أدت إلى شيوعه، لابد من الإشارة إلى الحقيقة التالية وهي أن مصطلح الإصولية لا يعبر به عن الحركات الإسلامية فقط، بل هو تعبير عام أطلق على بعض المسيحيين، وعلى بعض اليهود أيضاً ومن ثم أطلق على الحركات الإسلامية، لكن دلالاته العميقة يمكن أن يلتفت إليها من خلال المعنى الفقهي الذي يتضمنه هذا المصطلح عند المسلمين، وهذا ما نشير إليه لاحقاً، والأهم ـ في هذا السياق ـ هو التعرف على ماهية هذا المصطلح من حيث هو مصطلح سياسي، برز للتعبير عن حالة سياسية معينة، بعدما اسدل ستار من التعتيم على الإصولية المسيحية، وكذلك على الإصولية اليهودية إن في الولايات المتحدة، أو في الأراضي العربية المحتلة[2]. . . هذا الستار أسدل على جميع الإصوليات باستثناء الإصولية الإسلامية لأجل أن تأخذ معناها السياسي الذي يريده الغرب بعيداً عما يعنيه هذا المصطلح بالمعنى الفقهي والسياسي عند المسلمين وذلك تجلى بوضوح في إشارات الباحثين الغربيين والعرب إلى «أن هذا التعبير أطلق بشكل أساسي على فرق انجلية برزت في مطلع القرن العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية تدعو إلى

---

(١) مصطلح الإصولية الذي شاع وساد في الأوساط الثقافية العربية، هو التعريب المعتمد لمصطلح «فونـدامو نتاليسم» الأجنبي Fandamentalisme - را: كوثراني، وجيه، مستقبل الإصولية، ملف المعلومات، جريدة السفير عدد ٣. أيار ١٩٩٣. ص ٢.

(٢) را: كيبل، جيل، الإصولية الإسلامية، م. ع. جريدة السفير، ص ٣١.

العودة إلى أصول المسيحية الأولى والتمسك الحرفي بالنص»[1].

فالإصولية من حيث هي ردة فعل على الذات ـ إذا صح التعبير ـ في المسيحية واليهودية، لا يمكن أن تنسحب على المسلمين حتى ولو صح أن لهؤلاء ردات فعل دائمة لأجل تطبيق الشريعة وإعادة أسلمة المجتمع، لأن طبيعة الإصولية في الغرب، والظروف التي نشأت فيها، استعير لها مفردات سياسية معينة كي تعبر عن نفسها لأجل أن يكون لها معنى سياسي، باعتبار أن كل ردات فعلها كانت دينية محضة على خلاف ماهو عليه الأمر عند المسلمين لجهة وجود معنى سياسي ضاغط منذ نزل الوحي على الرسول (ص). مما يعني أن الدلالة السياسية لهذا المصطلح لم تعط له عند المسلمين مؤخراً، بل كانت له على الدوام، وهذا ما عبر عنه أحد الباحثين بالقول: «أطلق هذا التعبير لوصف الراغبين في العودة إلى نصوص الإنجيل بحرفها ضمن إطار ممارسة الشعائر الدينية، ولا يمكن تطبيق المصطلح نفسه بهذا المعنىٰ على المسلمين، لأنهم من ناحية ما، كانوا جميعاً كذلك على الدوام، أما الإسلاميون فقد سعوا من الجهة المقابلة إلى التمسك بنصوص الإسلام وتعاليمه في شكل أشد مما مارسه الإصوليون المسيحيون»[2].

هناك مسعىٰ سياسي خبيث يحاول الفصل بين المسلمين من خلال التمييز بين الحركة الإسلامية المتحركة في الواقع، وبين باقي المسلمين الذين لا يتحركون في الواقع ويسكنون لدرجة الموت رغم علم هؤلاء بأن المسلمين ـ من حيث الأصل ـ هم جميعاً ينطبق عليهم هذا المعنىٰ سواء أكانوا في حركة أم في سكون. . .

كما أن هناك بحاثة عرب يطلقون هذه التسمية ويميزون بين المسلمين والحركة الإسلامية ويغرب عن بالهم أنه لايوجد في الإسلام وفي المسلمين أصولي وغير أصولي. . . ويبلغ العماء عند هؤلاء إلى درجة أنهم يطلقون

---

(١) را: كوثراني، وجيه، م. ع. ص ٢.

(٢) را: هاليداي، فريد، ملف المعلومات المركز العربي، جريدة السفير، عدد ٣، أيار ١٩٩٣. ص ١٨.

التسميات ويستعملون المصطلحات الوافدة من الغرب، والمعبر عنها بطريقة ملتوية، بأسلوب غير دقيق، قبل أن يتعرفوا على حقيقة ما يراد بها ومنها، وقد عبر الدكتور وجيه كوثراني عن هذه الحقيقة بالقول: «لما برزت الحركات الإسلامية في الشرق الإسلامي خلال العشرين سنة الأخيرة بصورة ديناميـة لافتة، استخدمت الدراسات الغربية المصطلح نفسه للدلالة عليها، ثم شاع هذا المصطلح في الدراسات العربية، واستطاب لبعض الإسلاميين أنفسهم أن ينعتوا به سواء أكانوا أصولين بالمعنىٰ الفقهي والمنهجي أم لا. .»[1].

إن الإصولية في الإسلام لها معناها الفقهي، إضافة إلى ما لها من معانٍ سياسية بدليل أن الفقه السياسي هو جزء من الفقه الإسلامي. إلا أن ذلك لا يحتم التميز بين المسلمين أو الفصل بينهم من حيث هم حركة دائمة باتجاه الهدف المنشود باعتبار أن الذي يميز بين مسلم وآخر هو الحركة أو السكون، وليس المصطلح بحد ذاته كونه نشأ في الغرب للتعبير عن فرق دينية تخلو من أي معاني سياسية، وفي الآونة الأخيرة اسدل الستار عليها ـ كما ذكرنا ـ بهدف توجيه الانظار إلى العالم الإسلامي، وإلى الحركات الإسلامية التي يقول الغرب أنها تعمل من أجل العودة إلى عصور الظلام مشبهاً إياها بالقرون الوسطىٰ التي حجر فيها على العلم والعلماء من قبل الكنيسة. . .

يقول الشيخ شمس الدين: «لاتوجد أصولية إسلامية بالمعنىٰ المفهوم في الأرض عن الإصولية المسيحية ،في نطاق الإسلام مسلمون حقيقيون، ومسلمون غير حقيقيين. مسلمون يحملون رؤية سياسية ويتحركون في الواقع من أجلها، ومسلمون لا يحملون هذه الرؤية. . .»[2].

فالمعروف عن الإصولية المسيحية أنها دعت إلى التمسك بالنصوص وعدم الخروج عليها، ومنعت من تأويل هذه النصوص بما يتناسب ومسيرة الحياة وحركة الإنسان، وعبرت سياسياً عن نفسها بالخروج على مدنية الإنسان، وعدم المساهمة في إحياء مملكة الأرض، ويمكن أن يقال بأنها

---

(١) را: كوثراني، وجيه، ملف المعلومات، م. ع. ص ٢.
(٢) را: الشيخ شمس الدين، في مجلة الشعلة، عدد ٣٨، ١٩٩٣. ص ١٩.

عبرت عن نفسها في الواقع من دون أن تنطلق من نظرية واضحة أو لازمة لها بحيث يكون التطبيق السياسي حاملاً لخصائصها، ومن أين يكون لها ذلك، والنص المسيحي يخلو من أي معنى سياسي، بدليل أن الديانة المسيحية هي ديانة روحية كما هو مضمون جميع الأناجيل المعترف بها لدى الكنيسة.

أما المعروف عن الإسلام والمسلمين، أنه يتضمن شريعة وعقيدة، يتضمن نصوص سياسية، واجتماعية واقتصادية. . . أنه دين كامل، استطاع أن يقيم دولة، وأن يشكل حضارة، وأفسح في المجال أمام العلم والعلماء وكانت قرونه كلها نوراً وضياءً، ويحاول المصطلح الإصولي الوافد من الغرب التقليل من أهمية الإسلام ودوره في بناء الحياة والإنسان من خلال مقارنته بين الإصولية المسيحية والإصولية الإسلامية.

فإذا قلنا أن هناك دعوة إلى التمسك بالنص وإلى العودة إلى الكتاب والسنة، بما هي نصوص لا يأتيها الباطل من أية جهة، فذلك يعني أن المسلمين يريدون إحياء مشروعهم، وتطبيق نظريتهم، وتأليف فكرتهم السياسية على نحو يؤدي بهم إلى التفاعل مع الآخر. اما أن يقال بأن هناك أصولية إسلامية متعصبة ومتطرفة، ولا تمثل العالم الإسلامي بما تدعو إلى تطبيقه، فهذا القول ينم عن شيء من الجهل بطبيعة هذه الحركات، وبحقيقة أصوليتها التي لا تنحصر بالمعنىٰ الفقهي[1] وإنما تتعداه إلى المعنىٰ السياسي، باعتبار أنه

(١) يقول الشيخ شمس الدين ان المدرسة الأخبارية عند الشيعة قد انكفأت لمصلحة المدرسة الإصولية، باعتبار أن المدرسة الأخبارية هي تعتمد على الأخبار فقط، وتمنع من العمل بظواهر الكتاب العزيز لطروء مقيدات ومخصصات على مطلقاته وعموماته من السنة، وتمنع أيضاً من الإجتهاد، ومن تقليد المجتهد، وقد تصدىٰ الإصوليون لهذه المدرسة لما تمثله من خطر على حركة الإجتهاد وعلى الفهم السليم للإسلام وشريعته، وكانت النتيجة أن انتصرت المدرسة الأصولية على المدرسة الأخبارية التي كانت تستقطب عدداً كبيراً من العلماء أمثال الفيض الكاشاني، والحر العاملي والشيخ يوسف البحراني وغيرهم. ولم يبق لهذه المدرسة أي أثر في الوقت الحاضر. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه المدرسة الأخبارية كان ولا يزال يوجد مثيل لها عند السنه يسمون بأهل النقل والسلف، وهم يمنعون من الإجتهاد أيضاً.

را: الشيخ شمس الدين، مجلة الإجتهاد، العدد التاسع. سنة ثالثة، ١٩٩٠. ص =

يصعب الفصل بين المعنىٰ الفقهي والمعنىٰ السياسي، لأن المعنىٰ الفقهي الإصولي وإن كان مختصاً باستنباط الأحكام من أدلتها التفصيلية، إلا أنه يتضمن الكثير من المعاني السياسية التي تجعل من المسلمين جميعاً أصوليين في الدعوة إلى التمسك بالنص، وإلى تطبيق الشريعة، وإلى الإلتزام الكامل بالنظرية من حيث هي نظرية كاملة وشاملة ومتضمنة لكل ما يحتاج إليه الإنسان في حركته من أجل بناء نفسه والحياة الدنيا والآخرة. . .

إذن الحركات الإسلامية الحية اليوم (المسماة بالإصولية) لها امتداداتها في التاريخ، ومعانيها الكاملة والشاملة في الزمان، هي تنطلق من الإسلام وتعبر عن نفسها من خلاله، وتحارب الظلم والإستعمار وتحمل رؤية سياسية سبق للمسلمين السابقين أن حملوها وتحركوا من أجلها، وهي ليست حدثاً طارئاً، أو أصولية مشابهة لكثير من الأصوليات التي أسدل الستار عليها من قبل الغرب لأجل حصر الأنظار باتجاه الحركة الإسلامية فقط. فالمعنىٰ المفهوم في الأرض عن الإصولية المسيحية لا يمت بصلة إلى الحركات الإسلامية انطلاقاً مما بينهما من خلافات جوهرية تجعل منهما أصوليتان متقابلتان من حيث الجوهر والشكل، فالمسيحية تدعو إلى السماء، والإسلام يدعو إلى الأرض والسماء، المسيحية تدعو إلى أصولية فاقدة للمعنىٰ السياسي، والإسلام يدعو إلى أصولية من جملة ما تتقوّم به المعنىٰ السياسي. وكما يقول الشيخ شمس الدين: «كل المسلمين أصوليون، ويحملون مشروعاً سياسياً وإنسانياً. لكن منهم من يتحرك في الواقع، ومنهم مَن لا يتحرك، فالأول يقال عنه أنه إنسان حقيقي حيوي، والآخر يقال عنه أنه غير حقيقي لما هو عليه من جمود (وحتى هذا الأخير لا تصح مقارنته مع الإصولية المسيحية

= ٤٨. وقا: مع كوثراني، وجيه، الفقيه والسلطان دار الراشد، ط ١، ١٩٨٩، ص ١٦٢، قوله: بأن الإتجاه الإخباري جاء كردة فعل على ما آل إليه المذهب الأصولي على يد فقهاء الدولة الصفوية في آخر عهدها.

وهنا يمكن القول أيضاً بأن انتصار المدرسة الإصولية أدي بشكل أو بآخر إلى استمرار، وإلى فاعلية السياسة الإسلامية التي هي جزء من الفقه الإسلامي ولهذا السبب يصعب الفصل بين المعنىٰ الفقهي والمعنى السياسي. وهذا ما تنبه له الغرب المستعمر.

لأن جوهر هذه الأخيرة يحتم هذا الجمود السياسي، بينما جوهر الإصولية الإسلامية لا يحتمه والجمود إزاءه لا يعني أن الإصولية الإسلامية متضمنة لهذا الجمود ومبررة له، وإنما الإنسان هو الذي يبرر لنفسه أحياناً الموت وعدم الحركة. . . والهزيمة! إن الفرق الأنجيلية في أمريكا دعت إلى نص حرفي جامد لا حراك به، ولا يحمل رؤية مستقبلية ولا يتضمن أي مشروع سياسي حضاري فضلاً عن أنه مشوب بكثير من التناقضات التي تجعله عاجزاً عن تحقيق نفسه على مستوىٰ الواقع. . . !؟.

إن إطلاق هذه التسمية من قبل الغرب على الحركات الإسلامية، هي في الحقيقة تعكس موقفاً عدائياً من الإسلام والمسلمين، وتهدف إلى الإيقاع بينهم فيما هم منطلقون فيه ومتحركون من أُجله. تسمية توحي بكثير من العداء وعدم الموضوعية لأنها في مضمونها تحمل الكثير من الافتراءات والاتهامات بحق الإسلام والمسلمين، وذلك يتبدىٰ بوضوح حينما يعلن بين الحين والآخر بأن المسلمين متعصبون ولا يعترفون بالأخر.

يقول الشيخ شمس الدين: . . . «إن التسمية بالإصولية (الإسم الذي اخترعه الغربيون لها). هي تسمية تشي بجهلهم للإسلام، كما تشي بالرغبة في اعتبار هذه الحركة شذوذاً عن إسلام المجتمعات الإسلامية، والأنظمة الإسلامية، كما يتضمن الرغبة في حمل هذه المجتمعات والأنظمة على رفض هذه الحركة ومطاردتها، بدل أن تتفاعل معها، ولهذا الكيد وأساليبه قصة أخرى»[1].

كما أنها تهدف إلى إثارة الرأي العام الغربي ضد الحركة الإسلامية وما تحمل من مشاريع ورؤى بحجة أنها تهدد السلام العالمي وتحارب الإنجازات العلمية، وقد انخدعت الشعوب الغربية بهذه الأقاويل إلى حد كبير، لأنها لا تملك معرفة صحيحة بالإسلام.

---

(١) را· الشيخ شمس الدين، في الإجتماع السياسي الإسلامي، دار مج. ط ١، ١٩٩٢. ص ٢.

وها هو الاستعمار الغربي، بعد أن تمكن من إقناع الرأي العام بأكاذيبه، يعمل الآن بكل قوته ضد هذه الحركات ويتخذ من مشروعها السياسي موقفاً عدائياً، ويشجع الأنظمة الموالية له على مواجهة هذه الحركات تحت شعارات الأمن والحرية والسلام، يقول الشيخ شمس الدين: «وقد انعكس على مسألة الحكم الإسلامي من الناحية النظرية، وعلى الدعوة إلى إقامة الحكم الإسلامي، على المستوىٰ العملي السياسي الموقف العدائي غير الموضوعي، وغير العلمي من الصحوة الإسلامية. . . وهو ما سماه الأعلام الغربي بالإصولية الإسلامية. . .»[1].

فالإصولية كتعبير لا تفيد السلبية في شيء، لكن الأعلام الغربي وضعها في خانة الفرق المسيحية واليهودية التي كانت تدعو إلى نصوص جوفاء خالية من أي معنىٰ حضاري، ومن أي موقف سياسي حقيقي، لقد أعطاها الغرب معنىٰ يتلاءم وطموحاته ومشاريعه السياسية، وأبعاداً تخدم توجيهاته في المنطقة الإسلامية، وإذا كان قد حلي للبعض أن ينعت نفسه بها، فذلك ينبغي أن يتم بلحاظ معناها الحقيقي الذي يعني التجذر في التاريخ والزمان، والفاعلية فيهما، وليس من خلال المعاني التي ألبسها إياها الإعلام الغربي لأن ما يسمىٰ بالإصولية ـ كما ذكرنا ـ ليس مذهباً جديداً في الإسلام، بل كانت دائماً موجودة ومتحركة ومعبرة في نفسها من خلاله، وحاملة للمشروع السياسي الإسلامي. وبشكل خاص يمكن الإشارة إلى قوتها منذ الصدام الكبير الذي حصل بين العالم الإسلامي وبين الاستعمار القديم في شبه القارة الهندية، وفي مصر حين غزو نابليون لها، ونكاد نقول منذ الحركات الصليبية. . . لقد حصلت صدمات سببت وعياً، وأعادت الإسلام إلى دائرة الفعل السياسي، وإلا مَن يسمون الإصوليون هم يصلون ويصومون ويحجون، ويلبسون مثل سائر المسلمين. . .»[2].

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، في الإجتماع السياسي الإسلامي، بيروت، دار مج، ط ١، ١٩٩٢، ص ١٦.

(٢) را: الشيخ شمس الدين، في مجلة الشعلة. م، س. ص ١٨.

الحركة الإسلامية في دائرة الفعل السياسي:

ليست الحركة الإسلامية بدعاً من الحركات، فحيث يوجد الظلم والاستعمار توجد هذه الحركات، هي تتولد من باطن الزمان، وإن شئنا التعبير المبالغ فيه نقول أنها تخلق في الهواء ومنه إذا كان هناك ثمة ظلم وحرمان، أو طغيان يتعرض له مجتمع من المجتمعات. . .

لقد تعرض العالم الإسلامي اليوم، كما في السابق، إلى غزو استعماري، وعانىٰ ولا يزال يعاني من الأزمات والتعقيدات على جميع المستويات، وكان كلما تشتد الأزمة تشتد الحاجة إلى حركة مناهضة للظلم والطغيان اللذين يحملهما الإستعمار في أحشائه، فالحروب الصليبية مثلاً، أحدثت هزة عنيفة كان لابد أن تحدث صدمة للمسلمين، وهذا ما حصل حينما انتفض المسلمون يطالبون بالحرية والاستقلال وتحرير البلاد من غزو أوروبي تحت شعار الصليب والمسيحية وهذه الأخيرة كانت منه براءً، وقد سميت هذه الحروب بالصليبية زوراً. . .

إن ما تعرض له العالم الإسلامي في السابق، وما يتعرض له اليوم، يجعله بأمس الحاجة إلى حركات تحررية، (سمها ماشئت) تدافع عن حرية الإنسان وكرامته وتنادي بالإستقلال الحقيقي الذي يجعل من هذا العالم عالماً حراً يستطيع أن يخاطب الآخر ويحاوره من موقع حريته، لا من موقع التبعية للآخرين، لأنه في هكذا حالة سيكون محاوراً لنفسه، ومخاطباً لنفسه، في الوقت التي تكون فيه نفسه قد انتهت وسقطت. . . !؟

فإذا كان الغرب لا يريد لهذا العالم أن يكون أصولياً حقيقياً متمسكاً بحبل الله المتين، فماذا ينتظر من هذا العالم غير أن تنبثق منه حركات إسلامية أو غير إسلامية، تحفظ كيانها، وتحي إنسانها من خلال تلك المبادىء التي سبق لها أن أحيته من خلالها، وهي مبادىء الإسلام السمحاء. . .

نعم، في الوقت الذي أصر ويصر فيه الغرب على إستعمار هذا العالم

واستتباعه، كان لابد من حركة إسلامية، هادئة أو عنيفة، تعيد ما ظن الإستعمار أنه فات، وتحي ما ظن أنه مات، يقول جمال الدين الأفغاني: «لابد من حركة دينية لأننا إذا نظرنا في سبب انقلاب حالة أوروبا من الخشونة إلى المدنية نراه الحركة الدينية وذلك منذ عصر لوليروس رئيس الطائفة البروتستانية، فإنه لما رأى أهل أوروبا تعتقد في البابا اعتقاداً يوجب عليها الخضوع له والإستكانة لأوامره وغير ذلك من الاعتقادات المسيحية الفاسدة أقام بتلك الحركة الدينية التي نشأت عنها الأنقسامات بين الشعوب، وجعل كل شعب يغار من الآخر ويحاربه في سلوك سبل النجاح وخلاصة الأمر أن تمدن أوروبا ينسب إلى تلك الحركة»[1].

فالإستعمار الغربي لا يعطي صورة مشوهة في إعلامه للحركة الإسلامية فقط، بل يعطي هذه الصورة المشوهة لكل حركة تناهضه وتقف في وجهه لتمنعه من استعمارها واستلحاقها سواء أكانت مسيحية أم إسلامية، ومع هذه الصورة يعطيها أيضاً إسم الأصولية لإثارة الرأي العام ضدّها، وللحصول على الدعم في مواجهتها تحت شعار الحرية والديمقراطية، وحقوق الإنسان. . . !؟

لكنه يعلم، كأداة سياسية، ومخابراتية، أن أهداف هذه الحركات سامية، ونبيلة، وان لها الحق في الثورة على الظلم والاستبداد والتبعية للغير، إلا أن المنطق الحضاري. . . الفرعوني يحول دون الاستجابة لمطالب هذه الحركات: ولشدة حرص الإستعمار الغربي على مصالح المسلمين!؟ نجده يهتم كثيراً بتعليمهم ما يروق له من الإسلام، كالمحبة والتسامح والسلام الدائم وغير ذلك من المقولات الفكرية التي تجمد الإنسان وتمنعه من المطالبة بحقوقه المشروعة، وبما أن انبثاق هذه الحركات الحية يؤدي إلى نتائج مخالفة لما يحلم به من نتائج، فإنه يتهم هذه الحركات بالإرهاب وتهديد السلام، ويوظف من يثق بهم في العالم الإسلامي لإثارة المجتمع والدولة ضد هذه الحركات، ويؤمن الدعم الكافي لهم كي يتمكنوا من تحسين

(١) را: عمارة، محمد، الأعمال الكاملة لجمال الدين، ص ٣٢٨.

صورته الحضارية عند المسلمين، وكي يقبّحوا صورة المسلمين الأحرار الذين يطالبون بالحرية، واستعادة الذات، والتحرر من كل ألوان العبودية لغير الله تعالى. ومما لاشك فيه أن الاستعمار نجح ولمدة طويلة في استمالة قلوب الكثيرين ممن رأوا فيه خير منقذ للبشرية من خلال ما يقدمه لهم من علوم جمادية... «إن هذا الموقف ينطلق من عداء دفين وتاريخي للإسلام والمسلمين، ومن حرص القوىٰ العظمىٰ الغربية والأمريكية خاصة على الاستمرار في تحكمها الإقتصادي والسياسي والثقافي في العالم الإسلامي بهدف استلحاقه، واستتباعه، وهذا ما يجعل الأمبريالية تواجه بالعداء والكيد كل محاولة للإنبعاث، واستعادة الذات وامتلاك المصائر»[1].

هذا هو جوهر الصراع، وهذا هو الواقع الذي يقتضي ضرورة وجود مثل هذه الحركات الواعية ـ في العالم الإسلامي التي تقوم بمهمه مزدوجة. فهي تواجه الاستعمار الغربي وأدواته من ناحية، ومن ناحية أخرىٰ تواجه أولئك الذين يعملون في الواقع لمصلحة الاستعمار من مسلمين وغيرهم سبق أن تمكن الاستعمار من إيقاعهم في شباكه، وأوهن نفوسهم بحيث تمكن من توظيفهم في العالم الإسلامي لحسابه، بعد أن كتب لهم شيئاً عن القضاء والقدر بأقلام من داخلهم، وبعقول من وسطهم، وحينما أقنعهم بمقولة أن دعوا الزمان يفسد حتى يأتي دوركم هذا فضلاً عن وجود أنظمة موالية له تستفيد من هذه الجماعات التي أخذ منها الشيطان مأخذه وبلغ منها مأمله»[2].

---

(١) الشيخ شمس الدين، محمد مهدي، في الإجتماع السياسي، دار مـج، ط ١، ١٩٩٢، ص ١٦.

(٢) يتفق الشيخ شمس الدين مع جمال الدين الأفغاني فيما يتعلق بوجود حركات إسلامية واعية، يقول الأفغاني: «حركتنا الدينية هي اهتمامنا بقلع مارسخ في عقول العوام والخواص من فهم بعض العقائد الدينية الشرعية على غير وجهها الحقيقي مثل حملهم القضاء والقدر على معنىٰ يوجب أن لايتحركوا لطلب مجد أو لتخلص من ذل ومثل فهمهم لبعض الأحاديث الشريفة الدالة على فساد آخر الزمان الذي حملهم على عدم السعي وراء الإصلاح والنجاح... فلابد من بث العقائد الدينية الحقة بين الجمهور وشرحها لهم على وجهها المناسب وحملها على محاملها الصحيحة التي تقودهم لما فيه خيرهم دنيا وأخرة: را: عمارة محمد، الأعمال الكاملة، لجمال الدين الأفغاني، =

إذن الحركة الإسلامية ضرورة ملحة في الواقع الإسلامي، لأن عدمها يعني فسح المجال أمام القوى العظمىٰ لاستباحة هذا العالم، وهنا حقيقة يجب أن نشير إليها وهي أنه إذا كانت هذه الحركات موجودة ومتحركة في الواقع ومؤثرة فيه، والاستعمار تمكن من حمل بعض الأنظمة على الاعتراف بإسرائيل والتعامل معها رغم أنف الجماهير العربية والإسلامية، فكيف إذا لم تكن هذه الحركات موجودة، فماذا يمكن أن يحصل؟. وكيف يقال عنها أنها إرهابية، ومهددة للسلام الأهلي، ومصدر قلق؟؟ على الأقل أن تعتبر هذه الحركات معارضة إذا صح أن هناك أنظمة ديمقراطية في العالمين العربي والإسلامي!؟.

على الأقل أن يكون هناك شيء من الحياء أمام شعوب عربية وإسلامية تعتبر صراعها مع اليهود صراعاً وجودياً، وليس مجرد صراع سياسي؟!.

على الأقل أن يؤخذ رأيها فيما يجري الآن من اتخاذ قرارات وفيما يوقع من اتفاقات! على الأقل أن يقال لهذا الحطام البشري أنت لست على شيء من الوعي السياسي والثقافي، والأستراتيجي حتى يكون لك موقف مما يجري. . . ؟؟

ماذا بعد غير أن يأتي ذلك اليوم الذي سيتحول فيه هذا الحطام البشري إلى بركان تقذف حممه كل أولئك الذين يمنعون استعادة الذات، وامتلاك المصير. . .

كيف يكون للأمة خيارات إذا لم تكن هناك حركات مناهضة واعية تقول لا لكل ما يجري. . . لا للتطبيع، لا للسلام غير العادل. . .

فإذا كانت ضرورات الأنظمة قد حتمت عماء الشعوب بصراً وبصيرة فهل تحتم خيارات الأمة ذلك أم أنه سيكون لها بصر وبصيرة من حديد «فكشفنا عنك غطاؤك فبصرك اليوم حديد» سورة ق: آية: ٢٢.

= ص ٣٢٨، وقا: مع الشيخ شمس الدين في دراسات ومواقف، ج ٢، ص ١٩٤.
ورا: مقالة الشيخ شمس الدين في المؤتمر الثالث للفكر الإسلامي في طهران نشرة منظمة الأعلام الإسلامي، ص ١٩٨٦. ص ١٧٠.

الفصل الثاني: مشروع الحركة الاسلامية

تمهيد الفصل الثاني:

هناك سؤال يطرح في العالم اليوم. ما هو مشروع الحركة الإسلامية؟

قبل الإجابة على هذا السؤال لابد من تمهيد يعرفنا ببعض الحقائق الهامة. منها: إن الدول العربية والإسلامية بعد أن حصلت على ما يسمىٰ بالإستقلال (بل وقبل حصولها عليه)، برزت جماعات تدعو إلى التغريب، وإلى تقليد الغرب في كل شيء ظناً منها بأنه يمثل نهاية التاريخ وبدايته، هكذا يظن بعض المثقفين العرب والمسلمين!؟.

ولا شك أن هذا الإتجاه العلماني قوي بعد الحرب العالمية الأولى بعد انتشار التعليم الحديث ذي النمط الغربي، وبعد انهيار دولة الخلافة العثمانية، والوعود التي قدمتها الدول الغربية الإستعمارية بمنح الإستقلال للدول الإسلامية التي كانت تابعة للخلافة العثمانية، لكنها لم تفِ بشيء من هذه الوعود، بل كانت مقدمة لأستيعاب حركة الجماهير، ومن ثم الإيقاع بها في فخ الحضارة والعلوم الجمادية والتكنولوجية.

وما حصلت عليه هذه الدول من استقلال لم يكن بلا ثمن، وأول ثمن دفعته هذه الدول هو أنها قدمت وعوداً بالعمل ،والتنسيق مع الدول الأوروبية، وعدم الخروج عن إطارها حتى فيما يعود إلى الأمور الشخصية، وبالفعل التزمت هذه الدول ممثلة بأنظمة ضعيفة بكل وعودها، وسارت بالشعوب بإتجاه التبعية والتقليد للغرب، وساعد هذه الأنظمة المثقفون الإصطناعيون

الذين تأثروا بل فتنوا بالغرب وإنجازاته.

ومن هنا نقول ان الاستقلال لم يكن استقلالاً حقيقياً، وكذا الثقافة، ما يسمىٰ إسلامية، أو عربية، لم تكن ثقافة حقيقية، لأن معنىٰ الاستقلال الحقيقي أن تكون فاعلاً في العالم ومؤثراً فيه، وحراً في اتخاذ أي قرار يتناسب ومصلحة المجتمع والدولة، ولأن الثقافة الحقيقية معناها أن تكون قادراً على بناء شخصية مستقلة تقاوم كل خطر يتهددها لا من كونها كالاسفنجة تمتص بسلبية كل ماء»[1].

لقد امتص عالمنا العربي الإسلامي ماء أوروبا بصفوه وكدره، وخرج على كل ماله علاقة بإرادته وذاته، وهذه هي الأجواء التي سادت حين حصلت هذه الدول على ما يسمىٰ بالإستقلال، إستقلال أن تذهب جيوش الدول الكبري وان تبقىٰ آثارها؟؟!

وليس غريباً هنا أن نذكر دور المثقفين العرب الحاملين للهوية الإسلامية في الدعوة إلى التوفيق بين الإسلام وتعاليم الغرب وثقافته، والغرابة تبدو أكبر حينما نجد مثقفاً ذاع صيته وكبر اسمه، وعلا مقامه في الوسط العربي والإسلامي، وهو طٰه حسين حينما يعلن على رؤوس الإشهاد، كما أعلن فارس نمر وغيره، أنه على مصر أن تأخذ كل شيء من الغربيين، يقول: نحن لاشيء والغرب وأوروبا هي كل شيء، وإن مستقبل مصر مرهون بأخذها مثل الحضارة الإنسانية وبالفضائل المدنية والديمقراطية كما مثلها الغرب، وعلى مصر، وكل بلد عربي، أن يصبح جزءً من أوروبا، وأن تسير سيرتها في الفكر والإدارة والتشريع، علينا أن نصبح أوروبين في كل شيء قابلين مافي ذلك من حسنات وسيئات؛ فبين الغرب العلمي والشرق الروحي لايمكن لمصر إلا أن تختار الغرب!»[2].

---

(١) انظر مجلة الإنسان، مقالة محسن الميلي/ الثقافة/ الهوية، العدد الأول: ١٩٩٠، ص ١٧

(٢) انظر مجلة المنطلق، العدد ٩٩، ص ١٩٢، نقلاً عن كتاب برهان غليون، اغتيال العقل.

هذا نموذج من النماذج التي يدعو إليها المثقف الإصطناعي في بلاد المسلمين، فإزاء هذه الدعوات، ماذا ينتظر من المسلمين الحقيقيين غير أن يثوروا ليمنعوا، أو ليحدوا من انتشار هذه الدعوات التي يطلقها الأحرار كما يصفهم الغرب..!؟

هل ينتظر منهم أن يسيروا في ركاب طٰه حسين وأمثاله، أم الثورة الواعية على كل السلبيات الوافدة إلى هذا العالم تحت ستار الثقافة وظلال الحضارة؟ فبدل من أن يدعي هؤلاء إلى موقف انتقائي، نراهم يعملون جاهدين من أجل القضاء نهائياً على معالم المسلمين؟ وبدل من أن يبحثوا عن وسائل تخرج هذا العالم الإسلامي مما هو فيه، نجدهم يعلقون الأمال الكبيرة على وسائل أوروبا التي لا يمكن أن تكون لصالح المسلمين، وقد بينت الأحداث (على الرغم من التحاق هذا العالم بالغرب وتقليده في كل شيء)، أن ماكان يطمح إليه المقلدون من حضارة لم يتحقق، بل حصل عكس ذلك تماماً، وكنا نتمنى لو أن هؤلاء بقيوا أحياءً ليروا بأم أعينهم ما هو مستقبل مصر وكل بلد عربي، وهذا يجب أن يشكل حافزاً للمثقفين الأحياء الذين يحملون هكذا شعارات لا تمت إلى جوهر الإسلام بصلة.

من أولى أهداف الحركات الإسلامية الخروج على كل مقولات التوفيق، وتحقيق الاستقلال، والأخذ بكل ما هو ملائم لطبيعة هذا العالم الإسلامي من أية جهة كان...

لم يصل المسلمون إلى أي هدف من أهدافهم في ظل دعوات التوفيق بين الغرب والإسلام، بل كانوا حيارىٰ دائماً في زلزال من الأمر، وفي بلاء من الشك بين أن يطيعوا الغرب فيما يشرعه لهم من قوانين، وبين أن يطيعوا الإسلام كدين إلهي فيه تبيان كل شيء. وهذا ما طرحه حسن البنا في الأربعينات حينما سأل الحكومة آنذاك عما يفعله المسلم فيما لو كانت الدولة تدعو إلى احترام قوانين مخالفة للإسلام[١].

---

(١) را: مجلة الإنسان، العدد نفسه، الديمقراطية في أدبيات حسن البنا، فتحي عثمان ص ٧٠.

إن المشكلة لم تكن بالشعوب العربية والإسلامية، بل كانت دائماً بالمثقفين الذين أوقعوا الأمة في حيرتها حينما عادوا من أوروبا ليرووا لها ما هي عليه أوربا من تقدم في جميع المجالات في الوقت التي كانت فيه الأمة تعاني من نقص في داخلها، ومن فقدانها لرصيدها الداخلي، فهذا رفاعة الطهطاوي مثلاً كواحد من الآلاف الرجال نقل ما شاهده في باريس، «ونقل مشكلة القوانين الطبيعية الذي شهد سيادتها في الغرب إلى الساحة العربية الإسلامية فاضطره ذلك إلى اقتراح عملية التكيف مع الحضارة والإستجابة لها»(١) فبدل الدعوة إلى اتخاذ مواقف انتقائية منها دعا إلى القبول بها فكانت النتيجة أن أخذ هذا العالم العربي والإسلامي بشعاراتها من دون أن ينال شيئاً منها، مما أدىٰ إلى بقاء هذا العالم أسيراً يعاند القدر ويتهم نفسه من دون أي تحرك، في غالب الأحيان، لتصحيح ما فسد من أمور المسلمين، ولتقويم ما اعوج منها.

إن المشكلة كانت وستبقىٰ أولئك المتغربين المتحركين بحسب أهدافهم وميولهم الذين أبعدوا الأمة عن أصالتها وتاريخها، وبعثوا فيها روح الهزيمة والتواكل، وما مقولة محمد عبده ببعيدة عن هذا الواقع، فهو حينما دعا إلى الحاكم المستبد، لم تكن لتغيب عنه الديمقراطية، بل كانت حاضرة عنده تماماً، ولما أيقن بفشل الديمقراطية والداعين إليها في هذا العالم قبل بأهون الشرين وأقل الضررين، فإذا لم تكن هناك ديمقراطية حقيقية، فليكن الاستبداد مع شيء من العدالة مع علمه المطلق بأنهما لا يجتمعان!؟.

فالدولة العثمانية هزمت نفسها حينما لم تأخذ بروح وعزيمة وطاقات أمتها وكل دولة، بل كل هيئة سياسية واجتماعية... سيكون مصيرها الفشل والهزيمة فيما لو اتبعت نفس الخطىٰ، وبما أن الأسباب التي قطعت أوصال الأمة لا تزال موجودة فإن القيمين على العالم الإسلامي ممن أدركوا حقيقة

---

(١) جدعان، فهمي، أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ٢، ١٩٨١، ص ١٢٢.

الأخطار المحدقة بالأمة، وجدوا أنفسهم مضطرين لتشكيل حركات وهيئات تواجه مشاريع الغرب، وتمنع من تحققها. فضلاً عن الدعوة الملحة إلى العودة إلى الإسلام الحي والفاعل والقادر على بعث هذه الأمة من جديد بحيث تستطيع تحقيق نفسها من خلال الإلتزام به...

لقد حقق الغرب انتصاراً ساحقاً على هذا العالم الإسلامي، ومازال حتى الآن يحقق مزيداً من الانتصارات، وهو ينطلق في تحركاته كلها من حقيقة ثابتة عنده، وهي انه استطاع تغييب العقيدة الدينية عن حياة الناس، ولم يبق منها إلا ما يتعلق بالزي والشكل والمظاهر الخارجية، ونتيجة لتيقنه من ذلك فهو مستمر في زحفه على هذا العالم للقضاء على آمال وطموحات موجودة في أعماق الناس يخشىٰ أن تخرج هذه الآمال من لاوعيهم، وخصوصاً في هذا القرن الذي يرىٰ أن فيه ما يشكل خطراً كبيراً عليه بسبب ظهور بعض الأصوات التي تطالب برحيله، أصوات متعبة تصدر عن ضمير متعب تطالب بعودة الدين إلى حياة الناس بعد أن تحولوا إلى هياكل بشرية، إنها أصوات المسلمين الذين قتلهم الغرب، أو سجنهم في بلادهم تحت شعار الحرية المزيفة التي تفح منها رائحة العبودية للهوى...

لقد أيقن هؤلاء أن السكون يعني الاستمرار في الموت، والغياب في السجون، فانطلقوا تحت شعار «ولتكن منكم أمة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر...» وقالوا كلمتهم في أكثر من مكان، لا للأكذوبة الغربية، ولا لإقصاء الدين ووضعه على رفوف حضارة لا أخلاقية ولا إنسانية ولا لأولئك المتغربين الذين يتنفسون من أنوف شهواتهم وغرائزهم، ولا لحشرنا بين مادية أوروبا وجاهلية ما قبل الإسلام، باعتبار «أن الغرب المتفوق مادياً حشر العالم الإسلامي بين مطرقة التحول إلى غربي علماني مُعصرن وسندان التخلف والإندثار، وقد انطلقت هذه الأكذوبة الإختيارية على الكثيرين من قادة العالم المظلوم المعاصرين، وها هو مصطفىٰ كمال أتاتورك الذي اعتبره «أرنولد توينبي» «حسن الحظ للشعب التركي، يسارع إلى فرض الاستقلال الكلي عن أية مرجعية للإسلام على الشعب التركي، مستظلاً بشعاره الشهير «اما أن

تصبح عصرياً، وأما أن تزول من الوجود، فتخلف العالم الإسلامي عنده سببه الإسلام»[1].

وهذا هو الشعار الذي كان يحمله «شاه إيران» والعديد من الحكام في المنطقة العربية والإسلامية الذين لم يعودوا مخدوعين بالحضارة الغربية وأهدافها، حيث أنهم رأوا جميعاً كيف تحول عالمهم في ظلها إلى أشباح بلا أرواح، وتجار بلا أرباح، ونساك بلا صلاح. تخور قواهم، وتوهن عزائمهم وتنزع الحياة الحرة من بين أيديهم، وكأنهم «خشب مسندة» فمن أين تكون العودة إلى الحياة، إذا كانوا يؤمنون بأن من معاني الحياة أن تكون غريباً عن ذاتك، وبعيداً عن وطنك وأنت فيه...؟

لقد أيقن المسلمون الأحرار، أن هذه الغفلة من الزمان، تكفي لتمرير هذه الأكذوبة التي مرت على شعب له قدم صدق وحضارة وتاريخ، شعب فتح العالم بالعلم والحرية، وكيف كل الأطر الحضارية التي كانت سابقة عليه، فلا يمكن لهذا الشعب الذي يملك حساً تاريخياً أن يكون ملحقاً بعالم أو بحضارة لاحس تاريخي لها، وليس عندها ما يكفيها لكي تستمر وتبقىٰ، هذا الشعب المسلم في كل مكان (المسمىٰ بالأصولية) يتحرك الآن باتجاه أهدافه، ويحمل مشروعه الذي سبق له أن تحقق في الواقع واعطىٰ نتائج قلما أتىٰ بها أي مشروع أخر، وهو يؤمن، .كما يقول مالك بن نبي: «إن الحضارة لا تبعث إلا بالعقيدة الدينية، وينبغي أن نبحث في حضارة من الحضارات عن أصلها الديني الذي بعثها»[2].

فالغرب لا دين له، وما عنده من حضارة لايقوم على أساس ديني، فهو مادي محض[3]، يقتل إنسانية الإنسان ليقيم صرح مملكته، وليؤكد ذاته من

---

(١) را: الإمام الخميني (قده) والمشروع الحضاري الإسلامي، د. سمير سليمان، دار الوسيلة، ط ١، ١٩٩٣، ص. ٣٩.

(٢) بن نبي، مالك، شروط النهضة، دار دمشق.

(٣) را: مطارحات مع قادة الفكر الإسلامي، المؤسسة العالمية للحضارة الإسلامية، سؤال وجواب مع كل من الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، والسيد نعمت الله الهاشمي، =

لا شيء وكأن الحضارات التي سبقته، والتي لم يكن لها ثمة دين، قد استمرت. . . !؟.

من هنا فإن الحركات الإسلامية اليوم تسعىٰ في هذا الاتجاه، اتجاه بعث الحقيقة الدينية التي غيبها الاستعمار، «وإلى بعث القوة التي تسمح بأحداث التغيير الجذري في العالم الإسلامي»[1].

مشروع الحركة الإسلامية:

يقول الشيخ شمس الدين: «يوجد مشروع سياسي، أو ما يسمع بين الحين والآخر، التوحد والتضامن، أو مشروع دولة إسلامية، أو تطبيق الشريعة الإسلامية وما إلى ذلك، مقابل مشروع الدولة الغربي. . .»[2].

يستفاد من هذا الكلام أن الحركة الإسلامية في محاولتها لبعت العقيدة الدينية في حياة المسلمين من جديد، تريد الخروج من دائرة التبعية والتقليد للغرب التي لا تلتقي معه في أشياء كثيرة حيث أن لها مشروعها الإسلامي الذي يتضمن السعادة لكل بني البشر، وهي تسعىٰ جاهدة من أجل تطبيق الشريعة الإسلامية تمهيداً لإقامة الدولة الإسلامية التي تتميز باستقلالها وبدورها الوسطي والشاهد على كل البشر من دون أن يعني ذلك الإنعزال عن العالم، أو عدم التفاعل أو التحاور معه. إنها دولة الإنسان بكل ما لهذه الكلمة من معنىٰ، فالأمة الإسلامية هكذا أرادها الله تعالى أن تكون أمة وسطاً «التي هي تعبير عن توازن عام وشامل في علاقات الإنسان بمحيطه، وبالعالم على مستوىٰ الوعي، وعلى مستوىٰ السلوك، وهذا التوازن مرتبط موضوعياً

= والشيخ يحيىٰ النوري، والشيخ حسن السعيد، والشيخ محمد على كرامي، والسيد محمد تقي النقوي، الشيخ محمد الصادقي، وقارن مع الشيخ شمس الدين في مواقف، ودراسات، ج ٢ ص ٣٦، ج ٣، ص ٥٧.

(١) جاء هذا الكلام في خطاب القاه الشيخ شمس الدين في النجف الأشرف تحت عنوان الحاضر والمستقبل، نقلاً عن كاسيت مسجلة. . . ورا: مثله في مواقف ودراسات. ج٣. ص ٥٠.

(٢) مقابلة في مجلة الشعلة، م. س.

بعقيدة التوحيد من جهة، وبوحدة الأمة من جهة ثانية، ويعزي الشيخ شمس الدين، السبب الأكبر في فقدان الوسطية في المسألة السياسية للأمة الإسلامية إلى التجزئة والتفرق والتبعية لهذا القطب أو ذاك»[1].

فالمشروع الإسلامي، هدفه هو هذا، أن تعود الأمة إلى ذاتها، وأن تمارس دورها. وأن تقوم بواجباتها كاملة إتجاه نفسها والعالم، لا أن تكون تابعة للقوى العظمىٰ، ومنقسمة على نفسها وغير قادرة على بعث الحيوية في مشروعها الإلٰهي...

إذن المشروع السياسي الإسلامي، مما يهدف إليه أولاً هو إعادة الوحدة إلى الأمة، وهذا يقتضي مواجهة كل التيارات والثقافات التي تعمل من أجل الفتنة، وعلى تعميق الخلافات بين المسلمين، وأول هذه التيارات، التيار التغريبي الذي يستفيد من التجزئة الحاصلة. ويساهم مساهمة فعالة مع آخرين لتعطيل دور الأمة من خلال منعها من التوحد حول القضايا المصيرية التي تهمها...

هذا المشروع الإسلامي موجود في مقابل مشروع الدولة الغربي، مشروع إلهي في مقابل مشروع إنساني يدّعي القدرة على حماية البشر، وعلى توفير السعادة لهم!، وقد تبين أن هذا المشروع لا يصلح أن يكون مشروعاً لمجتمعات بدائية لما يتضمنه من ظلم وتخلف ومحدودية، فكيف يمكن أن ترضىٰ به الحركة الإسلامية بديلاً للمشروع الإسلامي الذي وضع على ضوء معرفة كاملة بالبشر في ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم؟ وقد رأت هذه الحركات أنه كان من نتائج المشاريع الغربية في أوربا، وفي العالم الإسلامي زرع إسرائيل في قلب العالم الإسلامي، وتهجير المسلمين من ديارهم، هذا فضلاً عن مساوئه الأخلاقية التي ظهرت في العالم اليوم...

فالمشروع الإسلامي، هو مشروع أخلاقي، إنساني بالدرجة الأولي، وهذا المشروع من أجل تطبيقه يحتاج إلى دين حي في حياة البشر، وإلى

---

(١) الشيخ شمس الدين، محمد مهدي، بحث: العلاقة الموضوعية بين عقيدة التوحيد ووحدة الأمة، جريدة السفير. ١٦/أيلول/١٩٨٨.

رصيد داخلي في نفوسهم وعقولهم حتى يتسنىٰ له النجاح، وبما أن هذا الدين قد عاد إلى حياة البشر، من غربته وتمكن كثير من المسلمين من بناء حياتهم على أساسه، وضمن لكثير منهم السعادة، فإن التخلي عن هذا المشروع سيفسح في المجال أمام مشاريع لاإنسانية أخرىٰ جاهزة للإنقضاض على البشر من أجل تفريغهم من محتواهم الروحي. من هنا كانت دعوة الحركة الإسلامية ملحة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، وإلى إقامة حكم الإسلام حيث يمكن ذلك باعتباره مشروعاً إلهياً أثبتت التجارب أنه صالح لكل زمان ومكان. وليس صحيحاً ما ذكر ـ في أوساط غربية ـ من أن الحركة الإسلامية تعتمد العنف لتحقيق مشروعها، ولا تسمح للناس بأن يعبروا عن آرائهم بحرية تامة كي يختاروا نظام الحكم الذي يريدون، باعتبار أن هذه الحركات، معظمها، قد دعا إلى ملاحظة الظروف وشروط العمل، والشروط الخارجية أيضاً، في تطبيق الشريعة، وقبل القيام بأي خطوة باتجاه إقامة الحكم الإسلامي. يقول الشيخ شمس الدين: «نحن نؤيد قيام حكومات إسلامية في البلدان التي تتألف شعوبها من المسلمين فقط، وأن العمل بقوانين الله وبالقوانين الإسلامية شيء حتمي يجب أن يحصل، لكن على سبيل المثال في البلدان المختلطة كلبنان مثلاً، ليس من الضروري أن يعمل المسلمون، وأن يقاتلوا من أجل أن يحكموا غيرهم...»[1].

من واجب الحركات الإسلامية أن تعمل من أجل تطبيق الشريعة، وإقامة حكم الإسلام، لكن ذلك يبقىٰ مشروطاً بملاحظة الواقع، وقراءته جيداً، حتىٰ لا تستحيل البلاد إلى فوضىٰ عارمة تصب غالباً في خانة الكفر بسبب وجود تيارات أو فئات لا تريد الإسلام أن يحكمها، أو أن تعالج مشاكلها من خلاله.

في المجتمعات المختلطة التي يصعب، أو يستحيل فيها إقامة نظام حكم إسلامي، وحكومة إسلامية، يمكن العمل من أجل تطبيق مبدأ العدل والمساواة، واعتماد مبدأ الديمقراطية كنهج سياسي، حتىٰ وإن كانت هذه

---

(١) مقابلة مع جريدة السفير، بتاريخ ١٩٧٩/٢/١٩.

الأخيرة صيغة من صيغ المسيحية، ولا تحمل من الخير ما يحمله الإسلام للناس، إلا أنه تجنباً للفوضىٰ، ولما يمكن أن يحصل في ظل تنافر التيارات وخصومتها يمكن اعتمادها كنهج سياسي يسمح للجميع بالتعبير عن آرائهم، وبالمشاركة في التغيير، هذه الديمقراطية تصلح أن تكون بديلاً في مقابل المشروع الغربي الذي يعمل له من قبل التيارات التغريبية والعلمانية شرط أن يؤدي ذلك إلى حفظ البلاد واستقلاليتها، وأن تكون حرة في التعبير عن رأيها وفي اتخاذ قراراتها لا أن تكون الحكومات في ظل نهج الديمقراطية تابعة لهذا القطب أو ذاك من الدول العظمىٰ «على المسلمين أن يعتمدوا مبدأ الديمقراطية ليس للتوسل إلى الحكم، وإنما كعقيدة سياسية ونهج سياسي حقيقي، إلى جانب احترامهم للمجتمع وللنظام العام الذي هو خط أحمر في الشرع الإسلامي»[1].

وهنا يمكن القول أن اعتماد الديمقراطية كنهج سياسي، وليس كوسيلة للوصول إلى الحكم، كما يقول الشيخ شمس الدين، يعطى فكرة واضحة عما يمكن أن يتعرض له المسلمون الحركيون في ظل هذا المبدأ أيضاً بسبب ضيق الهامش الديمقراطي. !؟ لأن الغرب ومن يمثله في بلاد المسلمين يخشون من تحرك هؤلاء وتحت أي شعار، وفي ظل أي مبدأ، وهم غير مقبولين لما يحملون من مشروع سياسي إسلامي يؤثر في مجرى الحياة السياسية، وكأن الشيخ شمس الدين يريد أن يقول: بأن الديمقراطية لو أدت إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، وإلى إقامة حكم إسلامي، فستكون محاربة من قبل الغرب وسيحال بين المسلمين وبين وصولهم إلى السلطة، وهذا ما حصل فعلاً في الجزائر.

والسؤال يبقىٰ مطروحاً. من أين تعبر الحركات الإسلامية إلى مشروعها؟؟

هل تعبر إليه من باب الديمقراطية في ظل أية ظروف؟؟

أم تعبر إليه من خلال رفع شعار إقامة حكم إسلامي؟؟

---

(١) مقابلة مع مجلة الشعلة، م. س.

أم تعبر إليه من باب ممارسة العنف وغير ذلك؟؟

هناك من يعتمد مبدأ الديمقراطية في العالم الإسلامي، وهم التيارات التغريبية والعلمانية لكنها على وفاق تام مع الأنظمة، ولا تعارضها معارضة مبدئية، ومع ذلك فإن هذه يسمح لها بالتعبير عن رأيها، وممارسة دورها من دون أي تخوف من ذلك لا من قبل الأنظمة القائمة ولا من قبل الغرب، باعتبار أن المهم أن تكون ديمقراطياً مخالفاً للإسلام، ففي هذه الحالة يسمح لك بالتعبير عن رأيك، وبالمشاركة في عملية التغيير، أما إذا كنت إسلامياً تتحرك ديمقراطياً، فذلك مما يجعل من ديمقراطيتك غير مقبولة لما يشوبها من أنفاس إسلامية. وهذا يعني أنه يجب على المسلمين أن يغيروا الهوية، حتى يحق لهم اعتماد مبدأ الديمقراطية! وأن يكونوا غربيين ماديين حتى يكونوا ديمقراطيين!

أن تنطلق من الإسلام بطريقة ديمقراطية، وأن يصل المسلمون إلى الحكم بطريقة ديمقراطية، أمر فيه خيانة عظمىٰ للديمقراطية الموجودة في قاموس حضارة الغرب وسياسته.!

التيار العلماني، التغريبي الذي يتلاعب بالألفاظ ويترسم خطىٰ النظام السياسي والإجتماعي في الغرب، ويفهم الديمقراطية بطريقة غربية، يحق له الأعتراض والمشاركة، من دون أن يكون مسموحاً له بالتغيير بشكل يتعارض مع ما يريد الغرب إبقاءه سواء في الدولة أو في المجتمع . . .

إن الغرب بسبب أساليبه السياسية الماكرة يتهم المسلمين بالخروج على مبدأ الديمقراطية، وهذا كان من الأسباب التي حملت التيار الإسلامي على عدم إيلاء الديمقراطية الإهتمام الزائد، مع علم هذا التيار بأن الديمقراطية كصيغة غربية تتعارض في كثير من التفاصيل ولا تنسجم مع معطيات الإيمان الكبرىٰ، ومع هذا يمكن للحركات الإسلامية أن تعتمدها شرط أن تؤدي إلى إحياء الشريعة الإسلامية، لأن أي مبدأ لا يؤدي إلى مبادىء العدالة والمساواة لا يكون موافقاً للإسلام، وبالتالي يجب عدم الاعتماد عليه. فإذا كان الغرب يريد للحركات الإسلامية أن تعمل ديمقراطياً بطريقة تتلاءم ومصالحه السياسية

والاقتصادية في المنطقة، فأي مشروع إسلامي هذا يراد تحقيقه من خلال بعث العقيدة الدينية ومن خلال التزام هكذا ديمقراطية. . . !؟

إن المسلمين الحركيين وجدوا أنفسهم مضطرين لحمل هذا المشروع والعمل من أجل إنجاحه بأي طريقة سواء أكانت الديمقراطية أو غيرها. والحق يقال أن المسلمين قبلوا بالديمقراطية كمبدأ وكنهج لكن ذلك بقي مشروطاً بعدم مخالفة هذه الديمقراطية للمبادىء الإسلامية. بمعنىٰ أن تتمكن هذه الحركات من اختيار طريقة حياتها وتشكيل أنظمتها بما ينسجم مع العقيدة التي تعتنقها. . .[1].

نعم لقد قبلت الحركات الإسلامية العالمية بمبدأ الديمقراطية نزولاً عند رغبة الفقهاء القيمين عليها، وبهدف تخفيف الضغوط التي كانت ولا تزال تمارسها الأنظمة بحجة أن هذه الحركات تريد الاستيلاء على السلطة بطريقة غير ديمقراطية، ولما اعتمدتها كنهج سياسي زادت الضغوط عليها، فوجدت أن الأمر سيان بين أن تأخذ بها أو تتركها!!!!

يقول حسن الترابي: «إن الغرب يعتبر التصويت الديمقراطي للإسلام، ليس تصويتاً حراً، وإنما هو معارضة، ولذلك يجيز أن توأد الديمقراطية إذا ولدت الإسلام كما في الجزائر»[2].

إن دعوة الشيخ شمس الدين إلى اعتماد الديمقراطية كنهج سياسي، لا للتوسل إلى السلطة، فيها إشارات واضحة إلى ماينوي الأستعمار فعله فيما لو أدت الديمقراطية في العالم العربي ـ الإسلامي إلى نتائج لا تخدم مصلحته ولهذا يمكن اعتمادها كطريقة عمل في الواقع وتغييره كونها تمكن الحركة الإسلامية من الفعل السياسي والتأثير في المجتمع من دون أن يكون هناك أي توتر بينها وبين التيارات الأخرىٰ، أو بينها وبين الأنظمة القائمة، ويبقىٰ السؤال هو كيف يمكن اعتماد الديمقراطية في ظل القمع الذي تمارسه

---

(١) را: مجلة المنطلق، العدد ٩٨، ١٩٩٣.

(٢) را: ملف المعلومات عن المركز العربي، حوار مع حسن الترابي عن مستقبل الحركة الإسلامية.

السلطات وفي ظل الأزمات الإجتماعية والاقتصادية التي يعيشها المجتمع؟ .

ونضيف إلى ما تقدم: إن الغرب لا ولن يقبل بديمقراطية تخسره هذا العالم وتنعكس عليه سلباً[1]، فإذا كانت الديمقراطية في الغرب نفسه مقيدة وتتحكم بها أموال الحكام فكيف يمكن أن تكون في العالم الإسلامي فاعلة؟؟ .

كما يمكن القول أيضاً: ان الدعوة إلى الديمقراطية في خطاب الشيخ شمس الدين تبقىٰ غير واضحة ما لم نعمد إلى الإحاطة بكافة النصوص السياسية التي تتحدث عن الحركة الإسلامية، فقط هناك مايشبه الإصرار على ضرورة اعتمادها والتعبير من خلالها مهما كانت الظروف. وعلى المسلمين الحركيين أن يتحملوا المسؤولية حتى ولو تعرضوا للقمع، ماداموا غير قادرين على التغيير بطريقة سلمية لا تؤثر سلباً على وحدة الأمة الإسلامية، وعلى تماسك المجتمعات الإسلامية.

فالمسلمين يحق لهم أن يطرحوا مشروعهم السياسي مثلهم مثل أي تيار

---

(١) في خطاب القاه إدوارد دجيرجيان مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشؤون الشرق الأوسط في واشنطن ووزعته وكالة الإعلام الأمريكية يوم الإثنين ٢٦/تموز/ ١٩٩٣:
قال: إن الولايات المتحدة بإمكانها إقامة علاقات وثيقة ودائمة مع تلك البلدان التي تتقاسم معها قيماً جوهرية ولذلك فإن أولئك الذين يسعون إلى توسيع مدىٰ المشاركة السياسية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا سيلقون منا الدعم والتأييد كما فعلنا في أماكن أخرى من العالم، وفي الوقت نفسه إننا لا نثق بأولئك الذين يستخدمون الديمقراطية لكي يصلوا إلى السلطة ومن ثم يقضون على تلك العملية لكي يحتفظوا بالسلطة والسيطرة السياسية. . . وتابع يقول: دعوني أبين لكم بكل وضوح مع مَن نختلف: إننا نختلف مع أولئك، بغض النظر عن ديانتهم الذين يمارسون الأرهاب، ويضطهدون الأقليات، وينهكون حقوق الإنسان: مع أولئك الذين لا يتحسسون ضرورة التعددية السياسية. . . أولئك الذين يغلفون رسائلهم بنوع آخر من الاستبدادية.
مع أولئك الذين يستبدلون المشاركة البناءة، مع بقية العالم بالمجابهة الدينية والسياسية إننا نختلف مع أولئك الذين لا يشاطروننا التزامنا حل النزاعات بطريقة سلمية وبوجه خاص النزاع العربي الإسرائيلي.
مع أولئك الذين يسعون إلى تحقيق أهدافهم من خلال القمع والعنف!.

آخـر يطرح مشـروعـه السيـاسي. في أي منـطقـة من العـالم، هـذا إذا كـان مجتمعهم يوجد فيه تيارات أخـرىٰ لاتدين بـالإسلام، ولا تعمـل على تحقيقه في الواقع. أما إذا كان المجتمع إسلامياً خالصـاً، فإن على هـذه الحركـات أن تعمل من أجل تطبيق الشريعـة وأن تبذل مـا بوسعهـا من أجل إقـامة حكم الإسلام، ولا ينبغي أن تتراجع هذه الحركات عن مشـروعها أمـام أي ضغط، لأن التخلي عن هذا المشروع، يعني القبول بمشاريع أخرىٰ لا تتلاءم وطبيعة الإنسان المسلم وفطرته، ويعني بشكل أو بـآخر الـذوبان في مشـاريع أخـرىٰ تخدم الغرب والاستعمار لهذا العالم.

«إن أفضـل سبيل للتعبيـر عن الـرأي في مجتمـع مختلط يحتـوي على تيـارات عـدة، وللمحـافـظة على الـدين إنمـا تتم من خـلال المسـاواة بين المـواطنين بحيث يتوحـد المسلمـون وغيـرهم في الحقـوق والـواجبـات نحـو بلادهم»[1]. .

نعم من حق المسلم الحقيقي أن يـدافـع عن نفســه، وأن يـدعــو إلى تحقيق نفسه بطريقـة إسلاميـة وليس من حق أحد في الأرض أن يفـرض عليه الديمقراطية فيما لو كان قـادراً على اعتماد مبـدأ آخر يـرى أنه يحقق لـه الحد الأدني، أو الأعلى من الحرية والاستقلال. وإذا كان هناك ثمة ظـروف توجب عليه الأخذ بالديمقراطية، فذلك إنما يكون لأجل الحفاظ على مجتمع مختلط يعمـل أبناءه جميعـاً من أجل الحفـاظ على مجتمعهم من خـلال هـذا المبـدأ الـذي يعتبر حـلاً وسطاً فيمـا بينهم جميعـاً، أمـا ان يفـرض على بلد خـالص إسلامياً، مثل إيران صيغة غربية مثل الديمقراطية فـذلك يعتبـر تنازلاً عن أهم مبدأ من المبادىء الإسلامية، وأعني الشوري.

إن الإسلام له صيغته الخاصة، ومشروعه الكامل، فإذا اختار المسلمون مبدأ الشوري فذلك لأنهم يعتبرون أنفسهم أصحاب دين كامل لايحتاج إلى نمـاذج غربية أو مسيحية لا تنسجم أو تتعارض مع الإسلام، ولأنهم يعتبـرون الإسلام طريقة حياة، وهي طريقة مؤهلة وصالحة لأن تكون أسلوباً في الحكم، وفكرة

(١) مقابلة مع جريدة السفير، ١٩٧٩/٢/١٩.

النظام الإسلامي، أو الحكومة الإسلامية القائمة على الشريعة تنسجم مع روح الإسلام كدين وقانون، فالدولة الإسلامية تشبه باقي الدول والخوف من إنشائها لا مبرر له، والقول بأن هذا النوع من الأنظمة من شأنه نقل العالم إلى القرون الوسطىٰ هو قول غير عادل، واعتقد أن الذين يبدون تخوفهم لا يعرفون الإسلام جيداً»[1].

من حق أي مجتمع في العالم الإسلامي أن يعتمد على الديمقراطية فيما لو كان ذلك المبدأ الأمثل لإحداث تغيير ما في الواقع، من منطلق كون هذه الديمقراطية تعتبر خطوة متقدمة باتجاه حلول لمشاكل معينة يعيشها هذا المجتمع أو ذاك. كما أن من حقه أيضاً أن لا يثبت على هذا المبدأ إذا وجد أن هناك مبدءً أفضل وأسمىٰ منه، وبالتأكيد يوجد مبادىء أسمىٰ من هذا المبدأ. وليس من حق الغرب أبداً أن يثبت هذا العالم على ما يرىٰ فيه مصلحته، واستمراره في حكم هذا العالم،

وليس من حقه أيضاً أن يضع تعريفاً للديمقراطية ويلزم العالم كله بهذا التعريف. فلكل مجتمع مفهومه وقناعاته، ومبادئه التي ينطلق منها في تحقيق سعادته. بمعنىٰ أنه يجب أن تترك للشعوب حرية الإختيار من دون اعتبار الديمقراطية أفضل صيغة من صيغ الوجود، علماً بأن الغرب يتشدق بالديمقراطية، وهو أبعد ما يكون عنها، ولأنها تحقق له المكاسب المادية والاقتصادية والسياسية، وتحفظ له بعض الأنظمة القائمة في الدول العربية والإسلامية التي تمكن الغرب من تغليفها بشعار الديمقراطية لإيهام الناس بأنها أنظمة تعبر عن طموحات الشعوب، وتسمح لها بالتعبير عن رأيها في ظل حماية القانون لها. إن مشروع الحركة الإسلامية يهدف إلى تغيير أوضاع المجتمعات الإسلامية، والقفز بها فوق مستنقعات التخلف بعد أن وقعت فيها طيلة القرون الماضية، وها هي اليوم مهددة بالزوال نهائياً تحت شعار السلام العادل والشامل. هدف هذه الحركات هو الجهاد في سبيل الله تعالىٰ، والتحرر من كل إشكال التبعية إسوة بمن سبقها من الحركات الإسلامية التي

---

(١) م. ن.

استطاعت أن تضع حداً للكثير من تدخلات الإستعمار.

من أهدافها أيضاً تطبيق الشريعة بشكل يسمح لها بتوعية الشبان المسلمين الذين وقعوا ضحايا التغريب والعلمنة...

وقد يكون العنف من أساليبها أيضاً، إذا كان السكوت سيؤدي إلى ضياع بلاد المسلمين، وهنا نضرب مثالاً قد لا يفيدنا في هذا المقام: إذا كانت الحروب العربية الإسرائيلية قد أدت إلى هزائم بالجملة عند العرب والمسلمين، فهل السلام المزعوم الآن يؤدي إلى انتصارات بالجملة؟ لاشك أن نتائج هذا السلام فيما لو تحقق ستكون وخيمة جداً بحيث أن إسرائيل لم تتمكن بحروبها من الانفتاح على الأسواق العربية، ولا حصلت على اعتراف بها، بينما في هذا السلام فهي يمكن أن تأخذ من خلاله ما لا يمكن أن تأخذه بمئات الحروب، فلو أن العرب والمسلمين جميعاً مارسوا العنف بطريقة نظامية لحالوا دون الوصول إلى هذه النتائج الوخيمة...

الشيخ شمس الدين باعتباره منتمياً إلى الحركة الإسلامية العالمية، لا يدعو إلى ممارسة العنف كأسلوب في التعبير عن الرأي، ولا في فرض الرأي السياسي، وهو ينظر إليه بثانوية مطلقة، معتبراً إياه من آخر الوسائل التي يمكن اعتمادها. ويكون إسلوباً ضرورياً إذا اقتضاه المشروع الإسلامي، والدفاع عن الأرض ضد أي عدو يتربص شراً بالمسلمين، فإذا كان الإسلوب هو الدعوة بالحسنى فيما بين الحركات الإسلامية، فهذه الدعوة لا تكون مجدية مع العدو المحتل لأرضنا، بل العنف هو الوسيلة الوحيدة «وهذا العنف مشروع ومبرر ولا يمكن لأحد أن يناله بأي انتقاد»[1].

يبقىٰ أن نشير إلى حقيقة هامة جداً هي أن المشروع الإسلامي تتحقق على مستوىٰ الواقع في أكثر من مكان من العالم الإسلامي رغم كل الجهود التي بذلت للحؤول دون حصول ذلك، لكن هذا المشروع تمكن من شق طريقه بهدوء، ولولا بعض الأخطاء لرأيناه متحققاً في أغلب العالم الإسلامي،

---

(١) الشيخ شمس الدين، مقابلة مع مجلة الوطن العربي، عدد ٨٤٧، ١٩٩٣/٥/٢٨.

وهذا يدل على أن الحركات الإسلامية حية في حمل مشروعها، وواعية لما يراد لها وبها، وواقعية في طروحاتها، وفي النظر إلى ما يحيط بها من أحداث وتطورات.

فالشيخ شمس الدين يرىٰ أن لا خوف على هذا المشروع مادام الحاملون له والعاملون من خلاله، يعرفون كيف يتحاورون مع بعضهم البعض، ومع الآخرين ممن لا يلتقون معهم في الطرح الإسلامي، فلن تتخلىٰ هذه الحركات عن الإسلام كمشروع حضاري، وعليها أن تعمل مع الواعين لتجنيب الحركة الإسلامية أي مصير مخيف»[1].

لقد رأت هذه الحركة أنه يستحيل النهوض والتقدم ما لم يتم التغيير في البنىٰ والمؤسسات بعيداً بعيداً عن أي توفيق أو أية تسوية من شأنها أن ترقع الواقع وسلبياته، وأيقنت أن أسلوب التسوية من شأنه أن يعيد انتاج الإستعمار بطرق أخرى، فقط التغير الجذري هو الهدف الرئيسي والأساس بحيث تعاد إلى المجتمع الإسلامي حقيقته من خلال اعتماد التربية الإسلامية، وإقامة مؤسسات إجتماعية واقتصادية تلبي حاجات المواطن وتبعث فيه الثقة والأمل في أن الإسلام مازال قوة حية ومحركة وله تأثير في الواقع وحضور فعال في كل ميادين الحياة. . .

---

(١) م. ن.

الفصل الثالث: أسلوب الحركة الاسلامية

تمهيد الفصل الثالث.

لاشك أن المواجهة بين الحركات الإسلامية والاستعمار الجديد بكل امتداداته في المنطقة الإسلامية لم تأت من فراغ، أو بطريقة عشوائية، بل هي مواجهة حقيقية ولها أثر في التاريخ الإسلامي، هناك المواجهة في شبه القارة الهندية، ومواجهة المسلمين لغزو نابليون لمصر، ومن ثم المواجهة في الجزائر بين المسلمين والفرنسيين، مروراً بثورة التنباك في إيران وبالثورة الدستورية في إيران وانتفاضة النجف. مواجهات عديدة لا يمكن حصرها، مما يعني أن الحركة الإسلامية كانت دائماً موجودة وفاعلة، ومتصدية للإستعمار الغربي، وكما قلنا أن هذه الحركة هي امتداد للحركات الإسلامية السابقة عليها، وهي تعاني مما كانت تعاني منه سابقاتها، لا فرق بين أن يكون الاستعمار قديماً أو جديداً، فالكل يحمل مشروع تفتيت الأمة الإسلامية والقضاء عليها، وما تشهده وتتعرض له الحركة الإسلامية اليوم من حملات تشويه، ودعايات مغرضة، واتهامات كاذبة من قبل الغرب يهدف إلى تقويض هذه الحركة وحملها على التخلي عن مشروعها الحضاري المتكامل الأبعاد، وما يزيد الأمر تعقيداً، وسوءً على سوء هو دخول الأنظمة على خط المواجهة مع هذه الحركات تحت شعارات إسلامية أيضاً، وكما يقول بعض الباحثين: إن الحكام في المنطقة العربية والإسلامية معظمهم يتحدثون في العموميات عن تطبيق الشريعة، (وقد حاول (بورقيبه) سابقاً تطبيق الشريعة بالدعوة إلى عدم صيام شهر رمضان، ومما قاله في هذا الشأن حينما احتدم الجدال بينه

وبين رجال الدين في فبراير ١٩٦٠، قال: باعتباري رئيساً لدولة إسلامية من حقي أن أتحدث أيضاً باسم الدين» فهو يستخدم حجة إسلامية لإلغاء تعاليم إسلامية!؟ لكنهم لم يقدموا مقترحات لجعل الشريعة تحفز الإزدهار الإقتصادي، والعدالة الإجتماعية»[١].

وهنا نلاحظ أن الديمقراطية في العالم العربي تهزم تحت شعار الإسلام، ويقتل الناس ويسجنون تحت شعار الإسلام، وتتراجع البلاد إقتصادياً واجتماعياً وسياسياً تحت شعار الإسلام فالكل يتحرك في الإسلام، من دون أن يكون لهذا الدين أي أثر في حياة الناس لجهة التحرر من التبعية والتقليد للغرب، وهذا يعني أن الشعارات المرفوعة لا تتعدىٰ الشكل، وهي ترفع إما لتحقيق مكسب سياسي، وإما لتمرير خدعة على الناس، وفي جميع الحالات يكون الإستعمار هو الرابح، ويعزز ربحه دائماً بخلق مؤثرات وأحياناً اشتباكات وصدامات بين بعض الجماعات الإسلامية والنظام الحاكم وعندها ترىٰ الاستعمار ينظم تلقائياً إلى صف المنددين بالحالة الإسلامية أو المحذرين من خطر الأصولية الإسلامية»[٢].

نعم، الإستعمار لا يكتفي بخلق التوترات، بل أحياناً يمنع من قراءة التاريخ، ومراجعة الأحداث، وهو دائماً يتحدث مع الحكومات في كل ما هو مستجد، ويعتبر الماضي شيئاً مضىٰ بكل ما حمل من أحداث ويهدف من وراء ذلك كله إلى تجهيل هؤلاء الحكام. بدور الأمة الإسلامية حتى لاتتم الاستفادة من طاقاتها وقدراتها، وحتىٰ لا يتم التوافق بين هذه الأنظمة وبين الحركات الإسلامية العادلة التي تمثل هذه الأمة وخياراتها، ولو أن هذه الأنظمة قرأت التاريخ لعرفت أن ما تقوم به، وما تحصل عليه من دعم من المنددين والمحذرين من هذه الحركات، لا يعود عليها بما تحلم به من ديمومة واستقرار، لأن الدولة العثمانية سبق لها أن تهاونت بالتحديات

---

(١) أنظر مقالة، كيم مورفي، الانبعاث الإسلامي (والغرب) ملف المعلومات، المركز العربي.

(٢) أنظر مقالة، فهمى هويدى، بيان تنصيب العدو الإصولي، م. ن، ص ٥٥.

الاستراتيجية القادمة من الغرب، ولم تعد النظر في سياساتها القديمة والتي كانت قد أدت تدريجياً إلى حالة من الجمود الفقهي والسياسي والعسكري. . . فقد ركنت الدولة العثمانية لمؤسسة الأنكشارية على أنها سد منيع أمام كل المعضلات التي تواجه الدولة، ولكن عندما تصدعت هذه المؤسسة في حروب المواجهة مع الدول الأوروبية المختلفة لم تلجأ الدولة إلى إعادة التواصل مع جمهور الأمة، بل لجأت إلى تبني نوع من سياسة الهروب إلى الأمام، وذلك عبر تطويرها لأفكار وسياسات مقلدة للنظم العسكرية والإدارية الأوروبية، سياسة بديلة لسياسات الدولة القديمة، ولكن هذه المؤسسة لم تكن في الواقع إلا إستمراراً لنهج تغيب وتحقير طاقات وإمكانات الأمة الإسلامية المتمثلة بالجمهور المسلم وإمكاناته اللامحدودة على المواجهة، لقد نتج عن هذا التوجه نقيض ما أبتغي منه مما أدىٰ إلى تسريع عملية سوق الأمة إلى مذبح النموذج الغربي الصاعد. . .»[1].

من هنا نقول أن المنطق العقلي يقضي بضرورة الاستفادة من طاقات الأمة وعدم تجاهلها، لأن التاريخ يعيد نفسه، **﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾** فإذا كانت الأنظمة مصرة على تغييب وتحقير الأمة، فإن ذلك سيعود بالسلبية عليها، لذا فالمطلوب منها أن تكون حذرة دائماً من الغرب، ومن دعمه المتزايد لها، ومن كل ما يشيعه ضد الحركات الإسلامية التي هي جزء كبير من هذه الأمة[2]، وأن تكون على ثقة تامة بأن الاعتماد على مؤسسة معينة بديلة

---

(١) سيد مصطفىٰ، نقد حالة الفن العسكري والهندسة والعلوم في القسطنطينية، تحقيق خالد زيادة المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٩، ص ٦٠.

(٢) على الحكومات القائمة في المنطقة اليوم أن تتساءل عن الأسباب التي تدفع بالغرب إلى تشويه صورة الحركات الإسلامية هل فعل الإستعمار هذا يشكل دعماً للأنظمة أم أنه المستفيد الأول من ذلك. .؟ ما هو هدف الوزير الإيطالي نيكولا فرانسينو من وراء تصريحه بأن المسلمين المتطرفين هم المصدر الرئيسي لخطر الإرهاب، وأنهم يهددون الغرب ويوجهون له ضربات موجعة في العالم اليوم وهو يوصي الغرب أن يكون مدركاً لحقيقة هذا الخطر وأن يعمل لمواجهته بكل الوسائل. إنه يتجاهل الإرهاب الصربي، والإرهاب الصهيوني، والإرهاب النازي والفاشي، ولا يتذكر إلا الإرهاب الإصولي، ونتساءل أيضاً: ماهو هدف وزير الداخلية التونسي السيد عبد الله الفلال من وراء =

للأمة لن يفيدها في شيء، لأن الثبات إنما يكون في الأمة مجتمعة وليس في مجموعة من الناس لا قدرة لهم على فعل شيء إذا ما تخلىٰ أو ضعف الاستعمار عن أية دولة من دول هذه المنطقة، وبمقدار ما تكون هذه الحكومات قريبة من هذه الحركات، بمقدار ما تكون فاعلة، لأنها تشكل جزءاً كبيراً من الأمة، وأي صدام معها لن يكون في صالح أي نظام على الإطلاق، وقد بيّنت التجارب أن «شاه إيران» لم تتمكن الدول العظمىٰ من انقاذه. إن العاقل هو مَن يستفيد من طاقات أمته، وليس من يغيّب هذه الطاقات ويحقرها، فإذا كان هذا العمل أفاد الدولة العثمانية في شيء، فإنه يمكن أن يفيد أية دولة أخرى، لكن بما أنه تبين العكس فإن من واجب الجميع أن يعطوا الأمة دورها، وأن يسمحوا لها بالتعبير عن رأيها، حتى تتمكن من تفجير طاقاتها الكامنة فيها لمصلحة الدولة والمجتمع وليس ضدهما كما هو حاصل الآن بسبب الصدامات القائمة في العالم الإسلامي بين الأنظمة والحركات الإسلامية.

باختصار نقول في هذا التمهيد: إن الأنظمة الموجودة في العالم الإسلامي اليوم والعربي أيضاً، باستثناء إيران، لم تعتبر بما جرىٰ للدولة

= تصريحه الذي نشر على لسانه في ربيع عام ١٩٩١، وقال فيه: لقد تحدثت في مناسبات عديدة إلى بعض زملائي في فرنسا وإيطاليا، وإلمانيا، والولايات المتحدة، ولكن لم المس لديهم للأسف الماماً كاملاً بخطورة الجماعات الأصولية وقد بينت لزملائي الغربيين أن تلك الجماعات تهدف إلى هدم كل المبادىء التي تقوم عليها الحضارة الحالية. يمكن التعليق على هذا الكلام بطرح عدة أسئلة وهي:

را: ملف المعلومات مركز العربي، فهي هويديِ ص ٢٥. ماذا يستفيد هذا الوزير من الحضارة الحالية؟. هل هو متيقن أن زملاءه ليس لديهم الإلمام الكافي بخطر هذه الجماعات، وهل هو بإمكانه أن يعرف شيئاً عنها إذا لم يقرأ تقارير المخابرات الدولية عن تحركاتها؟.

وهل يظنن أحدٌ بأنه يمكن أن يكون وزراء في عالمنا العربي والإسلامي أشد قسوة على هذه الجماعات من وزراء في حكومات أوروبية؟.

هناك يقين بأن الغرب له مصلحة كبيرة جداً بالتصدي لهذه الجماعات، ولكن ماهي فائدة ومصلحة الحكومات القائمة بالتصدي لها؟.

العثمانية، وكأن المطلوب منها أن لا تعتبر، وكما يقول «بطليموس» واعقل الناس من اعتبر بما رأى واتعظ بما سمع، قبل أن يصير عبرة وعظة للسامع»[1]. أو كما يقول الإمام علي (ع)». ما أكثر العبر، وما أقل الإعتبار»[2].

إن عدم الاعتبار في الماضي أخسر الأمة الكثير من مقومات وجودها وصمودها وجعلها أسيرة للدول العظمىٰ. «ما أشبه الأمس باليوم، أو العكس» فبدلاً من أن ترى الحكومات في جمهور الأمة، وما يختزنه من طاقات هائلة المفصل الأساس في رسم سياساتها الدفاعية في مواجهة التحديات نجدها تسارع إلى تنفيذ السياسات التي تزيد من ارتهانها للمعادلات الإستعمارية الدولية وتتحول جيوشها تدريجياً إلى أداة قمع وإرهاب، بل سجن كبير لجماهير الأمة. . »[3].

نحن لسنا نهدف منْ وراء هذا التمهيد الدخول إلى التاريخ لإثبات صحة أسلوب المواجهة، بل الغاية الحقيقية هي ذكر الأسباب التي تجعل من المواجهة أمراً مفروضاً، والتساؤل عما إذا كان بالإمكان تحاشي أسلوب العنف، فيما لو كان الهدف هو تحويل المؤسسات في العالم العربي والإسلامي إلى سجون، وعما إذا كان بالإمكان إيجاد بديل لإسلوب العنف؟.

وهل أن التركيز على الصراع مع الخارج الاستعماري سيعفي الحركات الإسلامية من المواجهة مع الأنظمة في الداخل وكيف يمكن أن يتم ذلك؟.

سنحاول قدر الإمكان التعرف على ما يقترحه الشيخ شمس الدين من حلول لإزمات ومشاكل هذا العالم الذي يتجه شيئاً فشيئاً نحو العنف، وهل أنْ المصالحة، أو الهدنة بين الأنظمة والحركات الإسلامية من شأنها أن

---

(١) را: بدوي، عبد الرحمٰن رسائل فلسفية، دار الأندلس، ط ٣ ـ ١٩٨٣، ص ٢٧٨.
(٢) نهج البلاغة.
(٣) را: الضيقة، حسن، في مجلة الغدير، المسألة الإسلامية في العصر الحديث، عدد ١٢ ـ ١٣ ـ ١٩٩١.

تضع حداً لكل ما يجري في هذا العالم؟؟.

أسلوب الحركة الإسلامية:

يرى الفقهاء وجميع المتصدين لمشاكل هـذا العالم الإسـلامي أن هناك ضـرورة ملحة لمـواجهة الاستعمـار وتحريـر العباد والبـلاد من قيوده وأغـلالـه وسياساته، وللإلتفاف على كل مساعيه من أجل العودة بهـذا العالم إلى عصـر الظلمات، ويرون أيضاً أنه من الواجب توعية المجتمع الإسلامي دينياً وثقافيـاً وسيـاسياً لأجـل أن يكـون قـادراً على الحـد من نفـوذ الاستعمـار وأدواتـه في المنـطقة لأن القـابلية لـلإستعمار في بـلادنا إن وجـدت وهي مـوجـودة عنـد الكثيرين فسببها أن الأمـة لم تربَ إسـلامياً، ولم تؤهـل لإنتقاء كـل ما يـوافق معتقداتها مما هو وافد إليها من الغرب.

فالتربية الدينية والثقافة الإسلامية الحية، هي السبيـل الوحيـد، لإخراج المجتمع الإسلامي من التبعية والتقليد للغرب في كل ما هو نـافع وضـار على السواء.

لقـد عبر مـالك بن نبى عن هـذه الحقيقة بقـوله: «إن العلة مـزدوجـة، فكلما شعرنا بداء المعامل الاستعماري الذي يعترينا من الخـارج، فإننـا نرىٰ في الوقت نفسه معاملاً باطنياً يستجيب للمعـامل الخـارجي ويحط من كرامتنـا بأيدينا. . . إنه الاستعمار الذي خلع علينا بابنا وزعزع دارنا وسلبنا مقدساتنـا، فهو مستقر في نفوسنا»[1].

ومن جملة تعبيرات الشيخ شمس الدين عن هذا الواقع الذي يخلق فينا الإستجابة لهذا المعامل الخارجي، ويخسـر الأمة رصيـدها الـداخلي، قولـه: إننـا نعاني من حـالات العداء على مستـوىٰ الدول الإسـلامية والعـربية. . . . وعلى مستوىٰ الجماعات والكتل السيـاسية والمـذهبية، هـذه التي تعبد أوثـانـاً ممثلة في شكـل أفكـار، أو في شكـل أشخـاص، حتىٰ لقـد غـدت الـوحـدة الـوطنية حلم المخلصين منـا بدل أن تكـون واقعاً نعيشـه، ونكتسب منـه قـوة

---

(١) را: شروط النهضة، دار دمشق، صص ـ ١٤٩ ـ ١٥٥.

ومنعة. . . بهذا الحطام البشري واجهنا اليهود فكانت النتيجة ما تعلمون ؟؟!»[1].

إذن واقع العالم الإسلامي هو هذا، أنه لايملك شيئاً يدفع به باتجاه الوحدة والقوة والتماسك، ويعاني من تمزقات عنيفة في داخله تجعله مستعداً لتقبل الأخر بكل سلبياته. وإذا كان الفقهاء يدعون إلى التخلص من هذا الداء، فذلك لأنهم يدركون تماماً أسباب الهزيمة في الداخل التي هي نتيجة حتمية لهذا الداء العضال.

إن الحركات الإسلامية تعي تماماً حقيقة هذا الواقع وأسباب الهزيمة، وكونها تملك وعياً دينياً وثقافياً، رأت أنه من الضروري العمل لبناء هذا المجتمع أو على الأقل لإحداث صدمة فيه. لأن الاستعمار يتحاشى دائماً أحداث أي صدمة في الواقع مكتفياً بتقديم الإغراءات التي تحرك الغريزة والشهوة وغير ذلك مما يزيد الإنسان بعداً عن معاناته وحل مشاكله. . . .

لقد خاطبت هذه الحركات المجتمع برمته من موقع وعيها له وحرصها عليه فهي تدرك تماماً أن الإنسان المسلم يملك مخزوناً إسلامياً هائلاً حالت مبادىء الحضارة ومفاسدها من ظهوره إلى السطح فظهرت لتعبر عن رأي هذا المجتمع في رفض كل ماهو دخيل وغير صالح لتربية مجتمع سبق له أن حقق نفسه بالإسلام «انه مخزون في الأعماق، وقد خطته عصور التمزق والإنحطاط والقهر، وكان لابد من التحرك بأناة وجد للكشف عن هذا المخزون والأفادة منه في أحداث التغير المنشود في النهاية. . .»[2].

فالعنف قد لايكون الوسيلة الوحيدة للكشف عن هذا المخزون، والثورة من أجل إزاحة التمزق والانحطاط عن هذا المخزون يمكن أن تكون ثقافية، تربوية، ويمكن أن تكون بوسائل أخرىٰ، وإذا كانت بعض الحركات قد

---

(١) الذكرى والحاضر لم ينشر، وقد حصلنا عليه عن طريق محاضرات سماعية. القيت في النجف الأشرف في العراق.

(٢) را: مجلة الحوار، محمد فريد حجاب، الحركات الإسلامية في الفكر السياسي المعاصر، عدد ٢٨، ١٩٩٣، ص ٣٧.

لجأت الى العنف للكشف عن هذا المخزون، في ظروف معينة فذلك لا ينبغي أن يكون مطلوباً في كل الظروف، لأن بعض الحركات لجأت إلى هذا الأسلوب ولم تنجح في الكشف عنه، بل كانت النتيجة أن تعمق هذا المخزون أكثر مما كان عليه من عمق.

إن الثورة على الإستعمار وأدواته مطلوبة، لكن لا يجب أن تكون كيف مااتفق، وإن تكون معبرة عن نفسها بطريقة إيجابية حتى ولو أحدثت الكثير من الخسائر المادية والمعنوية، أما إذا حصلت الثورة بطريقة عشوائية، فإنها بالتأكيد ستؤدي إلى خلاف ما تسعىٰ إلى تحقيقه من تطبيق الشريعة وإقامة الدولة الإسلامية، فالمطلوب، كما يرى الشيخ شمس الدين، هو التحرك باتجاه الجماهير أولاً بحيث تتمكن الحركة من تعزيز الإسلام في الأمة، ومن ثم باتجاه الأنظمة، وباتجاه شعوب أخرىٰ تتغنىٰ بإيديولوجيات مختلفة لا تمت إلى الإسلام بصلة، قومية ويسارية، وغير ذلك، فإذا لم تأخذ الحركة الإسلامية العالمية هذا الأمر بعين الأعتبار، فستقع حتماً في كل المحاذير التي أرادت من خلال ثورتها تخطيها وعدم الوقوع فيها، وقد تقع في محذورات أخرىٰ لا تقل خطورة عن الاستعمار ودوره في الحرب الأهلية بين فئات الشعب الذي قد يكون غير منسجم في كثير من تفاصيل الأفكار. . . بل قد يكون على تناقضات تحول دون تلاقيه.

يقول الشيخ شمس الدين: «على الحركات الإسلامية أن تحترم الحريات العامة وحقوق الإنسان، وأن تؤمن بوجود التنوع في المجتمع، وأن هذا الأخير يحوي مسلمين غيرهم، ويحوي غير مسلمين في المجتمعات ذات الهويات الدينية المتعددة، مثل لبنان والسودان» ومصر أو أي مكان آخر. . . لهم الحق ـ أي للحركات الإسلامية ـ في أن يعبروا بحرية عن رؤيتهم السياسية، وأن يعملوا على تطبيقها على المجتمع بالوسائل الديمقراطية، لهم الحق على المجتمع أن يقبلهم ما دام عليهم حق إعالة المجتمع، وأن يقبلوا معارضة المجتمع لهم، كما أن لهم حق على الدولة أن لاتعاملهم بالقمع، وعليهم حق أن يحترموا النظام العام، ويحترموا هيكليات السلطة، وخصومهم السياسيين كحركات إسلامية أخرىٰ أو حركات

علمانية. . . . في عالمنا العربي تيار قومي لا يجوز أن يعامل بعنف ولا يجوز أن يعامل الإسلاميون بالعنف، ولذلك أنا أدعو إلى هدنة عامة على الأقل، وإذا أمكن إلى مصالحة داخل المجتمعات بين الأنظمة وكل حركات المعارضة السياسية، لا بمعنىٰ إلغاء المعارضة السياسية، ولكن إخراج العنف من الخطاب السياسي، ومن الفعل السياسي»[١].

ويفهم من هذا الكلام للشيخ شمس الدين: أنه على الحركات الإسلامية أن تتعمق في فهم الواقع، وأن تنظر إلى كل ما يحيط بها فإذا لم تكن على شيء من ذلك، فإنه لا يحق لها أن تطالب بتطبيق الشريعة وإقامة الدولة الإسلامية، فضلاً عن أن تكون معارضة، لأن المعارضة الواعية هي تلك التي تقرأ الواقع جيداً وتعطيه من الدراسة والتحليل أكثر مما يستحق بحيث إذا أرادت أن تحقق شيئاً ما أو أن تتحرك بإتجاه هدف ما يكون لها القدرة على ذلك، فالعجز والجهل غالباً ما يؤديان الى العنف في الخطاب السياسي، وفي الفعل السياسي. إن العملانية الحقة هي تلك الحركة التي تستطيع أن تعطي التطبيق خصائص ما تملك من نظرية هذا من جانب أما الجانب الآخر، الذي لا يجب أن يُنس، في أي قراءة تحليلية للواقع، فهو القمع المتزايد لهذه الحركات من قبل الأنظمة سواء أكانت واعية أم جاهلة»[٢] فالأمر عندها سيان، إذ المهم هو أن لا يكون الإسلام حياً في حياة الناس، بل هناك فصول يصعب حصرها إذا ما أردنا ذكرها ـ عن هذه الأنظمة في طريقة تعاملها مع الإسلامين وغيرهم. لقد عرف هذا العالم العربي والإسلامي الكثير من الأزمات بين الأنظمة وحركات أخري غير إسلامية، فالأنظمة لا تخاف إلا على نفسها، والقمع كان ولا يزال الأسلوب الوحيد

---

(١) را: مجلة الشعلة المقابلة مع الشيخ شمس الدين، م. س.

(٢) إن القمع الذي تمارسه الأنظمة الحاكمة يشرف بالباحث على القطع بأن حالة الانقطاع بين السلطة والأمة أدت إلى ضمور مزدوج في دور السلطة ودور الأمة، وقد همش دور الأمة لصالح مؤسسات التحديث المتغربة، وكان ذلك مؤشراً لخلل أساس في شرعية السلطة وشرعية قيادتها للأمة على ضوء التحديات المستجدة. را: العدير، حسن الضيقة عدد ١٠ ـ ١١ ـ ١٩٩١.

للتعامل مع الواقع، هناك خوف دائم من الآخر، وعدم اعتراف به، ومصادرة لحريته، واعتداء عليه، وأسلوب العنف إذا أردنا حصره بالحركات الإسلامية فهذه لم تبدأ به، ولا هو في صميم عقيدتها، ولكنها أجبرت على استعماله بسبب ازدياد الضغط عليها من قبل الأنظمة التي تدعي الحرص على الحضارة الحالية، كما أشرنا سابقاً. فقد خيرت الحركات الإسلامية بين أمرين، بين أن تسكت على ما يجري في واقعها من سلب وإهانة، وإفساد، وبين الثورة على الاستعمار التي ينبثق عنها حتمية الصراع مع الأنظمة، فأمام هذا الواقع لم يكن بإمكان الحركة الإسلامية إلا الثورة مع مراعاة الواقع والقوانين بدقة متناهية، وهذا ما عبر عنه أحد الباحثين بقوله: «إن التركيز على الصراع مع الخارج الاستعماري لا يُعفىٰ الثورة من المواجهة المحلية، فكلما تعمقت القطيعة بين القوى الإسلامية الناهضة، وبين التسلط الغربي، كلما كان ذلك مقدمة لدورة صراع داخلي مع امتدادات النظام التسلطي الغربي وقواه المحلية سواء أرادت الثورة ذلك أم لم ترد. . .»[1].

في أبحاث سابقة، ذكر أن الأنظمة فتحت أبواب الديمقراطية ثم ما لبث أن اقفلتها بوحي من الخارج، وقد تعزز هذا الاقفال بانقلابات على النتائج الديمقراطية في بعض البلدان الإسلامية، ومن العقلانية هنا أن يقال أن هذا العمل من طبيعته أن يولد عنفاً، لأن الأنظمة لم تقبل بأية وسيلة للتعبير عن الرأي بحرية تامة فكيف يمكن أن تحمل الحركات الإسلامية مسؤولية العنف الذي يحصل في بعض البلاد الإسلامية؟؟.

فهذه الجزائر، كمثال على ذلك، التي عبرت عن رأيها من خلال الديمقراطية لم يسمح لها بتحقيق نفسها من خلال الإسلام، واختار النظام ومن يقف وراءه العنف على وصول هؤلاء إلى السلطة بغض النظر عن كل الأخطاء التي ارتكبت في الطريق إلى ذلك، وكان من الممكن أن تقفل هذه الحركة أبواب العنف لو أنها التزمت الصمت قليلاً، واستمعت إلى نصائح الفقهاء المسلمين حول ما ينبغي فعله بعد الوصول إلى مرحلة متقدمة جداً في

(١) مجلة الغدير، العددان ١٢ - ١٣ - ١٩٩٠.

الحياة السياسية لكنها أغفلت وأنكرت وصرحت بما يضاد الديمقراطية، والتنوع الموجود في الجزائر والذي كان مجمعاً على التحرك ضد الفساد في الداخل. وهنا يصح القول أن الحركة الإسلامية في الجزائر لم تحتفظ لنفسها بما يثير الشكوك في الواقع، وبين التيارات السياسية الموجودة، لقد تحدثت عن الديمقراطية بطريقة سلبية، وأشارات إلى العرقيات المستقلة بطريقة سلبية أيضاً» الأمر الذي جعل الشارع الآخر يختلف معها في الخط يشعربالرعب والخوف من انتصارهم، بالإضافة إلى الخوف من كونهم حركة إسلامية ولو أنهم وفروا على أنفسهم عناء هذه التصريحات واحترموا وجهات نظر الآخرين، فإنه كان من الممكن أن لا يجعلوا الساحة التي كانت معهم في مواجهة النظام في موقف موحد من النظام لضربهم»[1].

---

(١) را: السيد محمد حسين فضل الله. ملف المركز العربي للمعلومات. م. س. ففي تقييم السيد فضل الله أن الحركة الإسلامية في الجزائر ارتكبت أخطاء أعاقت وصولها إلى السلطة، وهذا ما يجعله مختلفاً مع الدكتور حسن الترابي الذي لم يعترف بأي أخطاء للحركة الإسلامية في الجزائر. حيث أكد هذا الأخير حينما سئل عما صرحت به هذه الحركة من أنها ستنسف الميثاق والدستور إذا تولت السلطة، فأجاب، لا لم يرفضوا الدستور، وإنما رفضوا الميثاق، والميثاق وثيقة اشتراكية تعنىٰ التوجه الإشتراكي للجزائر، وهم يريدون التوجه الإسلامي...

سئل، لكن الإسلاميين توعدوا من أنهم سينسفون الدستور الذي أعطاهم فرصة الفوز بالإنتخابات ديمقراطياً: فأجاب: هذا محض افتراء على الإسلاميين إذ أنه لم تصدر عن الجبهة الإسلامية للإنقاذ إنها ستوقف المنهج الدستوري في اختيار الحكام، ولكن علقوا على صعيد الفكر وعلى النمط الديمقراطي كما يطبقه الغرب.... را: الملف، المركز العربي للمعلومات، ص ٦٩، يلاحظ هنا أن الترابي يعترف بما اقدمت عليه الجبهة من أنها ضد الديمقراطية، حيث أشار إلى ذلك على صعيد الفكر، إن قادة الحركة الإسلامية، سواء كان السيد فضل الله، أوالشيخ شمس الدين، أو فقهاء آخرون، يرون أن الديمقراطية الغربية يمكن اعتمادها انطلاقاً من الواقع الإسلامي، لا من الواقع الغربي، ولو أن الجبهة الإسلامية في الجزائر لم تتحدث بطريقة سلبية عن الديمقراطية لكان من الممكن أن تصل إلى السلطة، لكن حديثها عن الديمقراطية بطريقة سلبية أعطىٰ الغرب إنذاراً بالخطر، وسنرى لاحقاً كيف أن الشيخ شمس الدين قد دعا الجزائر إلى التعامل مع مبدأ الديمقراطية بطريقة إيجابية حتى ولو كان غطاءً =

لاشك أن هناك بعض الحركات الإسلامية قد هزمت، وخسرت مواقع كان من الممكن أن تصل إليها بالطرق السلمية بعيداً عن العنف وما شابه، وهذا إذا كان يدل كل شيء فإنه يدل على ضعف في قراءة الواقع، وفي رصد المستقبل، وكان ينبغي على قيادي هذه الحركات أن تستمع لنصائح الفقهاء في الوقت الذي يعرفون فيه أنه غير مرغوب بهم كحركات إسلامية تعمل ضد الاستعمار والأنظمة معاً، فهذه الحركات لم تكتف بوجود أعداء في الداخل والخارج بل عمدت إلى زيادة هؤلاء الاعداء من خلال حديثها عن الديمقراطية التي قبلتها بطريقة سلبية في الوقت الذي كان يأمل فيه البعض ممن هم إلى جانب المسلمين بالحصول على شيء من الحرية من خلال هذه الديمقراطية فجاءت النتائج عكسية تماماً عندما تخلىٰ البعض عن مساندة هذه الحركات.

لذا فإن هذه الحركات التي تسبب الهزيمة لنفسها على مستوىٰ التحقق في السلطة، لا يحق لها أن تمارس العنف، أو أن تجر الآخرين إليه فيما لو كان سببه الأخطاء التي ارتكبت، لأن إتاحة الفرصة لاتكون بممارسة العنف، وإنما بوسائل أخرىٰ يمكن اختيارها من خلال قراءة ثانية وثالثة للواقع. إن النظام الذي يستفيد من الموقف السلبي من الديمقراطية لا يهمه أن يمارس القمع ضد هذه الحركة إذا كان لديه ما يمكنه من الصاق العنف وممارسته بالحركة الإسلامية على الرغم من نزاهة هذه الحركة وصدق دعوتها إلى الله . . .

نعم إن التحدث عن الديمقراطية بطريقة سلبية هو الذي حمل

= غربياً، لأنه حينما تصبح في السلطة يمكنك أن تكون مسلماً من خلال هذه الديمقراطية، كما يمكنك أن تكون على مبدأ الشوري. إن الاعلانات المسبقة جعلت الغربي مؤهلاً للتدخل تحت شعار حماية الديمقراطية، ونحن نعلم ـ كما يقول الشيخ شمس الدين ـ أن الغرب ليس ديمقراطياً، وليس مسيحياً، وليس أخلاقياً، إنه مادي يستخدم هذا الشعار لفرض هيمنته على العالم الإسلامي بالكامل. را: مجلة الشعلة، ومجلة الوطن العربي، ومجلة القومي العربي، وكتاب الاجتماع السياسي الإسلامي. ومواقف ودراسات ج١، ج٢؛ وقا: مع مجلة البلاد، عدد ١٥٨، ١٩٩٣/١١/٢٧.

الاستعمار على التدخل، علماً بأنه كان مرغماً على القبول بنتائجها رغم أنفه، ولما أطلقت دعوات الخروج على الديمقراطية أشاع الغرب أن الديمقراطية في الجزائر في خطر ويجب انقاضهـا تحت شعار أن هؤلاء الاسلاميين يستغلون الديمقراطية للوصول إلى السلطة، ومن ثم يقضون على تلك العملية لكي يحتفظوا بالسلطة والسيطرة السياسية، كما رأينا عند دجيرجيان الأمريكي؟ . .

لذا فإن الخطأ في العملية السياسية، وفي الدفاع عن الديمقراطية لا يجب أن يتحمل مسؤوليته الشعب ومؤسساته الخدماتية، كما أنه لا يعني أبداً التنازل عن المشروع الإسلامي، بل يعني تصحيح المسار بحيث يعاد تقويم الأمر بطريقة تتناسب والطرح الاستراتيجي، فبين قمع النظام، وعنف الحركة الإسلامية، الشعب يدفع الثمن من دون أن تكون هناك نتائج إيجابية، والأمور دائماً تقاس بنتائجها فالعنف لا يصحح الخطأ، ولا يسوي الأمور بل يزيد الأمر سوءاً وتعقيداً، وهذا ما حصل فعلاً في الجزائر، فلا قمع النظام حقق له الأمن والاستقرار، ولا عنف الإسلاميين حملهم على تحقيق أدنىٰ نجاح لا في الخطاب السياسي، ولا في الفعل السياسي. نقول في الخطاب السياسي لأن الذين كانوا مع الحركة الإسلامية ممن ينتمون إلى تيارات أخرىٰ أصبحوا الآن إلى جانب النظام في أكثر من بلد عربي. . .

من هنا، نرى أن الشيخ شمس الدين وتخفيفاً للقمع من النظام وللعنف من الحركة الإسلامية يقترح نوعاً من الهدنة، والمصالحة إذا أمكن بهدف فسح المجال أمام العملية السياسية من جديد، لعلها تحقق ما يطمح إليه الجميع، مادامـوا جميعاً عجزوا عن تحقيق الأمن والاستقرار في ظل القمع والعنف معاً. فالعنف لا يشرع لمجرد العنف، وإنما يشرع لأهداف ممكنة التحقق، ولما ينتهي إليه من إيجابيات ممكنة في الساحة الإسلامية، فهذه إيران، والسودان، وبلدان إسلامية أخرىٰ مارست العنف أحياناً، والسياسة أحياناً أخرىٰ، والديمقراطية ثالثة، وكانت النتيجة الوصول إلى السلطة ومحاربة الاستعمار في الداخل والخارج، وقد حققت أفضل النتائج وأسمىٰ الأهداف. . . هذه الهدنة عارضها بعض العلماء واعتبرها موعظة بعيدة عن

التحليل العميق. . !؟[1].

ليس من معاني الهدنـة أبداً أن تتحـول الحركـة الإسلاميـة إلى أداة بيد النظام، ولا أن يتحول النظام عن تبعيته وتقليده للغرب بحيث يصبـح إسلاميـاً حياً، بل من معانيها أن لا يتحمل الناس مسؤولية ما يحصل في الواقع من قبل الإثنين معـاً، ومن معانيهـا أيضاً حفظ النـظام العام الـذي يحرم الإخـلال به، والشيخ شمس الدين يدعو إلى ذلك لأنه يعلم بأن الهدنـة تحفظ النظام العـام وتحقق الحد الأدنى من الأمن والاستقرار، وتدفع بالجميع باتجاه إيجاد حلول لمشاكل سياسية واقتصادية واجتماعية طارئة. . . وهـو يعلم أيضاً، أي الشيـخ شمس الدين أن الهدنة ليست في صالح النظام القمعي، فيمـا لو كـانت هناك حركة تربوية هادفة في الواقع. كما أن الهدنة لن يكون لها أية سلبيات فيما لو أدت إلى تعميق الإسـلام في الامة وإلى إزاحـة الستار عن كثيـر من الحقـائق الإسلامية وذلك كله يبقىٰ مشروطاً بالسعي الحثيث لتثبيت الأمة على خياراتهـا في مقابل ثبات الأنظمة على ضروراتها. !؟.

من إيجـابيات الهـدنة أيضـاً أنها تمكن الحـركة الإسـلامية من تحـديـد الإطار العام الذي يمكنها من الوصول إلى مواقع متقدمة في الدولة والمجتمـع معاً كما حصل في إيران والسـودان وغيرهمـا، وهذا لا يعني أن الهـدنة يمكن أن تؤدي إلى تخفيف الآلام عن الحركة الإسـلامية، بـل قد يكـون الأمر على عكس ذلك تماماً، وهذا ما لا ينبغي أن يخيف هذه الحـركة بـاعتبار أن الآلام سواء أكانت في مواجهة مع النظام أو في هدنة معـه تغنيها وتجعلهـا أكثر ثبـاتاً وأكثـر قدرة على اختيـار الوسـائل المـلائمـة التي تؤدي إلى حـالـة الإنبعـاث وامتلاك الذات من جديد. . .

إن الشيخ شمس الدين يدعو إلى نبذ العنف نهائيـاً، لأنه لم يثبت لـديه أن العنف يؤدي إلى نتائج إيجابية إلا إذا كانت هناك ضرورات تحتم ممارستـه بـطريقة دفـاعيـة «إن أسـاليب العنف لا تؤدي إلى الخيـر بـل تسبب للحـركـة الإسلامية العالمية الـوطنية، والإسـلامية انتكـاسات وستشلهـا وتعزلهـا وتعطل

---

(١) را: السيد محمد حسن الأمين، مجلة البلاد. عدد ١٦١. تاريخ ١٨/١٢/١٩٩٣.

مسيرة الإسلام، لذلك نحن نشك في وجود عوامل خارجية تحرض وتدفع إلى هذا العنف، ليست ناشئة من داخل الإسلام، وإنما من خارج الإسلام»[١].

ويستفاد من كلام الشيخ شمس الدين: أن الاستعمار إذا عرف أن هناك مجموعات معينة تنطلق من الإسلام، أو من غيره، عاجزة عن قراءة الواقع، وعن رصد المستقبل. فإنه يغريها بكثير من المكاسب ويدفع بها باتجاه ممارسة العنف كي يحقق أهدافه تحت شعارات إسلامية في وقت يريد أن يفرض شروطه على النظام القائم من خلال الضغط عليه بهذه المجموعات بهدف الحصول على مكاسب مادية واقتصادية قد يتلكأ النظام عن تقديمها له..

إذن العنف ليس نتاج الفكر أو الإيديولوجيب، ولا هو نتاج التحرك الإسلامي في الواقع وإنما هو نتاج الفشل في التنمية، وفي إيجاد فرص العمل، وهو نتاج التخلف الاقتصادي والاجتماعي، وقبل كل هذا وذاك هو نتاج انعدام الديمقراطية الحقيقية، ولا يخفىٰ على متأمل بصير أن العنف أصبح منظماً في هذا القرن وتقوم به الدول وليس الشعوب مهما كانت بدائية، لأنها كلما توغلت في البدائية، كما نعلم، (بحسب علم النفس وعلم الإجتماع) توغلت في طلب الحرية»[٢].

إن الإستعمار، ومن يمثله في الحياة الإسلامية، يريد أن يدفع بالأمور

---

(١) را: مجلة الوطن العربي، العدد ٨٤٧، ١٩٩٣.

(٢) مما يدل على أن التحرر من الاستعمار قد لايكون طريقه ممارسة العنف فقط، هو أن هناك بعض رجالات التحرر قد استطاعوا أن ينبذوا العنف نهائياً واقتصرت دعوتهم إلى السلام على إحياء الذات، وعدم التعاون مع المحتل، ونذكر من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر المهاتما غاندي، الذي رفض فكرة العنف، وجاء بفكرة «الأهمسا» التي تعني (الامتناع عن الأذى) ليستخدمها في الحياة السياسية ولقد احرجت طريقته في اللاعنف وعدم التعاون القادة الانكليز إحراجاً لا مثيل له... را: عالم المعرفة، المعتقدات الدينية لدىٰ الشعوب، ت، أمام عبد الفتاح امام، العدد ١٧٣، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ص ١٩٥.

أما فيما يتعلق بممارسة الأنظمة والدول المساندة لها للعنف المنظم، فيمكننا الإشارة هنا إلى ما ذكره بيار كلاستر في دراسته لظاهرة العنف، حيث رأى أن الفكر الغربي =

إلى نهاياتها ليرىٰ ما إذا كان بإمكانه الاستمرار بالطريقة التي يستعمر بها العالم، أم أن الأمر يحتاج إلى تطوير وسائل الهيمنة، فهو يحاول زج بعض الأنظمة الغير مدركة لحقائق الأمور والتي تتحرك بالإسلام عاطفياً لأجل أن يحقق بعض الأهداف الاستراتيجية كما يسميها، كيف لا ويذهب البعض ـ من المسؤولين طبعاً ـ في العالم العربي والإسلامي، إلى أوروبا ليقول لهم أنا آسف لأنكم لا تدركون الخطر الذي تسببه الحركات الأصولية! لذا فإن الدراسة الموضوعية للواقع والقراءة العملانية له من شأنها أن تجعل الاستعمار خارج دوائر الحركات الإسلامية، وبالفعل هناك حركات إسلامية وهي كثيرة لا يستطيع أن يأخذ الأستعمار منها شيئاً ولا قدرة له علىٰ زجها في معركة لا تربح فيها. إنها حركات حرة تختار الظروف المناسبة والوسائل المناسبة للتحرك من دون أن يكون للأعداء أي تأثير عليها. إنها تسكن وتتحرك بشروطها، وبقدراتها بعيداً عن شروط الغرب وأدواته في المنطقة. . .

الشيخ شمس الدين، كما أكدنا سابقاً، لا يرفض أسلوب العنف

= يرى أن المجتمعات البدائية المسماة بمجتمعات ما قبل الدولة التي لم تبلغ درجة التنظيم السياسي في إطار جهاز الدولة هي التي تمارس العنف، لكن النظرة المعمقة لابد أن تنتهي بنا إلى التأكيد بأن ما يسمىٰ بالدولة اليوم هي التي تمارس العنف بدل أن تمنعه فيما لو صح أنها خرجت من البدائية على الرغم من أن البدائية هي حالة من حالات الحرية، قياساً مع الدولة الغربية اليوم «فلقد كان ابدوي يعيش الحرية،كما له واقعية وتجربة وواقع معيشي لا تتحكم فيه مؤسسة أصبحت تمارس العنف بكل نظام وشرعية قانونية» را: مجلة الإنسان، مقالة محسن الميلي، م. س، ص ١٥ العدد الأول. سنة ١٩٩٠.

فما يجري اليوم في العالم من هتك لحقوق الإنسان، ومن تشريد لملايين البشر، ومن قتل الملايين منهم، ومن استعمار وهيمنة، وتدخلات تحول دون ممارسة الإنسان لحريته، كل ذلك يحصل تحت شعار الديمقراطية وحقوق الإنسان إلا أن ذلك في جوهره. هو العنف والإرهاب بعينه.

نحن من جهتنا نشك في كثير مما ينسب إلى الحركات الإسلامية، ولا نتهمها بممارسة العنف اللامبرر دائماً، وكل ما تقوم به هذه الحركة الإسلامية هو في الحقيقة دفاع عن النفس، وردة فعل على ظلم واضطهاد وحرمان وقمع تمارسه الأنظمة تحت شعار حماية القانون والدستور والحرية. . . ؟!!!!

بالمطلق، بل يراه ضرورياً فيما لو كان يؤدي إلى تغيير شامل وجذري في الواقع، المهم عنده هو الديمقراطية، فإذا كان العنف هو السبيل الوحيد إليها فيجب اعتماده من دون النظر إلى ما يمكن أن ينتج عنه من خسائر بشرط أن لا يؤدي ذلك إلى فتن، أو حروب داخلية، أو إلى تهديد النظام العام والوحدة وتماسك المجتمع . . .

خلاصة القول: إن على الأنظمة أن لا ترتهن من جديد لسياسات الغرب، وأن لا تدفع نفسها باتجاه مزيد من التحكم والقمع والضغط الاقتصادي في تعاملها مع جمهور الأمة. وعليها أن تعرف أيضاً أن الحركة الإسلامية في مواجهتها للإستعمار تتجنب الوقوع في مزالق الصراعات الداخلية، ويهمها كثيراً أن لا تعترضها الأنظمة، حتىٰ لا يتحول الصراع من صراع مع الإستعمار إلى صراع داخلي يخدم الاستعمار، ويدفعه إلى مزيد من التحكم بمصائر العباد والبلاد.

ومما يجب أن يعرف أيضاً أن الأمة الإسلامية ليست ضد الأنظمة القائمة كأنظمة، وإنما هي ضد كل من يحاول إعادة البلاد إلى الجاهلية من جديد بعد أن أخرجها الله من عصر الظلمات إلى النور. إن التفاهم يكون ممكناً بين الحركة الإسلامية والأنظمة القائمة إذا عملا معاً على تحرير الإنسان من قيود الإستعمار، ومن التبعية للغرب، وهنا يضاف إلى ما تقدم أن الأنظمة تتحمل مسؤولية ضياع الإنسان المسلم، لأنها دفعت به باتجاه مفاتن الحضارة الأوروبية من دون أن تفكر يوماً في إعطائه الحرية التامة كي ينتج، وكي يصنع لنفسه الكثير مما يمكنه من تحريرها، كما أنها لم تبادر إلى إيجاد مؤسسات تستوعب الكثير من أبناء الشعب العاطلين عن العمل والذين يمارسون العنف أحياناً تعبيراً عما يشعرون به من فراغ في حياتهم الخاصة والعامة.

إنهم يتحركون من أجل إيجاد فرصة للعمل تحت أي شعار[1]، وعلى الأنظمة أن تدرك تماماً، أن العنف لا يولد فرصاً للعمل، بل يزيد المجتمع

---

(١) قال مسؤول جزائري خلال أزمة عام ١٩٩١، في بلاده: ان الطريقة الأفضل التي =

بؤساً وشقاءً، فإذا كان هناك ظن بأن القمع يمكن أن يؤدي إلى إزالة العنف، أو إلى إسكات الأصوات الجائعة المنبعثة من ذاك الفراغ القاتل، فالظن لا يغني عن الحق شيئاً، لأن هذه الحركات التي تبحث عن وسائل جديدة، وعن مؤسسات بديلة لديها القدرة على إخراج العالم الإسلامي مما هو فيه. هذه الحركات لم تولد من فراغ وإنما هي متولدة من رحم الإجتماع السياسي العام، وهي تحمل في طياتها مصادر قوة الأمة، ونقاط ضعفها، كما أنها أقوىٰ من الدولة «ويجب أن تكون كذلك، لأنه حيث تكون الدولة أعظم من الشعب، يكون الشعب مهاناً ومسلوب الإرادة وغير مقدس خلاف ما نص عليه الإسلام وقدسه»[1].

إن استمرار القمع، وما يواجه به من عنف سيؤدي حتماً إلى مزيد من الفوضىٰ، وإلى مزيد من الإرتباط بالخارج، هذا فضلاً عما يؤدي إليه من عدم توازن واستقرار وغير ذلك مما يجعل المجتمع والدولة غير آمنين...

= تستطيع أوروبا من خلالها التغلب على الجبهة الإسلامية للإنقاذ (في الجزائر) هي طرح خطة عامة لإيجاد فرص عمل للملايين من الشبان العاطلين عن العمل. را: فريد هاليداي، ملف المركز العربي للمعلومات، م. س، ص ١٨، وقارن مع وجيه كوثراني فى الملف نفسه، حيث رأى أن السجالات لا تخدم مسار المصالحة في المجتمعات العربية الإسلامية وإن ما ينبغي فعله والبحث عنه هو الية ضبط الصراع وتقنينه، ومدخل ذلك مؤسسات ديمقراطية ومدنية توازن العلاقة بين المجتمع والدولة، وتأسيساً على هذا الإحتمال يقول كوثراني، احتمال أن تنحو الأنظمة والدول نحو الممارسة الديمقراطية، وأن تطلق برامج تنموية ـ بشرية قادرة على امتصاص البطالة، وتأمين لقمة العيش الكريم ووسيلة العلم المفيد، تأسيساً على هذا الإحتمال، فإن مستقبل المشروع السياسي الإسلامي قد يأخذ المسارات التالية: ١ ـ انحسار وتقلص نفوذ جماعات الرفض والتطرف من القائلين بجاهلية المجتمع.
٢ ـ انضباط الأحزاب الإسلامية في قواعد العمل الديمقراطي الحقيقي ومؤسسات المجتمع المدني.
وهنا نعقب على كلام كوثراني بالقول: إن جاهلية المجتمع متحققة سواء أقيمت هذه المؤسسات أم لا. وهي لا تزول إلا بإزالة التبعية للغرب الذي ورثت منه بلادنا والأنظمة القائمة فيها النظرة المادية للكون، والحيوانية للإنسان. والحل إنما يكون بايجاد مؤسسات بريئة من مادية الغرب...

(١) را: خطبة الجمعة، للشيخ شمس الدين بتاريخ ١٩٩٣/٩/٣١.

الفصل الرابع: إمكانية الهدنة مع الأنظمة

١ ـ مبررات الهدنة فقهيا وسياسيا عند الشيخ شمس الدين

تمهيد:

من موقع انتماء الشيخ شمس الدين إلى الحركة الإسلامية العالمية[1] يرىٰ أنه من الضروري في ظل الظروف القائمة حالياً في العالمين العربي والإسلامي، أن تُقدم الحركات الإسلامية على إجراء مصالحة، وتحقيق هدنة بينها وبين التيارات العلمانية الموجودة على الساحة الإسلامية، ومن ثم بينها وبين الأنظمة بهدف إخراج المجتمع من مأزقه السياسية والإجتماعية والإقتصادية، وتحصينه ضد الشرور والمؤامرات الخارجية. باعتبار أن المطلوب هو الحفاظ على النظام العام وتماسك المجتمع. في حين أنه يمكن أن تستمر هذه الحركات في مواجهة الإستعمار والأنظمة الموالية له ومعارضتها شرط أن لا يؤدي ذلك إلى تجزئة المجتمع، أو إلى تهديد الوحدة التي هي ضمانة استمرار الأمة حية وفاعلة، لأن تعريض الوحدة للخطر، حتىٰ ولو كانت هشة، من شأنه أن يعرض الأمة إلى مزيد من الأخطار، هذا فضلاً عمايلحق بالحركات الإسلامية من خسائر، بدليل أن الحركة الإسلامية هي تستعمل الوحدة في مواجهة كل التيارات الوافدة من الغرب تحت شعارات

(١) را: الشيخ شمس الدين، مجلة الوطن العربي، العدد ٨٤٧/ ١٩٩٣.

شتى، فإذا تعرضت الوحدة للخطر، فلا تلبث الحركات الإسلامية أن تهزم. . . فالصراع السياسي والعسكري أيضاً يجب أن يحفظ الوحدة، وفي التاريخ من الأمثلة ما يكفي لمعرفة هذه الحقيقة كون الأئمة (ع) جميعاً، الذين هم أئمة الشيعة والسنة، ضحوا بكثير من المصالح الخاصة لأجل حفظ وحدة الأمة، وهذا ما يتضمنه قول أمير المؤمنين (ع): «لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا علي خاصة»[1].

أجل، لقد التزم الأئمة جميعاً جانب الوحدة على الرغم مما أصابهم من اضطهاد وبلاءات، ولم يمنعهم ذلك من القيام بكل ما كانوا يرونه مناسباً لحفظ وحدة الأمة التي قدسها الله تعالى بقوله: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله﴾**[2].

ففي ظل وحدة الأمة وقداستها يمكن للحركة الإسلامية أن تحقق نفسها سياسياً، وفي جميع المجالات على خلاف ما لو كانت هذه الوحدة معدومة أو مهددة، وقد رأت هذه الحركات كثيراً من التمزقات والصراعات التي حالت دون الوصول إلى الأهداف السامية منها الصراع على السلطة تحت شعار تقديس المسألة السياسية والحاكمية وغير ذلك مما أدى إلى مزيد من الفوضى والتراجع على الساحة الإسلامية، وعن الأهداف السامية ومما يجب أن يقال هنا هو أنه حيث توجد الحركة الإسلامية يجب أن توجد الوحدة الإسلامية، إذ أنه لا يصح أن يقال عن حركة أنها إسلامية، وهي غير واجدة لحالة الوحدة أو غير ساعية لأجلها. . .!؟ فالحركة الإسلامية يجب أن تعمل أولاً من أجل تحقيق الوحدة التي من معانيها سلامة العقيدة، عقيدة التوحيد، فإذا هي استطاعت أن تجعل من الوحدة شيئاً واقعياً ملموساً، فإنها حينئذ يمكنها السعي لأجل تطبيق الشريعة ومن ثم إقامة الدولة الإسلامية التي تبدأ من استمراز الإسلام في الأمة وحياته فيها، وتنتهي بتحقيق الوحدة، باعتبار أنه لايمكن إقامة دولة إسلامية حقيقية إذا لم يكن الإسلام حياً في الأمة، وإذا لم

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٧٤.
(٢) سورة آل عمران آية ١١٠

تكن وحدة الأمة متحققة في الواقع. اما أن يدعي البعض الحاكمية في ظل التجزئة الحاصلة، ويمارس العنف بدعوىٰ أن ذلك يبقىٰ ضرورياً لتطبيق الشريعة فذلك ما يعتبر داخلاً في باب الهذيان بسبب انعدام الحكمة. لأنه لا يمكن تحقيق الوحدة إذا كانت عقيدة التوحيد غير سليمة، وإذا تحققت وحدة ما في ظل عدم السلامة هذه فلا تكون الوحدة إسلامية، بل يمكن أن تكون وحدة قائمة على المصالح الخاصة من قبيل الوحدة التي أقيمت في الغابر بين الدول العربية التي كانت وحدة لمجرد الوحدة، وليس من أجل إحقاق حق أو إزهاق باطل. المهم هنا هو أنه على الحركات الإسلامية، كما يستفاد من عدة نصوص للشيخ شمس الدين أن تضحي بما يلزم في سبيل الوحدة، مقتدية بذلك بالأئمة عليهم السلام الذين تجنبوا المواجهة في داخل الأمة، وكل الصراعات السياسية التي كان من شأنها تعريض الوحدة للخطر، والإسلام للتحريف وسوء التأويل[1]، فكان همهم الأول والأخير هو سلامة العقيدة واستمرار الإسلام في الأمة حياً وفاعلاً من خلال الوحدة التي تعنىٰ كل ذلك وتحفظ كل ذلك انطلاقاً من قوله تعالىٰ: ﴿**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدونِ**﴾ ففي هذه الآية المباركة الإقتران بين عقيدة التوحيد ووحدة الأمة واضح ولا يحتاج إلى مزيد بيان وقد شرحنا معنىٰ ذلك في كتابنا الأخير عن الشيخ شمس الدين في فصل ماهية الإمامة المعصومة ومسؤوليتها الأولىٰ[2]. فالحركة الإسلامية لكي تكون إسلامية فعلاً، فإنه ينبغي عليها أن تأخذ هذا الإقتران بعين الإعتبار، لأن سلامة العقيدة دون تحقيق الوحدة لا تأثير لها في تغير الواقع، وكذا الأمر بالنسبة للوحدة كما في قوله تعالىٰ: ﴿**الذين آمنوا وعملوا الصالحات. . .**﴾ فالإيمان من دون عمل لا يجدي، وكذلك عمل من دون إيمان.

وكما جاء في كلام الإمام الصادق (ع) في مصباح الشريعة عن النبي

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، الوحدة والإمامة، محاضرة ألقاها سماحته في لندن، في ذكرى الغدير، نشرتها مجلة الغدير. عدد: ٨ ـ ٩ ـ

(٢) سورة الأنبياء، آية ٩، را: الشيخ شمس الدين بين وهج الإسلام وجليد المذاهب، فرح موسى، دار الهادي، ١٩٩٣.

عيسىٰ (ع) أنه قال: «رأيت حجراً عليه مكتوب اقلبني فقلبته، فإذا على باطنه مكتوب: من لا يعمل بما يعلم مشؤوم عليه ما لا يعلم ومردود عليه ما علم»[1].

على الحركة الإسلامية أن تحقق الوحدة قبل فتح باب المواجهة مع الأنظمة، كما أنه يستفاد من كلام الشيخ شمس الدين: أن الأنظمة لو كان هناك وحدة لما تشجعت على فتح باب المواجهة والقمع لكل التيارات الموجودة، فالأنظمة يمكن تحميلها مسؤولية القمع ولكن لا يمكن تحميلها مسؤولية عدم تحقق الوحدة من رأس وعدم سلامة العقيدة، حيث أن ذلك هو من مسؤولية الأمة أولاً وأخيراً.

وإذا أرادت الحركات الإسلامية أن تحسن المواجهة مع الإستعمار ومع كل امتداداته في الواقع العربي والإسلامي فما عليها إلا أن تحقق الوحدة، فهي الرد المناسب على كل أعدائها في الداخل والخارج. أما إذا كانت الحركة الإسلامية أي حركة إسلامية تريد تحقيق الوحدة من خلال المواجهة مع الأنظمة، فذلك مما يمكن وصفه بالهذيان، وما نراه من عنف هو فعلاً كذلك. انه هذيان ناشيء عن طبيعه الحركة المضطربة لعدد كبير من الحركات الإسلامية وللأنظمة أيضاً، وقد يجوز لنا القول هنا أن الأنظمة تعرف كيف تمنع الأمة من أن تحقق وحدتها. لكن بعض الحركات لم يعرف حتى الآن كيف تواجه الأنظمة فتارة يقول هذا البعض بالعنف، وطوراً بالسياسة، وكلا الأمرين لا يحققان الهدف المنشود، لا العنف يؤدي إلى الوحدة، ولا السياسة الموافقة للأنظمة تؤدي إلى ذلك، فالذي يمكن اعتماده لتحقيق هذه المواجهة على مستوىٰ عالٍ من الدقة والمسؤولية هو العمل من أجل تحقيق الوحدة، فبما أن الأنظمة تواجه الأمة بعدم السماح لها بتحقيق الوحدة، فإن الحركة الإسلامية يمكنها أن تواجه وتحقق الهزيمة لأي نظام سياسي يسعىٰ للتفرقة بتحقيق هذه الوحدة. فالنظام الجائر قوي بالتجزئة، والأمة قوية بالوحدة. فإذا كانت الهدنة والمصالحة تؤدي إلى وحدة الأمة، وإلى هزيمة

---

(١) را: مصباح الشريعة للإمام جعفر الصادق (ع) مؤسسة الأعلمي بيروت، ص ١٢.

الأنظمة الجائرة معنوياً وسياسياً، فهي أفضل سلاح يمكن اللجوء إليه، وما يؤسف له هو أن الحركات الإسلامية، عدد كبير منها، لم تستفد من الهدنة في الماضي، فهل هي الآن مستعدة لإجراء هذه المصالحة أو لتحقيق هذه الهدنة بهدف إصلاح وتغيير الواقع بحيث يعود الإنسان المسلم إلى ذاته يعبر عن رأيه بحرية تامة، ويسمح له باختيار نظام الحكم الذي يريد؟ هذا هو السؤال المطروح.

إن ما يمكن الإشارة إليه هنا هو أن الهدنة ممكنة في ظل انعدام الوحدة، وفي ظل انعدام القراءة الدقيقة للواقع، وفي ظل الهذيان الحاصل عند رجال السياسة الذين يقودون الأمة نحو مشرب دوي، ومرعى وبي، إلا أن هذه الهدنة لن تكون مبررة أبداً إذا كان من معانيها زيادة الفرقة وزيادة التبعية وعدم القيام بالمسؤولية. . .

لأن الهدف من الهدبنة هو القيام بهذه المسؤولية على نحو يسمح للأمة الإسلامية بأن تعزز نفسها من خلال إعادة الحيوية إلى دورها من خلال مؤسسات ثقافية واجتماعية وتربوية تمكنهامن تحقيق هذه الوحدة.

وبترجمه سلامة العقيدة في حالة الوعي ومن ثم في السلوك «فوحدة الأمة، كما يقول الشيخ شمس الدين، باعتبارها تعبيراً سياسياً مجتمعياً تتأثر بسلامة العقيدة ووعيها، وترجمتها في السلوك اليومي على مستوىٰ الأحداث العادية، أو العامة، للفرد والجماعة المسلمة في نطاق الأمة»[١].

من هذا التمهيد ندخل الى حقيقة ما يقترحه الشيخ شمس الدين لجهة إجراء مصالحة، أو إقامة هدنة بين الحركات الإسلامية والأنظمة بحيث تفهم الأنظمة أن للأمة خيارات، والأمة بأن للأنظمة ضرورات تقدر بقدرها. لنرىٰ بأن هناك أساساً فقهياً ينطلق منه الشيخ شمس الدين، ودواعي سياسية أخرى، تجعل من هذه الهدنة مبررة شرعاً وسياسة، باعتبار أنه لا يمكن الاستمرار في المواجهة إلى ما لانهاية، وفي ظل انعدام الشروط الموضوعية

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، محمد مهدي، مقالة عن وسطية الأمة ووحدتها. جريدة السفير، ١٦/أيلول/ ١٩٨٨.

الداخلية والخارجية التي تسمح بتحقيق النصر للحركة الإسلامية في العديد من البلدان الإسلامية: فإلى هناك...

٢ ـ الهدنة مع الأنظمة والإسلوب المبرر شرعاً:

يقول الشيخ شمس الدين: إن من حق الحركات الإسلامية، أن تدافع عن نفسها فيما لو اعتدي عليها، أو تعرضت للخطر، وكذلك لها حق التعبير عن رأيها بحرية تامة، واتخاذ موقف من كل ما يجري على ساحتها، لأنها تتحمل مسؤولية كبيرة، مثلها، مثل أي تيار أو حركة أخرىٰ يسمح لها بالتعبير عن رأيها، وبطرح مشروعها السياسي التي ترىٰ أنه يحقق لها الأمن، والسلام والحرية والاستقلال[1]...

فإذا كان التيار العلماني، أو القومي، أو أي تيار آخر يشكل جزءاً من أي بلد إسلامي، أو عربي، ويحق له أن يعبر عن نفسه من خلال المشروع الذي يعمل من أجل إنجاحه في الواقع، فكيف لا يحق للحركة الإسلامية ذلك، وهي في أغلب البلدان العربية الإسلامية تشكل كل الواقع؟.

نعم من حق الحركة الإسلامية التحرر والخروج على كل قانون يخالف الإسلام ولا ينسجم معه ويراد من خلاله الحكم عل واقع يعيش الإسلام في جميع وجوه حياته. سواء أكان هذا القانون مصدره الخارج أم النظام السياسي الجائر، وهذا الحق للحركة الإسلامية يكون لها من موقع مسؤوليتها عن المجتمع السياسي، وقبلاً عن نفسها التي لاتريد لها أن تكون تابعة لهذا القطب أو ذاك.

فالنظام الجائر ليس شيئاً مقدساً حتى يجب احترامه دائماً أو عدم معارضته فيما يقوله أو يفعله. كما تدعي بعض الأنظمة التي ترىٰ أن الله أراد لها ذلك والناس كارهون، وعلى الناس أن يطيعوا سواء أكان لهم مصلحة في هذه الطاعة أم لا، كما هو شعار دولة هيغل التي هي فوق كل شيء..

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، محمد مهدي، مواقف ودراسات، ج ٣، م. س، ص ٣٠٤.

في الإسلام تعتبر الأمة هي الشيء المقدس، وليس الدولة، أو أي نظام سياسي، وقد تكون الدولة ثاني أو ثالث مؤسسة، من مؤسسات الأمة كما يقول الشيخ شمس الدين[1]، وعلى الدولة أن تحمل مشروع الأمة وليس العكس فالاستعمار قدس نفسه بنفسه، وأعطىٰ نفسه أكثر مما يستحق، ودعا شعوب المنطقة من خلال حكامها إلى الإقتداء به لأجل الوصول إلى ما وصل إليه الغرب، وقد أخذ الحكام بهذه الدعوىٰ وعبروا عن أنفسهم من خلالها، وبدأوا يروجون لها بهدف التقليل من شأن جمهور الأمة، وكان ماكان من خروج على الإسلام وعلى قوانينه بعد أن أخذ الحكام بالشعار الغربي الذي يعطي الدولة الحق في مصادرة حق الأمة ودورها والاستغناء عنها في كثير من الأمور التي للأمة كامل الحق في قبولها أو رفضها. . .

فهذه الأمة التي قدسها الله تعالي يحق لها العمل من أجل أن يكون الإسلام هو الحاكم في حياتها، والمعبر عنها. في مقابل الغرب الذي ادعىٰ لنفسه ما لم ينزل الله به من سلطان. . . فالأمة الإسلامية لها قيمة كبرىٰ في عالم الخلق الإلهي، وكل ما ينبثق عنها له هذه القيمة أيضاً، فإذا كانت الدولة مؤسسة من مؤسساتها وتحمل مشروعها، فهي لها ما لهذه الأمة منها ولها، أما إذا لم تكن الدولة مؤسسة من مؤسساتها، فذلك مما يجعل منها جهازاً خارجاً عليها ولا يعبر عنها، باعتبار أن الدولة التي فرضها الغرب من فوق، هي دولة أشخاص، وجبابرة وطغاة، وليس دولة أمة يتساوي فيها الجميع في الحقوق والواجبات، وكما يقول الشيخ شمس الدين:إن تفرق الأمة وعدم اجتماعها على الحق أنتج هذه الدولة أو سمح للغرب بأن ينتج هذه الدولة في البلاد الإسلامية[2]، وإلا لو كانت هذه الأمة واحدة، لما تمكن الغرب من

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، محمد مهدي: مجلة المنطلق: المقدس وغير المقدس، م. س، عدد، ٩٨، ١٩٩٣.

(٢) را: الشيخ شمس الدين، م. ن. هذا الكلام جاء في خطبة الجمعة التي ألقاها سماحته في المجمع العلمي الثقافي وقد تضمنت هذه الخطبة معنىٰ أن يكون للأنظمة ضرورات، وللأمة خيارات، نقلاً عن كاسيت مسجلة. تاريخ ١٩٩٣/١٢/١٧.

فـرض قوانينـه وأنظمتـه على هذا العـالم، فـالاستعمـار تعـزز حينمـا فقـدت الوحدة. . .

وبما أن للأمة هذه القداسة، وهذه القيمة، فإنها وجدت نفسها ملزمة بالقيام بخطوات تحفظ لها هذه القيمة، وهـذه القداسـة، ومن هنا كـان إصرار الحركات الإسـلامية على اتخـاذ موقف من كـل ما يجـري في بلادهـا، لأنها رأت أن كل ما يحصـل لا يعبر عنهـا، ولا يحفظ لها مـاهي مخصوصـة به من العالمين الأمر والخلق، وهـذا وحده كـاف للتدليـل على حقيقة مـا تطالب بـه هـذه الحركـات الإسـلاميـة في مـواجهـة الاستعمـار الغـربي وامتـداداتـه في المنطقة، فكون الأمة مقدسة، تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكـر وتؤمن بالله، فهي لها الحق في معارضة النظام الجـائر الـذي يخالف القـوانين الإسلاميـة، ومحاربة الجاهلية الجديدة التي تعود من جديد إلى العالم الإسلامي، جاهلية سبق لهـا أن عبرت عن نفسهـا بالنـظرة الماديـة للكون، وبـالنـظرة الحيـوانيـة للإنسان، يبقىٰ أن نقول أن الخروج على هذه الجاهلية، يبدأ بـايجاد الحلول لمشاكل وأزمات اقتصادية واجتماعيـة وسياسيـة، وليس التسبب في أزمات من هذا القبيل كما يشيع ويتهم الاستعمار.

وإذا كـان هنـاك ثمـة مشـاكـل معقـدة يعيشهـا هـذا العـالم العـربي والإسلامي، فهذه كلهـا ناشئـة عن سوء الاستعمـال للسلطة، وعن عدم أخـذ رأي الأمة بعين الاعتبار من قبل مَن يدعي الحماية لهـا، والتعبير عنهـا بصدق وأمانه!؟ فالحركة الإسلاميـة، على الرغم ممـا تعيشه من ضعف وفقـر ووحدة وغير ذلك، هي تسعىٰ جاهدة لأجـل إيجاد الحلول المنـاسبة لهـذه المشاكـل المعقدة الناشئة كما قلنا عن إهمال الأمة، واستبدالها بحمايـة الخارج، فهـذه الحركة كما يقول الشيخ شمس الدين لم تـأتِ من فراغ، وليست شيئـاً يمكن الاستغناء عنه، بل هي يقظة طبيعية للأمـة الإسلاميـة ولشعوبهـا، وهي ليست تعصباً، ولا حروباً، ولا ظلاماً، وليس ضد التقـدم، بل هي محـاولة لإمتـلاك الـذات، في مقابـل مشـروع آخـر، هـو مشـروع التغريـب[1] الـذي يـدعي

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، في الإجتماع السياسي الإسـلامي، م. س، ص ١٢. وقا: مع مجلة الوطن، الحياة، م. س.

المركزية الظلامية، كما سنرىٰ في فصول لاحقة إن شاء الله.

هذه الحركة الإسلامية ـ كونها يقظة طبيعية للأمـة ـ وجدت نفسهـا أمام خيارين:

الخيـار الأول: السكوت على مـا تتعرض لـه من ظلم واضطهـاد وغير ذلـك مما يعتبـر إعترافـاً بشرعيـة الحاكم الجـائر الـظالم الذي يسعىٰ لتفـريق الأمة، والإفساد في الدين. . .

الخيار الثاني: هو التحرك لمواجهة الفسـاد، وتحقيق الإصلاح بـطريقة تحفظ النظام العام، ووحدة الأمة، وتماسك المجتمـع وغير ذلـك مما يسمـح للحركة الإسلامية بتطبيق الشريعة وإقامة الدولة الإسلامية. . .

لقد رأت الحركـة الإسلاميـة أن اتباع الخيـار الأول. . . والإلتزام بـه لا يعني أبداً أنها تمثل يقظة الأمة، لأن حركة تسكت على الظلم وتبرره لا يمكن أن تكـون يقظة طبيعيـة للأمـة، كما أنهـا لن تكون معـارضة حقيقيـة لأنـظمـة جائرة، باعتبار أن قيمة كل حركة هي في مـدى ما تفعله وتحققـه من مكاسب في الواقع، حركة معارضة لكل ألوان وأشكال العبودية لغير الله. والسكـوت من شـأنه أن يؤدي إلى الـذل والعبوديـة، وإلى مزيـد من الاستلحاق والتبعيـة للغرب.

بقي الخيـار الثاني، وهـو أن تقول الحـركات الإسـلاميـة لا للمشـروع الغربي الذي يتعرض لهوية هذا العالم ويحاول مسخـه ثقافيـاً، وسياسيـاً. . . وبالفعل لقد قامت عـدة حركـات إسلاميـة بأفعـال حقيقة في الـواقع أدت إلى انتصار الإسلام في الدولة والمجتمع معاً، ولم يحـالف الحظ حركـات أخرىٰ بسبب انعدام الشروط الموضوعية في الداخـل والخارج، فتـأخر النصـر، ولم يهزم المشروع الإسلامي الذي مازال حياً في كل العالم الإسـلامي. فالخيـار الثاني ليس من معانيه أبداً فتح باب المواجهة، وغلق بـاب الحوار، انـه خيار تحاول الحركة الإسلامية من خلاله إصلاح مافسد، والعودة بالأمـور إلى الأمة تتحكم فيها على ضوء تعاليم الإسلام وقوانينه.

أجل، لقد بقي باب الحوار مفتوحاً مـع كل التيـارات الموجـودة إضافـة

إلى الأنظمة الحاكمة، مع علمها بأن هذه الأنظمة مغتصبة لحق الله تعالى ولحق الأمة. والإنسان المسلم لايجد نفسه ملزماً بطاعتها إلا بمقدار ما تحققه هذه الأنظمة من عزة وكرامة وقوة واستقلال للمسلمين، ومن حفظ للوحدة الإسلامية، وقبل كل ذلك عدم الإفساد في الدين لجهة تحليل ما حرمه الله، أو تحريم ما حلله. . .

يرىٰ الشيخ شمس الدين أن هناك جملة من الروايات دلت على الإذن للشيعة بالشراء من الولاة والعمال الحكوميين في حكومات الجور[1]: منها صحيحة (الحذّاء) الواردة في جواز شراء ما يأخذه الظالم من أبواب ما يكتسب به، ومنها موثقة (إسحاق بن عمار)*، وغيرهما وهي تتضمن الدلالة على صحة هذه المعاملات[2].

وهذا هو القول المشهور، بل أدعىٰ عليه الإجماع، صريحاً وظاهراً، غير واحد من الأعاظم. . . فإن هذا الدليل على أن الأئمة، قد لاحظوا مصلحة المجتمع الإسلامي، والأمة الإسلامية، من حيث الوحدة، وانتظام المصالح العامة للمجتمع، ولم يقتصروا في صياغة مواقفهم من الحكم القائم على مراعاة مصلحة خصوص الشيعة بصرف النظر عما يحل بجميع المسلمين، كأمة ودولة، فإنهم لم يكونوا رؤساء الشيعة فقط وإنما كانوا يمثلون الشرعية الحقيقية لقيادة الأمة الإسلامية. . . كما أنه مما لا يجوز أن يغفل عنه الفقية في هذا المقام وأمثاله، إنه لا وجه للنظر إلى هذه الروايات على أنها تعبد محض، فإن التعبد في مقامنا ونظائره، بعيد جداً. بل نطمئن

---

(١) يقول الشيخ شمس الدين: هناك جملة من الروايات التي تحث على الدخول في أعمال الحكومة الجائرة والأخذ منها، وهي مطلقة لم يرد فيها قيد على نوع العمل وحال العامل. ولعل الغاية من ذلك هي دمج الشيعة بالمجتمع الإسلامي لئلا تؤدي عزلتهم عن الأعمال الحكومية إلى إظهارهم بمظهر الجماعة المنفصلة عن المجتمع، ويحتمل أن تكون الغاية تطعيم الجهاز الحكومي الإداري الفاسد بالعناصر البشرية الكفؤة والمخلصة الصالحة لأجل خدمة الناس وتخفيف الظلامات عنهم. ولا محذور في أن تكون الغاية تحقيق كلا الأمرين: را: الإجتماع السياسي، م. س. ص ٢٢٧.

(٢) را: م. ع. ص ٢١١.

لعدم كون هذه المسائل من موارد التعبد[١]. . .

ومنها قوله: «الظاهر من الروايات (المشار إليها) هو جواز أخذ الصدقات والمقاسمات. من الجائر بل الظاهر من السؤال في رواية الحذاء، أن ذلك من المسلمات، فتدل تلك الروايات بالملازمة، على أن الأموال التي يأخذها الجائر يجوز احتسابها من الصدقات، والمقاسمات، فيدل ذلك على تنزيل الجائر في زمان الغيبة، منزلة السلطان العادل[٢]. . .

وهناك وجه آخر للجواز والبراءة، ذكره شيخنا السيد الأستاذ وهو: «إن الولاية في زمان الغيبة، وإن كانت راجعة إلى السلطان العادل، الذي وجبت على الناس طاعته، وحرمت عليهم معصيته فإذا غصبها غاصب وتقمصها متقمص كان عاصياً وأثماً إلا أن هذه الولاية الجائرة تترتب عليها الأحكام الشرعية المترتبة على الولاية الحقة من حفظ حوزة الإسلام، وجميع الحقوق الثابتة في أموال الناس وصرفها في محلها وغير ذلك لأن موضوع تلك الأحكام هو مطلق السلطنة[٣]. . .

وقد رد، يقول الشيخ شمس الدين، سيدنا الاستاذ على هذا بقوله، وهو يعني السيد الخوئي رضوان الله عليه، إن هذا الاحتمال وإن كان ممكناً في مقام الثبوت إلا أنه لا دليل عليه، وعلى هذا فالجائر مشغول الذمة بما يأخذه من حقوق المسلمين ما لم يخرج من عهدتها» يقول الشيخ شمس الدين: «يدفع هذا الرد الروايات الكثيرة الأمرة أو المجيزة بالدفع إليه، والأخذ منه، والمصرحة ببراءة ذمة الدافع والقابض، بأن مقتضاها صحة تصرفه وقول المعصوم: «لك الهنا، وعليه الوزر» لا يدل على عدم صحة تصرفه، لأن الوزر عليه من جهة تسلطه، لا من جهة أخذه ودفعه[٤]. . .

ثم ينتقل الشيخ شمس الدين إلى مخالفة الحر العاملي في شأن العلاقة

---

(١) م. ع. ص ٢١٢.
(٢) م. ع. ص ٢١٥.
(٣) م. ع. ص ٢١٦.
(٤) م. ع. ص ٢١٧.

مع السلطات بوجه عام حيث أنه يرىٰ بان الروايات والأخبار الواردة أنها واردة في بيان مشروعية علاقة المسلم الشيعي بالسلطان الجائر بالعنوان الأولي فيما يتصل بحفظ النظام العام لحياة المجتمع. . . ووحدة الأمة الإسلامية وليست تدل على مشروعية الطاعة للتقية ثم يعقب بالقول أن لسان رواية موسىٰ بن إسماعيل[1] عن أبيه الصادق يأبىٰ الحمل على التقية، فإن طاعة السلطان العادل لا تكون للتقية، وقد ذكر السلطان الجائر في السياق نفسه ولا يجوز التفكيك بين الفقرات في الدلالة في مقامنا»[2] كما أن الشيخ شمس الدين لا يرىٰ بأن الولاية من قبل الجائر محرمة ذاتاً، خلافاً للعلامة الطباطبائي. فيقول: والظاهر أن المشهور هو أنها ليست محرمة ذاتاً، بل حرمتها نفسية كسائر المحرمات السمعية التي جعل الشارع عليها الحرمة من الأفعال، والأشياء، والنوايا. . . والحق كما عرفته وتعرف أن العمل مع ولاة الجور، ليس محرماً ذاتاً ولا نفساً، وإنما هو مباح ذاتاً، وإذا كان ثمة حرمة فهي حرمة ناشئة من الجعل الشرعي وليس من حكم العقل فإن غاية ما يستقل العقل بقبحه الذاتي ويلازم ذلك حرمته الذاتية عند الشارع هو الظلم، ومن الواضح أنه لا توجد ملازمة ذاتية بين العمل مع «ولاة الجور، وبين مفهوم الظلم، ليكون هذا العمل تجسيداً دائماً لهذا المفهوم ويكون من مصاديقه التي يشملها حكم العقل بالقبح الذاتي، وحكم الشرع المستفاد منه المنكشف به بالحرمة الذاتية. . . وقد تبين لك أنه لا محل لهذا النزاع إذ أن الحكم الأصلي الأولي للعمل مع ولاة الجور هو الحل والإباحة»[3].

كان لابد من عرض هذه النصوص لأجل بيان معنىٰ أن يكون هناك هدنة، أو مصالحة مع الأنظمة بهدف الحفاظ على أمن واستقرار المجتمع،

---

(١) الرواية كما أوردها الشيخ شمس الدين هي: «لاتذلوا رقابكم بترك طاعة سلطانكم، فإن كان عادلاً فاسألوا الله بقاه وإن كان جائراً فاسألوا الله إصلاحه، فإن صلاحكم في صلاح سلطانكم، وإن السلطان العادل بمنزلة الوالد الرحيم، فأحبوا له ما تحبون لأنفسكم، واكرهوا له ما تكرهون لأنفسكم. عن الوسائل. ج ١١، ص ٤٧٢ / أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٢) را: الشيخ شمس الدين: الإجتماع السياسي. ص ٢١٩.

(٣) م. ع. ص ٢٢٧.

وقد تبين لنا أن الشيخ شمس الدين يبني فكرته على جملة من الروايات (التي لا يمكن حملها على التقية) التي تفيد أن العمل مع ولاة الجور ليس محرماً، وإنما هو مباح ذاتاً، فإذا كان هذا هو الحكم الأصلي فما على الحركات الإسلامية إلا أن تقتدي بالإمام المعصوم وأن تمتثل لقوله إن الناس إنما هم في هدنة[1]. بحيث تحقق هذه الحركات لنفسها الحد الأدنى من الأمن والكفاية الاجتماعية والإقتصادية، باعتبار أنه لا يمكن تحت شعار عدم شرعية الأنظمة الجائرة تهديد النظام العام ووحدة الأمة، والإفساد في الدين، وإضاعة أموال الأمة، فالعلاقة مع هؤلاء وبحسب الشيخ شمس الدين، يمكن أن تكون علاقة طبيعية فيما لو لم تؤد إلى مساعدة هؤلاء الحكام على الظلم، وعلى إفساد الدين والمجتمع، وشرط أن لايؤدي ذلك إلى الاعتراف بشرعيتهم، كون وجودهم على رأس السلطة شيء، والعمل معهم شيء آخر، وهذا ما يمكن استنتاجه من كلام الشيخ شمس الدين الآنف الذكر من أن الوزر عليه من جهة تسلطه، وليس من جهة أخذه ودفعه. . فالتعامل معهم لا يجب أن يؤدي إلى الإعتراف بشرعيتهم، وإنما إلى ملاحظة المصلحة العامة للأمة بعيداً عن الحق الشخصي، وعن هوى السلطة وهوسها. كما كان يفعل الأئمة الذين هم أئمة المسلمين جميعاً. سنة وشيعة. وكما يرى الشيخ شمس الدين في تحليله للروايات التي تمنع من العمل مع حكام الجور وتحريمه بأنها تندرج تحت قاعدة عامة. هي كل عمل وتعامل يتضمن، أو يلازم، اعترافاً بالشرعية، أو يكون ظلماً، أو مشاركة ومعاونة عليه، وكل شخص ضعيف الشخصية غير ملتزم بالشرع ونهج العدالة الإسلامية، والأخبار المانعة جميعاً واردة في بيان حكم هذه الموارد»[2].

فالأنظمة والحكومات لا تتمتع بالشرعية، باعتبار قيامها على قاعدة مخالفة أئمة أهل البيت (ع) الذين هم الحكام الشرعيون، إلا أنه لا يمكن تحت هذا الشعار (عدم الشرعية) أحداث مقاطعة تعطل سير الحياة الطبيعي، في الوقت الذي لا قدرة لأحد على أحداث تغيير جذري. ففي أجواء العجز،

(١) م. ع. ص ٢٢١.

(٢) را: الشيخ شمس الدين، في الإجتماع السياسي، م. س. ص ٢٣٥.

وانعدام الشروط الموضوعية يمكن التعامل معهم بما يحفظ النظام والوحدة بحيث يكون للأمة من ذلك الهنا ـ إذا صح التعبير، وللأنظمة الجائرة الوزر كونها متسلطة ومغتصبة للحق، وكما رأينا في الوجه الذي ذكره السيد الخوئي، من أن الولاية الجائرة تترتب عليها الأحكام الشرعية المترتبة على الولاية الحقة من حفظ حوزة الإسلام، وجميع الحقوق الثابتة في أموال الناس وصرفها في محلها وغير ذلك، لأن موضوع تلك الأحكام هو مطلق السلطنة. سواء أكانت حقة أم باطلة، وهذا الوجه الذي قال عنه السيد الخوئي أنه ممكن في مقام الثبوت إلا أنه لا دليل عليه، لكن الشيخ شمس الدين دفعه بعدة روايات تجيز الدفع إليه ـ أي للجائر والأخذ منه وقد يكون الدافع إلى استعمال أسلوب العنف هو عدم التسليم بشرعية الأنظمة لكن المصلحة العامة ووحدة المسلمين تمنع من إستخدامه أحياناً. . .

هذا الأسلوب لأنه يؤدي إلى خلاف المراد، إلى تهديد الوحدة، والنظام العام، وأموال االأمة، فضلاً عن أشياء كثيرة. . . فالعنف كما يقول الشيخ شمس الدين لا يكون لمجرد العنف، ولا المعارضة، تكون لمجرد المعارضة، وإنما ذلك يكون لأجل حفظ الإسلام والمسلمين ومصالحهم، خصوصاً إذا عرفنا أن الأخبار الواردة في شأن العلاقة مع السلطان بوجه عام إنما هي واردة في بيان مشروعية علاقة المسلم بالسلطان الجائر وبالعنوان الأولي، فيما يتصل بحفظ النظام، والوحدة. . . وحفظ تماسك المجتمع الذي يعيش فيه المسلمون الشيعة مع غيرهم من المسلمين، من عوامل التفكك والإنقسام والفوضىٰ. . فكل علاقة فيها تعاون على ذلك وليس فيها تقوية للظالم على ظلمه، وليس فيها مخالفة تؤدي إلى الفساد في الدين، فهي علاقة طبيعية مشروعة بالعنوان الأولي لا على قاعدة التقية، ولا تشرع المخالفة لمجرد المخالفة[1]. . .

فمعنىٰ الهدنة أن تتمكن الحركات الإسلامية، حيث تعجز عن إقامة الدولة الإسلامية، من أن تحفظ الأمة وكل ما سبق ذكره، وليس معنى الهدنة

---

(١) م. ع. ص ٢٢٠.

أبداً أن تحصل مساومة بين الأنظمة والحركات الإسلامية، أو تكريس الظلم والقبول به إذا وقع، بل معناها تحقيق الأهداف التي لايمكن تحقيقها في أجواء العنف والنزاعات التي لايتمكن أي من الطرفين من حسمها لصالحه.
وقد بينت التجارب أن بعض الحركات الإسلامية، بسبب ظروف خارجية، لم تتمكن من تحقيق تقدم في صراعها مع الأنظمة، وبما أن الصراع الذي لا جدوىٰ منه لا يمكن أن يكون مقبولاً شرعاً، فإنه من الواجب اللجوء إلى حوار آخر، الذي هو وجه من وجوه الصراع، لتحقيق ما يمكن تحقيقه من أهداف منشودة. والحق يقال: أن خيارات الحركة الإسلامية، في العديد من البلدان، هي اليوم في ذوبان مستمر بسبب الصدام العنيف مع الأنظمة، وبسبب انعدام الوحدة. إن الحركة الإسلامية حينما تتمكن من قراءة الواقع بدقة بعيداً عن الأوهام والخيالات، إلى أي طائفة أو مذهب انتمت هذه الحركات، فإنها تستطيع حتماً أن تحدد طبيعة العمل والتحرك في الواقع من أجل إصلاح الحال، بالعمل الذي يمكنها من الحفاظ على ما سبق ذكره من دون أن يؤدي ذلك إلى الإعتراف بشرعية أي نظام قائم على الظلم، أما إذا كانت هذه الأنظمة تعمل على إفساد الدين وعلى تعريض وحدة المسلمين للخطر، فإن القبول بها والعمل معها حينئذ .'د يكون غير مقبول على الإطلاق مع الأخذ بعين الإعتبار طبيعة التحرك للإصلاح وما ينتج عنه،أما إذا كانت نتائج التحرك سلبية أكثر مما لو لم يكن هناك أي تحرك، فإنه يمكن القبول بأهون الشرين، وفي هذه الحالة لا يكون العنف كأسلوب في العمل مبرراً، لأنه سيؤدي إلى نتائج سلبية تفوق بكثير سلبيات وشرور أي نظام سياسي ظالم. وهذا ما نلحظه في سياق التعابير الإسلامية، وفي سياق المفاهيم الإسلامية التي تجعل من العنف شيئاً وأسلوباً ثانوياً، وقد عبر الشيخ شمس الدين عن ذلك بقوله: «إن المشروع الإسلامي المبرر فقهياً وسياسياً، هو الدعوة بالحسنى وليس بالعنف[1]، وهذا بدوره مستنبط من الآيات القرآنية التي تجعل من الحرب شيئاً ثانوياً والسلام هو الأساس: **﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتُقسِطوا**

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، مقابلة مع الوطن العربي، العدد ٨٤٧، ١٩٩٣/٥/٢٨.

إليهم﴾[1].

لقد تمكنت بعض الحركات الإسلامية من تطبيق الشريعة، ومن إقامة الدولة الإسلامية، بعد أن اسقطت بعض الأنظمة الطاغية، في إيران، والسودان. . . ولم يسقط في حركتها هذا المشروع الإسلامي، بل نجح نجاحاً كبيراً، وهذا كله حدث في ظل الثورة والاحتجاج من دون أن يرافق ذلك أية أعمال عنف من قبل الإسلاميين بل كان النظام الجائر هو الذي يمارس العنف وحتىٰ القتل بطريقة إجرامية باردة، في الوقت الذي كانت فيه هذه الحركات قادرة على استعمال أسلوب العنف، لكنها لم تجد مصلحتها في ذلك. لأن النظام الذي يظن أنه بسفك الدم الحرام يستمر، يكون واهماً لدرجة كبيرة وكما يقول الإمام علي (ع) «فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام، فذلك مما يوهنه ويضعفه، بل مما يزيله وينقله»[2].

يقول الشيخ شمس الدين: نعم يوجد حكام غير شرعيين يمثلون أمراً واقعاً في المجتمع السياسي الإسلامي ويحكمون باسم الإسلام، ويسيطرون على موارد القوى القمعية والإقتصادية في المجتمع، وهؤلاء الحكام وأعوانهم يمارسون الظلم السياسي والإجتماعي والإقتصادي على الأمة كلها باعتراف قيادة الأمة التي ترىٰ شرعيتهم، وتوالى نظامهم، فضلاً عن المعارضة الشيعية، ولا يمكن الإعتراف بشرعيتهم ولا يمكن إقرارهم على ظلمهم والرضىٰ به، والمعاونة عليه، وإلا لما كانت هناك معارضة شيعية[3]، بل لما

(١) سورة الممتحنة الآية: ٨.

(٢) يبين الإمام علي (ع) في قوله هذا أن تعزيز السلطة لا يكون بسفك الدماء ـ كما يظن أغلب الحكام ـ دون تبصر، ودون حق، فإن ذلك ـ بالإضافة إلى أنه حرام يعاقب الله عليه أشد عقاب ـ يؤدي إلى تهديم الدولة. را: الشيخ شمس الدين، شرح عهد الأشتر، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ١، ١٩٨٤، ص ١٣٩.

(٣) يقرر الشيخ شمس الدين في كلامه هذا حقيقة هامة جدا، وهي أن المعارضة يجب أن تكون واعية وناقدة لكل ما يجري، وهذا هو مبرر وجودها. وأما قوله «باعتراف قيادة الأمة التي ترىٰ شرعيتهم وتوالي نظامهم، فهو ما نريد الوقوف عنده، فنقول أن العالم الإسلامي اليوم يشهد حركات إسلامية قوية تدعوا إلى الخروج علىٰ الحكم الجائر ولا تعترف به، وهذا بحد ذاته يعتبر خروجاً على النصوص التقليدية التي كان من آثارها أن =

. . . .

= جمدت أي ثورة على النظام الجائر، وكما ينقل الأشعري عن أصحاب الحديث: أهل السنه: «السيف باطل ولو قُتلت الرجال وسبيت الذرية، وإن الإمام قد يكون عادلاً، ويكون غير عادل، وليس لنا إزالته، وإن كان فاسقاً وأنكروا الخروج على السلطان، ولم يروه، وهذا قول أصحاب الحديث» را: مقالات الإسلاميين، ص ٤٥١.
وهذا ما كان معروفاً عن الشيعة أيضاً في أوساط مخالفيهم، فهذا أبو الحسن الأشعري يقول: «وأجمعت الروافض على إبطال الخروج وإنكار السيف ولو قتلت حتى يظهر لها الإمام وحتىٰ يأمرها بذلك» را: مقالات الإسلاميين. دار الحداثة ط ٢. ص ٤٦٧.
ومما يجب ذكره هنا هو أن هذا الرأي لم يعد فاعلاً أو مؤثراً اليوم بعد أن عبر فقهاء الشيعة المحدثين عن ضرورة السعي لأجل إقامة حكم إسلامي في عصر الغيبة إذا توفرت الظروف المناسبة لذلك. يقول الشيخ شمس الدين: أما الموقف الفقهي الشيعي المشهور، والمعروف، فإنه يختلف اختلافاً أساسياً عن الموقف الفقهي السني في هذه المسألة، لأن الفراغ في السلطة الإسلامية ليس ناشئاً عن عدم وجود الإمام، وإنما هو ناشيء من غيابه الذي تسببت به أوضاع الأمة نفسها بسيطرة حكام الجور عليها.
را: في الإجتماع السياسي. م. س. ص ٢٦٤. وقا: مع المحقق الطوسي في نقد المحصل، دار الأضواء ١٩٨٥ (ط ٢) رسالة الإمامة، ص ٤٣٣.
يفاجأ الغرب المستعمر اليوم، بل انه يستغرب حينما يسمع بخروج حركة إسلامية سنية تدعو إلى تطبيق الشريعة والخروج على الحاكم، كونه على علم بحقيقة النصوص التي تنطلق منها هذه الحركات، وغالباً ما يتهمها بالأسلامية الإصولية، وبالحركة المشاغبة الخارجة على القانون، ويوجد له من يبرر مقولاته... فإذا كانت هذه الحركات تنطلق من نصوص لا تجيز الخروج على الحاكم حتى ولو كان ظالماً، فلماذا يحصل في الواقع على خلاف ما في النظرية؟ هكذا يتساءل الغرب المستعمر، إنها مفاجئة فعلاً، وإن كنا على علم بظهور بعض الحركات المتشددة في مواقفها من الحكام غير الشرعيين الذين لم يصلوا إلى السلطة عن طريق الشوري وإنما استولوا على السلطة بالقوة والغلبة، فقد ظهرت (جماعة تحرم المكاسب في ظل أئمة الجور، تلك الجماعة التي تزعمها (عبدك ويزيد الصوفيان) لم تحرم الحركة من أجل الكسب فقط، بل حرمت الأنكحة والمهور في ظل الأمام غير الشرعي: را: رضوان السيد، الوحدة، والجماعة والسلطة، دار اقرأ، بيروت ١٩٨٤ م. ص ١٣٥، وقارن مع الشيخ شمس الدين، في الاجتماع السياسي، م. س. ص ٢٥٤.
يجهد الغرب الآن لإقناع شعوبه، والأنظمة أيضاً إنطلاقاً من هذه النصوص التقليدية =

كان ثمة أساس فكري وفقهي بوجودهم، كما لا يمكن الرضى بظلمهم على المسلمين، فضلاً عن المشاركة فيه، لأن ذلك مخالف لشريعة الإسلام، ولأنه يلغي دور المعارضة في النقد والتصحيح . . . »[١].

إذن هدف الحركة الإسلامية العالمية، كما يرىٰ الشيخ شمس الدين، هو الخروج على الحاكم الجائر، وعدم الإعتراف بشرعيته، «وإذا كان له ثمة شرعية فبالمقدار الذي يحقق هذه الإعتبارات السابق ذكرها. حفظ الوحدة ـ والنظام العام وتماسك المجتمع»[٢] بعد أن نفى الشيخ شمس الدين أن تكون التقية أساساً لشرعية العمل مع ولاة الجور، معتبراً جواز العمل حكم أولى أصلي في الشريعة»[٣]، وذلك كله انطلاقاً من كون الأشياء كلها على الإباحة الأصلية والتحريم والمنع هو الذي يطرأ عليها إما في نفسها، وإما بطروء عناوين ثانوية عليها . . . »[٤].

يستفاد مما ذكر أن الخروج على النظام الجائر أياً كان هذا النظام لا يكون كيفما اتفق، بل لابد من اختيار أفضل الوسائل للقيام بالثورة على هذا

= بأن هذه الحركات ليست على شيء من الإسلام، بل إنه يقوم بمهمة مزدوجة، فهو أولاً يحاول إقناع شعوبه بأن الإسلام هو دين بربري وحشي، وفي نفس الوقت يثير الشبهات حول هذه الحركات في العالم الإسلامي تحت شعار أن الإسلام هو دين التسامح والمحبة والتعاون، وليس دين العنف كما تفهمه هذه الحركات، وللأسف الشديد أن الأنظمة استجابت للفهم الغربي ولبت النداء لمواجهة هذه الحركات بحجة أنها ليست على شيء من الإسلام. قليل الآن هو عدد المسلمين الذين يرون الخروج على الحاكم الجائر الفاسق، خروجاً غير شرعي، ولم تعد أغلب النصوص التي تدعو إلى طاعة الحاكم الجائر معتبرة بسبب ما وصلت إليه الأمة من تجزئة وضعف وفقدان للمركز القيادي، في حين أن الغرب لم يعد قادراً على اعتبار نفسه ذكياً لدرجة أنه يستطيع إخراج هذه الحركات من الإسلام. أو إثارة الشبهات حولها. . .

(١) را: الاجتماع السياسي، م. س. ص ٢٣٩.

(٢) را: الشيخ شمس الدين، محمد مهدي، في الإجتماع السياسي الإسلامي، م. س. ص ٢٥٢.

(٣) م. ع. ص ٢٢٧.

(٤) م. ع. ص ٢٣٠.

النظام، أو علي الأقل للقيام بمعارضته بطريقة تنقد أعماله وتصحح مساراته إذا أمكن، ولم يذكر الشيخ شمس الدين مايستفاد منه أن أسلوب العنف يمكن أن يكون مبرراً للخروج على الحاكم الجائر، وخصوصاً إذا كانت الحركات الإسلامية غير متيقنة من النجاح في مشروعها على مستوى التطبيق، فالعنف قد يكون مبرراً في حالة اليقين من نجاج المشروع ولا يكون مبرراً مع التأكد من حالة الضعف وعدم النجاح، ومن الواضح أن مقاطعة السلطة في كل عمل وتعامل من قبل جزء كبير من الأمة يؤدي إلى اخلال بالنظام العام لحياة المجتمع، وقد يؤدي إلى مجابهة مع النظام، ومع المجتمع وقد يؤدي إلى تعطيل مصالح كثيرة تؤثر على سير الحياة الطبيعي[1].

إن عدم اعتماد العنف كأسلوب في مواجهة الجور والظلم ليس من معانيه أبداً السكوت عليهما بحيث يفهم منه الإعتراف بهما، بل من معانيه السعي الحثيث من أجل إيجاد صيغة معينة تدفع هذا الظلم وترسخ العدل في المجتمع، اللهم إلا إذا تعرضت الحركات الإسلامية للقمع، فمعه لا تستطيع أن تنام على اللدم كالضبع، كما يقول الإمام علي (ع)، ولا أن تعطي انطباعاً بأنها ضعيفة. إن ردة فعل قوية قد تكون مبررة في ظروف معينة شرط أن لا تبقى ردة فعل، بل يجب أن تصبح الفعل نفسه فإذا لم يكن بالإمكان الصمود أمام القمع أو مواجهته، فلابد حينئذ من إجراء مصالحة، أو إقامة هدنة معينة تمكن الحركة من العمل على تقوية دعائمها من خلال التعاون مع كل التيارات الموجودة (مستفيدين من هذه الهدنة) لإنشاء المؤسسات الثقافية والتربوية، والدخول إلى الجامعات والتأثير فيها، النقابات أيضاً لأجل إنشاء شبكة تنظيمية غير سياسية، بحيث تصب درعاً لكل مجتمع، ولكل أمة في مواجهة الفساد، وفي مواجهة التطبيع (فيما لو نجحت مفاوضات ما يسمى بالسلام). . . يجب أن يتم هذا الأمر بالسلوك السلمي وليس بالعنف» .

ففي إيران مثلاً لم يكن هناك ثمة مجال لتحقيق الهدنة، وكذا في

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، محمد مهدي، مقابلة في جريدة السفير تاريخ ١٩٩٣/٩/٢٩.

السودان، وفي الجزائر في أجواء الديمقراطية، وفي أماكن أخرىٰ، باعتبار أن قراءة الواقع بدقة، ورصد المستقبل جيداً، وما هي عليه الأمة في الداخل ـ من رصيد داخلي، كل هذه تؤخذ بعين الإعتبار لإجراء مصالحه أم لا.

فالهدنة قد لاتكون لمصلحة الأمة، ومن هنا حاجة هذه الحركات إلى قيادين جديرين يتحملون المسؤولية، ويملكون النظرة الثاقبة في الأمور، ويستطيعون وضع الأشياء في مواضعها، وغالباً ما يخطىء هؤلاء في تقييم المرحلة، وأحياناً يقعون في خلافات حول ماينبغي فعله، أو اعتماده من مبادىء، هل تعتمد الديمقراطية، أم نرفضها، هل نقبل بالحضارة الغربية كلها أم نرفضها جملة؟. إلى ما هنالك...

إذن الحركة الإسلامية تحتاج إلى قيادة واعية، ومجتهدة ولديها القدرة على التحرك، وعلى مواجهة القمع التي تتعرض له من قبل الأنظمة، وأن تتحاشىٰ الصدام مع الموالين لهذه الأنظمة حتى لا تقع البلاد في فوضىٰ عارمة بين مؤيد ورافض، وبالتالي تكون الأمة هي الخاسرة لأن المؤيدين للنظام الجائر لا يملكون كل المعطيات، وليس لديهم أي شيء من شأنه أن يعرفهم بحقيقة مايجري، وأهم من كل ذلك على الحركة الإسلامية كقوىٰ معارضة أن لا تقع في فخ المواجهة مع نفسها، أو في حروب داخلية، لأن هذه الحرب، وما يتبعها من أساليب عنف يتعارض تماماً مع دورها وعقيدتها.

يقول الشيخ شمس الدين: «الشيعة مثلاً جزء كبير من الأمة، يحتاجون إلى حد أدنىٰ من الأمن السياسي والاعتراف الإجتماعي، والكفاية الإقتصادية ليتمكنوا من العيش الطبيعي والسلامة الإجتماعية السياسية والقدرة على التعامل مع سائر أجزاء الأمة الإسلامية والتفاعل معها، وهذا غير ممكن إطلاقاً إذا كانت هناك قطيعة مع النظام الحاكم ومقاطعة له، إذ أن في هذه الحالة تقع المجابهة مع النظام الحاكم وأجهزته القمعية والإدارية (كما يحصل في مصر، والجزائر، وتونس)[١] وستقع المجابهة مع سائر الأمة التي تعترف

---

(١) لم يتوان الشيخ شمس الدين لحظة واحدة في الدفاع عن الحركة الإسلامية وعن حقها في التعبير عن رأيها بحرية تامة، ومن جملة ما ذكره عما تتعرض له الحركة الإسلامية =

بشرعية النظام أو بضرورته، وهذا يتناقض مع مصلحة المعارضة ومع دورها، ومع عقيدتها»[1].

كما أنه لا ينبغي أن ننسىٰ الإختراقات التي يحدثها كل نظام جائر في سقف المعارضة، أو في جدرانها، وغالباً ما تقع بعض المجموعات في أفخاخ الاستعمار والموالين له، قبل أن تكون قد استوفت شروط الثورة عليه، أو المعارضة السلبية له، وقد تسنىٰ للغرب في مراحل تاريخية معينه أن يهزم هذه المجموعات من داخلها قبل أن تتمكن من تحقيق انتصارها الساحق عليه، لكن هناك بعض المجموعات، ونتيجه لوجود فقهاء كبار على رأسها ـ تمكنت من هزيمته قبل أن يعد العدة لمواجهتها، وعلى سبيل المثال نذكر ثورة التنباك في إيران ضد الإنكليز[2]، وثورة النجف، في العراق، وثورات

= في تونس قوله «. . . إن الإتجاه الإسلامي في تونس له الحق في التعبير عن رأيه، كما هو الشأن في كل الحركات الإسلامية الصحيحة، كحركة الإتجاه الإسلامي في جميع أنحاء العالم. من حقها أن تتمتع بالحرية، على مستوى التعبير، وعلى مستوىٰ العمل كما تتمتع سائر الأحزاب السياسية المعارضة، كما يتمتع اليسار التونسي، واليمين التونسي، أو الوسط التونسي، فإن من حق الإسلامين في تونس أن يتمتعوا بنفس الحقوق. ولنتذكر دائماً أن شعب تونس لاهو يسار ولا يمين، هو شعب مسلم، ويحق له أن يعبر عن عقيدة واتجاه ومضمون ينسجم مع تطلعاته، ويرقى به إلى كمالاته.

را: الشيخ شمس الدين، مواقف ودراسات، ج٣، م. س. ص ٢٠٤.

(١) را: في الإجتماع السياسي الإسلامي، م. س. ص ٢٤١.

(٢) هناك من يقول بأن الفقهاء الذين كانوا على رأس ثورة التنباك لم يستفيدوا من استعداد الشعب لإقامة جمهورية إسلامية، وهذا ما يعجب منه، إذ أنه كيف يمكن أن نتهم السيد الشيرازي مثلاً بأنه تجاهل هذا الاستعداد، ولم يستفد منه، ولماذا لا يقال بأن هناك ظروفاً معينة حتمت الوقوف عند هذا الحد، باعتبار أن الواقع لم يكن ليحتمل أكثر من ذلك، وان كل ما كان لدى هذا الشعب وظفه في هذه الثورة، بغض النظر عما كان عنده من طاقات داخلية، والحق يقال أن الشروط الموضوعية الخارجية التي كانت غير متوفرة آنذاك حالت دون ذلك، علماً بأن ثورة السيد الخميني (قده) لم تكن إلا امتداداً لتلك الحيوية، ونتيجة لذلك الاستعداد، وقد وفق الله لحصول ذلك، وأعطىٰ هذا الإمتياز بعد أن أكمل الشعب استعداده الداخلي. . . والخارجي.

أخرىٰ لا حصر لها، استطاعت أن تلحق به الهزيمة المادية والمعنوية بقدرات محدودة جداً.

لاشك أن العنف له ما يبرره فقهياً وسياسياً إذا كان هناك عدو غاصب للأرض ومدنس للمقدسات، والعداء معه عداءٌ وجودياً وليس عداءً سياسياً مثل إسرائيل ومن يقف ورائها في العالم، فهؤلاء يجيز الشرع استعمال العنف معهم شرط أن يكون هناك وعي كامل لكل ما يجري وما يحيط بالعالم الإسلامي ولنأخذ هنا مثال حي هو الانتفاضة داخل فلسطين فهل يستطيع أحدٌ من الفقهاء أن يقول لهؤلاء الثائرين على العدو من حقكم استعمال السلاح في مواجهته؟.

بالتأكيد لا أحد من الفقهاء يقول بذلك، لأن العنف الموجود الآن والذي يمارس بقوة في فلسطين له نتائج وإيجابيات أكثر بكثير مما لو كان هذا العنف عنفاً مسلحاً، لأن إسرائيل تستطيع أن تحقق نتائج أفضل في استعمال السلاح على الأقل إبادة الإنتفاضة...

وهناك مثال آخر، هو الإنتفاضة الشعبية في العراق، فعلىٰ الرغم من استعداد الشعب للتحرك، نجد أن هذه الانتفاضة تفتقر إلى شروط موضوعية في الداخل من حيث القدرات، ومن حيث طبيعة الوعي الشعبي الشامل. هذا فضلاً عن أن ضغوط الحلفاء حالت دون استمرار هذه الإنتفاضة[1]، وهنا نسأل، هل يطلب من الإنتفاضة انطلاقاً من استعدادها للثورة أن تستمر إلى ما لانهاية مهما كانت النتائج والتضحيات، أم أنه يطلب منها العمل من أجل إيجاد شروط موضوعية داخلية وخارجية؟ إن الاستمرار في الإنتفاضة على مستوىٰ ممارسة العنف ليس له ما يبرره شرعاً وسياسه، ولهذا أمر الفقهاء بالاستعداد، وبقراءة الواقع في ظل ما يمر به العالم اليوم من ضعف وهيمنة للإستعمار وخصوصاً أن الحلفاء تدخلوا لإضعاف هذه الثورة.

لاشك أن الانتفاضة كان على رأسها فقهاء عظام، لكن لم يكن بمقدورهم التحرك أكثر، والتاريخ فيه الكثير من هذه الحوادث، فقد يوجد

(١) انظر السيد فضل الله، الملف المعلومات، المركز العربي، م. س. ص ٩.

القائد، ولا توجد الشروط، وقد توجد الشروط ولا يوجد القائد. وهذا ما كان حاصلاً في العراق آن القائد كان موجوداً وفاعلاً. ولكن الشروط كانت معدومة. والظروف غير مؤاتية. ولو أن الظروف سمحت للسيد الخوئي (قده) بالتحرك للإطاحة بنظام الجور لكنا رأينا عجباً في طريقة تحقق النظام الإسلامي في ذاك الوطن الذي يحتوي على مقدسات المسلمين ومعالم وجودهم.

على كل حركة إسلامية في العالم ـ كما يقول الشيخ شمس الدين، أن تبحث عن الشروط الموضوعية في داخلها وأن ترصد المستقبل جيداً، لترى ما إذا كان بإمكانها تحقيق أي شيء في الواقع، ففي لبنان مثلاً أيقنت الحركة الإسلامية أنها لا نستطيع أن تطرح إقامة دولة إسلامية بالقوة نظراً لتنوع هذا المجتمع وعدم خلوصه إسلامياً، فكان عليها أن أخذت هذا التنوع بعين الإعتبار الذي يستحيل معه فرض نظام إسلامي بالقوة، واكتفت هذه الحركة بطرح مشروع ديمقراطي يتضمن العدالة والمساواة كون هذا المبدأ هو مطلب الجميع دون استثناء، من مسيحيين ومسلمين، لكن الذي حال دون تحقق هذاالمشروع الديمقراطي هو وجود بعض الرموز الطائفية التي تعودت على توظيف الدين في مشاريعها السياسية، وهؤلاء كانوا ولا يزالون يحولون دون بناء الوطن المستقل والحر والدولة العادلة. (بناء الدولة العادلة لمواطنين أحرار).

إذن المطلوب من الحركة الإسلامية هو هذا، أن تستمر في حمل مشروعها الإنساني، الذي يقضي بإعادة أسلمة المجتمع من تحت من خلال إقامة المؤسسات التربوية والثقافية، ومن خلال المشاركة والتعاون مع كافة التيارات السياسية سواء أكانت علمانية أم قومية، أن يتحدوا جميعاً في العمل مقابل مشاريع العلمنة الملحدة والتغريب، لأن هذا الأخير، أي مشروع التغريب، لا يعني الحداثة للمجتمع وإنما يعنى استلحاق واستتباع هذا العالم ومنعه من تحقيق وجوده ومن معانيه أيضاً استمرار الهزيمة على مستوى القرار والوجود. أما المشروع الإسلامي الذي يقضي ويتضمن الدعوة إلى إعادة أسلمة المجتمع (بعدما أضر به التغريب)، فهو ليس مشروعاً ضد الحداثة،

بل ينسجم معه ويتكامل «إن المجتمعات الإسلامية، بدرجات متفاوتة يمكن أن تكون نظائر لمجتمعات أوروبا الغربية، والأمريكية مع الآخذ بعين الإعتبار الطابع الأخلاقي الذي يتميز به المشروع الإسلامي عن غيره وليس من معانيه أبداً العودة بالبلاد والعباد إلى القرن الخامس أو السادس عشر، فالمجتمع المسلم يمكن أن يعيش في أجواء القرن العشرين ـ علينا أن لانقع، أنظمة، ومعارضة، في إفخاخ الاستعمار الغربي والصهيونية التي تقدم نفسها في المنطقة من خلال دولة إسرائيل على أنها واحة الحضارة ولا يوجد نموذج آخر غيرها»[1].

هذا الاستطراد اقتضته طبيعة الأسئلة التي جاءت في سياق البحث، وكان ضرورياً لأجل بيان معنىٰ التعاون والتكامل بين تيارات المعارضة، ومعنىٰ إقامة هدنة، وإجراء مصالحة إذا أمكن بين المعارضة والأنظمة. فالمبرر الفقهي للهدنة كما بينا، هو أنه لا يجوز المخالفة لمجرد المخالفة، في الوقت الذي لا يجب أن تكون هناك معارضة ساكنة لا قدرة لها على فعل شيء. أما إذا كان هناك محاولات لإفساد الدين، ولتهديد وحدة المسلمين، فإن ذلك يحتم المعارضة بكل أنواعها، لأن ذلك يكون بمثابة الاعتداء على الأمة، وعلى مصالح الأمة، وعلى قداستها.

وأما المبرر السياسي، فهو أنه يمكن لهذه الحركات أن تتعاون فيما بينها، ومع الأنظمة إذا أمكن لتحقيق أدنى خير للمجتمع الإسلامي، تجنباً لأي مواجهة تؤثر سلبياً على نموه وتكامله ووحدته وخصوصاً إذا علمنا أن الأئمة جميعاً حافظوا على المجتمع الإسلامي، من خلال الحفاظ على الوحدة الإسلامية، وتجنبوا كل ما من شأنه أن يؤدي إلى التجزئة. . .»[2].

فإذا كان الأئمة (ع) تخلوا عن الدولة والسلطة من أجل وحدة الأمة، وتماسكها، فحرىٰ بهذه الحركات الإسلامية الناهضة اليوم أن تقتدي بهؤلاء، وأن تستضيء بهم حتىٰ تحفظ الأمة، ولا تعرضها للخطر بمواقف سلبية،

---

(١) را: الوطن العربي، م. س.، العدد ٨٤٧، ١٩٩٣.
(٢) را: في الاجتماع السياسي الإسلامي، م. س، ص ٢٤٣.

وممارسات عنيفة لا جدوىٰ منها، وهذا ليس من معانيه أبداً الاعتراف بشرعية تلك الأنظمة التي لم تحقق أي شيء لهذه الأمة، لا هي وحدت الأمة، ولا ربتها على وعي مفهوم الأمة، ولا استطاعت أن توجه الناس بإتجاه الأهداف العليا، وكل ما فعلته هو أنها ربت الأمة على القومية والحزبية والمذهبية والوطنية، وكانت النتيجة ما نعلم جميعاً»[1]. . .

إن اعتماد الديمقراطية كنهج سياسي هو الخيار الوحيد (مهما كان هذا المبدأ ضيقاً لا يتسع لما في المشروع الإسلامي) الذي يؤدي بهذه الحركات إلى تطبيق الشريعة، وهو نهج مبرر شرعاً إذا كانت الأوضاع لا تسمح بإقامة دولة إسلامية يعتمد فيها مبدأ الشوري، فإذا ما تخلت بعض الحركات الإسلامية عن الديمقراطية للوصول إلى السلطة، فإنها تستطيع أن تبني الكثير من الأسس الثابتة التي تمكنها من الوصول إلى هذا الهدف، وبما أن هذه الحركات تقتدي بأئمة أهل البيت (ع) وبالخلفاء الراشدين فما عليها ألا أن تتخلىٰ عن السلطة وممارسة العنف من أجلها بحيث تستبدل ذلك بالعمل على إنشاء مؤسسات تربوية، وحينما تصبح الأمة مؤهلة للقيام بواجباتها كاملة، فستجد نفسها أمام هذه الحقيقة التي لابد منها في النهاية، تماماً كما فعل الإمام حينما قال لمن بايعه: دعوني والتمسوا غيري، وكانت النتيجة أن أصروا عليه وقبل بالمهمة السياسية بعد أن اشترط شروطاً. . . منها: إن قبلت ركبت بكم ما أعلم. . . ».

فالهدف من أجراء المصلحة ليس تعزيز دور الأنظمة، وجعلها أكثر قدرة على القمع، وإنما الهدف هو تمكين المجتمع من القيام بدوره وقول كلمته، وهذا لن يكون ممكناً إلا باعتماد الديمقراطية كنهج سياسي، وليس كسبيل للوصول إلى السلطة. إن السلطة أو ما يسمىٰ بالحكم السياسي لم ولن يكون مطلباً أساسياً للحركات الإسلامية، باعتباره غير مقدس، وإذا كان له شيء من القداسة فذلك إنما يكون له بما ينتهي إليه من قداسة، من حفظ الأمة، وحماية الشريعة من التحريف وسوء التأويل. أما أن يكون له قداسة

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، بحث الوسطية والوحدة.

ذاتية، فهذا ما لم نجد له أثراً في الإسلام ولا في السنة الشريفة. وقد أخطأ البعض حينما لم يميز بين الذي قدسه الله تعالىٰ، وبين ما يجب أن يكون أداة للحفاظ على هذا المقدس، ونعني الدولة. وهذا ما بينه الشيخ شمس الدين في كلامه عن المقدس وغير المقدس، حيث قال: إن الله تعالىٰ لم يتوجه بالخطاب إلى الدولة وإنما إلى الأمة[1]، فإذا كان الهدف من اعتماد الديقراطية الوصول إلى السلطة، فذلك يعني بشكل أو بآخر تعريض وحدة الأمة للخطر، لأن هذا الهدف يتطلب (الوصول إلى السلطة) أحياناً ممارسة العنف في سبيل شيء لا قيمة له في ذاته...

إذن هناك دعوة، عند الشيخ شمس الدين، للتخلي عن الديمقراطية إذا كانت تعني ممارسة العنف، والمقاطعة والقطيعة للنظام القائم، وقد ذكرنا أن مبرر الهدنة هو أن لاتقوم الحركات الإسلامية بدور يتعارض مع عقيدتها، ولا

---

(١) يقول الشيخ شمس الدين: «... على المسلمين في فكرهم وسياستهم أن يعودوا دائماً إلى هذا المقدس الذي قدّسه الله بقوله تعالى: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾** سورة آل عمران، آية ١١٠، وما أريد الإشارة إليه هو أن كل تشريع في الإسلام خوطب به إما الفرد المسلم وإما الأمة، ولا يوجد خطابات للدولة على الإطلاق، الأمر الذي يعني أنه في الفكر الإسلامي، وفي الشرع الإسلامي لم تلحظ الدولة باعتبارها مشروعاً مستقلاً بذاته ومفروضاً من فوق على الإطلاق، كما هو جوهر دولة هيغل. . أو كما هو الشأن في مشروع الدولة في الفكر الغربي، وإنما هي مؤسسة تنجزها الأمة فتنجح فيها أو تفشل أو قد تفرض على الأمة فتكون دائمة الفشل (كما هو شأن الدول القائمة اليوم في العالم العربي الإسلامي، باستثناء إيران) إلا حينما تستطيع هذه الأمة أن تجد مخرجاً تعبر به عن نفسها: را: مجلة المنطلق، عدد ٩٨. ١٩٩٣.

من هنا يبدو لنا أن مضمون دعوة الشيخ شمس الدين إلى اعتماد مبدأ الديمقراطية كنهج سياسي، وليس كسبيل للوصول إلى السلطة من قبل الحركات الإسلامية هو يعني في الجوهر أن لا تضحي هذه الحركات بالمقدس الذي هو الأمة من أجل الوصول إلى الدولة التي لم تعتبر بذاتها ولم تقدس. إن على هذه الحركات الإسلامية أن تعمل للوصول إلى السلطة من خلال وحدة الأمة وسلامتها، لأن سلامة المقدس هي ضمانة الفعل السياسي في الواقع، فإذا ما تعرض هذا المقدس للخطر، فإن أي فعل سياسي، أو أو أي جهاز سياسي لن يكون إلا فعلاً ضد الأمة...

ينتهي بها إلى الهدف المنشود.

في الوقت الذي يعمل فيه الحكام على تكريس سلطانهم غير المقدس، على الأمة أن تعمل للحفاظ على وحدتها، وعلى قداستها، وعليها أن تختار السبيل إلى ذلك، وأن تهيء الظروف للتحرك باتجاه هدفها، فإذا رأت أن الهدنة ممكنة وتؤدي إلى ذلك، فعليها الإلتزام بما تفرضه طبيعة المرحلة، وجوهرية الصراع. بحيث تكون النتيجة الوصول إلى الهدف الحقيقي والمقدس.

لقد نادت بعض الحركات بالمشروعية العليا، أو مايسمىٰ بالحاكمية، ومن هؤلاء السيد قطب الذي رأىٰ أن «مملكة الله في الأرض لا تقوم بأن يتولىٰ الحاكمية في الأرض رجال بأعيانهم هم رجال الدين ـ كما كان الأمر في سلطان الكنيسة، ولا رجال يحكمون باسم الآلهة ـ كما كان الحال فيما يعرف باسم الثيوقراطية، أو الحكم الإلٰهي المقدس، ولكنها تقوم بأن تكون شريعة الله هي الحاكمة، وأن يكون مرد الأمر إلى الله وفق ما قرره من شريعة. . . »[1].

فمبدأ الحاكمية ـ الذي هو لله تعالىٰ «إن الحكم إلا لله» يبقىٰ مبدأً مقدساً، ومنه الأمة تستمد قدسيتها فيما لو التزمت به التزاماً تاماً، لكن لا يجب الخلط بين هذا المبدأ الإلٰهي المقدس، وبين المسألة السياسية بما هي مسألة نسبية تبقىٰ خاضعة لإنسان غير معصوم يقرر فيها ما يشاء سواء أكان موافقاً لشريعة الله أم لا، ولقد بينا أن الإمام المعصوم تخلىٰ عن هذه المهمة في الوقت الذي تمسك فيه (وبقوة) بمبدأ وبحقيقة «إن الحكم إلا لله»، فشرعية المبدأ وتحققه ليست في أن يتولىٰ الإمام المعصوم السلطة، مهما كان الأمر وإنما هي في الأمة من دون أن يعني ذلك أن الأمة هي التي تقدس هذا المبدأ باعتباره مبدأ مقدساً في ذاته، وهذا ما يتفق فيه الشيخ شمس الدين مع رضوان السيد «الذي رأى أن أفكار سيد قطب لم تحظ بتأييد الجسم السياسي لجماعة الإخوان المسلمين، ففي نقاشات السجون في النصف

---

(١) معالم في الطريق، دار دمشق، دون تاريخ، ص ٨٢.

الثاني من الستينات، صاغ المرشد العام لجماعة الأخوان المسلمين (حسن الهضيني) وقادة آخرون نصاً تدوول بينهم ولم يطبع حتىٰ العام ١٩٧٧ بعنوان دعاة لا قضاة، يرفض فكرة الحاكمية بناء على فهم لها يقول أنه لا يجوز الخلط بين المشروعية العليا للمجتمع التي هي شريعة الله، والحكم والتدبير، وهي المسألة السياسية التي لا قداسة فيها. ولا ثيوقراطية لأنها آتية من عالم الكون والفساد. . . فالأخوان المسلمين جماعة دعوة وإرشاد، وليسوا جماعة سياسية حزبية تعتمد العقائدية الإطلاقية للوصول إلى السلطة»(١).

إن الديمقراطية ليست مقدسة إطلاقاً، وبما أنها كذلك، فلا يجوز البحث من خلالها عن مقدسات الأمة. إلا أنه يمكن اعتمادها كنهج توفيقي يحول دون تصادم الآمة مع نفسها أو مع الأنظمة التي تريد القضاء على مقدسات الأمة باعتمادها على مبدأ الديمقراطية أيضاً: وهذا ما يبدو غريباً، لكنه قريب جداً من المنطقية والعقلانية لأن الديقمراطية إذا لم تنته إلى تقرير حاكمية الله تعالى «إن الحكم إلا الله، فلن تكون حقيقية، وهذا ما تريد له الأنظمة أن يتحقق كونها لا تريد حقاً فيما لو كان هذا الحق يعني عدم الإحتفاظ بالسلطة من قبل هؤلاء، فبين ديمقراطية الأمة، وديمقراطية النظام يوجد تناقضات كثيرة، فالأمة تريد أن تحفظ قداستها من خلال الديمقراطية، وهذا حق لها. والأنظمة تريد أن تحفظ مكاسبها السياسية، وهذا ليس من الحق في شيء مما يعني أن الأنظمة ومن يقوم بها قد أخرجت نفسها من الأمة طوعاً، ولم يعد فيها ما يقدسها، بعد أن تعارضت طموحاتها النسبية مع طموحات الأمة المقدسة. كما أن بروز هذه التناقضات بين مطالب ومناهج

---

(١) را: ملف المعلومات، المركز العربي، م. س. ص ٢٨.

تجدر الإشارة هنا إلى أن الشيخ شمس الدين يختلف مع سيد قطب في تقديسه للمسألة السياسية، لكنه يتفق معه حول عودة الجاهلية إلى عالمنا اليوم. حيث أن النظرة المادية للكون هي القائمة والمعبرة، وكذا النظرة الحيوانية إلى الإنسان، فلم يعد الإسلام حياً في نفوس البشر، والأمة التي قدسها الله لم تعد حافظة لنفسها بسبب مالحق بها من خسارات على مستوىٰ القرار والوجود والمصير هذا فضلاً عن خسارتها للمركز القيادي، وكل ذلك بسبب عودة الجاهلية إلى حياة الناس الذين يعبدون أوثاناً وعلى حد أدنىٰ، أشخاصاً. . .

مختلفة لابد أن يؤدي إما إلى هدنة، وإما إلى عنف، فإذا كانت القداسة تحفظ بالعنف، فيجب أن يكون العنف، وإذا كانت تحفظ بالهدنة، فيجب أن تتحقق الهدنة على أن يكون الحال في كلا الخيارين من مصلحة الأمة... لا لمصلحة الأنظمة، بما هي أنظمة سياسية لاتتمتع بالشرعية...

قد يقال بأن استبداد الأنظمة والولاة هو في جوهره أعظم خطراً وأخبث أثراً من إثارة الفتن وإقامة الحروب في المجتمعات[1]، إنطلاقاً من كون مبدأ

---

(١) يستوحي من كلام السيد الطباطبائي أن الثورة هي السبيل الوحيد ـ المسلحة طبعاً ـ لإصلاح المجتمع فيما لو كان هناك حكام ظالمون يحولون دون ذلك، فهو ينقل عن الدر المنثور في معنىٰ قوله تعالىٰ: **﴿فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم...﴾** ما يلي'سورة النور: آية ٥٤.
يقول السيد الطباطبائي: «أخرج ابن جرير وابن قانع والطبراني عن علقمة بن وائل الحضرمي عن سلمة بن يزيد الجهني قال: قلت يارسول الله (ص): أرأيت إن كان علينا أمراء من بعدك يأخذوننا بالحق الذي علينا، ويمنعونا الحق الذي جعله الله لنا نقاتلهم ونبغضهم؟ فقال النبي (ص): عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم» ويضيف السيد قائلاً: «لاينبغي أن يرتاب في أن الإسلام بما فيه من روح إحياء الحق وإماته الباطل يأبىٰ عن إجازة ولاية الظلمة المتظاهرين بالظلم، وإباحة السكوت وتحمل الضيم والاضطهاد قبال الطغاة والفجرة لمن يجد إلى إصلاح الأمر سبيلاً... وقد اتضح بالأبحاث الإجتماعية اليوم أن استبداد الولاة برأيهم وأتباعهم لإهوائهم في تحكماتهم أعظم خطراً وأخبث أثراً من إثارة الفتن وإقامة الحروب في سبيل الجائهم إلى الحق والعدل» را: تفسير الميزان، ج ١٥، ص ١٥٩.
قد يظن القارىء أن هناك خلافاً كبيراً بين الشيخ شمس الدين والسيد الطباطبائي، فالأول يدعو إلى إقامة هدنة بين الحركات الإسلامية والأنظمة، بينما الثاني يدعو إلى إثارة الفتن والحروب فيما لو كانت الأهواء متحكمة بالناس، وذلك يكون أفضل بكثير من السكوت على هؤلاء الظالمين المتظاهرين، ولكن يمكن أن يحمل كلام السيد الطباطبائي هنا على النسبية وليس على الإطلاق، وهذا ما يفهمه الباحث من كلامه الآنف الذكر، (لمن يجد إلى إصلاح الأمر سبيلاً)، وقد يكون السيد الطباطبائي مفضلاً للثورة مهما كانت نتائجها على إقامة هدنة مع مَن يظلم المجتمع ويفسده. إلا أن ذلك كله يبقىٰ مشروطاً باستعداد الأمة وباستمرار الإسلام فيها، باعتبار أن انعدام ذلك من شأنه عدم تحقيق أي إصلاح في المجتمع سواء أقامت بالثورة، أو أقامت هدنة، ففي هذه الحالة تكون الأمة هي الخاسرة، والأنظمة هي الرابحة... =

الديمقراطية ـ فيما لو اعتمد ـ يخدم الأنظمة ولا يخدم الأمة، فما هو معنىٰ أن تعتمد الأمة مبدأ ضعيفاً لا يحقق لها ما تريده من أهداف؟؟.

وهنا يقال توضيحاً لما قد يطرح من تساؤلات: إن الديمقراطية ـ فيما لو اعتمدت ـ لا تنطلق من فراغ في سبيل تحقيق الأهداف المنشودة للحركة الإسلامية وإنما هي تنطلق من واقع هذه الأمة، وتتحرك وفق التنوعات الموجودة، وكما قلنا سابقاً أن المجتمع الإسلامي الخالص ليس من واجبه أبداً اعتماد الديمقراطية لا كمنهج سياسي ولا كسبيل للوصول إلى السلطة باعتبار أن الشوري هي الملائمة لمثل هذا المجتمع الخالص. أما الديمقراطية التي تتحرك في واقع متنوع، فيمكنها تحقيق أشياء كثيرة للحركات الإسلامية، هي تمكنها أولاً من التعبير عن رأيها، ومن ثم تجعلها قادرة على التغيير مهما كان استبداد الحاكم الظالم قوياً، على خلاف ما لو اعتمد العنف وإثارة الفتن، بدليل أن الحاكم، (حتىٰ ولو كان غير مؤمن بهذا المبدأ) في ظل إثارة الحروب والفتن يكون قادراً على التحلل من كل المبادىء حتى الأخلاقية منها بحجة أن الفتن تمنعه من إتاحة الفرص لجمهور الأمة كي يعبر عن رأيه، وهو لا يملك القدرة على أن يكون معارضة بناءة في ظل المشاغبة الحاصلة: وهذا بالفعل ما نشهده في العالم الإسلامي اليوم حيث تعلن الأحكام العرفية، ويطارد المؤمنون تحت شعار عودة الأمن والاستقرار، تحت شعار حماية العملية الديمقراطية!؟...

= كما أنه لا ينبغي أن يفهم من كلامنا هذا أن الشيخ شمس الدين يدعو إلى إقامة هدنة أو مصالحة مع الأنظمة فيما لو كانت الحركات الإسلامية قادرة على إصلاح الحال والتغيير الجذري. باعتبار أن مبرر الهدنة والمصالحة هو العجز عن الإصلاح، وانعدام الشروط الموضوعية لتحقيق النصر التي تعمل له هذه الحركات. فإذا كانت الحركات الإسلامية تملك كافة الشروط لإحداث انقلاب ما في واقعها، وقادرة على تحكيم الإسلام في أمورها، فمن الواجب عليها أن تقوم بالثورة البناءة لأجل أسلمة المجتمع من فوق، ومن تحت أيضاً. ولا نعتقد بأن السيد الطباطبائي في قوله الآنف الذكر، يدعو إلى ثورة عقيمة تنتج مزيداً من الفوضى والظلم، بل يمكن فهم كلامه على الوجه الذي ذكرناه أعلاه، من أن الثورة تبقىٰ مشروطة بحياة الإسلام في الأمة، واستعدادها للتغيير. والله أعلم بما وراء القصد.

يجب على الحركات الإسلامية ـ كما يقول الشيخ شمس الدين ـ أن لا تعطي الأنظمة أي مبرر للقيام بأعمال القمع والمطاردة، وأن تكون مبررة لنفسها بدل أن تسمح للنظام بالتعبير عن نفسه من خلال التصدي لها تحت شعار حماية الأمة والدولة. الشيخ شمس الدين يعلم بأن ديقمراطية الولاة الجائرين تعاني من فراغ كبير، وغالباً ما تتحول هذه الديمقراطية إلى استبداد، وبإمكان الأمة استيعاب حركة الحاكم عن طريق استمرار الإسلام في الأمة، وقوته فيها، فهذا النظام حينما يعرف بأن استبداده مهما كان قوياً لا يمكنه إضعاف الأمة بسبب استمرار الإسلام قوياً فيها، فذلك يجعله يعاني من الضعف، ونكاد نقول من الهزيمة. أما إذا كان الإسلام ضعيفاً في الأمة وغير معاش من قبل أعظم أبنائها[1]، فهذا يُحدث في ولاة الجور قوة على الإستبداد، فقبل إثارة الفتن والحروب على الأمة أن تعزز نفسها بالإسلام نظرياً وعملياً وحينئذ يمكنها أن تثير الواقع. بمشروعها السياسي، عليها أن تقوم بما حملت. . . وإلا فإن الفتنة ستمنعها من التغيير وستحول بينها وبين ما تسعىٰ إليه.

لا يقال عن الديمقراطية ـ في مجتمع متنوع انها ضعيفة ولا تخدم الأمة، وانها تقوي الاستبداد وحكام الجور، باعتبار أن الديمقراطية إنما تكون قوية حينما يكون المجتمع قوياً برصيده الداخلي، وتكون ضعيفة حينما يكون المجتمع ضعيفاًفي محتواه الروحي، وهذا ما قصدناه بأنها لا تأتي من فراغ، فإذا كان المسلمون أقوياء بالإسلام في مجتمع متنوع، فهذا من شأنه أن يمنحهم قوة هائلة تعزز وجودهم وتجعل من مشروعهم السياسي مشروعاً حياً، وأحياناً تمكنهم من تحقيق مشروعهم السياسي في الوقت الذي يعجز فيه الجميع عن تحقيق مشاريعهم السياسية.

---

(١) يقول الشيخ شمس الدين: «. . . مشروع الدولة على المستوىٰ النظري نتيجة ضرورية للتشريع، وأن إقامة هذه الدولة على المستوى العملي في المجتمع السياسي، هو نتيجة ضرورية لكون الأمة مسلمة وملتزمة بالشريعة» را: في الإجتماع السياسي الإسلامي، م. س. ص ٥.

إن الأمة الواعية سياسياً والمالكة لنفسها والقوية بدينها لا تحتاج أبداً إلى إثارة الفتن والحروب (من أجل الجاء أي حاكم جائر إلى الحق والعدل) مهما كان الاستبداد قوياً، كما أن الحاكم لا يستطيع الوقوف إلى مالا نهاية في مواجهة هذه الأمة الواعية القادرة على فرض نفسها، وخير مثال على ذلك هو شاه إيران الـذّي ظن بنفسه خيراً وقوة حينما واجه الأمة وما لبث أن سقط مذعوراً أمام غبائه ووعي الأمة. فالديمقراطية ليست هدفاً، والهدنة ليست مطلوبة لذاتها، وإنما مطلوبة لما تحققه من مكاسب للأمة. . .

يبقىٰ أن نقول: إن الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي تتحرك في الواقع بهدف إصلاحه، فهي إن اختارت الهدنة مع الأنظمة الجائرة، فذلك إنما يكون بهدف الإصلاح في المجتمعات وفيما بينها، وكذلك إن اختارت العنف في حالات سيئة، فكل ما تختاره تكون واعية له حتىٰ وإن أخطأت عملانياً في ظروف معينة، وبما أن الهدف هو الإصلاح، فلا خوف عليها من أن تهزم مادامت هي قادرة على إيجاد الإطار العام الذي يخرجها من دائرة الفتنة والحرب الداخلية، ومن دائرة التخلف إلى دائرة النهوض. . .

خلاصة واستنتاج

إنطلاقاً مما ذكره الشيخ شمس الدين، في الإجتماع السياسي الإسلامي، وانتهىٰ إليه في تحليله للروايات التي تمنع التعامل مع ولاة الجور أو تبيحه نرى أنه لابد من الإشارة إلى بعض المسائل التي يمكن استنتاجها من جملة التحليلات هذه. . .

أ : إن الروايات التي تمنع من التعامل مع ولاة الجور، كما عرفنا، هي تندرج تحت قاعدة عامة، هي كل عمل وتعامل يتضمن أو يلازم اعترافاً بالشرعية أو يكون ظالماً أو مشاركة ومعاونة عليه، وكل شخص ضعيف الشخصية غير ملتزم بالشرع ونهج العدالة الإسلامية والأخبار المانعة جميعها واردة في بيان حكم هذه الموارد. . .

وكذلك عرفنا أن الروايات التي تبيح التعامل هي لأجل أهداف عدة من جملتها عدم إظهار الجماعة المؤمنة بمظهر الجماعة المنفصلة عن المجتمع،

ومن ثم بغاية تطعيم الجهاز الحكومي الفاسد بالعناصر البشرية الكفؤة والمؤمنة والصالحة بحيث تخفف من الظلامات عن المؤمنين وتكون في خدمتهم بدلاً من العناصر الفاسدة التابعة للنظام[1].

فإذا كان الهدف من المنع أو الإباحة هو حفظ الشريعة وحماية الأمة، ومساعدة الناس على تدبير أمورهم ورعاية مصالحهم، فإن كل ذلك، كما يقول البعض، في ظل الدولة الظالمة، والحكم الجائر المفروضة من فوق لا يمكن الوصول إليه، بدليل أن الأنظمة الجائرة قد تمكنت ـ بفضل مساعدة الغرب لها من تجزئة الأمة، ومن تحريف العقيدة، ومن إحلال المذهبية والطائفية والقومية وغير ذلك مكان مفهوم الأمة الذي لم يعد سليماً بعد أن تعرض للتشويه من قبل هذه الأنظمة والحكومات حيث انقسمت المنطقة، كما يقول الشيخ شمس الدين، إلى دول غير طبيعية تعمل كل دولة لحسابها الخاص بعيداً عن فكرة التعاون، وعن حقيقة الأمة الواحدة ذات المضمون العقائدي الواحد، وذلك كله يظهر بوضوح في النهايات التي انتهى إليها العالم العربي ـ الإسلامي بعد أن أجبرت الأنظمة على توقيع معاهدات سلام مع إسرائيل، وتخلي البعض منها عن فلسطين تحت شعار أنها قضية تخص الفلسطينيين، ولا يمكن رفض ما قبله أصحاب القضية. . . !؟

بعد كل هذا ندخل في بيان معنىٰ أن يكون هناك ضرورات للأنظمة وخيارات للأمة، مادام الشيخ شمس الدين قد فتح هذا الباب، وأعلن هذا الشعار، وطلب من المثقفين والعاملين في الحقول السياسية والثقافية والفقهية أن يناقشوه من جميع جهاته وبعمق لعلهم ينتهون إلى البديل الذي نبحث عنه جيمعاً. . .

نحن، وعلى الرغم من جهلنا بكثير من الأمور، رأينا أن من المناسب طرح هذا الرأي لعله يفيد في بلورة مضمون هذا الشعار الذي قيل عنه أنه غير وافٍ بمقصود الأمة، ومطلوب للأنظمة التي تحاول إيجاد مبررات تدعم بها خطواتها نحو الإستسلام مع علمنا المطلق بأن الشيخ شمس الدين يقول

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، في الإجتماع السياسي، م، س. صص ٢٤٠ ـ ٢٥٠.

بالضرورات من واقع ضعف الأمة، وإلا لو كانت هذه الأخيرة قوية لما كان هناك ثمة حاجة إلى إعلان هدنة أو إجراء مصالحة، وسيأتي الحديث عن معنى أن يكون للأنظمة ضرورات.

إن معنىٰ أن تكون الدولة فوق الأمة، أنّ تكون هذه الأخيرة خادمة للدولة ومعبرة عنها، وهذا ما استطاع الغرب وأعوانه من تحقيقه طيلة السنين الماضية، وكانت النتيجة أنه كلما قويت الدولة ضعفت الأمة.

فالدولة القوية التي لا تحمل مشروع الأمة كانت دائماً تقوىٰ على حساب الأمة التي لم تتمكن من تحقيق مشروعهاالإلٰهي بسبب ضغط الغرب والأنظمة الموالية له على الأمة. والحق يقال أنه بعد غياب الإمام المعصوم لم يعد لتطعيم الجهاز الفاسد بالعناصر الصالحة المؤمنة أية فائدة لما تملكه هذه الأنظمة من أجهزة قادرة على التحكم بالواقع جيداً، وإذا اعتدلنا نقول أن التطعيم أخسر الأمة الكثير من العناصر الجيدة الصالحة، باعتبار أن كثيراً من هؤلاء قد تحولوا من موقع الأمة إلى موقع النظام مما زاد الطين بلة، ففي الوقت الذي كانت فيه السلطة للثقافة حينما كانت الأمة قوية، فقد أصبحت السلطة لثقافة السلطة آخذاً لقوة الدولة بعين الأعتبار بعد ما تم فرضها من فوق، والدليل على ذلك هو أن الدولة ذات النموذج الغربي هي تحمل مشروعاً خاصاً بها لا يعتبر مصالح الأمة ومشروعها. كما أنها ـ أي الدولة ـ تعمل من أجل تحقيق مشروعها على حساب الأمة ومقدساتها، ومن هنا قد يقول البعض: ان ضروروات الأنظمة حتى ولو قدرت بقدرها لا يمكن أن تكون في صالح خيارات الأمة ومشروعها لأن فرض الدولة من فوق قد أدى بشكل أو بآخر إلى استمرار هذه الضرورات وتعديها إلى ما هو من شأن الأمة. مما يعني أن خيارات الأمة، يراد لها أن تختزل بحيث تصبح ضروروات، أو أن الضروروات يراد لها أن تختزل بحيث تصبح خيارات، وكل ذلك من الأنظمة وإليها بدليل أن الأمة لم تعد العدة بعد لتأكيد نفسها وتثبيت خياراتها ويمكن أن نستثني من ذلك بعض الدول والشعوب الإسلامية التي تعيش في أجواء خياراتها بعيداً عن ضرورات الشؤم والعار. وقد يقال أيضاً أن الدولة التي لا تحمل مشروع الأمة هي غير قادرة، بل لا يمكنها

الإعتراف بخيارات الأمة، كونها تتحرك في الـواقع من خـلال مؤسسات تـابعة لهـا ومفروضـة أيضـاً لأجـل أن تكـون ليس فقط صـاحبـة الضـرورة المقـدرة بقدرها، بل صاحبة الخيار أيضاً، لهذا نجـد بعض الأنظمـة قد اعتبـر التوقيـع على معاهدة السلام الذليل خياراً لـه وليس ضرورة، بقـوله أنه لا يـوجد خيـار آخر غير الذي قمنا به لتحقيق السلام في منطقة الشرق الأوسط!؟

من الأمثلة الـدقيقـة والحيـة على ذلـك أن بعض الـدول في العـالم العربي، وخصوصاً دولة مصر عملت لأجل أن تعطىٰ نفسها صفة القداسة بعد أن وقعت على اتفاق كمب ديفيد، حيث أنها اعتبرت استفتاء الأمة على قبـول السلام مع إسرائيل انجازاً مهماً، ولا بـد مـنه فيما لو كان يراد لهذه المنطقة، ولمصر خاصة، أن تعيش أجواء الأمن والاستقـرار بعد جملة من الهـزائم. . . يقولون: إن الاستفتاء في مصر أدىٰ إلى الاعتراف بالسلام، والجزء الأكبـر من الأمة أيده، ومـا فعلته الـدولة لايتعـدىٰ رغبة الأمـة الطالبـة للسلام والمـدافعة عنه؟!. .

لاشك أن بعض الأنظمة استطاع أن يحـول الضرورة إلى خيـار منسوب إلى الأمة باسم الـدولة فكـانت الدولـة هي الأمة، وليس العكس، والمقـدس الـدولة وليس الأمـة، لكن الحقيقة ـ كمـا يقول الشيـخ شمس الدين، هي أن الأمـة لـم ولن توافق على السـلام المزعـوم والـرخيص، ولن تحمـل مشـروع الدولة المفروضة عليها، باعتبـار أن الأمة هي المقـدسة وليس الـدولة، فهـذه الأخيرة يجب أن تكون في خدمة الأمة حتى يصح القـول أنها تحمـل مشروع الأمة[١].

لقـد عجـزت الأمـة، بسبب ضعفهـا والتجـزئـة ـ وتحت ضغط الـدولـة المفروضة عليها عن قول رأيها بحرية تامة، وهذا الأمـر لن يكون حكـراً على مصـر فقط بـل قـد يتعـداهـا إلى شعـوب أخـرىٰ يمكن أن يُنسب لهـا من الضروروات ماهي بريئة منـه، لكن قوة الـدولة هي التي تعبـر عن كل شيء، فـالأمة مسؤولـة عن الوحـدة حتى يتسنىٰ لها فـرض خياراتهـا المنسجمـة مـع

(١) را: الشيخ شمس الدين، مجلة المنطلق، عدد ٩٨.

تطلعاتها ومبادئها، وإلا فإنها سترىٰ الكثير من العجائب في المستقبل فيما لو استمرت على ما هي عليه من تقليد وتبعية. . . وتجزئة.

إن ما ذكره الشيخ شمس الدين من أن أي شعب هو أعظم من دولته، ومن حكومته ومسؤوليه يستقيم فعلاً في معناه فيما لو تم احترام خيارات الأمة، أما أن يكون للشعب قيمه وخياراته تصادر، أو أن ينسب إليه ما هو بريء منه، من الضرورات التي تؤدي إلى تهميش دور الأمة وإذلالها فذلك مما يجعل من المعنىٰ غير مستقيم، لما ذكرناه من أن الشعب إنما يكون أعظم من دولته ومن حكومته حينما تحترم خياراته وتراعي مبادئه. وتحفظ قيمه. . .

ليس معنىٰ أن يكون للأنظمة ضرور ات، أن تقوم الأمة باحترامها من دون النظر في مضمونها، وفيما تؤدي إليه في الواقع الإسلامي، لأن ضرورات الأنظمة إذا لم تقدر بقدرها يمكن أن تؤدي إلى مزيد من الضعف والشلل والتجزئة، وقد تؤدي، حتماً، إلى تكريس سلطان الدولة المفروضة من قبل المستعمر، وبقاء الدولة الواهمة بأنها أعظم من الأمة، إضافة إلى ما يمكن أن يحصل من تحويل الضرورات إلى خيارات لاتمت إلى الأمة بصلة، وذلك باعتبار أن التناقض في الأصل ليس بين الضرورة والخيار، وإنما هو بين مشروع الدولة الغربي، ومشروع الأمة الإسلامي، فالغرب كما قلنا، يريد لهذه الأمة في ظل التجزئة، ومن خلال الأنظمة أن تكون خادمة لدولته، فإذا كانت هذه الأخيرة، كما يقول الشيخ شمس الدين، مؤسسة تنجزها الأمة فتنجح فيها أو تفشل، وقد تفرض على الأمة فتكون دائمة الفشل[1]» فمن أين يكون لها القدرة على تحقيق خيارها، أو على الأقل الاحتفاظ به والدولة مفروضة عليها من فوق وتترجم ضروراتها، إلى خيارات: وقد بينت الأحداث أن الأمة حتى اليوم ـ باستثناء بعض الشعوب الإسلامية ـ فشلت في التعبير عن نفسها من خلال مؤسسة تابعة لها. . .

إن الأمة حينما تنجز مؤسسة الدولة لا يبقىٰ لهذه الأخيرة أية ضرورة تحتم عليها الخروج على ما تريده الأمة، لكن حينما تفرض الدولة على

---

(١) م. ع. م. ن.

الأمـة، وتفشل هـذه الأخيرة في تحـديد الأولـويات أو في تحـديد الخيـارات وضمان معانيها، كما هو حاصل اليوم في العالم العربي، فـإن كل ذلـك يدل على أن الأمة في المهادنة لن تحقق أهدافهـا ـ في حفظ خياراتهـا وترجمتهـا ـ مادامت تعيش أجواء التجزئة والمذهبية والقومية وغير ذلك مما تربي عليـه من قبل الأنظمة. .[1]. كما أنه لن يسمح لهـا من خلال الهـدنة وفي أجـوائها أن تعبر عن نفسها من خارج الدولة المفروضـة عليها، أو أن تـطالب بما هـو حق لها من خارج هذه الدولة.

قد يقال: إن ضعف الأمة وعدم قيامها بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بما هو مبدأ أساس في الفقه السياسي الإسلامي، هو الذي أنتج هذه الضرورات، وهؤلاء الطواغيت، وهي عندما تقوم بهذا الأمر لابد أن تعبـر عن نفسهـا من خلال دولـة تحمـل مشـروعهـا ومنبثقـة عنهـا، وبمـا أن الأمـة هي المسؤولة عن إنتاج الضرورات، فلا ينبغي لها تجاوزها من موقع ضعفها أو أن تثير الواقع بشعارات المقاطعة وعدم الشرعية وما يتولد عنهما من عنف. فالأمة يمكن أن تعيش الهدنة بهدف امتلاك الذات، وأحياء ما قد مـات من المبادىء الإسلامية ومن جملتها مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. . .

ويمكن أن يرد على ما تقدم، أنه إذا كـان ضعف الأمة ومـا تربت عليـه من مفـاهيم مضادة لمفهـوم الأمة، قـد أدىٰ إلى فرض الـدولة من فـوق، فهل اعتراف الأمة ومراعاتها للضرورات يؤدي إلى قوة الأمة، أم إنه يؤدي إلى مزيد من الضعف والتجزئة. . !؟.

لاشـك أن التحليل العقلي والمنـطقي ينتهي بالمتـأمل إلى إعـلان هذه الحقيقة، وهي أن الأمة تحتاج إلى صدمـة تثبت الخيارات وتلغي الضـرورات إلا ما يوافق منها الخيارات، باعتبار أنه لايمكن الاعتراف بالضرورة التي أدت إلى السلام مع إسرائيل وهنا تجدر الإشارة إلىٰ أن الشيخ شمس الـدين يدعـو إلى الحد من نفوذ الضرورات ولا يدعو إلى الإعتراف بهـا، كون ذلـك إذا ما حصـل، يعتبر تنـازلاً عن أهم خيارات الأمـة وأكثرهـا سلامـة وانسجـامـاً مـع

---

(١) را: بحث الوسطية ووحدة الأمة. م. س.

العقيدة، الخيار الذي يقول لا للتنازل عن القدس، ولا للإعتراف بدولة إسرائيل في فلسطين، وقد يقال أيضاً أنه كان من ضرورات الأنظمة التوقيع على اتفاق سلام مع إسرائيل والذهاب إلى مدريد، والآن هم في الطريق إلى فرض التطبيع، ولا يمكن القول أنه غير ممكن الفرض، بدليل أن الذي فرض الدولة لمدة خمسين سنة وأكثر يمكنه فرض التطبيع في ظل ماهي عليه الأمة من تخلف وعدم وحدة، وعدم قيامها بواجبها، بعد أن فرض التوقيع على الأنظمة، وليس دقيقاً أن يقال التوقيع فرض باعتبار أنه موافق لمضمون وشكل الدولة القائمة، حيث اقترن قيام هذه الدولة، وهذا النظام مع زرع إسرائيل في فلسطين ومن مهام بعض الأنظمة تكميل هذا المشروع الاستراتيجي في المنطقة. . . !؟

فالأمة لا تستطيع أن تواجه الأنظمة ومن وراءها بحجة أن خيارها يمنعها من القبول بنتائج التوقيع أو التطبيع، فإذا هي أصرت على مواجهة التطبيع من موقع التجزئة، والمذهبية، والقومية وغير ذلك، فإنها حتماً ستقع في فخ المواجهة مع الأنظمة الغير شرعية، مع الدول القائمة، كونها أي الأنظمة تعتبر التطبيع من ضروراتها أيضاً كما التوقيع، وهنا يمكن تعليل هذه المسألة التي يتسلح بها كل نظام فنقول: إن التوقيع ـ كما تفهمه أمريكا وإسرائيل، هو مقدمة لترجمة الضرورات بحيث يكون التطبيع من نتائجها، مما يعني أن محاربة التطبيع ستدخل الأمة سواء أرادت أم لا في مواجهة مع الدولة، وهذا ما يجعل من الهدنة أمراً غير ممكن في ظل إصرار الأمة على مواجهة المشروع الاستعماري في المنطقة الذي يقضي بتحويل إسرائيل إلى دولة تمثل المدنية والحضارة في منطقة الشرق الأوسط!؟

الناس إنما هم في هدنة، حينما تكون الدولة فعلاً غير متجاوزة لحدودها وضروراتها مثلما نقرأ في التاريخ عن تلك الأنظمة بعد عصر الخلفاء الراشدين، التي كانت تحسب ألف حساب لمشروع الأمة وللإمام المعصوم، على خلاف ماهو عليه الحال اليوم من ضرب الأمة عرض الحائط وعدم الاعتبار لمشروعها، وقد عبر البعض عما في نفسه بتأويله لآية: **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾** حيث اعتبر المخاطبين بها هم

اليهـود الـذين كـانـوا بـالمـدينـة ولم يكـونـوا يحكمـون بـالتـوراة، أيـام النبي (ص)، ولا شأن لها بحكام الوطن العربي اليوم»!

لقـد تهدد مشـروع الأمة، وكـذلك خيـاراتها، حينمـا أصبح ممثلوه في خدمة السلطان! وفي موقع الدفاع عن الأنظمة الجائرة بحجة أنه لا يجوز خلع الحاكم مهما كانت المبررات وتحت شعار «جور السلطان ستين عاماً خيـر من ليلة واحدة بغير سلطان كما ذكر ابن تيمية في السياسة الشرعية». وكما يقول الغزالي من أن أربعين عاماً في جور السلطان خيـر من رعية من دون سلطان ليلة واحدة.. إلى ما هنالك من أحاديث تدعو إلى إعطاء السلطة والطاعة لهـا طابعاً دينياً حتى ولو وصل الحاكم إلى السلطة بـالقوة عن طـريق خلع الحاكم الموجود. إن الضرورات بدأت من هنا، والحديث عنهـا ليس ابن ساعـة، بل هو قديم قدمها، وما يحصل الآن هو نتيجة لصمود الأمة أمـام هذه الشعـارات والأحاديث التي تعطي الحاكم طابع القداسة مهما كان لونه وشكله ورائحته... والحديث ذو شجون وآخر خيار لممثلي الأمة كان في اجتماع عقد في إحـدىٰ الدول العربية وحضره أكثر من سبعماية عالم (٧٠٠) في أثناء حرب الخليـج، وكانت نتيجة الإجتمـاع إدانة الجمهـورية الإسـلامية الإيـرانية، إدانـة خيارات الأمة، ويبقى السؤال من أين السبيل الى خيارات الأمة؟

إذن الهدنة ستكون مستحيلة إذا قررت الأمـة مواجهـة التطبيـع وتدخلت الأنظمة لفرضه بدعم أجنبي، والغرب وراء الأنظمة وعنده ثقة كاملة بأن فرض التـطبيع يمكن أن يتم، بـاعتبار أن فـرض الدولـة في السابق على الأمـة كـان مقدمة لفرض إسرائيل، ومن ثم لفرض التطبيع معهـا كونـه لا يريـد الاستمرار في دعم إسرائيل بالمال إلى ما لانهايـة. وقد تحققق هـذا الأمر، وليس هنـاك ثمة شكوكٌ تراود الاستعمار فيما ينوي فعله في المنطقة بعد أن قطعت شوطاً كبيراً في السلام على حد زعمه. وكذلك ستمنع الأمة من إيجاد نماذج أخـرىٰ للتعبيـر عن نفسها، كـونهم يريـدون لها أن تبقىٰ في خـدمة مشـروع الدولـة، ومعبرة عن نفسها من خلال دولتهم، وما نجده من صدامات وعنف في العالم العربي والإسلامي سببه أن الأمة تهرب من الدولة لأيجاد مخارج تعبر بهـا عن نفسها، والغرب والأنـظمة المـواليه لـه يمنعونهـا من ذلك فيتسبب هـذا المنع

بمزيد من العنف الذي نسمع عنه في كثير من البلاد الإسلامية. وقد حالف الحظ بعض الحركات الإسلامية، كما يقول الغرب، وأنشأت دولة تحمل مشروعها، لكن لا ينبغي أن يتكرر ذلك في المستقبل...!؟.

وقد يقال أيضاً: إن الجمع بين الضرورات والخيارات في ظل ميزان القوي الحالي قد يُغلب الضرورات على الخيارات، مما يؤدي إلى مزيد من الظلم والتجزئة، بل إلى مزيد من الإفساد في الدين أيضاً وهذا ما حذر منه الشيخ شمس الدين. فالأمة ـ كما قلنا ـ أمام أمرين اما أن تقبل بضرورات الأنظمة، وإما أن تترجم خياراتها، فهي لا تستطيع أن تحمي خياراتها بضرورات الأنظمة، ولا الأنظمة بإمكانها أن تحمي ضروراتها بخيارات الأمة، فهما نقيضان لا يجتمعان، وحيث يجتمعان يتولد منهما العنف وغير ذلك مما نشهده ونعاني منه في أغلب البلاد الإسلامية، فإما أن تختزل الخيارات الضرورات وإما أن يحصل العكس من ذلك، باعتبار أن الغرب يريد لخيارات الأمة أن تكون من ضمن ضرورات الأنظمة وليس خارجها أو مقابلها، والخيار الحقيقي إنما يكون حينما تصبح الدولة مؤسسة من مؤسسات الأمة، والأمة أعظم من الدولة وفوقها[1]، وهذا لن يكون ممكناً في ظل التجزئة وانعدام

---

(١) هنا تبدو لنا ملحوظة هامة جداً، وهي أن الدولة التي تحمل مشروع الأمة ليس لها أو عندها ضرورات تتناقض مع خيارات الأمة، كما هو حال الدولة الإسلامية في إيران التي أنجزتها الأمة وجعلتها خادمة لها خلاف ما يريده الغرب الذي سعىٰ جاهداً لأجل تعطيل دور الأمة ومؤسساتها. فقد يكون للدولة ضرورات، إلا أنها من ضمن خيارات الأمة. وحيث تكون الدولة مؤسسة من مؤسسات الأمة، تكون الخيارات فاعلة ومؤثرة ومحققة لمكاسب كثيرة. فإذا كانت الضرورات والخيارات في البلاد التي تفرض فيها الدولة من فوق متناقضة، فإن هذه الضرورات والخيارات لا تكون كذلك في البلاد التي فيها للأمة القرار أولاً وأخيراً، ونحن نقول بالضرورات في البلاد التي تكون فيها الدولة خادمة للأمة تجوزاً باعتبار أن هذه الضرورات ثانوية جداً مقابل حيوية الخيار التي تمتلكه الأمة، وهذا ما بينته التجربة في الجمهورية الإسلامية.. فكل شيء فيها تقرره الأمة. وما على الدولة إلا تنفيذ أوامر الأمة... وإذا كان هناك ثمة ضرورة معينة تفرضها التطورات الداخلية أو الخارجية، فإن الأمة هي التي تسمح للدولة بالتصرف وفق ما تقتضيه الظروف والأحوال، وليست المبادرة بيد الدولة إطلاقاً. فكل شيء من الأمة وإلى الأمة سواء أكان ذلك عبر الدولة أم لم يكن...

التربية، ومفهوم الأمة الواحدة. ان وحدة الأمة هي الشرط الأساسي لإنجاح أي خيار، وما دامت هذه الوحدة معدومة، فإن كل شيء سيكون لصالح ضرورات الأنظمة، والحق يقال: إن الأنظمة تمنع من الوحدة، لأن ضروراتها تمنع من ذلك، بل تقتضي ذلك. . .

نحن نفهم كلام الشيخ شمس الدين الداعي إلى إجراء مصالحة مع الأنظمة على أساس أن لا تتجاوز الأنظمة ضروراتها على نحو يؤدي إلى التزام الأمة بما يتنافى مع خياراتها، وأن لا تتجاوز الأمة ضرورات الأنظمة من موقع ضعفها وانعدام وحدتها على نحو يؤدي إلى فتح باب الصراع والفتن دون جدوى. انه موقف اعلنه الشيخ شمس الدين لأجل أن تستعيد الأمة أنفاسها بحيث توحد نفسها وتقوم بما عليها من واجبات.

وإلا فإن الهدنة لا تكون لمجرد الهدنة، مثلما أن المخالفة لا تكون لمجرد المخالفة، فكل موقف له هدف، والهدنة المطروحة، والمصالحة التي يدعو إليها الشيخ شمس الدين هي تهدف إلى تمكين الأمة من ناصية الأحداث بحيث يكون كل شيء لصالحها. أما إذا تمت الهدنة ولم تتمكن الأمة من تحقيق نفسها، ومن القيام بواجباتها، فذلك يحتم تحميلها المسؤولية، مسؤولية التخلي عن الأعداد النفسي والمادي، وعن القيام بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي المنكر، ـ لكن السؤال يبقىٰ مطروحاً. ماذا لو فعلوها؟ أي الأنظمة) وحاولوا فرض التطبيع على الأمة من خلال جماعات موالية للأنظمة وهي ليست بقليلة، باعتبار أن هناك عدداً كبيراً من المسلمين لا يجيز الخروج على السلطان الجائر ويرى بأن ما يفعله النظام ويدخل من باب الضرورة هو خيار بالنسبة له، وقد بينت التجارب السياسية السابقة أن أعداداً كبيرة من المسلمين بررت معاهدات النظام مع العدو، واعتبرتها صلحاً مشروعاً له ما يبرره في دين الله تعالىٰ؛ وفي مقابل ذلك يوجد عدد من المسلمين، وهو ما يسمىٰ بالحركات الإسلامية، يرىٰ شرعية الخروج على هؤلاء فيما لو كان ذلك ممكناً ويؤدي إلى نتائج. . . فالصراع ليس بين الحركات الإسلامية فقط والأنظمة الجائرة، وإنما هو بين الأنظمة ومن يعترف بشرعيتها ويواليها من المسلمين، وبين مسلمين لا يعترفون بشرعيتها، وهذا ما

يجعل من المواجهة خطيرة جداً وقد أشار الشيخ شمس الدين إلى هذه الحقيقة في كتابه: في الإجتماع السياسي حينما قال: «نعم، يوجد حكام غير شرعيين يمثلون أمراً واقعاً في المجتمع السياسي الإسلامي ويحكمون باسم الإسلام... وهؤلاء الحكام وأعوانهم يمارسون الظلم السياسي والإجتماعي على الأمة كلها باعتراف قيادة الأمة التي ترىٰ شرعيتهم وتوالي نظامهم فضلاً عن المعارضة الشيعية»[1]، وفي الكتاب نفسه يقول الشيخ شمس الدين: «إذا كانت هناك قطيعة مع النظام الحاكم ومقاطعة له، إذ أنه في هذه الحالة ستقع المجابهة مع سائر الأمة التي تعترف بشرعية النظام أو بضرورته، وهذا يتناقض مع مصلحة المعارضة ومع دورها...»[2].

قلنا في التحليل السابق أنه يوجد في الأمة من يقول بشرعية النظام، وهذا الجزء الذي ليس بقليل هو لا يقول بأن خياره ضد النظام وضروراته، بل إنه يرىٰ بأن خياره هو ما يسميه الجزء الآخر ممن لا يقولون بشرعية النظام بضرورات الأنظمة التي هي في مقابل خيارات الأمة... فالذين يقولون بشرعية الأنظمة الضرورات والخيارات عندهم شيء واحد.

إذن الأنظمة الجائرة ليست شيئاً مجرداً، أو بالاحرىٰ لها مَن يدعمها في الداخل فضلاً عن الخارج، وإذا لم تحصل الهدنة، فالمواجهة لن تكون بين الحركات الإسلامية والأنظمة فقط،، بل ستكون بين الأمة نفسها وبين جماعات تقول بشرعية النظام، وأخرىٰ لاتقول بذلك وتعتبر الأنظمة مغتصبة لحق الله تعالىٰ ولحق الإمام المعصوم. وبما أن الأمة ليس من مصلحتها خوض هذه المواجهة مع نفسها في ظل ميزان القوى الداعم للأنظمة، فإن الهدنة تصبح مطلباً أساسياً ومبرراً شرط أن لا تكون هدنة لمجرد الهدنة، بل بهدف تعزيز دور الأمة والحفاظ على وحدتها بحيث تتمكن من مواجهة ما يفرض عليها من قبل الغرب أولاً، ومن قبل الأنظمة الموالية له، ومن قبل الجماعات التي تقول بأن ضرورات الأنظمة هي عينها خيارات الأمة. فإذا

---

(١) را: في الاجتماع السياسي. م. س. ص ٢٣٩.
(٢) را: في الإجتماع السياسي. م. س. ص ٢٤١.

عجزت الأمة التي لا تقول بشرعية الأنظمة عن توحيد وتأهيل نفسها بطريقة تسمح لها بمواجهة التطبيع، فإنه من الممكن حينئذ أن يفرض هذا الأخير كما فرض التوقيع، وكما فرضت الدولة من رأس لعل البعض يستغرب هذا الكلام لجهة القول بأن الخيارات والضرورات تبدو متناقضة، إلا أن هذا التناقض قد يكون أوضح فيما لو طرحت المسألة (المواضيع الشائكة) بلحاظ دور المستعمر في المنطقة الذي يعمل لأجل أن تكون الخيارات في خدمة الضرورات. وقد نجح إلى حد ما حتىٰ الآن في ذلك. والدليل على ذلك أن الأمة ليست مع التوقيع وقد حصل، وخيارها أن يسقط. بل هي ليست مع الدولة من الأساس وقد فرضت عليها نتيجة التجزئة. . . فالتناقض معناه أن ما تريده الأنظمة لا تريده الأمة وما تريده الأمة لا تريده الأنظمة، وقد يزول التناقض إذا عرفنا أن الأمة هي التي أنتجت هذه الأنظمة وكل ما يسمىٰ بضروراتها وإلا لو هي قامت بواجبها وبالأمر الإلٰهي لما وصلت إلى ما وصلت إليه من فرض ما لاتريده عليها. أما وان الأمة الآن أو جزء منها قد استفاق بعد طول سبات، فإن التناقض لن يزول إلا بانتصار أحدهما على الآخر. فالأمة اليوم هي تحاول الخروج من الباب الدي تدخل منه الأنظمة في نفس الوقت، وفي نفس اللحظة، والتناقض إنما يزول بغلبة أحدهما للآخر سواء في الدخول أو في الخروج، هذا باعتبار فرض الدولة وضروراتها من فوق على خلاف ما لو كان للدولة التي هي مؤسسة من مؤسسات الأمة، ضرورات تلحظ مصلحة الأمة في ظروف معينة. فهذه ضرورات تكون باسم الأمة وليس باسم الدولة.

فالهدنة يمكن أن تزيل هذا التناقض من خلال تحويل الصراع فلا يكون بين الأمة والأنظمة، وإنما يكون بين الأمة والعدو مباشرة الذي يريد تطبيع العلاقات معها بحيث تمتنع عن قبول أي شيء منه حتى ولو أرادت الأنظمة ذلك ولا يلبث التناقض أن يعود إلى الواجهة إذا حاولت الأنظمة فرض التطبيع. أما إذا احترمت نفسها ولم تتجاوز حدود ضروراتها، ففي هذه الحالة يمكن أن تترجم الأمة الخيارات إلى أفعال حقيقية لأنه لا يوجد ما يناقضها في الداخل من قبيل تدخل الأنظمة، ويمكن القول أيضاً أنه لا مجال

للهدنة إذا حاولت الأنظمة فرض التطبيع، لأن ذلك يعني القضاء على خيارات الأمة وسلبها ما هو حق لها. ومن هنا فإن الأمة مسؤولة عن إعداد نفسها لمواجهة التطبيع... الذي قد يفرض نوعاً من المواجهة مع الأنظمة لقد سئل الشيخ شمس الدين عما إذا طرح التطبيع مع العدو لإستفتاء شعبي، وهو ما يطلبه، فإذا منعت الأنظمة إجراء مثل هذا الإستفتاء واحالته على المجالس التمثيلية والتشريعية للبت فيه، وجاء موافقاً على التطبيع، فما هو موقف الشعوب؟ أجاب الشيخ شمس الدين: الآن لا أملك جواباً، ولكن أرجو أن نكون نحن من الحصانة، وأن تكون مجالسنا التمثيلية من الحصانة بحيث لا نصل معها إلى هذا المأزق، وقد خطر ببالي هذا السؤال ماذا لو فعلوها؟ ،... وفي نفس الوقت أسألكم ماهو البديل؟

جاء هذا الكلام في جلسة حوار مع سماحته في دار الندوة حول التطبيع، بتاريخ ١٨/١١/١٩٩٣.

* * *

القسم الثاني: الحركات الاسلامية بين السلبية والايجابية

الفصل الأول: السمات الايجابية

الفصل الثاني: السمات السلبية

الفصل الأول: السمات الايجابية للحركة الاسلامية

تمهيد الفصل الأول:

إن أية حركة معارضة في العالم سواء أكانت إسلامية أم غير إسلامية، لابد أن يكون لها سلبيات وإيجابيات، باعتبارها حركة عملانية (ويفترض فيها أن تكون كذلك) تتوخي الخير والسعادة لمجتمع تعيش مشاكله وأزماته، وتعاني من شرور الحضارة الغربية الشيطانية التي خلعت على هذا العالم الإسلامي بابه، وزعزعت داره، وحالت بينه وبين حريته، مما أدى إلى الذل والعبودية والهزيمة على جميع المستويات. حركات إسلامية وعت الأزمة وشعرت بها، وكان لابد أن ينشأ عن هذا الشعور حركة، ومعارضة لكل ألوان الأضطهاد والحرمان والقهر... إن مجتمعاً شعر بالأزمة لابد أن ينتج معارضة حقيقية تدافع عنه، وتحفظ له ماتبقىٰ له من ذاته وكيانه الوجودي، يقول الشيخ شمس الدين: «إن المجتمع الذي يخلو من المعارضة، عليه أن يعمل من أجل إيجادها، لأن عدمها يعني الاستمرار في الهزيمة، والسماح للأمراض بأن تفتك به، فهي دليل صحة وعافية في المجتمعات الإنسانية، والحركات الإسلامية ليست شيئاً نكراً وإنما هي تعبر عن يقظة هذه الأمة، وعن شعورها بضرورة الخلاص من الاستعمار والتحرر من كل أشكال التبعية للغرب المستعمر... را: مجلة الشعلة. م. س.

نعم توجد معارضة حقيقية في العالم العربي، الإسلامي رغم كل ما يرافق حركتها في الواقع من أخطاء وسلبيات) ـ معارضة تعبر عن رأيها بطرق

مختلفة و تملك رصيداً معنوياً، ووعياً إسلامياً يجعلها أكثر تأثيراً من أي تيار من التيارات الموجودة على الساحة التي تلتقي معها في رفض التبعية ومواجهة المستعمر. وعياً كان من جملة تأثيراته أن أنسحبت تيارات معينة من الواقع السياسي لصالحه، وأفسحت له بالمجال كيما يعبر عن نفسه بقوة في مواجهة المشروع الأستعماري بعدما عجزت هذه التيارات عن الصمود بوجهه، والحد من فعاليته في المجتمع... لقد عبرت الحركة الإسلامية عن نفسها بأساليب متعددة منها ممّا يتوافق مع عقيدتها ودورها، ومنها ما لا يوافق ويتعارض مع العقيدة التي تنطلق منها لتغيير الواقع وإصلاح الحال. وفي مجمل الأحوال أثرت هذه الحركة في بلدان إسلامية معينة، واصلحت مافسد من الأمور في بلدان أخرىٰ، نقول أصلحت بمعنىٰ التغيير الجذري في الواقع والنفوس معاً. وحيث أثرت هذه الحركة، وفي عرض مساعيها وجهودها الجبارة لإصلاح الحال حدث ما حدث من أخطاء وسلبيات، ومن الحمق القول أن المعارضة لا تخطىء فيما تقوله وتفعله، بل عندها من الأخطاء ما يكفي ويدفع إلى إرشادها ونقدها لأجل التصحيح والعودة إلى الصواب في القول والفعل.

وهنا يبرز دور الفقهاء الذين يقودون هذه الحركات في العالم الإسلامي...

غاية القول: أنه إذا تعرضت هذه الحركات للخطر، ومنعت من التعبير عن رأيها. فإنه لن يبقىٰ للمسلمين أية قيمة وجودية وسياسية (باعتبار أن القيم توجد حيث توجد الحرية، فإذا كمت الأفواه عدمت القيم) هذا فضلاً عما يمكن أن يتعرضوا له على الصعيد الثقافي والتربوي من مسخ بحيث يتحول كل شيء في هذا العالم وتقلب الأمور رأساً على عقب، ويصبح الإنسان المسلم غريباً عن كل ماله في هذا العالم، بل عن نفسه التي هي أقرب الأشياء إليه، فإذا أبعد عن نفسه، فكيف يمكن أن يكون قريباً من قضيته، ومن كل شؤون حياته وما يخصه في الخارج؟.

كما أنه ليس من معاني أن يكون للحركات الإسلامية، أو لأية معارضة أخرىٰ سلبيات أن نتعرض لها، وأن ندّعي بأن عدمها خير من وجودها، فكل

من يعمل يُخطيء، وما يحصل في الواقع، هو أن القمع من قبل الأنظمة أدى بشكل أو بأخر إلى سلبيات، وكذلك الفهم الخاطىء، والتأويل غير الصحيح للنظرية الإسلامية عند بعض الحركات الإسلامية قد أدىٰ أيضاً إلى ما يمكن وصفه بالسلبية لما أدىٰ إليه من عنف في بعض البلاد الإسلامية... إن الحكمة والموعظة الحسنة والدعوة بالتي هي أحسن يمكن أن تخفف من السلبيات هذا إذا لم تؤدِ إلى إلغائها، وقد يسمح هذا الأسلوب للحركات الإسلامية بأحداث التغيير المطلوب في المجتمع، وفي نفوس الناس قبل كل شيء «لأن الفساد الكائن في نفس الإنسان والضلال المحيط به سيدفعه في النهاية إلى إفساد أوضاعه الخارجية من جديد، كما أن إصلاح الإنسان من الداخل فقط مع بقاء الأوضاع والظروف المحيطة به على حالها سيؤدي بالإنسان في النهاية إلى الفساد بسبب ظروفه الخارجية... إذن فلابد من إصلاح عالم الإنسان وعالم المؤسسات معاً...»[1].

وأهم إيجابية للحركة الإسلامية العالمية هي أنها تعبر عن نفسها بأسلوب حضاري مميز تتحدىٰ به الغرب وثقافته الشوهاء، وتقف سداً منيعاً في طريقه للحيلولة بينه وبين الإستمرار في طغيانه... هذا كله فضلاً عما تمَكنت هذه الحركات من إصلاحه في العالم الإسلامي لجهة بناء المؤسسات التربوية والثقافية، والإجتماعية، والأقتصادية... الصالحة التي تؤمن الكادر المؤمن والقادر على مواجهة العدوان بكل أشكاله وألوانه.

والحق يقال: إن سلبيات الحركة الإسلامية ليست شيئاً في مقابل الإيجابيات التي تحققت، ويمكن أن تنتفي هذه السلبيات فيما لو أحسنت الحركة التصرف مع النظام الحاكم وسمعت للنصيحة بحيث تمنعه من التضييق عليها ومن محاصرتها، فإذا أحسنت التصرف وأساء النظام، فحينئذ لا يمكن إتهام الحركة بالسلبية، ويكون النظام هو المسؤول عن جولات العنف وأمراض المجتمع. وهذا ما عناه الشيخ شمس الدين بقوله: إنه لابد من هدنة تفتح من خلالها أبواب الصراع مع العدو الإسرائيلي ومَن وراءه

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، بين الجاهلية والإسلام، دار مج، ط ٢، ١٩٧٥، ص ٥٦.

مباشرة من دون أن ينتج عن ذلك صراعاً داخلياً مع الأنظمة، وكما بينا في أحد فصول هذا الكتاب أن نجاح هذه الهدنة والصدام المباشر مع العدو يبقى مشروطاً بعدم تدخل الأنظمة لفرض ضروراتها على الأمة، باعتبار أن للأمة خيارات يجب أن تترجم، ومنها خيار مواجهة التطبيع مع إسرائيل.

السمات الإيجابية:

من إيجابيات الحركة الإسلامية العالمية أنها حققت للمجتمع كثيراً من المكاسب، ودفعته باتجاه نيل بعض حقوقه، فالحركة الإسلامية في العراق واجهت الاستعمار الأنكليزي ومنعته من السيطرة الكلية بعد مواجهات عنيفة معه، وهي مازالت حتى الآن تواجهه وتحول بينه وبين أهدافه على الرغم من تعاون كل الحلفاء الأروبين عليها، للحد من نفوذها...

والكلام نفسه يقال بالنسبة للحركة الإسلامية في إيران القديمة الحديثة، ففي ثورة التنباك تمكنت من الغاء كل الامتيازات الأجنبية، أما الثورة التي قام بها الشعب الإيراني المسلم بقيادة الإمام الخميني (قده) فقد تمكنت من القضاء على ما لم تتمكن الحركة السابقة من القضاء عليه من مصالح الاستعمار الجديد الذي مايزال يحاول أحداث شيء لصالحه في إيران...

وهناك الحركة الإسلامية في فلسطين التي استطاعت إرباك الساحة الإسرائيلية بما أقدمت عليه من ثورة ضد الإحتلال الإسرائيلي الغاصب للأرض، والمدنس للمقدسات، هذه الإنتفاضة الإسلامية أقلقت العالم الغربي، فضلاً عن الصهاينة وهي ماتزال تعمل من أجل استرداد حقها في الأرض، والكرامة، والمصير...

وهناك أيضاً الحركة الإسلامية في لبنان التي تكاملت مع الانتفاضة في فلسطين، في مواجهة العدوان الإسرائيلي على لبنان، وقد تمكنت هذه الحركة من دحر العدوان الإسرائيلي في الوقت الذي عجز فيه الآخرون عن تحقيق أي مكسب مادي أو معنوي في مواجهة العدو.

هذا مختصر عن إيجابيات الحركة الإسلامية التي تواجه الاستعمار

عسكرياً وسياسياً، في حين أنه يمكن الإشارة إلى إيجابيات هذه الحركة الإسلامية على صعيد العمل السياسي والإجتماعي في الداخل والخارج. . .

لقد تكاملت هذه الحركات، في تونس، والجزائر، ومصر، ولبنان، والعراق، وإيران. . . وحققت لنفسها وجوداً مميزاً، ودوراً فاعلاً، تمهيداً للحصول على الحرية التي افتقدها المجتمع المسلم في ظل الشعارات القومية، والوطنية، والمذهبية، والطائفية، وغير ذلك بما يقزم هذه الحركة ويجعلها عاجزة عن تحقيق نفسها، وعن التكامل مع غيرها.

ليست إيجابيات الحركة الإسلامية في العالم، في أنها واجهت الإستعمار القديم والجديد فقط وإنما إيجابياتها تكمن أيضاً في سعيها الدؤوب من أجل ترشيد المجتمع وجعله اكثر وعياً بمشاكله وأزماته التي تعقدت بعد مرور زمن طويل على تحكم الاستعمار في البلاد العربية والإسلامية.

إن للحركة الإسلامية إيجابيات كثيرة فيما يعود إلى التواصل بين المجتمعات، وإلى نشر تعاليم الإسلام، عقيدة وشريعة، في المجتمع الإسلامي، وغرسها في قلوبهم وعقولهم، هذا فضلاً عن إحياء المبادىء الأخلاقية والقيم الإنسانية التي تهمشت مع المادية الغربية. وهنا لا يسعنا الا ذكر إيجابيات هذه الحركة في الواقع الأسلامي، وخصوصاً بعد أن أيقنا أن المواجهة مع الغرب لا تقل أهمية عن المواجهة مع أدواته العاملة في الداخل والتي تحول دون أن تحقق هذه الحركة الإسلامية أية إصلاحات جذرية في واقعها بهدف الخروج من عزلتها، وتحقيق وجودها وحريتها. . .

إن أول سمة يمكن أن نشير إليها، هي أن الحركة الإسلامية عبرت عن رغبة عامة لدىٰ الشعوب العربية والإسلامية في العودة إلى الكتاب والسنة، بعد أن غادرت هذه الشعوب موطنها الأصيل لتلتحق بالحضارة الغربية الغازية. . .؟

لقد عادت هذه الشعوب إلى التمسك بالكتاب العزيز والسنة الشريفة، وانطلقت منهما في إحياء نفسها ومبادئها من جديد، وها هي اليوم تطالب

بوعي كامل بتطبيق الشريعة الإسلامية، وإقامة الدولة الإسلامية، في مقابل دعوات الآخرين إلى العلمنة والتغريب. . .

كما إنها استطاعت أن تحقق نفسها على مستوىٰ الدولة في أكثر من مكان في العالم العربي والإسلامي، بعد أن حققت نفسها على مستوىٰ المجتمع، وهي تسعىٰ اليوم جاهدة من أجل أن يكون لها قرار واضح فيما يختص بها من دون أن يكون للغرباء أي تأثير عليها. إنها بالفعل حركات حية وفاعلة، وتملك كثيراً من الشروط الداخلية والخارجية، (فضلاً عن الرصيد الداخلي (الروحي) الذي تملكه) التي تؤهلها للقيام بخطوات سريعة جداً باتجاه الإصلاح والتغيير.

كما أنها لو لم تكن تملك هذه الشروط لما استطاعت أن تنطلق في مشروعها السياسي في مواجهة كل التيارات التي تعمل للغرب على أرض إسلامية. هناك قدرات متجلية عند هذه الحركات الإسلامية تسمح لها بخلق الظروف المناسبة لإحقاق الحق وإزهاق الباطل في كل بلد إسلامي. . .

هذه الحركة، تنطلق من قاعدة أن مايهمها يهم جميع المسلمين[١]، وما تحققه على أرض معينة، هو في الحقيقة إنجاز تعم فائدته كل المسلمين، وكذا الأمر بالنسبة لأي إحباط يصيب هذه الحركة في أي مكان، فإنه ينعكس أيضاً على كل المسلمين، والمثال على ذلك هو الجمهورية الإسلامية في إيران، وفي السودان، وفي أمكنة أخرىٰ، هذه الدولة لم تستفد هي وحدها من إقامة الحكم الإسلامي، بل المسلمين جميعاً استفادوا مما تحقق وانجز في بلدان إسلامية أخرىٰ، فإيران مثلاً تتحمل المسؤولية كاملة، وتقوم بدورها على مستوىٰ الدعم لكل الحركات الإسلامية في مواجهة الشرق والغرب، انطلاقاً من كون الإسلام دين كامل، ولكل بني البشر، «ولأنه سلاح المستضعفين من كل بني البشر، وليس سلاح المستضعفين المسلمين فقط فمقولة الظلم، هي ضد الإسلام، ولهذا نجد الموقف الإسلامي في إيران، أو

---

(١) مضمون الحديث المتواتر عن رسول الله (ص) : «من أصبح وأمس ولم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم» .

السوداني، يدافع عن الذين ظلموا. . . باختصار نقول إن موقف المسلمين الملتزمين في العالم يدافع عن كل إنسان يتعرض للظلم، وتسلب حريته، لأن المسلمين رسالتهم تتجاوز ذاتهم **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾**، إن الإسلام ضد الظلم حتى لو وقع على غير المسلمين. . .»[1].

لقد انتصر المشروع الإسلامي اليوم، لأن الحاملين له والقيمين عليه ينطلقون من الإسلام حقاً، على خلاف ما كنا نشاهده في الماضي ممن كانوا يدعون حمل هذا المشروع من دون أن يكونوا صادقين في حملهم له، بل كانوا يحملون أفكاراً، أجنبية مغطاة بالإسلام لإيهام الناس بأنهم من المدافعين عنهم والمطالبين بحريتهم واستقلالهم.

نعم استغل هذا العالم تحت شعارات إسلامية لمدة طويلة، استفاد منها الإستعمار لارواء العطاشىٰ من المسلمين الذين لم يكن يهمهم إلا سماع الكلمة الإسلامية، من أية جهة أتت، لقد شربوا صفو الماء وكدره دون تمييز بين العذب الفرات والملح. الآجاج، مما سمح للإستعمار بتمرير مشاريعه تحت غطاء إسلامي.

يقول الشهيد مطهري في معرض حديثه عن الحركات الإسلامية: «انني كفرد وبحكم مسؤوليتي الإلٰهية أحذر كل قيادات الحركة الإسلامية الذين أكن لهم وافر الإحترام. . . وأقول لهم بأن تغلغل وانتشار الفكر والنظرية الغربية في مجتمعاتنا باسم الفكر الإسلامي وبغطاء إسلامي سواء عن حسن نيه أم سوء نية هو خطر كبير يهدد الكيان الإسلامي. . . إن الطريق الصحيح لمكافحة الأفكار الأجنبية هو طرح الإسلام في جميع مجالاته وبلغة عصرية حديثة»[2].

إن انتصار الحركة الإسلامية مؤخراً، كان نتيجة حتمية لتولي الفقهاء

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، محمد مهدي، مواقف ودراسات، ج ٣، م.س، ص ٢٧٩.

(٢) أنظر: الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري، إصدار وزارة الإرشاد الإسلامي، ١٤٠٤ هـ، ص ٩٠.

العدول قيادتها إذ أنهم لم يسمحوا لأحد بأن يتاجر بها تحت شعار الإسلام والحرية. وغير ذلك مما يحترمه الإسلام ويقدره. انتصرت لأن الفقهاء استطاعوا التحدث بلغة العصر في جميع المجالات، ولم يعطوا الاستعمار فرصة كي يتلاعب بالحداثة وما تقتضيه من أثر وتأثير، ومن تطور علمي يفرزه هذا العصر!!.

لقد بين الفقهاء الأعلام، ومنهم الشيخ شمس الدين، أن الإسلام ليس ضد الحداثة، وإنما هو ضد كل ما يهدد «إنسانية الإنسان، وضد كل ما يجعل منه ملتقىً للذة والشهوات وغير ذلك مما تتقوّم به الحيوانية، وفي نفس الوقت بينوا أن التغريب لا يعني الحداثة حتماً كما يقول الغرب وأنظمته[1].

هناك فرق كبير بين الفقهاء الذين تولوا قيادة هذه الحركة وهم معجبون بالغرب وحضارته، وبين الفقهاء الذين تولوا قيادتها وهم قادرون على مواكبة العصر وعلى إيجاد الحلول لكل المشاكل الطارئة عن طريق الإجتهاد...

هناك فرق كبير بين الفقيه المقلد للغرب والذي جمده الماضي وأسره التغريب، وبين الفقيه المجتهد المستوعب لحركة التاريخ...

٢ ـ من إيجابيات الحركة الإسلامية أيضاً، إنها تسعىٰ للتحرر من العبودية لغير الله، بعد أن تحول المجتمع الإسلامي في ظل حضارة الغرب إلى عابد للذة والشهوة والمال كما قال تعالى: ﴿**قتل الإنسان ما أكفره**﴾[2] وكانت النتيجة أن تحررت هذه الحركات من كابوس الاستعمار ونيره الثقيل، وتمكنت من تحرير نفسها. لأنه بمعزل عن الحرية لا يمكن إيجاد الشروط المطلوبة للتكامل والتعالي،، ونقصد بالحرية حرية الفكر وحرية العمل وحرية الإختيار، إختيار الدين، هذه الحرية تبقى مطلباً أساسياً، ومسألة جوهرية فيما لو أراد أي مجتمع تحرير نفسه، ولكن هذه الحرية تبقى مشروطة بالخضوع

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، مقابلة مع مجلة الوطن العربي، العدد ٨٤٧، ١٩٩٣/٥/٢٨.

(٢) سورة عبس: آية، ١٧.

لقوانين العقل والدين بحيث لا تكون مطلقة كما هي الآن في الغرب والتي أدت إلى مزيد من الفساد وإلى خروج على كل القوانين، ففي ظل الحرية المقيدة يستطيع الناس جميعاً، مسلمين ومسيحيين، أن يتمتعوا بها، ولهذا قال تعالىٰ: **﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله. . .﴾**[1] .

مفهوم الحرية كما يقول ـ الشهيد الصدر ـ من تلك المفاهيم التي تلتقي عندها مشاعر الناس جميعاً فالحرية ـ على حد قوله ـ ليست من نتاج الكيانات الحضارية التي يعشها الإنسان الرأسمالي اليوم»[2].

من هنا تبرز جدوىٰ تركيز الحركات الإسلامية على مبدأ الحرية، إذ كيف يمكن حمل مشروع إسلامي والعمل من أجله في ظُل انعدام الحرية، أو في ظل حرية مطلقة؟، إن ذلك يعني اللاحياة، ومن ثم اللامشروع، ولهذا نحن لا نجد مشروع حياة ـ إنسان ـ في الغرب بل نجد مشروع مادي، غريزي، يقطع حبال التواصل بين البشر أنفسهم، ومن ثم بين الله تعالى والبشر، وهذا هو عين العبودية للهوى كما قال تعالىٰ: **﴿أرأيت مَن اتخذ إلٰهه هواه﴾** سورة الفرقان آية: ٤٣ .

فالحرية التي تريدها الحركة الإسلامية، هي تلك الحرية التي تمكنها من إيجاد المناخ الملائم لبعث الحياة في البشر، تمهيداً لإحياء المشاريع الإنسانية، وقد رأينا، أن الحرية التي تنشدها الأنظمة وأسيادها هي شكل من أشكال الحرية التي تبدأ من التحرر لتنتهي إلى ألوان العبودية، التي تبدأ بالإنسان وتنتهي بالحيوانية. إن الحرية المطلوبة، التي تسعىٰ الحركة الإسلامية للحصول عليها، هي تلك التي تبدأ من العبودية المخلصة لله تعالىٰ لتنتهي إلى التحرر من كل أشكال العبودية المهينة». . .

حرية تسمح للإنسان بالإختيار، والعمل، والقول، حق القبول، وحق

---

(١) سورة: آل عمران، آية ٨٥ .

(٢) أنظر: الحرية في القرآن، محمد باقر الصدر، دار الزهراء، ١٩٧٩، ص ٤٧ .

الرفض، باعتبار أن الإنسان كائناً حراً قادراً على صناعة نفسه، وعلى التأثير في محيطه والتفاعل معه، أما الإنسان التي تفرض عليه شروط الآخرين من دون أن يكون له القدرة على الرفض والقبول، فذلك الإنسان لا يكون حراً، بل يكون مستعبداً ومنفذاً لما يختاره الآخرون. لقد أخرجت الحركات الإسلامية العالم الإسلامي من شروط الآخرين ومناخاتهم أو هي في الطريق إلى ذلك لتدخله إلى عالم من الحرية يستطيع فيه التكيف مع نفسه ومع غيره، هذه الحركات الحرة الواعية مكّنت الإنسان من العودة إلى ذاته في أكثر من بلد مسلم وأحدثت صدمة في الواقع الذي كان يرىٰ بالتغريب كل الحسنات، مكنته من اختيار النظام الذي يريد، القيم، والمبادىء، من التعامل مع الآخرين من موقع حريته وكرامته. يقول الشيخ شمس الدين: «لقد تمكن الإنسان المسلم من التعامل مع الكون على أساس مبدأ الاختيار، لأنه كائن حر لا يخضع لمبدأ الضرورة إلا في نطاق العمليات البيولوجية في جسمه، ومن ثم فإنه يشارك في وضع قوانين حركته في الزمان والمكان، فإن الإنسان يكيّف نفسه لتنسجم مع الطبيعة حين يعجز عن تكييف الطبيعة لتنسجم معه»(١).

لقد غير الإنسان ما في نفسه، فتغير الكون من حوله، وتكيف مع نفسه وانسجم معها لدرجة أنه أصبح الأمر الناهي في واقعه في أكثر من بلد إسلامي، بعد أن كان دوره الاستجابة للمثيرات الخارجية فقط. إن الحركة الإسلامية أعطت المجتمع الإسلامي بكل فئاته دفعاً باتجاه التعالي، وأحدثت فيه تغييرات جذرية في السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية، ولم تبقَ على شيء يقول به الغرب إلا وقضت عليه أو بدلته في بعض البلدان الإسلامية، وهذا كله نتيجة حتمية لما تحقق في النفس من تغييرات جذرية، يقول الشيخ شمس الدين: «إن الأمم والشعوب والأجيال، والوحدات الحضارية تحيا وتنمو وتتكامل وتنحل بموجب قوانين وضوابط وليس بصورة عفوية تلقائية أو

---

(١) الشيخ شمس الدين، محمد مهدي، حركة التاريخ عند الإمام علي (ع)، دار مج، ط ١، ١٩٨٥، ص ١٥، وقا: مع مطهري، مرتضىٰ في رحاب نهج البلاغة، دار التعارف، ١٩٨٠، ٢١٤٥٥.

بالصدف، وإن ذلك يتم بصورة ظاهرة يمكن رصدها ووعيها وليس سحرية أو غيبية. قال الله تعالىٰ: **﴿لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾**[1].

وهذه القوانين لا تعمل بمعزل عن إرادة الإنسان، بل إن إرادة الإنسان واختياره أساسيان في عمل هذه القوانين. قال الله تعالىٰ: **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم﴾**[2]، وقوله تعالىٰ: **﴿ذلك بأن الله لم يكن مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم﴾**[3].

إن هذا المبدأ الأساس يستبطن مبدأ آخر وهو مبدأ حرية الإنسان في اختيار صيغة حياته ومسؤوليته عن عاقبة اختياره[4]».

إن ما انتهت إليه الحركة الإسلامية من إيجابية في سعيها الدؤوب إلى تغيير بعض المجتمعات الإسلامية، وفي أحداث تربية إسلامية، كان بفضل العودة إلى كتاب الله وسنة رسوله، حيث أنها حينما عادت إليهما عادت إلى حريتها، وإلى العمل وفق ما رسم لها من تآثر وتأثير، ومن وسطية أيضاً، وإذا كانت هذه الحركة قد عجزت عن تحقيق انتصارات معينة في بلدان معينة، فذلك لأنها ماتزال تعاني من صدمات الماضي وتأثيراته على حاضر الشعوب، لكنها في النهاية ستتمكن من تحقيق الإنتصار فيما لو التزمت بالشروط وقراءات الأحداث بدقة.

أما الإيجابية الثالثة: فهي أن هذه الحركات تطرح الإيديولوجية الإسلامية في مواجهة الإيديولوجيات غير الإسلامية، وهذه المواجهة تحتاج إلى شيء من الحرية التي تسمح للمسلمين الملتزمين بأن يعبروا عن رأيهم في مواجهة التيارات العلمانية الوافدة من الغرب بعيداً عن أية ضغوط يمكن أن تمارس عليهم من قبل الحريصين على حضارة الغرب في بلاد المسلمين،

---

(١) سورة يونس، آية: ٤٩.

(٢) سورة الرعد، الآية ١١.

(٣) سورة الأنفال: آية ٥٣.

(٤) الشيخ شمس الدين، محمد مهدي، الجهاد في القرآن، بحث مقدم إلى مؤتمر باكو، أذربيجان في الأتحاد السوفياتي في أيام ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ تشرين أول ١٩٨٦ م.

وبما أن مبدأ الحرية يسمح لهؤلاء في طرح مشروعهم السياسي، فهو أيضاً يسمح لهم بالتحاور مع الآخرين للوصول إلى أفضل صيغة ممكنة للتعايش مع أصحاب الإيديولوجيات الأخرىٰ التي تضغط على المجتمع وتريد إيهامه بأن إيديولوجيتها هي وحدها الصالحة له والمعبرة عنه والضامنة له كافة حقوقه.

لقد طرحت الحركة الإسلامية إيديولوجيتها بمنأىٰ عن كل المسائل التي تثير النزاعات والخصومات[1] ومع ذلك لقد ووجهت من قبل التيارات العلمانية والأنظمة المتفقة معها من حيث المبدأ، وقد تجلىٰ هذا في إقدام الأنظمة في بعض البلاد العربية والإسلامية على إعدام عدد كبير من المسلمين بحجة أنهم خرجوا على الشريعة، وهددوا السلم الأهلي وأمن الدولة، وهم لم يفعلوا شيئاً أكثر من المطالبة بالحرية في التعبير عن الرأي، ففي تونس مثلاً كما يقول الشيخ شمس الدين: «تعرض أخوان لنا في الإتجاه الإسلامي إلى إهانات كبيرة، وبعضهم حوكم من دون وجه حق وحكم عليهم أحكام ظالمة( )، والعهد الماضي (بورقيبة)[2] ارتكب جريمة إعدام أخوين

---

(١) في إيران مثلاً شاركت جميع التيارات الإسلامية وغيرها في إسقاط الشاه، وكانت تعلم أن المشروع البديل هو النظام الإسلامي، ولما سقط النظام (الشاه)، وأقيمت الدولة الإسلامية خرج هؤلاء عن عهودهم، واتهموا مَن كانوا يعملون معهم بتخريب البلاد، بدأً من مجاهدي خلق وانتهاءً بكل الحركات اليسارية التي لم تقوَ على النظام السابق، ووجدت لديها القدرة على مواجهة النظام الإسلامي. إن هذه التيارات العلمانية تبحث عن مصالحها الشخصية فقط ولا يهمها مشروع الأمة، وهذا هو دينها وديدنها في كل بلد إسلامي، ومن هنا لا يجب الاطمئنان إلى مساعيها في إصلاح المجتمع لأنها غالباً ما تشري قبل أن تحقق شيئاً للمجتمع. را: الشيخ شمس الدين، مواقف ودراسات ج ٢، ص ٢٥.

(٢) يقول الشيخ شمس الدين: «إن الإتجاه الإسلامي في تونس، جماعة إسلامية وطنية تونسية تستحق أن تتمتع بالحرية، حرية العمل، حرية التعبير، وليس هناك أي وجه قانوني، أخلاقي يجوّز مصادر حرية التعبير والعمل لهذه الجماعة، وهي ليست مقطوعة من شجرة ـ كما يقال في المثل اللبناني) لاأصل لها ولا فرع، هي جزء من الحركة الإسلامية على مستوىٰ الأمة الإسلامية برمتها، ليس هناك أي مبرر لمصادرة أو لسجن هذه الحركة... وهنا نقول أنه من حق كل حركة إسلامية في العالم أن تتمتع بالحرية =

منهم، «تونس في شمال أفـريقيا، ولكن أمـرهم يعنينا، وهـذا ما يقتضيـه مبدأ الأخوة والحرية في الإسلام ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾. كما أن غايتنا ومشـاركتنا في الحركة الإسلامية في العراق أيضاً كانت من هذا المنطلق[1].

إن الإعدامات، والمطاردات، والسجون، لم تزد هذه الحركة إلا عـزماً وإصراراً على حمل المشروع الإسلامي والسعي من أجل تحقيقه في الـواقع، وهي مـا تزال حتىٰ الآن تعمـل بطرق مختلفـة، بعيداً عن العنف والمـواجهـة

= كما تتمتع سائر الأحـزاب السياسيـة المعارضـة. . . را: مواقف ودراسـات، ج ٣، ص ٢٧٦، وص، ٣٠٣.

مما ينقل عن بورقيبة أنه تطاول على أحكام الشريعـة الإسلاميـة باعتـراضه على صـوم شهر رمضان بحجـة أنه يقلل من عمـل العامـل، حيث طلب من الناس أن لايصـوموا، وكانت ذريعته أنه يؤثر على سير العمل بـإضعاف قـوة العامـل، وقد بـرر اعتراضـه هذا بقـوله: إن الإسـلام يهتم بالعمـل كثيـراً والعمـل محتـرم جـداً في الإسـلام، وبمـا أن الإسلام يحترم العمـل. وبما أن الصـوم يؤثر على سيـر العمل، فمن واجب المسلمين أن يتخلوا عن الصوم وهذا الاعتراض ناشيء عن تصور عند (بورقيبة)، وهو أن الإنسان عبارة عن آله تعمل باستمرار للإنتاج وكلما استطعنا مضـاعفة عمـل تلك الماكنـة، كان أفضل. . . . را: الشهيد مطهري، في كتـاب الإسلام ومتـطلبات العصـر، دار الأمير، بيروت، ط ١، ١٩٩٢، ص ٥٧؟.

إن نظاماً يتجـرأ على الله تعالىٰ بـرفض أحكامـه ويدعي المعـرفة بمـا يؤمن قوة العـامل خـلاف شرع الله تعـالىٰ. لا ينتظر منـه أن يفسح المجـال أمـام تحقق مشـروع الله في الأرض. . . !؟ إن المشكلة تكمن بعـداء هؤلاء لله تعـالىٰ وليس بـأن هؤلاء أعـداء للحركة الإسلامية. أو أن الحركة الإسلامية عدوة لهم.

(١) كانت مشاركة وعناية الشيخ شمس الدين بالحركة الإسلامية في العراق نابعـة من كون هذه الحركة في أي بلد هي تحمل نفس المشروع الإسلامي، وتسعىٰ لتحقيق العـدالة في المجتمعات الإسلامية، ونحن سبق لنا أن ذكرنا عن هـذه المشاركـة في كتابنـا عن الشيـخ شمس الدين الـذي صدر حـديثاً تحت عنـوان الشيـخ شمس الـدين بين وهـج الإسـلام وجليد المـذاهب، دار الهادي، ط ١، ١٩٩٣، الفصـل الأول الـذي يتضمن حيـاة الشيخ شمس الـدين ودوره في الحركـة الإسلاميـة في العراق قبـل أن ينتقل إلى لبنان ليكون فيه أحد رواد هذه الحركـة مع السيـد موسىٰ الصـدر وعلماء آخـرين عملوا لإخراج الحركة الإسلامية في لبنان إلى حيز النور بعد أن كان أفـرادها مشتتين بين هـذا الحزب العلماني أو ذاك.

لتحقيق هذا المشروع، وتطبيق الشريعة، تمهيداً لإقامة الدولة الإسلامية.

إن الإيديولوجية الإسلامية تتميز بالحياة والفعلية اليوم أكثر من أي وقت مضي، وهذا له دلالة واضحة كما يقول الشيخ شمس الدين على أن الآلام أغنت هذه الحركة وجعلتها أكثر قدرة وعزيمة على مواجهة الإيديولوجيات الأخرى، وهذه الحركة تنطلق، غير آبهة بكل الآلام والمصائب التي تحل بها من جراء سعيها لتحقيق هذا المشروع إنطلاقاً من كون الإسلام لم يحقق نفسه في الواقع إلا عن طريق المعاناة والجهاد والصبر على مكاره الدهر، وقد مَّن الله على كثير من الحركات الإسلامية بأن جعل لها من مضايق البلاء فرجاً، وما يتساءل عنه البعض عما يمكن هذا الحركات أن تفعله فيما لو انتهى بها الأمر إلى السلطة مع الغرب الذي هو العصر الآن، هذا التساؤل ليس في محله، باعتباره تساؤلاً ينطلق من شك في قدرة الإسلام على تأليف أفكار سياسية ملائمة لمجتمعات المسلمين، علماً بأن المسلمين ليس مطلوباً منهم أن ينتجوا أفكاراً وشرائع، بل المطلوب منهم هو أن يترجموا الإسلام في حياتهم بعد أن تمكنوا من فهمه نظرياً. إن بعض الباحثين يحاول أن يجعل من عمر عبد الرحمٰن مثلاً يعالج من خلاله قضايا المسلمين ومشاريعهم، وكأن الحركات الإسلامية، ومن يقوم بها هي أسيرة لبعض الأشخاص، ويمكن أن يكون شخص معين نموذجاً يقتدىٰ به في كل الحالات[1].

---

(١) يتساءل رضوان السيد: لماذا يلجأ الشيخ عمر عبد الرحمٰن إلى العمل العلني الدعوي والتعددية الحزبية وهو لم يعرف غير السجون وهول السلطان؟! وجوره أليس مؤسياً ومرعباً أن يكون الشيخ عبد الرحمٰن الآن لأجئاً في أمريكا التي قضىٰ حياته يعتبرها النموذج الفاضح للجاهلية المعاصرة؟. . . وينتهي رضوان السيد إلى القول بأن الإسلاميين الذين وصلوا إلى السلطة في بعض البلدان مثل السودان وإيران وأفغانستان وأذربيجان لا يشكلون مثلاً صالحاً للمستقبل في ممارستهم الحالية في السلطة!؟ را: ملف المعلومات المركز العربي م. س. ص ٢٩.
لاشك أن الهدف من هذه التساؤلات هو تجاهل بعض الحقائق الهامة التي انتهت إليها الحركات الإسلامية، يتجاهل رضوان السيد الهجرة في سبيل الله إذا لم يكن العمل الإسلامي ممكناً: **﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾** كما أنه يتجاهل الأنتصارات الساحقة للحركة الإسلامية في إيران، ودور الإمام الخميني في العالم =

. . . .

= الإسلامي، وقدرة هذه الحركات على مواكبة العصر ومتطلباته، أنه لغريب حقاً أن يدعي هذا الباحث القدرة على التساؤل في ظل عجزه عن إدراك هذه الحقائق، وياليتنا نقرأ مشروعه السياسي لنرىٰ ما إذا كان بإمكانه أن يكون قائداً قادراً على تأليف فكرة سياسية تحقق ثورة إجتماعية اقتصادية وسياسية في مواجهة الغرب ومشروعه. انه أعجز من أن ينال من دور هؤلاء الإسلاميين ومن قدرتهم على بناء الدولة الإسلامية الحضارية.

والباحث الحر الموضوعيٰ لا يسعه إلا أن يعترف ويقر بأن ما طرحه رضوان السيد بصيغة التساؤل لا يصلح أن يكون سؤالاً، لأن الإجابات قد حصلت وبسرعة، وتسهيلاً للنقد يمكن أن نثير تساؤلات رضوان السيد فهو يقول: ماذا سيفعل الواصلون إلى السلطة من الإسلاميين في شأن العلاقة مع الغرب الذي هو العصر الآن، وقد ظلوا طوال العقود الماضية يصرون على القطيعة معه؟ الغرب لن يتغير، فهل يتغيرون هم؟.

وما هي المضامين السياسية والإجتماعية للحل الإسلامي؟ كيف يواجه الإسلاميون البؤس الهائل الذي صنعته الأنظمة الديكتاتورية والتبعية الغربية؟. إن ما يجري في فلسطين مؤسٍ ومقبض. أما ما يجري في مصر فخطير علينا جميعاً. . . إلى ما هنالك من تساؤلات؟.

لايسعنا أمام هذه التساؤلات إلا التفنيد لها بحيث نتمكن من الإجابة عليها إذا صح أنها أسئلة بالمعنىٰ الحقيقي للسؤال. لأن السؤال ـ في حقيقته ـ يجب أن يكون متضمناً لما هو مجهول وينبغي أن يُعرف. فالسيد يقول: ماذا سيفعل الإسلاميون مع الغرب وهم في قطيعة معه وهو بذلك يعيد طرح المشكلة باعتبار أن القطيعة معه ناشئة من كون العالم الإسلاميّ مستلحقاً وليس حراً، فالقطيعة تزول حينما يتمكن هذا العالم من إيجاد صيغة حضارية للتعامل معه بحيث إذا لم يتمكن المسلمون من تغييره، فلا يسمحوا له بتغييرهم، لأن موقعهم الأصلي أن يبقوا أمة وسطاً، وإذا كانت الأحداث قد أظهرت فشل بعض الإسلاميين، فذلك لا ينبغي أن يؤثر على هذا الموقع للمسلمين. إن الحركة الإسلامية اليوم ليست على استعداد أبداً لكي تتغير على خلاف ما يتوهم الغرب حتى ولو استمرت القطيعة معه ملايين السنين. فالمسلمون إما أن يكونوا في موقعهم الذي ارتضاه الله لهم. وإما أن يبقوا في قطيعة مع الغرب فيما لو أراد هذا الأخير الغاء القطيعة لصالحه بحيث يعيد المسلمين إلى سيرتهم التابعة والملحقة هذا أولاً.

ثانياً: يقول السيد، رضوان: إن ما يجري في فلسطين مؤسٍ ومقبض، ونحن لانرىٰ ذلك، بل فيه كل الخير، فهل معنىٰ أن يقاوم الإحتلال أن يتولد البؤس والإنقباض؟ أم =

أما الإيجابية الرابعة. فهي قدرة هذه الحركات الإسلامية على جذب أعداد كبيرة من الشبان الملتزمين، بعد أن كانوا موزعين بين هذه الإيديولوجية وتلك، ويعملون لصالح الغرب تحت شعارات ما لبثوا أن اكتشفوا زيغها وعدم صحتها، فأدركوا حقيقة ما يحمله الإسلام لهم من مبادىء وقيم وتعاليم، في مقابل ماكانت تحمله الشعارات التي كانوا يحملونها من خيانة للوطن والدين والإنسان . . .

لقد أثبتت شعوب العالم العربي والإسلامي أنها قادرة على تحرير نفسها، وإثبات وجودها على الرغم من كل الجهود بل الضغوط التي كانت ولا تزال تمارس لإبقاء هذه الشعوب تابعة لهذا القطب أو ذاك، فكانت ردة الفعل أقوىٰ من فعل هؤلاء المتربصين شراً بالمسلمين حيث أنهم تمكنوا من التعبير عن الحياة الحرة الكريمة من خلال الإسلام، ومن إعادة التوازن إلى المجتمعات، بعد أن كان الغالب والمهيمن التيارات التغريبية والعلمانية، ويمكن أن نمثل على ذلك بالقول أنه كان يُدعىٰ إلى كلمة في مسجد من المساجد في أي بلد عربي، فكان الذين يحضرون لا يتعدون أصابع اليد بينما كان يدعي إلى احتفال حزبي تابع للغرب أو الشرق فكانت تملأ الشوارع والقاعات، وتصم الآذان من التصفيق!؟.

= أن السكوت على الإحتلال هو الذي يولد ما يزعمه السيد العزيزا؟ وهنا نذكر حقيقة هامة لا تخفىٰ على الباحث أن مشكلة العالم الإسلامي ليست في الحركات الإسلامية، ولا بممارسة العنف أحياناً، وإنما هي بالسكوت على الأستعمار ومفاعيله في المنطقة، نحن نعود لنؤكد أننا لا ندري ماذا يقصد الباحث من سؤاله عما يجري في فلسطين، وكأنه غريب عن هذا العالم ولا دراية له به لا من قريب ولا من بعيد!.
ثالثاً يتساءل السيد عن المضامين السياسية والإجتماعية للحل الإسلامي؟ وهنا نقول إذا كان الباحث ينتظر أن ينتج المسلمون شيئاً تحت شعار هذا هو الحل الإسلامي، فذلك تجاهلاً للحقيقة، باعتبار أن الحل الإسلامي موجوداً ومضامينه السياسية والاجتماعية موجودة ويمكن أن تعبر عن نفسها في أية لحظة كما عبرت عن نفسها في أماكن عديدة. والحق يقال إن التساؤل عن المضامين هو في الحقيقة إنكار على الإسلام وعلى حلوله. في حين أن الإسلام يحتوي على أفضل الحلول لكل المشاكل الطارئة والمعقدة. . . ؟؟

نعم لقد استفاقت الشعوب من كبوتها، وأحدثت لنفسها شيئاً جديداً حينما رفضت مشاريع الإستعمار وطروحاته، وأعطت لنفسها أبعاداً جديدة تستطيع من خلالها أن تنظر إلى حاضرها ومستقبلها، وجعلت الإسلام مجال رؤيتها، بعد أن كانت الوطنية والقومية وغير ذلك من الطروحات هي مجال الرؤية الضيق لهذه الأمة.

هناك فرق كبير بين ماكانت عليه الأمة في السنين الماضية، وبين ماهي عليه اليوم، وهذا الفرق يتبدىٰ واضحاً حينما ننظر إلى الواقع وما يحدث فيه من تطورات مفاجئة على الصعد كافة، فها أنت ترىٰ الإستعمار اليوم قلق من جراء ما يحدث، وهذا القلق يبعث فيه الحيرة والارتباك ويجعله عاجزاً عن تثبيت قدميه في أكثر من بلد إسلامي، وكأنه لم يكن موجوداً فيه بطروحاته وأفكاره، وحضارته الشوهاء، لقد خلع عليه الباب، ووجد متلبساً بالجريمة، وطرد من بلاد المسلمين في أيام معدودة. . .

أما السمة الخامسة (الإيجابية)، فهي الإهتمام الزائد من قبل الحركة الإسلامية بالأوضاع الإجتماعية، والإقتصادية، في المجتمعات الإسلامية، وخصوصاً المتخلفة منها، باعتبار أن الغرب والأنظمة الموالية له لم تكن تعطي أي اهتمام بهذه المجتمعات، ففي لبنان مثلاً لم يعرف المسلمون الراحة، ولا كانت الدولة تهتم بهم في كثير من المجالات، كانوا ولا يزالون يعانون من الحرمان، وقلة الخدمات، في الصحة والتعليم، والمياه والكهرباء. وكذا الأمر في السودان، والعراق، وإيران (في أيام الشاه)، وفي أغلب البلدان الإسلامية، لقد حققت الحركة الإسلامية تقدماً كبيراً في مجال الإهتمام بالقضايا الإقتصادية والإجتماعية، هذا فضلاً عن تعريف المجتمعات الإسلامية بحقيقة المخاطر التي تتعرض لها من قبل الغرب على أرضها. إن ما حققته هذه الحركة في خدمة الأمة أعطاها القدرة على القيام بدورها للضغط على الأنظمة كي تقوم بواجبها في الحفاظ على الوطن والإنسان، وفي قيادة الآمة نحو أهدافها العليا بعيداً عن الأنزواء والتلهي في قضايا صغيرة، أو في مشاكل لا تؤثر إيجاباً على واقع الأمة ومستقبلها كون التلهي بالمشاكل الصغيرة على حساب القضايا الكبرىٰ المصيرية يعرض الأمة لمزيد

من الأخطار، وقد يدفع بها باتجاه الاستلحاق مجدداً، وهذا ما استطاعت الحركة الإسلامية أن تحققه حينما حملت الأنظمة على الأخذ بالمسائل الكبرى، وعلى أن يكون هناك مواقف وحدوية في مواجهة الاستعمار، وعدم زج المجتمع في مواقف تجزئية تحول دون وصول الأمة إلى أهدافها[1].

إن اهتمام الحركات الإسلامية بالأوضاع كافة، مكن هذه الحركات بما تمثله من شعوب من التحرك باتجاه الهدف السامي. بعد أن كانت تسودها فكرة القناعة في كل شيء والإكتفاء بالقليل، وعدم اتخاذ موقف من كل ما يجري في الداخل وما يحيط[2].

هذه الفكرة ـ القناعة ـ هي السبب في وصول الأمة إلى ما وصلت إليه من ضعف وفقر وحرمان، وكانت الأنظمة دائماً تستغل هذه الفكرة لتعطي مزيداً من الإلتزامات والتعهدات للغرب كي يقوم بسرقة ثروات هذه الأمة الغنية...!؟

حينما يقال بأن الحركة الإسلامية، هي يقظه طبيعية للأمة الإسلامية، فذلك معناه أن الأمة استطاعت الخروج من كبوتها لتمنع الأنظمة ومن يقف وراءها من هدر طاقات الأمة وقدراتها، وقد طرحت الأمة مؤخراً هذاالسؤال: كيف يمكن أن نستمر فقراء في الوقت الذي نحن فيه أقوىٰ من العالم بما نملك من ثروات...؟

هذا السؤال بحثت له الحركات الإسلامية عن إجابة عملانية، وكانت الإجابة ـ كما نعلم جميعاً ـ منع الإستعمار من سرقة هذه الثروات في أكثر من بلد إسلامي، وها هي اليقظة اليوم تمتد لتصل إلى العالم الإسلامي كله طارحة هذا السؤال نفسه...

أما السمة (الإيجابية السادسة، فهي أن هذه الحركات اهتمت بروحية الإنسان المسلم وتربيته حيث مكنته من إعادة تكوين ذاته، تربية روحية جعلته

---

(١) را: مواقف ودراسات، الشيخ شمس الدين، ج ٣، ص ٢٦٤.
(٢) را: بين الجاهلية والإسلام، الشيخ شمس الدين، م. س، ص ٢٤.

قادراً على العيش وفق متطلبات العصر من دون أن يكون مادياً صرفاً يتورم من كثرة المجون، ومن دون أن يكون روحياً صرفاً بحيث يتحول إلى إنسان منعزل يرفض مغادرة الصحراء إلى المدينة بحجة أن فيها ما لا يرضىٰ الله تعالىٰ. . . : كما أن التربية لم تقتصر على ذاتية الإنسان فقط بما هو روح ومادة، بل تعدت ذلك إلى الدعوة والمطالبة بتغيير مناهج التعليم في المدارس والجامعات، لأن الصلاح في النفس من دون الواقع (أي الخارج) لايكون صلاحاً حقيقياً، والعكس صحيح أيضاً، وهذا ما دفع بالحركات الإسلامية إلى العمل من أجل أن يكون الواقع بما فيه من مؤسسات تربوية واجتماعية، وثقافية، واقعاً مؤثراً وفاعلاً بحيث ينعكس على ذاتية الإنسان الصالحة أيضاً وإلا ما معنىٰ أن تكون التربية فاعلة، والأمة الإسلامية فاسدة في واقعها ومؤسساتها ولا تعلم أبناءها ما يجب أن يتعلموه في مدارسهم ومعاهدهم وغيرها. وهنا نلفت النظر إلى نكتة مهمة جداً وهي أن الشيخ شمس الدين سبق له أن دعا إلى تعليم مادة الأمة الإسلامية في المدارس والجامعات، على أن تكون هذه المادة تعليمية تربوية ثابتة في كل المناهج، وذلك بهدف أن تصبح هذه المادة مؤثرة على الشعوب الإسلامية، بحيث يشعرون جميعاً أنهم أعضاء في الأمة الإسلامية وليس نتيجة لتعليم تلقائي كما هو الحال القائم فعلاً، وإنما نتيجة لوعي والتزام، وقد وصل أمر تعظيم هذه المادة عند الشيخ شمس الدين إلى حد القول أن السلطان العثماني لم يتمكن من استصدار فتوىٰ ضد الصفويين، لأن مفهوم الأمة كان لايزال مفهوماً سليماً بوجه عام»[1] على خلاف ماهو عليه هذا المفهوم اليوم، فكل حاكم اليوم من موقع تبعيته لأعداء الأمة يستطيع أن يستصدر هكذا فتوىٰ إما تحت شعار حماية القومية، وإما تحت شعار حماية الوطن، وأما تحت شعار حماية القادسية!؟.

وهنا حقيقة ثانية يمكن أن نشير إليها باختصار أيضاً، وهي أن التربية التي أحدثتها الحركة الإسلامية في العالم اليوم تختلف عن التربية التي

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، مواقف ودراسات، ج ٣، ص ٢٦٥.

حققتها الحركات الإسلامية السابقة في بعض البلدان الإسلامية، ونخص بالذكر هنا، الشيخ محمد عبده، وجمال الدين الأفغاني، حيث أنهما لم يتمكنا من إقامة مؤسسات تربوية تؤهل الإنسان للإنطلاق بدعوته بحرية تامة، لأن حركتهما جوهرها كان يقتصر على تعليم المسلمين دينهم في صيغ عصرية. وتعريف الإسلام لديهم بعد أن كانوا على جهل به أو نكران له، إلا أنهم لم يتمكنوا من حمل الناس على التفاعل مع الإسلام والإتحاد به، وهذا ما تمتاز به الحركات الإسلامية اليوم عن سابقاتها لجهة تمكنها من تعبئة الأمة الإسلامية وتحريكها باتجاه أهدافها بعيداً عن مقولات التوفيق بين الغرب والإسلام[1].

أنظر حيث شئت بطرفك، إلى لبنان، وفلسطين، والعراق، وإيران، والسودان وأفغانستان... فهل تجد إلا ثورات، ومقاومة، ومؤسسات، وإسلام حي حاكم في مكان، وفي الطريق إلى الحكم في مكان آخر، أنظر فهل تجد إلا علمانياً مبهوراً، وغربياً مذعوراً، ومسلماً مهيمناً على الواقع ومؤثراً فيه من دون أن يكون حاكماً...؟ تلك هي الإيجابية الحية التي يلمسها كل إنسان متأمل حر في العالم[2].

من إيجابيات الحركة الأسلامية أيضاً، أنها استمرت في تحقيق ذاتها ومجتمعاتها رغم كل الانتقادات التي توجه إليها من قبل الآخرين الذين ينكرون عليها يقظتها وحملتها على تطهير المجتمع الإسلامي من أورامه، ومما علق به من نفايات الغرب، زاعمين أنهم ـ من علمانيين وقوميين ـ وحدهم القادرون على القيام بهذه المهمة دون غيرهم، وهنا يذكر الشيخ شمس الدين بأن كل قادة التفكير القومي ارتكز وجودهم إلى مقولتين: الأولى مقاومة الإمبراطورية العثمانية والعمل لإقامة المشروع القومي ـ الذي فشل مع

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، بين الجاهلية والإسلام، م. ص، ص ٣٠٢.

(٢) لسنا نقلل من أهمية التحرك الذي قاده الأفغاني ـ محمد عبده في مواجهة الإستعمار: ولسنا نهدف من وراء ذلك إلا إلى إعطاء فكرة حية عما كانت تعاني منه الحركة الإسلامية سابقاً من دون أن يعني ذلك العجز عن تحقيق بعض الأهداف، على يد حركتهما الإصلاحية.

الأسف ـ على مستوىٰ الدولة القومية وانكفأ إلى مستوىٰ الدولة الوطنية. . . ومنذ الثلاثينات وحتىٰ الآن فإن المقولة الثانية التي استند إليها القوميون العرب كانت مكافحة المشروع الصهيوني ولا يوجد شيء آخر والباقي تفاصيل. . . إذا تخلى التيار القومي عن هذه المقولة، ودخل في مشروع التطبيع مع إسرائيل فهو يفقد مبرر وجوده نهائياً، ويكون قد أعطىٰ في نفس الوقت الشرعية الكاملة للتيار الإسلامي لأن يمسك هو راية الرفض. . . »[1].

إذن مَن يوجه النقد للحركة الإسلامية يجب أن يكون على شيء من المبدئية، وبما أن الكل قد أعطوا الراية ـ من علمانيين وقوميين، ودعاة وطنية أيضاً ـ من حيث يدرون أو لا يدرون للإسلاميين، فإنه ينبغي عليهم أيضاً أن يتخلوا عن وجهات نظرهم فيما يتعلق بتحرك هذه الحركة ومشروعها، ولا يحق لهم أبداً توجيه النقد لها باعتبارهم خسروا وجودهم، والنقد يجب أن يصدر عمن يتمتع بالوجود وليس بالعدم، وهذه هي قمة الإيجابية للحركة الإسلامية بعد أن انخدع العالم العربي والإسلامي لفترة طويلة جداً بالمشروع القومي.

لقد تمكنت الحركة الإسلامية من تحويل شعوب برمتها من القومية والمذهبية والطائفية والصنمية والعائلية إلى الإسلام ليشكلوا حالة رفض لكل المشاريع الإستعمارية والصهيونية في المنطقة العربية والإسلامية، وليس معنىٰ هذا أن الحركة الإسلامية لا تخطىء ولا تحتاج إلى مَن ير شدها ويصحح أخطاءها[2]، بل هي تقع في أخطاء كثيرة، ووقعت في أخطاء كثيرة، ولا تزال معرضة للأخطاء في دائرة العمل السياسي، وقد نصح الشيخ شمس الدين هذه الحركة بمراجعة نفسها وحساباتها دائماً، ومن جملة نصائحه للحركة الإسلامية في إيران باعتبارها مركزاً حيوياً فاعلاً وقوياً لجميع الحركات الإسلامية في العالم، «أنه ينبغي على الجمهورية الإسلامية أن تبقىٰ في حالة مراجعة بالنسبة للأحزاب والقوىٰ التي تعمل خارج إيران فيما

(١) را: الشيخ شمس الدين، مقابلة مع جريدة السفير، تاريخ ١٩٩٣/٥/٢٩.

(٢) را: الشيخ شمس الدين، مواقف ودراسات، ج ٣، م. س، ص ٢٦٤.

يتعلق بقضايا الإسلام والوحدة الإسلامية. . . »[1].

إنْ الحـركة الإسـلامية يـوجه إليهـا النقد وتقبله، وتعمـل على تصحيح الخطأ ما أمكنهـا ذلك، لكن المشكلة الكبـرىٰ هي في أولئك الـذين يصرون على ارتكاب الخطأ رغم علمهم بأنه خـطأ، فالأنـظمة الحـاكمة مثـلاً بعد أن أفلست من كـل شيء، وقضت علي نفسها بنفسهـا لم تتراجـع حتى اليوم عن أخطائها، بـل هي ماتـزال مصرة على الإعـدام، والسجن، والمطاردة، وغيـر ذلك مما يتنافى مع مبدأ الحريـة، وما تـوجهه الأنـظمة من انتقـادات للحركـة الإسلامية لا يحمل على وجه الصحـة أبداً بـاعتبار أن الأنـظمة تـرىٰ في هذه الحركة جملة وتفصيلاً شكلاً ومضموناً عـاملاً سلبيـاً، وغالبـاً ما تجـد الإسلام عـاملاً سلبيـاً لأنه لا يبـررها ولا يعتـرف بشرعيتهـا، لا يمكن أن يكـون النقـد مقبولاً دائماً. هناك انتقادات يكون الهدف منها الإساءة فقط، والـذي يحق له توجيه النقد هم القيمون على هـذه الحركـة والعارفـون بحقيقتها وليس أولئـك الغرباء عنها، والذين يرون فيها تهديداً لمصالحهم الشخصية، فلو أن الأنظمة نظرت بحرية إلى هذه الحركات لما حصلت أفعال أو ردات فعـل عنيفة تهـدد السلم الأهلي، ومادام هناك عدم اعتراف بالآخر، وإصرار علي قمع الحريات بما هي حق من الحقوق، فإن العنف سيكون مـوجوداً ومهـدداً للجميع وليس للحـركة الإسـلامية وحـدها. نحن لا نـدري لماذا ضيقت الأنـظمـة الهـامش الديمقراطي[2]؟.

بل لاندري لماذا يوجه النقد ولا يسمح للآخـرين بأن ينـاقشوا مـوضوع النقد حتىٰ يتسنىٰ لهم معرفة الخطأ من الصواب؟. .

إن الأنظمة إذا أرادت أن يكون لها إيجابية واحدة في حياتها السياسيـة، فما عليها إلا احترام خيارات الأمة، من دون أن يكون هنـاك ضرورة لإحتـرام

---

(١) را: موقف ودراسات، م. س. ج ٣، ص ٢٦٤.

(٢) بعض الأنظمة في الشرق أصبح يسـوغ الاستبداد وإعـلان الطوارىء وتقليص الهـامش الـديمقراطي بحجـة أن ذلك ضـروري لسد منـافـذ تسـرب الأصـوليـة. . . را: فهمي هويدي. م. س. ص ٢٦.

ضرورات الأنظمة، لأن هذه الأخيرة، أنتجتها التبعية للغرب والتربية المضادة لوحدة الأمة ولوسطيتها . . .

الشيخ شمس الدين يقول دعوا مشروع الأمة، بما هي أمة مقدسة، يمر بسلام ما دامت كل المشاريع لم تؤد إلى إخراج الأمة من مشاكلها وتبعيتها، دعوها تعبر عن رأيها وتختار مشروعها السياسي، ويكفي أن تكونوا مراقبين توجهون النقد الموضوعي لها، وإذا أمكن مساعدتها، لعلها تستطيع إنقاذ ما تبقىٰ من هذا العالم الذي أصبح غريباً عن نفسه في الوقت الذي وجد فيه أغلب الناس أنفسهم في الإسلام، فكيف لا يسمح لهذه الأمة بأن تترجم خياراتها وهي التي قدسها الإسلام وجعلها خير أمة أخرجت للناس تآمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتؤمن بالله[1] .

إنها حركة حية تفاعلت مع كل تيارات وفئات المجتمعات، وأحدثت توازناً هائلاً فيها، وعبرت عن نفسها من خلال الماضي والحاضر، ولم تعادِ أحداً على الإطلاق، كما أنها قبلت كل ماهو إيجابي ونافع للمسلمين وغيرهم مما وفد إليها من الغرب، وعداؤها لهذا الغرب يزول بزوال الأسباب التي حملت عليه، وأدت إليه، وفي نفس الوقت هي تعمل لأجل أن يعيش الناس في أجواء الحداثة الحقيقية التي تسمح للإنسان بالتحرر من كل أشكال العبودية، والإحتفاظ بروحيته وقيمه الحضارية باعتبار أن الإسلام ليس ديناً إجتماعياً، وديناً أخلاقياً فقط، بل هو دين جامع كامل شامل لكل جوانب الحياة، وله أرفع الآراء بالنسبة إلى التعاليم الإجتماعية حيث جاء في الكتاب العزيز **﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾**[1]. سورة الحديد، آية: ٢٥ .

---

(١) يقول شارح الرسالة الإنسانية لسماحة الإمام الحاج ميرزا حسن الحائرى الإحقاقي الخطيب البارع الشيخ حسن شمس كيلاني: «من أركان التمدن المهمة: رعاية وإحترام الحريات الفردية والإنتقاد الصحيح البناء لأعمال الدولة من قبل الأفراد، لقد روعي هذا الجانب في الشريعة الإسلامية بصورة ممتازة. . . وهذا الإنتقاد الصحيح يتجلىٰ في الإسلام بصورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد أعطىٰ الأفراد =

فالحركة الإسلامية لم تلغ الماضي، ولم تقدس الحاضر، ولم تتجاهل المستقبل، بل وازنت بين حتميات التراث ومقتضيات العصر حتىٰ لا تبقىٰ على هامش التاريخ، وهذه إيجابية هي على قدر كبير من الأهمية، حيث أعادت هذا التوازن في الوقت الذي يعتبر فيه البعض أن الإسلام تراث لافكر، وماضي لاحاضر، يقول الشيخ شمس الدين: «هم يرون أن الإسلام، لا بما هو عقيدة، وإنما بما هو شريعة وقيم، فكر عصر مضى. وأنه بالنسبة إلى عصرنا هذا حيث تشكل حياتنا الحضارة الحديثة، ومناهجها في التشريع وقيمها ـ مجرد تراث يمثل مرحلة سابقة في نمونا تجاوزها تطور التاريخ، فليس لنا والحالة هذه أن نعتبره مبعث فخر. . . لا يصلح لأن يشكل حياتنا، ويكون موضوع عملنا الذي نبني عليه مناهجنا، ونستمد منه قيمنا. . . »[1].

لقد استطاعت الحركة الإسلامية حمل الكثيرين على مراجعة أحكامهم المسبقة في حق الإسلام التي أطلقوها بهدف النيل منه، وإقصائه عن حياة الناس، وقد أيقن الغربيون، وبعض المثقفين العرب ممن استهوتهم الحضارة الحديثة ومناهجها. . بعد انتصار الإسلام في أكثر من موقع من مواقع الحياة،

= الحق في الإشراف على سلوك الآخرين عن طريق هذه الفريضة الدينية، ولكن بشرط معرفة المعروف والمنكر وتوفر سائر الشروط المبينة في الفقه» را: الرسالة الإنسانية، مؤسسة البلاغ، ط ١، ١٩٨٨، ص ٣٨٣».

وهنا يُسأل لماذا لاتقبل الأنظمة نقد الأمة لها؟ علماً بأن هذه الأمة الإسلامية تعرف المعروف والمنكر جيداً، ولابد أن يكون لها خيارات فيما يتعلق بوجودها ومصيرها ومقاتلة أعدائها. والحق يقال: كيف يسمح لهذه الأمة أن تترجم خياراتها. وتقول كلمتها في ظل محاولات الأنظمة لخنق الحريات، وعدم قبولها للنقد مس قبل الأمة، وهذا يعني أن هذه الأنظمة هي أبعد ما تكون عن التمدن. . . ؟!! وسنرى كيف أن الشيخ شمس الدين يهزأ من هذه الأنظمة التي تقتصر في تمدنها على شراء السيارات، والقصور، والعطور وغير ذلك مما تدفع الأمة ثمنه بحيث يصل الأمر إلى دفع ثمن ألف برميل من النفط من أجل شراء قنينة عطور من باريس، أو من لندن. . !؟.

(١) را: الشيخ شمس الدين، محمد مهدي، حركة التاريخ عند الإمام علي (ع)، م. س، ص ٥٩.

وفي أكثر من جانب من جوانبها، أيقنوا أن الإسلام كان ولا يزال عقيدة وشريعة ـ حياً بقيمه وتعاليمه، وصالحاً لكل زمان ومكان.

إن تعاطي المسلمين مع التراث لا يمنعهم من التحدث بلغة العصر، ولا من إيجاد حلول لكل المشاكل والحوادث الطارئة، باعتبار أن هذا التعاطي ليس الهدف منه التقديس للتراث، وإنما هو حقيقة تقتضيها حتمية هذا التراث بما هو نظرية شأنه شأن الحاضر الذي يوجد فيه الكثير مما يجب أن لا يقدسه الإنسان، «فليس للتراث قيمة عملية في حياتنا، ولا نحن بصدد بناء حياتنا عليه...»[1].

هذه هي السمات الإيجابية ـ ويوجد غيرها كثير ـ التي استطعنا الإشارة إليها، والحديث عنها. لقد ظهرت هذه السمات في القرن العشرين، كما كان لها من الظهور في قرون أخرى. إنها سمات تميزت بها الحركة الإسلامية عن غيرها من التيارات العلمانية والقومية، وقد تمكنت من خلالها من التفاعل مع الجميع دون أن يؤثر ذلك على طبيعة حركتها، أو على مشروعها السياسي..

---

(١) م. ع. ص ٦٠. يقول الشيخ شمس الدين: «إن الإسلام لا يزال حتى الآن فكر المسلمين والعرب منهم وسيبقى فكر المسلمين جميعاً، ولم يبلغ الإسلام في عقول وقلوب المسلمين درجة من الضمور والتقلص أو الإندثار، أو النسيان، بحيث يكون تراثاً يحتاج إلى إحياء، كالذي حدث في أوروبا في عصر النهضة إلى التراث اليوناني والروماني. لا يزال الإسلام قادراً على تحريك مئات الملايين من المسلمين في جميع أنحاء العالم نحو أهدافه العظيمة والنبيلة، كما هو حاصل الآن. را: حركة التاريخ عند الإمام علي (ع)، م. س، ص ٦٢.

الفصل الثاني: السمات السلبية للحركة الاسلامية

تمهيد:

كنا قد أشرنا آنفاً إلى أنه يستحيل على مَن يعمل أن لا يخطىء، وهذا من بديهيات الأمور، الذي لا يعمل ولا يتحرك في أي خط سياسي، وفي أي خط رسالي، هو الذي لايخطىء من منطلق كونه لم يعمل هذا أولاً.

ثانيا: الأخطاء يمكن أن تكون على المستوىٰ النظري، ويمكن أن تكون على المستوىٰ العملي، فالذين ينظرون من بروجهم العالية، إلى مجتمعاتهم دون أن يكون لهم أي تأثير في الواقع، هم يعيشون دائماً حالة الأنتظار السلبي لعدم قدرتهم على معرفة ما يجري في الواقع، فإذا أرادوا التخلي عن التنظير، فلا بد من أن يهبطوا من عليائهم ليروا بأم أعينهم مصائب مجتمعاتهم...

قليلون هم أولئك الذين لديهم القدرة على مخاطبة المجتمع بلغته، وعلى قدره. حتىٰ يتسنىٰ لهم الإرتفاع به (إلى حيث يجب أن يكون) إلى الحرية، والكرامة. والإستقلال. فالخطأ قد لايعثر عليه في الإطار النظري لأية حركة، على خلاف ما لوانطلق الإنسان في الحياة ليترجم نظريته، وليعطيها أبعادها في الناس وبينهم، بحيث يعرف هؤلاء الناس بأن الإنسان الذي يحمل مشروعاً حياً يستطيع أن يضع حداً لمشاكلهم التي يعيشونها. كما أنه بإمكانهم حينما ينطلقون في جو من الحرية لتقييم عمل هذا الإنسان، أن يعثروا على أخطائه التي قد تبدو من خلال البعد بين النظرية والتطبيق، أو من خلال العجز عن تحميل التطبيق خصائص النظرية...

إن الإسلام استطاع إحداث تغييرات هائلة في المجتمع على طول التاريخ، وإذا كان هذا الإسلام قد فشل في بعض مراحل التاريخ، فالفشل لا يعزى إليه، وإنما هو يعود إلى الذين يتحركون في الواقع وينطلقون من الإسلام بهدف تحكيمه في أمور الناس.

الإسلام ـ كما يقول الشيخ شمس الدين، هو في حقيقته إنجاز كامل على الصعيد النظري، وليس على الفقهاء إلا ترجمته في الواقع، ونادراً ما تأتي الترجمة كاملة إلا على يد المعصوم (ع) لأن الذي وضع النظرية كاملة هو في الحقيقة كامل من جميع الجهات وعالم بحقيقة البشر، بينما الذي يقوم بترجمة النظرية ـ فهو ليس كاملاً ولا محيطاً بكل شيء علماً، ولهذا قد يأتي تطبيقه غير كامل، وهذا أمر جد طبيعي، إذ أن المهم هو السعي من أجل إيجاد الحلول لكل المشاكل من خلال الإجتهاد.

وفي أثناء هذا التطبيق للنظرية لابد أن تحصل أخطاء سواء في فهم النظرية أو في ترجمتها، لكن الحاصل في بعض المجتمعات اليوم هو أن هناك تحريفاً للنظرية من قبل بعض الدعاة، وإساءة في التطبيق الذي يتلاءم في غالب الأحيان مع مصالح الأشخاص بمعنىً أنه يتم تحوير النظرية وتطبيقها لمصالح شخصية. .

إن الإنسان الكامل وحده القادر على وضع الأمور في مواضعها بدقة متناهية بعيداً عن مصلحته وعن هوىً نفسه، إنه النبي (ص) والإمام المعصوم (ع) الذي لديه القدرة على فهم النظرية وعلى تطبيقها بطريقة سليمة. اما أن يطلب من الحركات الإسلامية اليوم أن لا تخطىء في قولها وفعلها، فذلك يعتبر هذياناً من البعض، ومبالغة من البعض الآخر.

فالحركة الإسلامية، قادرة على الفعل، ولكن ليس كل الفعل، وقادرة على القول، ولكن ليس كل القول، فإذا سلمنا بعدم كمال هذه الحركة فلابد أن نسلم أيضاً بهذيان الأنظمة التي لا تريد أن يكون لهذه الحركة فعل أو قول حتى لا يكون لها خطأ، في مقابل الخطأ الكبير الناشىء عن اغتصاب السلطة من قبل بعض الحكام الذين يرون كل العدالة في توليهم لمنصب الرئاسة على جماجم الضحايا، وحطام البشر. . . !

سلبيات الحركة الاسلامية.

إذا كانت الحركات الإسلامية قد خرجت إلى حيز النور بهدف تحرير العباد والبلاد من تحكمات الاستعمار الغربي وامتداداته في المنطقة العربية والإسلامية، فلا ينبغي لنا أن نقف على إيجابياتها دون سلبياتها، فهي تعمل من أجل تغيير الواقع وتجتهد من أجل إيجاد الحلول المناسبة لمشاكل تعمقت وتجذرت حتى ظن البعض أنها أصبحت مستعصية على الحل.

لقد خرجت هذه الحركة الإسلامية لتعبر عن نفسها من خلال المشروع الإسلامي الذي يعتبر ذلك حقاً من حقوقها المشروعة، في مقابل الآخرين الذين ليس لهم من الأصالة شيء، وهم تعمدوا تهميش هذه الحركة، ومن ثم تهميش دورها بهدف تفريغ المنطقة من الإسلام والمسلمين، ففي ظل هذا الواقع المرير كان لابد من أن تنطلق هذه الحركة بخطوات سريعة تارة، وبطيئة طوراً، بعد أن استفحلت شرور الإستعمار وضاقت عليها المخارج، فبدأت تطلق أصواتها الرافضة لكل أشكال التبعية، والمطالبة بالتحرر[1]، والكرامة، وغالباً ما تحركت في سبيل ذلك بعشوائية بعد أن حوصرت تماماً، وضاقت عليها أنفاسها من جراء الضغط عليها لأجل أن تقول نعم للغرب وللأنظمة أيضاً.

نعم هناك آفات الحركات الإسلامية، منها ماهو مقصود، ومنها ما هو

---

(١) يقول الشيخ شمس الدين: «إن هؤلاء الجلادين، يعني بهم الدول الإستعمارية، التي تدعي الديمقراطية زوراً ونفاقاً، لا ننسىٰ أنهم منذ عرفنا الإستعمار عرفناه على أيديهم» ولم يتركوا حرمة إلا انتهكوها، ولم يتركوا مقدساً إلا ودنسوه، ولم يتركوا كرامة إلا أهانوها... هؤلاء لا يصلحوا لأن يكون أولياء... نحن مستقلون كدول، فلنكن مستقلين حقيقة، فلتكن إرادتنا السياسية موجودة في داخلنا وليس موحى بها من الخارج، من أمريكا وغير أمريكا. را: مواقف ودراسات ج ٣، ص ٢٤٨.
إذا كان الاستعمار لم يترك شيئاً، فكيف يمكنه الطلب إلى الحركات الإسلامية أن لا تقوم بأفعال أو ردات أفعال للتخفيف عن نفسها ضغط التحكم الغربي؟، بل كيف يطلب منها أن لاتخطىء وهي تعامل بالحديد والنار وغير ذلك من وسائل القمع...؟؟

غير مقصود، وما حققته الحركة من نجاحات في العالم الإسلامي يدل على أنها تغلبت على كثير من هذه السلبيات التي يسميها الشهيد مطهري بالآفات، وهي حتىٰ الآن تسعىٰ لتجاوز ما يمكن أن يؤثر على يقظتها رغم أن الإستعمار والموالين له بما يقوم به من تضييق وضغوط من شأنه أن يؤثر على كثير من المساعي التي تبذل بهدف تجاوزها يرىٰ الشهيد مطهري: «ان الثورة والحركة الإسلامية، كآية ظاهرة أخرىٰ تصاب بالآفات والأمراض، ومسؤولية القيادة، هي الوقاية من هذه الآفات أو محاربتها بالوسائل الموجودة في حال تسللها داخل الحركة، ومن المؤكد أنه لو لم تستطع هذه القيادة من معالجة آفات الحركة وإهمال محاربتها، فإن الحركة إما أن تفشل، أو تتحول إلى حركة مضادة للثورة فتتبعها نتائج معكوسة»[1].

وهذا ما ذهب إليه الشيخ شمس الدين في مقابلة مع مجلة الوطن العربي، حينما أشار إلى ضرورة تلافي الأخطاء الكبرىٰ والعمل من أجل تصحيح ما فسد باعتبار أن الحركة كثر نشاطها في العصر الحديث، وكثرت أخطاؤها، فإذا لم تعمل من أجل تصحيح الخلل، فإنه يمكن أن تتحول إلى حركة مضادة تضرب نفسها بنفسها في الوقت الذي تدعي فيه مواجهة التيارات الأخرىٰ المنافسة لها، علماً بأننا ندعو ـ بدورنا إلى إجراء مصالحة عامة بين هذه التيارات جميعاً»[2].

إن الاستعمار يحاول الإستفادة من الخلل الحاصل، بل انه يسعىٰ إلى إيقاعها في كثير من المشاكل تحاشياً للصدام معها في أكثر من موقع، وللأسف، فإن بعض الحركات بدل من أن تبذل جهودها لتصحيح الخطأ نراها تتخطىٰ نفسها وكل شيء في طلب الحرية، ومتىٰ كانت تطلب هذه. . . أي الحرية ـ في ظل الصدامات الداخلية، والأهواء المختلفة التي لا تجتمع على رأي واحد في مواجهة الغرب؟[3].

---

(١) را: الحركات الإسلامية، م. س، ص ١٠٥.

(٢) را: مجلة الوطن العربي، العدد ٨٤٧، ١٩٩٣، وقارن مع مجلة الشعلة، م. س.

(٣) را: م. ن.

إن التمادي في الخطأ، وعدم الرجوع عنه، يؤدي حتماً إلى الوقوع في محذورات وفي أخطاء جديدة، مما يفسح في المجال أمام الغرب (الأجنبي عموماً) للتسلل إلى داخل هذه الحركات ليزيد الأمر سوءً، والموقف تعقيداً، وما نراه من ممارسات للعنف من بعض الحركات، هو غالباً ما يكون نتيجة حتمية لتراكم الأخطاء التي يستغلها الغرب للإيقاع بين هذه الحركات المتنوعة، أو بينها وبين الأنظمة الحاكمة. . .

سبق لنا أن أشرنا في أبحاث سابقة إلى أن الشيخ شمس الدين يعتبر إستخدام أسلوب العنف بطريقة غير مدروسة وعشوائية. عملاً غير مبرر شرعاً، هذا فضلاً عما يحدثه من مساوىء في المجتمعات الإسلامية «وهو ليس ناشئاً من داخل الإسلام، بل من خارجه» وهذا يعني أن الغرب قد يتسلل إلى داخل هذا العالم، كما هو الوضع الآن في بعض الدول، ويحدث إضطرابات ونزاعات يستفيد منها في تثبيت الواقع الذي يريده، وقد حصل هذا بعد انتصار أعظم حركة إسلامية في العالم حينما حاول الغرب الدخول إلى المجتمع الإيراني المسلم عن طريق مجاهدي خلق الذين نكثوا العهود والمواثيق مع الله أولاً، ومع جمهور الأمة ثانياً.

على الحركة الإسلامية أن تكون حذرة وواعية بكل ما يحيط بها، وأن لا تلجأ إلى العنف فيما لو كان هذا يؤدي إلى خلاف ما تسعىٰ إليه، فالإستعمار هو المستفيد من العنف، حيث أنه يدخل إلى المجتمع الإسلامي تحت شعارات قومية ووطنية وحرية وديمقراطية، وإسلامية أحياناً ليعطي إنطباعاً بأنه المدافع الأول عن حقوق الإنسان. . . !؟

وما يؤسف له هو أن بعض الحركات الإسلامية وقعت في هذا الشراك، وأحدثت لنفسها متاعب هي في الغنىٰ عنها، كونها تستطيع أن تحقق أهدافها بطرق أخرىٰ لاتربك ساحتها. ولا تقيد أنفاسها كما هو حاصل اليوم بإعلان حالات الطوارىء في أكثر من بلد إسلامي. . .

فالسلبية الأولىٰ هي أن العنف يمكن الغرب المستعمر من الدخول إلى العالم العربي والإسلامي، وإلى تمكينه منه. فأحياناً يظن البعض أنه يعمل

للإسلام والمسلمين، ويكون في الحقيقة متورطاً في خدمة الاستعمار. والحق يقال بأن بعض الحركات الإسلامية لم تأبه لنصائح الفقهاء الأعلام وتورطت في العنف[1]، وهاهي اليوم غير قادرة على تحقيق أهدافها، يقول الشيخ شمس الدين: «بعض الحركات الإسلامية تمارس نوعاً من الفكر الذي ليس له مكان أو موقع في الفكر الإسلامي، وهو أسلوب العنف، وأسلوب النبذ، والقطع، والإنفصال، وعدم الإعتراف بالآخر مسلماً كان أم غير مسلم، هذا الأسلوب ولد مناخاً كالذي نشهده في مصر، كما توجد أمثلة في غير مصر كذلك. . . فهذا الأسلوب غير إسلامي وغير مبرر إطلاقاً لا من الناحية الفكرية ولا من الناحية الفقهية. . . فالمشروع الإسلامي الحقيقي المبرر فقهياً وفكرياً ـ هو الذي يحمل أسلوب الدعوة بالحسنىٰ، وهو إسلوب التغيير

---

(١) ما يجب ذكره هنا هو أن العنف ليس نتاجاً للأيديولوجيا الإسلامية، والفكر الإسلامي، ـ كما يزعم الغرب ـ وكما نسمع في إعلام الأنظمة ومنابرها عن إدانة الإسلام للعنف والتطرف، وإنما هو نتاج، كما يقول وجيه كوثراني، التناقضات الإجتماعية والإقتصادية والنفسية المتشابكة والعميقة الجذور في البنى النفسية والإجتماعية وأنظمة المصالح، والتكوينات السياسية والثقافية، وكما بينا سابقاً أن الأنظمة القائمة هي التي تتحمل المسؤولية عن نتائج هذه التناقضات باعتبارها غير فاعلة وغير واجدة لفرص العمل. . . هذا الوضع أدىٰ إلى ممارسة العنف، وللتدليل على هذه الحقيقة نروي ما ذكرته مجلة درشبيغل الإلمانية عن مدينة ديروط المصرية قبل أشهر نقول: كان المصلون قد بدأوا يتوافدون إلى المسجد لصلاة الصبح في حي الشيخ في مدينة ديروط في صعيد مصر، وفجأة أحاطت بهم عربات البوليس وكلابه، وانقض عليهم منها عشرات رجال الشرطة يضربوهم بالسلاسل والعصي بحثاً عن مطلوب من الإسلاميين قدروا أنه لن يفوت صلاة الصبح جماعة. . . جرت معركة أكثر من ساعة. . . واقتيد الجرحىٰ إلى مخافر الشرطة للبحث بينهم عن المطلوب، فلم يعثر عليه، لكنهم سيقوا إلى السجن ظهر ذلك اليوم، وسيمثلون أمام محكمة التئمت على عجل بتهمتين: التستر على مجرم ومعارضة السلطات. . . وما مثل الجزائر ببعيد، فهذه مصر التي تقول بالتعددية الحزبية فإن الإخوان المسلمين الذين يبلغ عدد أعضائهم ومؤيدهم ثلاثة ملايين، ما استطاعوا بعد الحصول على ترخيص لممارسة العمل السياسي العلني، ومصر رحمة من الرحمات إذا قورنت ببلدان عربية أخرىٰ يعتبر الأنتماء إلى إحدىٰ الجماعات الإسلامية فيها تهمة عقوبتها الموت را: رضوان السيد م. س، ص ٢٩. =

السلمي والتوافق مع المجتمع والحوار مع الآخر. . . التوافق مع المسلم في الداخل، والحوار مع الآخر في الخارج»[1].

نحن نفهم كلام الشيخ شمس الدين على الوجه التالي، ولا نظن أنه حمّال أوجه: إن العنف بحسب وجهة نظر الشيخ يتولد في البلاد الإسلامية من بعض الحركات الإسلامية من شدة القمع، ومن استمرار حالة الطوارىء في البلاد، لكن تبقىٰ الحركة الإسلامية مسؤولة عن سلبيات العنف، لأنها تستجيب للأنظمة في ممارسته، باعتبار أن الغرب إذا عجز عن التغلغل، إلى الداخل يجد نفسه مضطراً لإستعمال أدواته لخلق توترات ونزاعات في البلاد الإسلامية وبما أنه يعلم بأن الأنظمة ليست قادرة على حسم المواقف، وكذلك الإسلاميين، فحالة الفوضىٰ هذه تؤمن للإستعمار أجواء التدخل لحماية هذا الطرف أو ذاك للخروج من الأزمة الداخلية كما يزعم: ولا يجب أن ننسىٰ بأن هناك جماعات أعدت خصيصاً لهذه الغاية وأسدل عليها ستار الإسلام وهي منه براء، وإلا كيف يمكن أن تفهم ممارسة العنف والمطالبة بالدولة الإسلامية في ظل غياب تام للرؤىٰ المستقبلية، وانعدام البرامج التي تؤهل هذه الجماعات للوصول إلى السلطة!؟.

لقد سئل الشيخ شمس الدين: هل استطاعت الحركات الإسلامية أن تعبر عن الإسلام الأصيل من خلال تجاربها سواء في مواجهة الأنظمة كما في مصر والجزائر أم في إقامة دولة (أفغانستان مثلاً؟ أجاب الشيخ شمس الدين: «بأن الأمثلة الواردة في السؤال خطأ، لأن الحركة الإسلامية الجزائرية بدل أن

= إن الحديث عن سلبية العنف قادنا إلى ذكر هذه الحقيقة، مما يعني أن الأنظمة فضلاً عن عجزها في تأمين الحاجيات الضرورية للمواطن، تمارس العنف وتلقىٰ التهم وتنشىء المحاكم على عجل: إن وضعاً كهذا جدير بالدراسة ـ العميقة، لأن تهمة العنف، حتىٰ وإن صح أنها سلبية من سلبيات الحركة الإسلامية (بعض الحركات) يمكن أن تكون مبررة شرعاً إذا كان الناس سيمنعون من أداء صلاتهم في المساجد، فماذا ينتظر أن يفعل هؤلاء الإسلاميون إذا كان البرىء منهم سيحاكم بتهمة التستر على مجرم؟.

(١) را: مجلة الوطن العربي، العدد ٨٤٧ ـ ١٩٩٣.

تنتصر جعلت الإسلام في مواجهة المجتمع، والمصريون يسيرون باتجاه وضع الإسلام في مواجهة المجتمع، بدل أن يدخل المجتمع في الإسلام، جعلنا الإسلام من خلال طريقة سعينا للإستيلاء على السلطة جعلناه مشروعاً ضد المجتمع. الآن في الجزائر، الشعب يرىٰ في الإسلام حالة مواجهة في مصر الشيء نفسه. أما أفغانستان فهناك مأساة حيث الإسلام فيها حارب السوڤيات والامريكان. ونحن نسأل أين هو نظام الإسلاميين في أفغانستان؟ السنه يتحاربون مع بعضهم، والشيعة مع بعضهم، والسنة والشيعة يتحاربون. . . الحديث ذو شجون. المهم أن الشيخ شمس الدين يعتبر إدارة المسألة خطأ عند بعض الحركات الإسلامية، ويوجه نصيحة إلىٰ الإسلاميين، وهي أنه عليهم أن يعرفوا بأن إيران ليست النموذج، فهي فلتة، كونها كانت جمهورية إسلامية أيام الشاه. . . على الحركات الإسلامية أن تحسن اختيار الطريقة أولاً، والنموذج ثانياً. . . إذا أرادت أن تحقق النجاح لمشروعها. . .»[1].

إن ممارسة العنف في ظل انعدام كافة الشروط ليس مبرراً لأنه يؤدي إلى نتائج عكسية، وقد رأينا كيف أن الإسلام هزم حيث توجد هذه الجماعات المكفرة لجماعات إسلامية أخرى[2].

لايوجد أحدٌ من الفقهاء ممن ينتمون إلى الحركة الإسلامية العالمية يقول بأن إسلوب العنف لا يجب إستخدامه مهما كانت الظروف والأحوال، وإنما يمكن أن يستخدم هذا الأسلوب فيما لو كان يؤدي إلى ما سبق ذكره، من حفظ وحدة الأمة وتماسك المجتمع، «نحن لا نوافق عليه دائماً، ولا

(١) را: الشيخ شمس الدين، مقابلة أجرتها معه مجلة البلاد. بتاريخ ٢٧/ ١١/ ١٩٩٣. عدد ١٥٨.

(٢) را: الشيخ شمس الدين: في الوطن العربي، م. س. أحد المختصين بدراسة الحركات الإصولية في العالم وهو جيل كيبل قال في محاورة مع الوطن العربي حينما سئل هل الحركات الإسلامية المتطرفة تنحو في نظر الغرب لأن تكون إمبراطورية الشر الجديدة بعد سقوط جدار برلين؟ أجاب هذا صحيح: تتجه الحركة الإسلامية المتطرفة لأن تصبح إمبراطورية الشر الجديدة، وترتدي مع بعض الرتوش لباساً فصل على قياس الإتحاد السوڤياتي سابقاً. إن السياسة الغربية تحتاج إلى مثل هذه الأضاليل. . .!؟.

توافق عليه معظم الحركات الإسلامية، لأن هذا العنف الذي نرجو من دعاة العنف الإسلاميين أن يتنبهوا له، لأنهم يقدمون فرصة تشويه الإسلام، وفرصة محاربته (تحت شعارات إسلامية)، وانتصار للقوة العدوة في العالم الغربي التي تتربص بالأمة الإسلامية شراً»[1].

إنهم يقدمون سلاحاً فتاكاً لهذه القوة ضد الأمة الإسلامية، فضلاً عن أن هذا الأسلوب المعتمد يشوه الحركة والإطروحة الإسلامية ويمكن الحركة الصهيونية العالمية من أن تستغل هذا الأسلوب لمصلحة سياساتها وأطروحاتها. إن إسلوب العنف، يضيف الشيخ شمس الدين ـ لا أستطيع أن أعتبره ولا أجيز لأحد أن يعتبره أنه هو أسلوب الحركة الإسلامية، انه أسلوب لم يخلق العداء فقط بين الإسلام والإسلاميين وبين العالم الغربي، بل خلق حالة عداء بين هذه الفصائل الإسلامية وبين الأمة الإسلامية، إذ كيف يمكن أن نواجه فكرة تكفير الأمة، باعتبار أن الأمة كلها على ظلال ومجموعة معينة هنا وهناك هي فقط التي تمتلك الحقيقة الإسلامية»[2].

أما السلبية الثانية للحركة الإسلامية، فهي التجدد المفرط في الإسلام، وهي من أخطر ما يمكن أن تتعرض له الحركات الإسلامية، لأن بعض المسلمين تجاوز حد الإعتدال. ونكاد نقول أنهم انقسموا إلى ثلاث مجموعات: الأولىٰ تجاوزت الإعتدال إلى الإفراط والثانية تجاوزت الإعتدال إلى التفريط، والثالثة تعيش أجواء الإعتدال لا إفراط ولا تفريط ملتزمة بقوله تعالى: **﴿ولا تجعل يدك مغلولةً إلى عنقك ولا تبسُطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾**[3].

---

(١) را: مجلة الوطن العربي، م. س.

(٢) سورة الإسراء آية: ٢٩. يقول الشهيد مطهري: «لعل بعض التيارات الفكرية التي ظهرت في العالم الإسلامي انطلقت من فكرة الأمة الوسط. لكن يوجد بعض التيارات الفكرية المتطرفة في غير الموقع المناسب، في حين أنه يوجد تيارات أخرىٰ قد أبدت مرونة واعتدالاً في غير الموقع المناسب أيضاً، وأنا قد سميت، والكلام لمطهري، ولا زلت =

إن العالم الإسلامي مر في مراحل عديدة كان يفتقر فيها إلى الإعتدال ذلك مما سبب له قلقاً وتراجعاً عن مواكبة العصر، وللخروج من هذا المأزق والعودة إلى الإعتدال يطرح الشيخ شمس الدين مقولة الحوار والتفاعل من موقع الذات كون الأمة الإسلامية قد جعلت أمة وسطاً، فإذا ما عادت لتلعب دورها، ولمواكبة العصر في كل ما ينتهي إليه، فإنها تقدر على تكوين نفسها بطريقة تحقق لها الإستقلال، وتبعث فيها القوة والقدرة على مواجهة كل السلبيات المحيطة بها يقول الشيخ شمس الدين: «إن السبب في تأخر هذا العالم، وفي إفراطه حيناً، وتفريطه أحياناً هو الإنفصال بين الذات والمعتقد»[1] والحق يقال: في العصر الحديث تمكنت بعض الحركات الإسلامية من إعادة اللحمة بين الذات والمعتقد، مما سهّل لها عملية التفاعل والتحاور مع الآخر وفقاً لموقف عقيدي ثابت. وهذا ما أحدث ردة فعل قوية في الواقع تدعو إلى التحرر من قيود الإستعمار، وإلى دخول الإنسان المسلم مجدداً في التاريخ ليعيش وفق معتقده، ووفق متطلبات العصر، فأولئك الذين يكفرون الأمة، وهم قليلون، مازالوا يعيشون حالة الإنفصال بين الذات والمعتقد، ولم يتمكنوا، ولن يتمكنوا من الدخول في التاريخ للمشاركة في صناعته، أو على الأقل للمشاركة في قراءته. فهم يرفضون العصر ومتغيراته ومتطلباته، ويقدسون التراث الذي لا قيمة عملية له، ويبعثون في أنفسهم الهزيمة، ويستعملون العنف ضد حركات إسلامية أخرىٰ وكأنها أخطر من الغرب، والأنظمة...!؟

هذا الوضع المفرط فعلاً لا يتحمل مسؤوليته الأفراد ولا حتىٰ الجماعات، وإنما يتحمل مسؤوليته رجال الدين، وكل من يدعي الحرص على هذه الجماعات المكفرة للمسلمين، وقد قال خير الدين التونسي في حق بعض رجال الدين «لقد أوكلت لأمانتهم «مراعاة أحوال الوقت في تنزيل الأحكام، لكنهم أعرضوا عن استكشاف الأحوال الداخلية، وظلت أذهانهم

= اسمي مثل هذا اللون من التطرف جهلاً، ونقيضه جموداً...» را: الإسلام ومتطلبات العصر. م. س، ص ٥٩.

(١) را: الشيخ شمس الدين: بين الجاهلية والإسلام. م. س، ص ٣٤.

عن معرفة الحوادث الخارجية خلية، فلا هم نظروا فيما يجري داخل بنيان الأمة والجماعة من خطوب وتطورات، ولاهم تتبعوا ما يجد ويحدث خارج حدود الأمة. لدى الأمم المجاورة البعيدة، وهم فضلاً عن ذلك قد صرفوا همتهم إلى اقتناء جواهر العلوم مجردة عن تطبيقاتها المادية المشخصة»[1].

وهذا ما يتفق به الشيخ شمس الدين مع خير الدين التونسي، كون الشيخ شمس الدين قد أخذ على الدور السياسي الذي يقوم به بعض رجال الدين في دعم الغرب والأنظمة الحاكمة لمواجهة الحركات الإسلامية، والدول الإسلامية، فهو يقول أنه ذات يوم قرأ في الصحف يوم كانت الحرب العراقية ـ الإيرانية مستعرة وتطال نيرانها كل العرب والمسلمين، بيان فاجعة، على حد قوله ـ موقع من قبل سبعماية (٧٠٠) عالم دين إسلامي اجتمعوا ليصدروا بياناً يدينون فيه الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وهم يعلمون جميعاً أن النظام العراقي معتدٍ، وأن الغرب هو المستفيد من هذا الحرب»[2]!؟

لقد خسرت بعض الحركات الإسلامية مواقعها بسبب الإفراط تارة والتفريط طوراً، وقد ساد هذا الوضع أيضاً في العلاقات مع الآخر ومازال سائداً حتىٰ الآن، ويمكن القول بحرية تامة أن التفريط والإفراط سببه كان ولا يزال المسؤولون عن الحركات الإسلامية، فبعض رجال الدين مثلاً يخرجون على الواقع ويطلبون من الناس أن يعودوا إلى الأصالة التي تعني بمفهومهم عدم التلبس بالعصر وتطوراته، كما أنهم يرشدون الناس إلى مسميات لا تتلاءم والعصر الحديث، وتتنافى معه، فهم لايريدون لبعض الجماعات، على الأقل التابعة لهم أن تستعمل مفردات حديثة بحجة أنها غير إسلامية، يقول محمد فريد حجاب: «من سلبيات الحركة الإسلامية الإنكفاء على الماضي بكل ما فيه، ومن أمثلة ذلك التمسك بمصطلح الخلافة أو الدعوة إلى تغيير مسميات الوزارات إلى وزارة تفويض، ووزارة تنفيذ، وهي

---

(١) را: خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، مطبعة الدولة تونس، ط ١، ١٢٨٤، ص ٣.

(٢) را: الشيخ شمس الدين، مواقف ودراسات، م. س، ج ٣، ص ٢١٧.

المسميات التي أشار إليها بعض رواد الفكر السياسي الإسلامي مثل الماوردي وابن خلدون، أو استبدال مسميات الشركات الحديثة مثل الشركات المساهمة بمسميات قديمة، مثل شركات المرابحة، أو المضاربة. . . »[١].

إن الأصالة والتمسك بالكتاب والسنة وصلت إلى حد التقليد: **﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾**. وكأن الإسلام لا يصلح إلا لزمان أجدادهم، وكأن كل العلوم التي تم اكتشافها لا تصلح للإنسان!! يقول الشيخ شمس الدين: «علينا أن نميز بين مرجعية ماهو ثابت في تكوين الإنسان والمجتمع وهو ما يكون الشخصية وبالتعبير القرآني، الصبغة، وبين مرجعية ماهو متغير، ومرجعية كل مشروع نهضوي تتكون من كلا الأمرين، وانطلاقاً من هذا فإن مرجعية الإسلام لا تتنافىٰ مع اقتباس كل ما يرجع إلى العلم والتنظيم وكل ما اسميه في الفقه (التدابير)، باختصار نقول لامانع من أن تكون لدينا مرجعيتان. الإسلام في تكوين الذات والغرب في العلم والتقنية والتنظيم»[٢].

فالعصر الحديث يحتاج إلى علماء مجتهدين بكل ما لهذه الكلمة من معنىٰ بحيث يقدرون على مواكبة العصر، وإيجاد الحلول للحوادث الطارئة، وكما يقول الشهيد مطهري: العصر ليس بحاجة إلى أولئك العلماء الذين يتبعون أذواق الناس، باعتبار أن أكثر اهتمامات عوام الناس هو الإتجاه نحو القديم، وعدم الإهتمام بالساعة. . . وهناك علماء آخرون يهتمون بالمسائل المعاصرة، إلا أنهم مع الأسف عملهم هذا يكون على حساب الإسلام باسم الإجتهاد الحر، ويجعلون المتطلبات وروح العصر معياراً للحق والباطل، بدل أن يكون الإسلام هو المعيار. . . »[٣].

إن التواصل بين الذات والمعتقد، كما يقول الشيخ شمس الدين، يجب أن يؤدي إلى التفاعل بين الإنسان وما يحيط به، من دون أن يكون

(١) را: مجلة الحوار، عدد ٢٨، ١٩٩٣.

(٢) را: الشيخ شمس الدين، في مقابلة مع مجلة البلاد، عدد سابق. تاريخ ١٩٩٣/١١/٢٧.

(٣) أنظر: الحركات الإسلامية، مطهري، مرتضىٰ، م. س، ص ١٠٧.

لتراث الماضي، أي قيمة عملية، لأنه لا يصح في عصر بلغ التقدم فيه ذروته أن نبني حياتنا على الماضي، وعلى أشياء لا تتفق وروح الإسلام، فعلىٰ قيادات الحركة الإسلامية أن تدفع بالمسلمين باتجاه المستقبل في الوقت الذي يعملون فيه من أجل اكتشاف الحاضر، وكما يقول (ديل كارينجي): «اغلقوا الباب الحديدي على الماضي، واسدلوا ستاراً فولاذياً على المستقبل الذي لم يوجد بعد، حتىٰ يتم لكم استغلال الحاضر بأحسن صورة، وتمتعوا عند ذلك بالسعادة»[١].

على المسلمين أن لا يعيشوا الأوهام والتخيلات، وأن لا يشغلوا أنفسهم بالأسف وعض أنامل الندم على الماضي، كما أن عليهم أن لايعانوا من القلق الشديد إزاء المستقبل، لأن ذلك يملأ حياة الإنسان قلقاً واضطراباً ومعاناة. . .[٢].

إن الدعوات، والكلام للشيخ شمس الدين - إلى تقديس الماضي تنم عن جهل مطبق بالإسلام، فإذا أراد المسلمون أن يعيشوا هذه القداسة، فإنهم لن يتمكنوا من بناء دولتهم الحضارية، فضلاً عن شخصيتهم الحضارية. . .

هناك أجانب وماديون يعملون بكل ما أوتوا من قوة لأجل تغليب قداسة الماضي على حاضر المسلمين ومستقبلهم، فإذا لم يكن المسلمون على وعي ثقافي، فإن من شأن هذه التعاليم أن تتكرس في العالم الإسلامي، وتكون النتيجة مفاهيم مادية أجنبية مغلفة بشعار الإسلام، حركات وثورات مادية باسم الأصولية؟!

إن التاريخ الإسلامي مليء بالإفراط والتفريط، وقد أدىٰ ذلك إلى هزائم بالجملة ففي الوقت الذي كان يعمل فيه المسلمون سنة وشيعة لمواجهة الإستعمار الغربي (في القديم) ظهرت مجموعة تدعي الإسلام (الوهابية) تكفر المسلمين، لقد شذّت عن القاعدة العامة التي رسمتها حركات إسلامية أخرىٰ

---

(١) نقلاً عن الرسالة الإنسانية، للعلامة الحاج ميرزا حسن الحائري الإحقاقي مؤسسة البلاغ ط ١، ١٩٨٨، ص ٢٦٩.

(٢) م . ع . ص ٢٧٠.

في طرح أولوية الصراع مع الأجنبي الغازي، واتخذت طريقاً آخر هو طريق المواجهة مع الدولة العثمانية بداية ثم مع تجربة محمد علي في مصر في مرحلة لاحقة «وهذا ما جعل هذه الحركة تندفع للتعايش مع مفاعيل الإستعمار. وتغالي في تكفير المسلمين على اختلاف مذاهبهم، وإلى هدم المقامات المقدسة في العراق في القرن الثامن عشر، حتىٰ أنها تساوي بينهم وبين القوىٰ الغازية «لقد رمت الوهابية المسلمين بالشرك وإباحة دمهم ومالهم وذراريهم. . .»[1].

إلى جانب هذه الحركة توجد تيارات أخرىٰ تحمل الإسلام شعاراً، مثل الحركة الحجتية الضعيفة التي لا تعرف الإعتدال أيضاً، وتدعو إلى إفساد الأرض بهدف تسهيل مهمة الإمام المنتظر (ع)، باعتبار أن هذا الإمام (ع) لا يخرج إلا إذا ملئت الأرض ظلماً وجوراً، فالمساعدة على الإفساد تساهم في خروج الإمام (ع)! وهنا نقول أن الإفراط والتفريط بلغ حداً لم يكن ممكناً السكوت عليه فبين الحركة التي تكفر الأمة، والحركة التي تدعو إلى الإفساد في الأرض، والحركة التي تعتبر نفسها الوحيدة في قول الحق، فبين هذه الحركات، والإسلام يوجد مسافة طويلة لا يمكن قطعها. . .؟

هذه أخطر سلبية في العالم الإسلامي، بل هي آفة عمل المسلمون على التخلص منها في أكثر من مكان، ويجب أن يستمر العالم الإسلامي كما يقول الشيخ شمس الدين في رفض هذه الجماعات الجاهلة، بل هو يدعو إلى أكثر من ذلك إلى تحجيم هذه الحركات حتىٰ لا تنتشر شرورها في الأرض وتطال كل ما هو مقدس في هذه الأمة ولها كما حصل في الماضي. . .[2].

من سلبيات الحركة الإسلامية أيضاً باختصار:

١ ـ غياب الرؤية الشاملة، وعدم القراءة الدقيقة للواقع.

---

(١) أنظر: محمد جواد مغنية، هذه هي الوهابية، دار بيروت ١٩٣٢، ص ٧٧، وقا: مع حسن الضيقة مجلة الغدير. عدد ١٠ ـ ١١.

(٢) را: مجلة الوطن العربي، م.س. وق: مع الشعلة، م. س.

٢ ـ إغتراب كامل في بعض المجتمعات الإسلامية عن الثقافة الإسلامية.

٣ ـ الجهل بأسس وتعاليم الإسلام...

٤ ـ ضعف الإتصال بالمجتمع.

٥ ـ عدم الإعتراف بالآخر..

٦ ـ إنعدام التنظيم واللجوء إلى المجازفة..

هذه السلبية الأخيرة، يمكن أن تؤدي فيما لو استمرت إلى كوارث في المجتمع الإسلامي لأن التنظيم يبقي الشرط الأهم والأساس لنهوض أية حركة، وانعدامه يعني الفوضىٰ والجاهلية، كما أن عدم التنظيم لا يسمح لأية حركة إسلامية ببلوغ أهدافها، والحركة الإسلامية التي لا تعتمد التنظيم لا تكون قادرة على حمل المشروع السياسي الإسلامي، كونها غير قادرة على تنظيم نفسها، فكيف يكون لديها القدرة على تحمل المسؤولية في قيادة أمة إلى أهدافها؟(١).

إن التنظيم هو إحدىٰ الوسائل المهمة في الحياة الإسلامية لبلوغ الأهداف العليا، والذين يتحركون في الواقع عشوائياً ويعتمدون على الصدف، ويقومون بالمجازفة لإنجاح مشروعهم، ليسوا على معرفة كاملة بالإسلام الذي يدعو إلى التنظيم قبل القيام بأي تحرك لإصلاح المجتمع الإسلامي. يقول الشيخ شمس الدين: «يبدو أن فكرة التنظيم قد أصيبت

---

(١) معلوم أن الثورة الإسلامية في إيران ماكانت لتنتصر لولا أنها لجأت إلى التنظيم أولاً وأخيراً، وعملت على توفير كافة الشروط الموضوعية، الداخلية والخارجية، هذا فضلاً عن تمكن قياداتها من القراءة الدقيقة للواقع، ولما يحيط بها، و للمستقبل أيضاً وكذا الأمر في السودان، والجزائر، وبما أن الإنتفاضة في العراق كانت ولا تزال مفتقرة إلى الشروط الموضوعية الخارجية، وإلى التنظيم الدقيق،فإنها لم تتمكن من تحقيق تقدم يذكر على مستوىٰ الدولة، وإن كان لها حضورها المميز والقوىٰ في المجتمع. وهذا كله داخل ضمن خيارات الأمة. التي تحتاج إلى مزيد من الجهد لأجل أن تتحقق عملياً...

بنكسة وتراجع في فترة طويلة من الزمن حيث أنه ارتكز في أذهان الكثيرين من الناس، ومن العلماء أيضاً أنه لا داعي للتنظيم مادامت الأمة تملك رصيداً يمكنها من تحقيق أهدافها، وبعضهم ذهب إلى القول إن التنظيم قد يكون مخالفاً للشرع وللسنة ولأهل البيت (ع) وأن الأمور يمكن أن تبقىٰ هكذا إلى أن يدبرها الله تعالىٰ. . . »[1].

إن العالم كله يقوم على التنظيم، فكيف يكون هذا مخالفاً لشرع الله وسنة نبيه؟، وهنا تجدر الإشارة إلى أن توفر الشروط الداخلية والخارجية كيف يمكن أن يتم بمعزل عن تنظيم الناس والمجتمع؟.

نقول إنه لابد من الشروط الموضوعية للظواهر الطبيعية، وللظواهر الإجتماعية لأجل أن يسبب الله الأسباب، «وفكرة التنظيم والعمل له هي من هذه الشروط»[2].

أما ضعف بعض الحركات الإسلامية عن الإتصال بالمجتمع، فهو غالباً ما ينشأ عن أفكار غربية تحملها هذه الحركات، مما يتسبب في عزلتها عن المجتمع، وقد رأينا كيف أن بعض الحركات قد كفر حركات إسلامية أخرىٰ وشبهها بالغازي المستعمر، هذا فضلاً عما تطلقه هذه الحركات المقلدة للماضي من اتهامات للمجتمع بالتخلف والخيانة والخروج عن الإسلام لأنه لا يؤيد نظرتها، ولا يحمل فكرتها.

وبما أن أي مشروع إسلامي، لكي يحقق أهدافه، ويصبح حقيقة عملانية، فإنه يحتاج إلى التواصل بين كافة تياراته وفئاته سواء أكانت إسلامية خالصة، أم متنوعة، بحيث يكونون جميعاً مستعدين للعمل من أجل هذا المشروع مع ما يقتضيه من رؤية شاملة للمستقبل بمعنىٰ أن لا يفاجأ القيمون عليه بالأحداث التي يمكن أن تقع، وهذان الشرطان لن يتوفرا مادامت هناك حركات تدعي الإسلامية وحدها وتكفر كل مَن لا يلتقي معها سواء أكان

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، مواقف ودراسات، م. س، ج ٢، ص ١٢٩.
(٢) م. ع. صص ١٢٩ ـ ١٣٠.

النظام أو تيارات في المجتمع علمانية أو إسلامية[1]. (القضية، كما يقول الشيخ شمس الدين، الإسلامية تدار خطأً ولذلك أنتجت جزائر، ومصر. . . الخ، إن الخطأ الكبير والخطير هو أن هناك تيارات تعمل على أساس أنها تمثل جميع التيارات ولا يحق لأحد أن يمثلها. . .[2].

من سلبيات الحركة الإسلامية أيضاً، وهي ما يمكن أن تعتبر آفة حقاً، هي عدم قبول بعض الحركات الإسلامية بمبدأ الديمقراطية كنهج سياسي، وعقيدة سياسية، وهي لا تقبل بهذا المبدأ من منطلق أنه صيغة مخالفة للإسلام ولا تنسجم معه لا من قريب ولا من بعيد، وقد حددت بعض الجماعات موقفها من هذا المبدأ بأنه شرك بالله عز وجل.

بعض الفقهاء القدامى والجدد ذهب إلى القول بأن الشورى التقليدية الإسلامية تساوي البرلمان والدستور في العصر الحاضر[3]. . وذهب فقهاء

(١) را: الشيخ شمس الدين، مجلة البلاد. ع. ن. ع. س.

(٢) يقول الشيخ شمس الدين: «الحالة الإسلامية هي التمسك بالإسلام، ليس عندنا حالة أصولية وحالة غير أصولية، المسلمون كلهم أصوليون، هناك مسلم متمسك، ومسلم غير متمسك وغير أصولي. إن مرجعنا وصيغتنا الحضارية هي الإسلام. وأية دعوة بأن فئة من المسلمين هي التي تمثل هذه الحالة، وتريد أن تجدد للمسلمين إسلامهم، فهذه دعوة مرفوضة مهما كان الحزب أو الحركة التي تقوم بها ونحن لا نخاف على الحالة الإسلامية في هذه المرحلة، وإنما نخاف عليها من نفسها، أنا لا أفهم حالة إسلامية تستحل الدماء وتكفر مسلمين أخرين بدعوى الدفاع عن الإسلام، حتىٰ على المستوىٰ الفقهي فضلاً عن المستوىٰ السياسي ـ لا أفهم أن جماعة مسلمة عاجزة عن أن تتفاهم مع جماعة مسلمة مثلها، وقادرة على أن تتفاهم مع مجموعات علمانية مضادة لها، هذه ليست حالة إسلامية، وإنما هي حالة سياسية متسترة بالإسلام. را: مجلة الشراع، ٣/كانون الأول ١٩٨٨ وقارن مع وجيه كوثراني الذي رأىٰ بأنه عندما تكتفي الإسلامية بأن تكون تياراً من بين التيارات، وليس بديلاً عن الكل، فإن مستقبل الإسلامية سيكون رحباً في حقل التجديد الثقافي والسياسي معاً. را: ملف المعلومات المركز العربي، م. س، ص ٦.

(٣) عندماظهرت الحركة الدستورية في إيران وأيدها بعض الفقهاء، لم يكن تأييدهم لها نابع من قناعة تامة بأنها تلتقي مع الإسلام وتوافقه في كل شيء، بل أيدوها لأنها تخفف من الإستبداد، ونتذكر من هؤلاء العالم الكبير الأخوند الخرساني الذي أيدها تأييداً قوياً، =

آخرون إلى القول بأن الديمقراطية هي المبدأ الوحيد الذي يمكن اعتماده في مجتمع غير محكوم بقوانين الإسلام. على خلاف ما لو كان هناك مجتمع محكوم بالإسلام، فهذا المجتمع يجب أن يعتمد مبدأ الشوري. وليس مبدأ الديمقراطية، و إلا يكون قد خرج على أهم مبدأ من مبادىء الإسلام فيما لو اتخذ من الديمقراطية بديلاً عن الشوري، وبما أن المجتمعات الإسلامية اليوم لا تحكم بما أنزل الله تعالىٰ، فإنه يمكن اعتماد مبدأ الديمقراطية

= وكذا الفقهاء الذين عارضوها، هم لم يعارضوها لأنها دستورية وحسب، بل لأن وراءها قوىٰ أجنبية لا تبغىٰ الخير للمسلمين جميعاً، فالسيد اليزدي عارض الحركة الدستورية لأنها عبارة عن عملية تمويهية ليس أكثر ويراد منها، ولا يخفىٰ على أحد، كما يقول الشهيد مطهري، أن الروس كانوا وراء النظام الإستبدادي والإنكليز وراء النظام الدستوري، فمن أين تكون المصلحة العامة لشعب إيران. فالحركة الدستورية لم تكن مرفوضة في ذاتها بل كانت مرفوضة لما تؤدي إليه من مساوىء وخصوصاً أن الشعب لم يكن واعياً لكل مايراد به وله. را: مرتضىٰ مطهري. الإسلام ومتطلبات العصر، م. س، ص ١٣١ ـ ١٣٢.
البعض يقول ان كبار مراجع الشيعة طالبوا بالدستور وفرضوه على الشاه، وكانوا مقتنعين بأن هذه الحركة موافقة للشريعة ويمكن اعتمادها كأفضل ما يكون، وهنا يمكن أن يقال: أن الفقهاء العظماء قبلوا بها لأنها تخفف من الإستبداد، وتعطي مجالاً للشعب كي يعبر عن رأيه، وكي ينتخب ممثليه، ولم تكن المبدأ الأفضل عندهم. هكذا نحن نفهم حقيقة الدعم الكبير للدستور، والذين عارضوها أيضاً كانوا على علم مطلق بأنها لن تكون دستورية لطالما أن الأجانب هم وراء كل من الاستبداد والديمقراطية. ومما يدل على هذه الحقيقة هو أن الأجانب في بلادهم لا يعرفون الديمقراطية ولا يطبقون الدستور، ولا يحترمون آراء شعوبهم، وهذا ما أكده العلامة محمد جواد مغنية، في قوله: «إنه يكفي للرد على هؤلاء، أن الديمقراطية لم ينبثق عنها إلا الثراء الفاحش والفقر الفاحش... إن الدستور الموجود في بلاد الغرب أدىٰ إلى تحكم قلة قليلة بالثروة ومصادرها، وإلى التحكم بحياة الناس، وما تراه من حرية هو الاسنبداد بعينه. را: الإسلام والعقل، دار الجواد: بيروت، ١٩٨٤، ص ١٩٩.
ونحن هنا نتساءل ـ في يوم تعيش فيه روسيا حرباً، بين أهل الحكم حيث أقدم رئيس روسيا بوريس يلتسين على حل البرلمان، هل أن هذا الرئيس احترم الدستور؟ ولماذا قدمت له أوروبا كلها الدعم للقضاء على المعارضة؟ وكل ذلك تم تحت شعار حماية الدستور، هذا مثل من أمثال عدة يمكن أن تذكر...

كصيغة مؤقتة تسمح لقوىٰ التغيير بأن تعبر عن رأيها في طرح مشروعها السياسي. إن المجتمع الخالص إسلامياً يبقىٰ مسؤولاً عن تطبيق مبدأ الشوري على نحو أفضل بكثير مما استطاعت أية أجيال سابقة تطبيقه لأن الإختراعات الحديثة تساعد عل تطبيق مبدأ الشوري، كالهاتف، والعقل الإلكتروني، وغيرها. وهذا الإختراع لم يكن متوفراً في الماضي...

فالشيخ شمس الدين لايدعو إلى اعتماد مبدأ الديمقراطية كنهج سياسي لأنها تمثل المبدأ الأفضل، وإنماهو يدعو إليها باعتبارها خير ما يمكن اعتماده في أجواء الإستبداد ومصادرة الحريات، كما أنه يعلم بأن هذه الديمقراطية لن تطبق كما ينبغي أن تطبق، وهذا ما يختلف به الشيخ شمس الدين مع بعض الحركات الإسلامية التي ترىٰ بالديمقراطية شركاً بالله تعالىٰ، وتعطي البشر حق التشريع ابتداءً، هذا فضلاً عما تؤدي إليه من احتكام البشر للقوانين الوضعية التي ما أنزل الله بها من سلطان، إنها مرفوضة عند هذه الحركات جملة وتفصيلاً، ولا يمكن القبول بها إطلاقاً سواء في مجتمع مختلط، أو في مجتمع خالص، تقول هذه الحركات «فمجرد وجود سلطة تشريعية بشرية تشرع ما لم يأذن به الله وفق هواها عن طريق برلمان، أو غيره، فهذه جاهلية إذ أن حق التشريع غير ممنوح لأحد من الخلق لأنه حق خالص لله تعالىٰ»[1].

وتضيف هذه الحركات إلى مقولاتها السابقة مقولة ثانية وهي أنه كيف يمكن اعتماد الديمقراطية وقد تبين فشلها في كثير من المراحل السياسية «لقد فشل الحلان الليبرالي والاشتراكي في تحقيق نصر عسكري في قضية المسلمين الأولىٰ قضية فلسطين، لقد فشلت الديمقراطية فشلاً ذريعاً تجسد في هزيمة الجيوش العربية في سنة ١٩٤٨، وقيام دولة إسرائيل المزعومة»[2].

هذه المقولات لا ينكرها الشيخ شمس الدين، وهو يعترف في أكثر من

---

(١) را: هالة مصطفىٰ، ملف المعلومات المركز العربي، م. س. ص ٨٨.

(٢) را: رضوان السيد، م. ع. ص ٥٠. نقلاً عن يوسف القرضاوي في كتابه «الحل الإسلامي فريضة وضرورة.

نص سياسي، أن الديمقراطية فشلت ولم تحقق للمسلمين شيئاً، وإثر فشلها ظهرت إلى النور مقولة الحاكم المستبد العادل مع الشيخ محمد عبده وغيره ممن اعترفوا بها ودعوا إليها. لكن ماذا يمكن أن تفعل الحركة الإسلامية إذا لم يكن بإمكانها القبول بأدنىٰ من ذلك في الوقت التي تعجز فيه عن اعتماد أي مبدأ آخر، فلتكن أهون الشرور وليعمل من خلالها على تحقيق الحد الأدنىٰ من الأمن السياسي والثقافي والاجتماعي... في المجتمعات الإسلامية، ويمكننا مراجعة نصوص الشيخ شمس الدين التي يرد فيها على الشيخ محمد عبده، رافضاً مقولته التي تدعو إلى الجمع بين العدالة والاستبداد»[1]؟؟.

من هنا ندرك بأن هذه السلبية في الحركة الإسلامية، قد تم تجاوزها في أكثر من بلد إسلامي، حتىٰ في الجزائر البلد الذي لم يقبل بالديمقراطية الغربية، كما أنه يمكن أن يتم تجاوزها في بلدان أخرىٰ شرط أن تكون بعض الحركات الإسلامية مستعدة لقبول الحل الوسط الذي يسمح لها بطرح مشروعها السياسي تحت شعار الديمقراطية مهما كان لونه وشكله، ففي حال دخلت هذه الحركات في اللعبة الديمقراطية، فإنها من دون شك تستطيع أن تصل إلى حد أدنىٰ من الأمن والتعايش مع تيارات أخرىٰ تعشق هذا المبدأ وتعتبره نموذجاً فذاً يحقق الخير والسعادة والحياة السياسية الحرة؟!.

إن كل ذلك يبقىٰ مشروطاً باحترام هذا المبدأ فيما لو تم اعتماده على أن تعمل هذه الحركات لتحقيق نفسها عن طريق مبادىء أخرىٰ أفضل منه، والحق يقال إن الجزائر انتصرت باللعبة الديمقراطية بغض النظر عن الأسباب الداخلية والخارجية التي أدت إلى هزيمتها على مستوىٰ التحقق في الدولة، لكنها مازالت قوية ومصدر قلق في المجتمع لأولئك الذين انقلبوا على الديمقراطية طلباً للإستبداد والقمع وغير ذلك مما تحفل به الحياة الحيوانية. فالقول بأن المديقراطية هي الجاهلية بعينها قول لايخلو من الإيجابية فيما لو

---

(١) را: كتابنا/ الشيخ شمس الدين بين وهج الإسلام وجليد المذاهب، م. س. ص ١٥، وقا: مع: نظام الحكم والإدارة في الإسلام... دارمج، ص١٢٦.

نظر إليه بعين غربية، إلا أنها يمكن أن تكون ديمقراطية حقيقية فيما لو نظر إليها بعين شرقية، باعتبار أن الشرقيين سبق لهم أن سمحوا للآخرين ممن عاشوا معهم (ديانات مختلفة) بأن يعبروا عن رأيهم بحرية تامة خلاف ما هو عليه الوضع في ظل الديمقراطية الغربية. وقد يصح القول أنه حيث توجد الديمقراطية الغربية اليوم توجد النظرة المادية للكون والوجود والنظرة الحيوانية للإنسان، وهذه هي الجاهلية بعينها، وهذا ما سبق أن أشرنا إليه لجهة اتفاق الشيخ شمس الدين مع سيد قطب في عودة الجاهلية من جديد إلى حياة الناس. . .[1].

إذن الشيخ شمس الدين لا يعطي فكرة الحاكمية، القداسة التي يعطيها إياها سيد القطب من حيث العمل لها في الواقع وتقديسها من خلاله[2]، باعتبار أنها مقدسة في ذاتها ﴿**أفحكم الجاهلية يبغون**﴾، وهذا يعني أن مسألة التدبير والسياسة الحقيقية يمكن أن تكون من خلال حماية الأمة، لأن السياسة التي لا تؤدي إلى تماسك المجتمع لا تكون شرعية وموافقة للإسلام حتىٰ وإن كانت متميزة بشعاراتها الإسلامية ولهذا السبب وغيره أيضاً يقول الشيعة على سبيل المثال لا الحصر أنه لا يجوز الثورة أو ممارسة العنف ضد أي نظام مغتصب للحكم إلا بعد تهيئة كاملة للشروط والظروف ومن ضمنها، شرط تماسك الأمة ـ ووحدتها إضافة إلى شروط خارجية وكما عرفنا أن فكرة

---

(١) يرىٰ الشيخ شمس الدين، «أنه بعد أن وهنت الصلة بين المسلمين ودينهم الحنيف، وأخذ العالم الإسلامي يتردي في الجاهلية الأوروبية التي لا تختلف في واقعها عن الجاهلية التي حاربها القرآن وحملة القرآن، وإن اختلفت المظاهر والأسماء والسمات لأن الجاهلية عبارة عن النظرة المادية للكون، والحيوانية للإنسان، وقد شهد العالم الإسلامي عودة هاتين النظرتين بكل مضاعفاتهما الوبيلة بعد أن قضىٰ عليها القرآن يوم كانت حياة الناس تصاغ وفق مبادئه. . .» جاء هذا الكلام في الإحتفال السنوي الذي أقيم بمناسبة مولد الإمام الحسين (ع) في النجف الأشرف سنة ١٣٨١ هـ.

(٢) يقول سيد قطب: «إن العالم الإسلامي اليوم يعيش الجاهلية، . . . ويرجع ذلك كله إلى تجاهل مفهوم لا إله إلا الله، الذي يجعل الحاكمية لله وحده» هذه الفكرة هي التي عدلها الإخوان المسلمون، حيث أنهم أعطوها بعدها الحقيقي بعيداً عن معنىٰ السياسة المقدسة وما تقتضيه من تدبير في المجتمع الإسلامي. . .

الحاكمية التي قال بها سيد قطب قد أخضعت على يد الأخوان المسلمين لتعديل هام .

وهو أننا ـ كما يقول الأخوان ـ دعاة لا قضاة، دعوة وإرشاد، وغير ذلك مما يعطي فكرة الحاكمية القداسة في ذاتها من حيث هي حقيقة مطلقة ليس من شروط التعبير عنها أن نكون حكاماً. إن المسألة السياسية تبقىٰ مسألة نسبية وغير مقدسة، والسلبية إنما تكون في اعتبارها شيئاً مقدساً، ومقوماً ـ لإمامة المعصوم، فهي ليست حقيقة مطلقة حتىٰ لايمكن التخلي عنها مهما كانت الشروط والظروف، وقد أخطأت بعض الحركات الإسلامية حينما دعت إلى فكرة الحاكمية والقتال من أجلها ضد الديمقراطية بما هي جاهلية مستحكمة، في حين أننا نجد جماعات إسلامية أخرىٰ عندها مشروعها السياسي وتتحرك ديمقراطياً وتعمل من أجل أن تبني مجتمعاً إسلامياً حديثاً متطوراً، يتميز بمضمونه الإسلامي، وبسياسته الإسلامية.

يبقىٰ أن نقول أن الشيخ شمس الدين يربط ربطاً محكماً بين الديمقراطية المتطورة وبناء السياسة على أسس إسلامية، ومراعاة القانون الإلٰهي الكلي، وعدم التعارض معه، وكما يقول الشهيد مطهري، ورداً على الذين اعتبروا الديمقراطية جاهلية تسمح للبرلمان بأن يشرع في مقابل الله تعالىٰ، فالديمقراطية الحقة هي التي تسمح للناس بأن يواكبوا العصر من دون أن يكون هناك أي تشريع مخالف لما أمر الله به، باعتبار أن الدين حدد تكاليف الناس لكل الأزمنة والأعصار وبين القوانين الكلية المجملة، أما الجزئيات والتفاصيل التي تظهر في كل عصر فقد تركها للناس كي يجتهدوا في وضع قانون لها لا يخالف القانون الإلٰهي، فالبرلمان هذه هي وظيفته، وليس من مهامه أبداً مخالفة هذا القانون، وللتدليل على هذه الحقيقة يقول الشهيد مطهري ان القانون الإسلامي لم يفرض على الناس الرجوع إلى القرآن والسنة لمعرفة رأيهما في جميع جزئيات حياتهم، من قبيل التطورات الحاصلة في أوضاع المدن أو وسائط النقل الحديثة. . . إلى ما هنالك[1]. . .

---

(١) را: الإسلام ومتطلبات العصر، م. س، ص ١٢٥.

فالديمقراطية يمكن أن تتحول إلى جاهلية ويمكن أن تشكل من خلالها حياة إسلامية، وعلى المسلمين أن يعملوا من أجل أن تكون الديمقراطية موافقة لحياتهم وغير معارضة لمعتقداتهم ولقوانينهم الإسلامية بحيث يتمكنوا من خلالها من تغيير النظرة إلى الواقع والحياة والمستقبل.

فإذا أرادت الحركات الإسلامية العمل ديمقراطياً، فما عليها إلا أن تصبر على ما يمكن أن يعترضها من استبداد المستبدين، ومن تجار الديمقراطية الذين اتخذوا منها شعاراً لقمع الناس ومصادرة حرياتهم. . . !

* * *

القسم الثالث: الحركة الإسلامية في لبنان وموقف الشيخ شمس الدين من العلاقات مع الخارج.

الفصل الأول: نشأة وتطور الحركة الإسلامية في لبنان

الحركة الإسلامية في مواجهة الطائفية السياسية والعلمانية.

الحركة الإسلامية والخطاب الذاتي

مشروع الحركة الإسلامية في لبنان

الفصل الثاني: علاقة الحركة الإسلامية بالثورة الإسلامية في إيران.

الفصل الثالث: موقف الشيخ شمس الدين من المعارضة

الفصل الأول: نشأة وتطور الحركة الاسلامية في لبنان

تمهيد الفصل الأول:

قد يكون من المسموح به لأي باحث أن يتناول نشأة وتطور الحركة الإسلامية في لبنان، أو في أي بلد آخر إذا كان الهدف من ذلك الإحاطة بهذه الحركة إحاطةً شاملة في زمان معين، وفي مكان معين، أما أن يكون الهدف من الحديث عن نشأة وتطور الحركة الإسلامية في لبنان قطع التواصل بينها وبين تاريخها، أو بينها وبين ماضيها وجذورها التي تمتد في عمق الزمان، فذلك ما لا يمكن أن يسمح به. لأنه يؤدي إلى اعتبار الحركة الإسلامية عارضاً طارئاً فرضته أحداث معينة في واقع معين.

فالحركة الإسلامية ليست عارضاً طارئاً، ولا هي منقطعة الجذور، وإنما هي كالنهر الجاري يخف حيناً ويقوىٰ أحياناً، فمقولة أن الحركات الإسلامية ظاهرة عارضة، «وأنها تمثل ردة فعل على مشاكل راهنة، في العالم المعاصر[١]» مقولة غير صحيحة إطلاقاً، بدليل أن هذه الحركات، وخاصة في لبنان كانت تعبر دائماً عن رأيها ، وتطرح مشروعها وتعمل على تحقيقه منذ اليوم الذي تحولت فيه الخلافة إلى زعامة سياسية تتوخىٰ المصلحة الشخصية، وبمعنىٰ آخر منذ العهدين الأموي والعباسي، كانت الحركة الإسلامية تعارض الأنظمة الجائرة بعيداً عن ردات الفعل، وبعيداً عن الظروف التي كانت موجودة آنذاك. إنها حركة واقعية مهمتها قراءة الواقع ورصد المستقبل

(١) را: فريد هاليداي، ملف المعلومات، المركز العربي، السفير، م. س. ص ١٧.

والعمل على إيجاد فرص للمسلمين كي يتمكنوا من القيام بمهماتهم ومن التعبير عن وجودهم. فحينما يقال أن المسلمين في لبنان نشأوا في ظل ظروف صعبة وفي أجواء من القهر والحرمان. فذلك يمكن أن يكون صحيحاً، لكنه ليس السبب الأول والأخير لظهور هذه الحركة، وإنما هناك أسباب أخرىٰ لنشوئها ولتطورها يمكن أن نقف عليها من خلال تاريخ المسلمين في لبنان، وبالأخص في المرحلة الإنتدابية أيام الفرنسين والأنكليز وغيرهم. في هذه المرحلة يمكن العثور على أسباب نشوئها وفي أيام الأمويين والعباسيين يمكن العثور على أسباب أخرىٰ أيضاً وكذلك في أيام الغزو الصليبي للعالم الإسلامي وما تولد عنه من صحوة إسلامية في جميع بلاد المسلمين. لا يمكن حصر الأسباب في مرحلة من المراحل. فالحصر يمكن أن يطال حركة قومية أو عنصرية أوغيرذلك أما أن يطال الحصر الحركات الإسلامية فذلك يعني الجهل بالتاريخ وعدم القدرة على قراءته بكل أحداثه. . .

وهنا يقال أيضاً: إن القهر والحرمان وغير ذلك مما يشكل ردات فعل على مشاكل معينة ليس من شأنه إعطاء الحركة الإسلامية كل امتداداتها، ولا الحياة الدائمة المتحركة، إنطلاقاً من كونها تحمل مشروعاً عاماً يحتاج إلى حركة دائمة في الزمن، وكل مَن يحمل هذا المشروع لايمكن وصفه بالآنية أو بردات الفعل على مشاكل راهنة، أو على قوىٰ معينة في الواقع، ولنفرض أن هذه الحركة تمكنت من إزالة الظلم والقهر والإضطهاد، فذلك لا يعني التخلي عن مشروعها العام الذي يقضي باستمرار الحركة لتحقيق السعادة الدائمة من خلال التفاعل التام والاتحاد بالإسلام. . .

تطور الحركة الاسلامية في لبنان:

سبق لنا أن أشرنا في ثنايا الفصول السابقة إلى أن الحركة الإسلامية في لبنان هي جزء من الحركة الإسلامية العالمية، وهي تعمل من أجل تحقيق مبدأي العدل والمساواة في المجتمع مثلها مثل أية حركة إسلامية في أي بلد آخر، والحديث عن نشأتها في لبنان لا يعني أكثر من الحديث عن ماضيها

العميق، وعن جذورها، وإن كان يصح الحديث عن نشأتها من حيث هي حركة لبنانية إستطاعت أن تعبر عن نفسها في القرن العشرين، فإذا كان هناك ثمة إشارات إلى اعتبارها حركة عارضة، وردة فعل على أحداث وظروف معينة ـ كما أسلفنا فتلك الإشارات هادفة إلى التقليل من أهميتها وحصرها بردة الفعل من دون أن تكون الفعل نفسه في واقع سبق له أن تغير على يدها وتنور بفكرتها، وتحرر بجهادها، فلو نحن عدنا إلى مرحلة تاريخية معينة، إلى مرحلة الشهيد الثاني الذي توفي سنة ٩٦٥ هـ[١]. مروراً بمرحلة كل من العلماء السيد محسن الأمين[٢]، والسيد عبد الحسين شرف الدين[٢]،

---

(١) كيف لا تكون الحركة الإسلامية في لبنان متجذرة وقد رفض علماء جبل عامل مغادرته إلى أمكنة أخرىٰ تأكيداً على دورهم في محاربة المستعمر، والاقطاع، فالشهيد الثاني على ما ينقل الشيخ مطهري (رضوان الله عليه): امتنع عن الذهاب وابنه الشيخ حسن صاحب (المعالم) وسبطه السيد محمد صاحب «المدارك» عن الرواح من الشام وجبل عامل إلى أصفهان، وكان سبب هذا الإمتناع أن الشهيد الثاني عمل من أجل دوام الحوزة وعدم انقراضها، وقد بلغ امتناعهم عن الإنتقال عن الشام وجبل عامل إلى درجة أنهم انصرفوا عن زيارة حضرة الإمام الرضا (ع) مع شدة اشتياقهم إليها، مخافة أن يضطروا إلى الإجابة فيما إذا دعوا من قريب، را: الإسلام وإيران، مطهري، ج ٣، ص ٣٣٩.

معلوم أن مقتل الشيخ زين الدين جاء في أواسط سلطنة الشاه الصفوي طهماسب، عام ٩٦٥هـ، أي في الوقت الذي عاد فتجدد الصراع فيه وأخذ الشاه المذكور على عاتقه استقدام علماء الشيعة الإمامية من العراق وجبل عامل والبحرين إلى إيران لتقوية مذهب أهل الدولة ونشره، وهذا ما رفضه الشهيد الثاني. را: وجيه كوثراني، الفقيه السلطان م، س. ص ٩٨.

(٢) أما السيد عبد الحسين شرف الدين، فلا يزال فكره السياسي والديني مؤثراً في الحياتين السياسية والروحية في بلادنا وكل مَن يحاول استقصاء الحركة الفكرية، منذ الربع الأول من القرن العشرين لابد أن يرىٰ تأثير شرف الدين وبخاصة في ميدان السياسة والدين. را: ما يقوله، عن السيد شرف الدين، كل من الشيخ سليم البشرىٰ في كتاب المراجعات لشرف الدين، بيروت، دار الأندلس، ط ١، ١٣٩٠هـ ١٩٧١ م. ص ٤٤، والشيخ عبدالله العلايلي في كتاب المراجعات، بيروت، دار الصادق، ط ١٦. ورا: أيضاً كتاب هادي فضل الله عن السيد عبدالحسين شرف الدين، مؤسسة عز الدين.

والشيخ محمد جواد مغنية[1]، وصولاً إلى مرحلة السيد موسىٰ الصدر[2] هذا فضلاً عن حركة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في العالم الاسلامي؛ ومما لا شك فيه أن هذه الحركات كان لها تأثير قوي على الحركة الاسلامية في لبنان. لو عدنا إلى تاريخ هذه الحركات لرأينا أن هناك الكثير مما يميز هذه الحركة عن غيرها سواء لجهة مقاومة المستعمر أو لجهة الاصلاح في الداخل والتحقق على مستوى المجتمع والدولة، فأفعالها لم تكن ردات فعلٍ على مشاكل راهنة وإنما كانت ولا تزال تعبيراً عن مشروعٍ حمله العلماء الأحرار ودافعوا عنه، ونعني به مشروع الاسلام (الانسان) الذي انطلق مع الرسول (ص) وجميع الأئمة الأطهار[3] هذا المشروع كان يأخذ حيويته دائماً من إصرار هؤلاء العلماء على تغيير الواقع وإصلاحه بحيث يعود إلى ما خلقه الله عليه من صلاح حيث قال تعالى: ﴿**ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها**﴾. ٧/ ٨٥.

إن أولئك الذين يعتبرون الحركة الإسلامية في لبنان ظاهرة عارضة هم إما جاهلون وإما متجاهلون لحقائق تاريخية سبق لها أن ترسخت ورسمت خطوطاً عامة مازالت تؤخذ بعين الإعتبار حتىٰ اليوم...

---

(١) العلامة محمد جواد مغنية هو أحد رجالات جبل عامل وكان له دور كبير في تجسيد النهظة وتحقيقها في الشرق، را: الدكتور هادي فضل الله في كتابه: محمد جواد مغنية فكر وإصلاح، دار الهادي، ط ١، بيروت، ١٩٩٣.

(٢) السيد موسىٰ الصدر تميز في قدرته على جمع الشتات الإسلامي بعد أن كان المسلمون موزعين بين هذا الحزب أو ذاك والحق يقال: أن السيد الصدر أحدث ثورة عارمة ضد هذا العدو الغاصب إسرائيل، وضد النظام الطائفي في لبنان، وأنشأ المجلس الملي للمسلمين الشيعة وأعاد إليهم وحدتهم. را: كتابنا. عن الشيخ شمس الدين، دار الهادي، ط ١، بيروت ١٩٩٣، صص٣٠ ـ ل.

(٣) يقول الشهيد مطهري: «بالاضافة الى سيرة الرسول (ص) والأئمة الإثنا عشر (ع) المليئة بالتعاليم والإرشاد والحركات الاصلاحية نرى ان التاريخ الاسلامي مليء بالحركات والنهضات الاصلاحية التي لا يمكن أن تكون أقل من أي تاريخ آخر ولكن لعدم وجود الدراسات والأبحاث الكافية في هذا المجال يتصور الانسان في البدأ بأن الاسلام ينقصه الحركات الاصلاحية في التاريخ. را: الحركات الاسلامية في القرن الأخير، طبع دار الهادي ص١٣.

نعم، يمكن القول أن هذه الحركة خمدت في زمان معين ولم يكن لهـا ثمة تأثير في الواقع بسبب كثرة الضغوط عليها من الخارج والداخل معاً، : إلا انهـا وعلى الرغم من كثـرة الضغوط لـم تتـراجع عن مشـروعها وإن تـراجعت بعض الشيء عن حـركتهـا التي كـانت تختلف بين وقت وآخـر، بـاعتبـار أن الحـركة الإسـلامية السـريعة في واقـع معين تكون نـاشئة عن قـوة في نفـوس القائمين بها، فإذا ما خفت هـذه الحركـة فلا تكـون النفوس هي البـاعثة على هذا البطء وإنما الظروف والأحوال هي التي تبعثه من دون أن تجعل منه حالـة نفسيـة ثابتـة فنفوس العلمـاء والمجاهـدين كانت ولا تـزال حية، تـظهر قـوتها ونورها لتكشف ظلام السياسة والسياسيين، ولتنير الطريق أمام أجيال سيـرعف بهم الزمان، ويقـوىٰ بهم الإيمان. إن البـاعث على اعتبار الحـركة الإسـلامية ظاهرة عارضة هو البطء الذي أصاب هذه الحركة في مراحل معينة، لكن نظرة دقيقة وثابتة من شأنها أن تكشف عن حقيقة الأمر، وأن تبين حقيقة ما تتميز بـه هذه الحركة من عمق في الزمان والتاريخ. . . [1].

---

(١) ليس بالإمكان العـودة إلى جذور الحـركة الإسـلامية في لبنـان، لأن ذلك يحتـاج إلى كتاب، ونحن في هذا الفصل نبغي الوقوف على حقائق، معينة للكشف عن أن الحركة الإسلامية في لبنان ليست ظاهرة عارضـة، والأمثلة على ذلك كثيـرة جداً، فمـا قام بـه العلماء المجاهـدون في جبل عـامل أعـطىٰ هذه الحـركة عمقهـا وبعدهـا وما يقـوم به المسلمون اليوم يعطيهم الكثير من أصالتهم باعتبارهم إمتداداً لأولئـك العلماء، كيف لا وهنـاك مواقف عـظيمة جـداً تعطىٰ صـورة واضحة عن مـدىٰ ارتباط العلمـاء السـابقين بـالحركـة الإسلاميـة خارج لبنـان، فهـذا السيـد محسن الأمين (قـده) كمـا في كتـاب الإسلاميون والقضية الفلسطينيـة ـ لجعفر عبـد الرزاق: أن السيـد على إثر ثـورة الشيخ عز الدين القسّـام سنة ١٩٣٦ وجـه نداءً إلى أبنـاء الأمة يعلن فيـه أن فلسطين روعت، بأشد مـا روع به قـطر. . . إلى ما هنـالك، را: صص ٥٦ ـ ٣٥٧ وكـذلك السيـد عبد الحسين شـرف الدين الـذي كاد يقتـل سنة ١٩١٩ حينمـا اقتحم جنـود مسلحـون داره (فرنسيون) يطلبون منه التفويض الذي أخذه السيد من وجوه البلاد والذي يخوّل الملك فيصـل أن يتكلم بـاسم جبـل عـامـل في عصبـة الأمم. را: شـرف الـدين ـ الـدين عبد الحسين ـ بغية الراغبين ـ ص ٥٩ ـ ٦٠ (كتاب مخطوط).

لقـد كان لهؤلاء العلمـاء دور كبير في التصـدىٰ للإستعمـار الغربي، حيث أنهم حققـوا كثيراً من المكاسب المعنوية والمادية وحفظوا ما هو لهم من التاريـخ والأصالـة، وعبّروا =

يقول الشيخ شمس الدين: «الحالة الإسلامية في لبنان هي نتاج لحالة إسلامية موجودة في العالم الإسلامي كله. هي ليست فريدة في لبنان. . . ومن هنا فهذه الحالة الإسلامية ممتدة الأبعاد والجذور إلى سائر أطراف الحالة الإسلامية في العالم، وهي ليست منفصلة عن الحالة الإسلامية العامة في لبنان، ويمكن أن نعبر عن الوجه الجهادي للحالة الإسلامية العامة في لبنان، بأنه الحالة الإسلامية، ويمكن أن تعبر عن الوجه السياسي للحالة الإسلامية بأنه الحالة الإسلامية العامة في لبنان. . .»[1].

يستفاد من كلام الشيخ شمس الدين أن الحالة الإسلامية في لبنان ليست حالة طارئة مثلما يصورها البعض، وإنما هي حالة ممتدة الأبعاد والجذور، فلو كانت عارضة وطارئة لما كان بالإمكان القول عنها أنها ممتدة ومتجذرة ومتواصلة مع سائر العالم الإسلامي، لأن وجود هذه الحركة في كل بلد إسلامي، وحملها للمشروع الإسلامي الواحد لا يجعل منها حالة طارئة، أو حالة سياسية معينة، باعتبار أنها تنطلق من قاعدة إسلامية تنطلق منها جميع الحركات في العالم، وهي حينما تعتبر العداء لإسرائيل عداءً وجودياً، وليس

= عن حركتهم الإسلامية بأفضل التعابير الجهادية، والحركة الإسلامية اليوم لا تنطلق من فراغ، وليست بدعاً من الحركات، وإنما هي حقيقة قائمة وموجودة في كل زمان، ولا يخلو منها مكان فكل محاولة لفصل الحركة الإسلامية في لبنان عن ماضيها، أو لجعلها حالة طارئة، هي شبيهة بالمحاولات السابقة التي قام بها الاستعمار لمنع الناس من التعرف على جوهر هذه الحركة ومَن يمثلها، ففرنسا مثلاً أبرزت العديد من الشخصيات التي لم يكن لها أي دور في لبنان، والذين لم يكن لهم أي تأثير عليها أبرزت في جبل عامل وغيره، شخصيات معروفة لديها فقط بمعنى آخر. فرنسا وغيرها من الدول الأوروبية أبرزت مَن تريد أن يبرز، ولهذا نحن نجد أن التاريخ اللبناني الرسمي لا يذكر شيئاً عن دور العلماء في جبل عامل. . . الذين تتواصل حركتهم الإسلامية مع حركة اليوم. وغداً يمكن أن نسمع شخصيات تعطي قيمة كبرى ولم يكن لها أي دور في تحرير الجنوب من الإحتلال الإسرائيلي. فيما لو استمرت كتابة التاريخ على الشكل الذي نعهده اليوم من تزوير وتغييب للحقائق. . . !!

(١) أنظر: الشيخ شمس الدين، مواقف ودراسات، دار مج، ط ١ ١٩٩٠، ج ٢، ص ٣٩٦.

مجرد نزاع سياسي يمكن أن يحل بالوسائل السياسية، لاتكون حركة متولدة عن وجود مشاكل راهنة، لأنه في هذه الحالة يكون وجودها مرهون بوجود هذه المشاكل، وما نراه على العكس من ذلك تماماً، فحيث لا توجد هذه المشاكل أو توجد نجد أن العداء لإسرائيل قائم ومستمر ومتميز ولا تؤثر عليه السياسة من قريب أو بعيد، وهذا من الثوابت التي تجعل من الحركة الإسلامية في لبنان ذات أعماق وأبعاد، والكلام نفسه يمكن أن يقال عن كل الحركات الإسلامية في العالم العربي والإسلامي. . .[1].

هذه الحركة من جملة نشاطاتها ومواقفها قديماً، وحديثاً، أنها أعلنت موقفها من الانتداب الفرنسي للبنان وإثاره بعد أن، رحل الفرنسيون كجيش محتل، كما أنها رفضت ولا تزال ترفض ما تولد عن هذا الانتداب من أنظمة سياسية واجتماعية واقتصادية، لأن الانتداب بقي فيها، ولم ينته برحيل الجيوش، وإذا كان الاستعمار القديم الجديد قد نجح في فرض الأنظمة التي تتلاءم معه في السياسة والاقتصاد، فهذا النجاح لا يعني عدم وجود الموقف الرافض والمطالب بإزالة كل الآثار، فالموقف كان دائماً موجوداً والعمل على الأرض أيضاً كان دائماً مؤثراً، ويحول دون أن يأخذ أثر الاستعمار امتداده على الساحة اللبنانية، وما جرى على الساحة اللبنانية من حوادث خير دليل على فشل النظام اللبناني في استيعاب حركة الشعب نحو الأفضل، وما عمل من أجله المسلمون لم يكن غريباً، بل كان نابعاً من صميم ذواتهم ومن صميم رسالتهم التي تدعوهم إلى الاستقلال والوسطية، لقد تمكن اللبنانيون من تحجيم هذا النظام لدرجة أنه لم يعد حياً مثلما يتصور بعض الطائفيين الذين وجدوا فيه مصالحهم الشخصية، وامتيازاتهم الفئوية. لقد نجح المسلمون في حركتهم من أجل الحرية، والعدالة والمساواة إلى حد ما في ظل الدعم اللامتناهي للنظام الطائفي في لبنان طيلة السنوات الماضية. . .

---

(١) يقول الإمام الخميني (قده): ابتليت الحركة الإسلامية من أول أمرها باليهود، حينما بدأوا نشاطهم المضاد بالتشويه لسمعة الإسلام، والوقيعة فيه، والإفتراء عليه، واستمر ذلك إلى يومنا هذا. . .» را: الحكومة الإسلامية، ١٣٨٩. ص ١٠٧.

إذن الحركة الإسلامية في لبنان في الماضي كانت تعمل ضد الإنتداب الفرنسي مباشرة، أما الحركة الإسلامية اليوم فهي تعمل ضد آثاره، وضد مخلفاته التي لا تقل خطورة عن الانتداب المباشر، ويضاف إلى دور الحركة الإسلامية اليوم في مواجهة النظام الطائفي قدرتها على دحر الإحتلال، وعلى إيجاد المقاومة التي أفلحت في تحرير الأرض والإنسان من رجس الإحتلال هذا إلى جانب دورها في مواجهة النظام الطائفي في الداخل الذي تعاون مع إسرائيل حيث أنه طلبها للمساعدة مرات عدة وقد لبت نداءه لمصلحة كانت تراها في هذا التدخل من دون أن تأخذ بعين الإعتبار مصالح الذين عبَّدوا لها الطريق. . . !؟.

إن ما حققته الحركة الإسلامية في لبنان يشير بوضوح إلى مدىٰ التطور في أسلوبها وفي أطروحاتها السياسية التي مكنتها من فرض نفسها ليس في الداخل فقط بل في العالم أجمع، وماكانت لتقدر على تحقيق نفسها بهذه القوة لولا أنها تملك أبعاداً وجذوراً تصل بها إلى عمق التاريخ والزمان. إن أية حركة عارضة لا يمكنها أن تحقق أو أن تنجز ما أنجزته هذه الحركة الإسلامية في لبنان التي كان من جملة شروط نجاحها أنها استفادت من رصيدها الداخلي مع ملاحظة كافة الشروط الموضوعية في الداخل والخارج، على خلاف كل الحركات التي تدعي الوطنية والقومية وغيرها. إذ أن كل الشعارات والأطروحات التي وضعت لحل الأزمة اللبنانية لم تتمكن من تحقيق أدنىٰ شيء يذكر، مما يعني أن تطور هذه الحركة الإسلامية ودورها الفاعل كان نتيجة حتمية لقناعة هذه الحركة بأن الإنسان قادر على تغيير حركة التاريخ فيما لو استطاع أن يغير نفسه وأن يعتمد عليها في تحقيق مشروعه السياسي، وفي مواجهة أعداء وطنه. . والإنسانية. . .

إن كاتب التاريخ يكذب كثيراً حينما يربط نجاحات المسلمين وحركتهم بمجموعة من الرجال الذين كانوا على تلاق تام مع الإنتداب وآثاره، فالتاريخ لا يمكنه أن يعطي الصورة الحقيقية للرجال الأحرار إلا إذا كان الذين يكتبونه أحراراً، ومن أين لهم الحرية وهم أكذوبة الدهر والتاريخ. . . ؟؟.

لقد استطاع الشعب اعادة تشكيل نفسه من خلال الوعي التام بكل مراحل التاريخ هذا الوعي مكنه من إيجاد معارضة حية ترفض كل مفاعيل وآثار الفرنسيين، وتقبل الجميع بدافع التوحيد وتحقيق الفرص لبناء الوطن الحر المستقل، ولبناء الدولة العادلة التي تساوي في الحقوق والواجبات، وتقبل كل التنوعات في الوطن التي اندفعت جميعها للمطالبة بإلغاء ميثاق ١٩٤٣ وكل ملحقاته، وقد تمكن اللبنانيون جميعاً على الأقل، من تعديل هذا الدستور الذي كما يقول أهل الطائفية السياسية ومن وراءهم أنه وضع بصورة مؤقتة، والتماساً للعدل والوفاق»[١] وهنا يسأل الشيخ شمس الدين عن الأسباب التي تمنع من إلغائه ما دام وضع بصورة مؤقتة، وهل هو مازال صالحاً حتى الآن، ولماذا لا يلغىٰ مادام الهدف هو بناء وطن حر ومستقل ومنصف لجميع المواطنين دون استثناء. ويضيف الشيخ شمس الدين: إن الانتداب غير المباشر لا يريد للمسلمين أن يكونوا على نفس المستوىٰ مع غيرهم لأنه يملك المعلومات التي تجعله خائفاً من حرية هؤلاء ومن حركتهم[٢]، ومن حصولهم على حقوقهم المشروعة. لماذا يراد لهذا الشعب أن يقزّم في هذا النظام المتميز بسقوفه المتفاوتة. . . ؟؟

إن المسلمين كانوا على وعي تام بأن الإنتداب لن يسمح لهم بالوصول إلى حقوقهم، وعرف كيف يدبّر الأمور حين رحيله، حيث إنه أوصىٰ بعض الجماعات بعدم التفريط بالنظام الطائفي وما فيه من امتيازات لبعض الطوائف التي تعتبر أمها وأبيها فرنسا. . . لكن مع حلول فتنة ١٩٧٥، وقبلها في ٥٨ ـ ١٩٦٠ أيضاً كانت هناك معارضة تطالب بالإنصاف والحرية والمساواة فتنكر النظام لهذه الحقوق حتى سنة ١٩٧٥ حيث بدأ الشعب اللبناني بالأخص المسلمين يعوون خطورة الوضع مما حملهم على أن

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، مواقف ودراسات، م، س. ص ٣٢٦.

(٢) معلوم أن الاستعمار القديم والجديد يتعامل مع المسلمين من خلال تاريخهم وليس من خلال ما هم عليه في حاضرهم كونه يعلم بأن المسلمين لهم جذور عميقة وتاريخ جهادي عريق مدَّ حقوق الله والانسان الى بقاع عديدة من العالم وكما يقول الشيخ شمس الدين: «ان الاستعمار يدرك تماماً بأن الالتزام الاسلامي بلبنان هو الذي حال دون تقسيمه وضياعه» را: كتابنا عن الشيخ شمس الدين م. س. ص٥٠.

يتحركوا في الواقع لأجل إبقاء لبنان وطناً في مقابل دعوات الآخرين ومساعيهم من أجل تقسيم لبنان، أو على الأقل إلى إبقاء النظام الطائفي. في هذه الفترة كانت الحركة الإسلامية ضعيفة بسبب ظهور تيارات علمانية وأحزاب متعددة تتناقض فيما بينها ولا تلتقي على شيء باستثناء بعض الحركات التي كان لها مَن يدبّرها مثل حركة المحرومين أمل التي تأسست على يد الإمام السيد موسىٰ الصدر الذي أسس مع علماء آخرين من جملتهم الشيخ شمس الدين لإنطلاقة الحركة الإسلامية في لبنان، ومع حلول سنة ١٩٧٩ وما حملته من انتصار للإسلام في إيران بدأت الحركة الإسلامية تستعيد نشاطها وقوتها، وكان ماكان لها من تأثير على السياسة اللبنانية في الداخل والخارج، أجل مع انتصار الثورة في الأعوام التي تلت سنة ١٩٧٩، تمكنت الحركة الإسلامية من استيعاب عدد كبير من المسلمين الذين كانوا مشتتين هنا وهناك تحت شعارات واهية. لقد أيقن المسلمون في لبنان أنه لايوجد شيء مستحيل مهما كانت قوة الإستعمار، وأن هناك أشياءً ممكنة، وأنه لابد من إزالة الظلم ودحر الإحتلال، وتغيير النظام الطائفي، وإعادة الحقوق المسلوبة بطريقة تحفظ الوطن والمواطن، وتبقىٰ على سلامة العيش المشترك الذي كان من الشعارات الحية، ومن الحقائق الكبرىٰ في السياسة اللبنانية مع السيد موسىٰ الصدر وغيره ممن أخلصوا للوطن والناس.

نعم كان من نتائج انتصار الثورة في إيران قوة الحركة الإسلامية في لبنان لأنها تلتقي معها في أشياء كثيرة، في الحرية، في الاستقلال في الكرامة، وفي بناء الدولة العادلة لمواطنين أحرار، تلتقي معها على ضرورة التخلص من حكم الفرد، أو الطائفة ومن التبعية للغرب، ومن كل أشكال الهيمنة، هذا التأثير التي أحدثته الثورة الإسلامية في إيران على الحركة الإسلامية في لبنان مكن الإنسان المسلم من استيعاب مرحلته، ومن قراءتها جيداً، ومن الاستفادة من وقته الذي كان مسخراً للآخرين، ويعمل فيه بهوي الآخرين. . .

وما نريد أن نتعرف عليه هنا هو الأسباب التي حملت المسلم على التحرك الحي بإتجاه قضاياه ومصالحه الوطنية أو بالأحرىٰ باتجاه نفسه،

مستفيداً مما حدث في إيران وغير إيران باعتبار أن إيران ليست الحركة التحررية الوحيدة التي تمكنت من دحر النظام التابع للإستعمار. انها واحدة من عدة ثورات حققت نفسها على مستوىٰ الوجود، وليس على المستوىٰ السياسي فقط.

من هذه الأسباب أن المواطن المسلم كان يسمع شعارات الحرية والديمقراطية والعدالة والمساواة وقد استمر يسمع هذه الشعارات لمدة خمسين سنة تقريباً، كانت شعارات فارغة يطلقها النظام الطائفي لإمتصاص نقمة الشعب اللبناني وشعوره بالغبن والحرمان، كانت تطلق لتخدير المواطن، تماماً كما كان يفعل شاه إيران حين قام بمحاولات عديدة لإقناع الإنسان في إيران بأن بلده هي خامس دولة في العالم من حيث القوة في الوقت الذي كان يرىٰ فيه الإنسان نفسه منتهكاً مسلوب الإرادة، ومحروماً من كل حقوقه المدنية. فالأنظمة التابعة للغرب كان دينها وديدنها أن يسمع الناس بالحرية من دون أن يكون لهم الحق في تذوقها، ان يسمعوا بالديمقراطية من دون أن يكون لهم الحق في ممارستها، أو في اعتمادها كنهج سياسي، ولما أيقن هذا الشعب اللبناني، أن شعار الحرية أصبح أداة ووسيلة من وسائل القمع، وسيلة تستعمل لكبح جماحه، وأن شعار الديمقراطية تحول إلى استبداد في الواقع، عزم هذا الشعب إسوة بغيره من الشعوب على القيام بردات فعل - إذا صح التعبير - تكون هي الحرية، والديمقراطية نفسها، يقول الشيخ شمس الدين: «إن الحرية التي يتمتع بها المواطن تبقىٰ في النظام الطائفي القائم حرية نظرية وكلامية من نوع الديمقراطية الشكلية، والتي تفتقد المعنىٰ الحقيقي للديمقراطية القائمة على مبدأ الشوري بين المواطنين، ومن ثم فهي حرية لا تنتج التطور، ولا تمكن من التغيير حيث يلزم التغيير، وهذا ما دفع بالمعارضة في لبنان دائماً إلى استخدام السلاح واعتماد العنف في التعبير عن الرأي السياسي والمطالبة بالحقوق، وقد كان هذا هو الطابع الذي ساد طيلة عهد الاستقلال في جميع الأزمات التي مر بها النظام... وآخرها فتنة ١٩٧٥...»[١].

(١) را: م. ع. ص ٣٣٠.

إن ولادة الشعور بالدونية والظلم لدىٰ المظلومين، حتم على المسلمين، وعلى قطاع كبير من المسيحيين ممن ظلمهم هذا النظام الطائفي وقضىٰ على آمالهم في العيش الكريم، الثورة من أجل العدالة والمساواة. . . وليس الشعور بالدونية وحده الذي ولد الثورة الإسلامية في لبنان، بل هناك أسباب أخرىٰ من جملتها تواطؤ بعض المسؤولين في النظام الطائفي مع العدو الإسرائيلي وإقامة علاقات معه على حساب المسيحيين والمسلمين معاً.

لقد اجتمعت عدة أسباب لم يتمكن الإنسان الحر الذي كرمه الله من السكوت عليها، ومن القبول بها لما تحمله في الجوهر والشكل من إهانة، ومن مصادرة للحريات والكرامات، وقد كان كل شيء يتم بين النظام وأعوانه في الداخل والخارج ومع العدو تحت شعار الحرية والديمقراطية الشكلية، وقد يصح القول أن النظام قام بعملية احتقار للشعب الذي ظن به الجهل والعجز عن القيام بأعمال تهدده أو تحول بينه وبين أهدافه الشخصية. والحق يقال: ان الإستفادة من ثورات الغير. سواء أكانت الثورة الإيرانية أو أية ثورة أخرىٰ في العالم تعتبر استفادة طبيعية مادام الهدف هو الحرية والاستقلال، وليس من العار أبداً أن يستفيد المواطن اللبناني من أعظم ثورة عرفها القرن العشرين، بل ذلك يعتبر عين الحرية والديمقراطية، وقمة الوعي السياسي الذي يؤهل مجتمعاً من المجتمعات للإتصال بكل حر على وجه الأرض، لأن الثورة العادلة تعرف ما معنىٰ الحرية، بل تعطي دروساً حية وحقيقة فيها. ومن الإنسانية أن تمد يد العون والمساعدة لكل إنسان على تحقيق نفسه، وإصلاح واقعه من موقع وطنيته وانتمائه إليها.

لقد حاول العلمانيون عبثاً القيام بما يشبه الثورة من حيث الشكل: لكنهم هزموا قبل أن يتحركوا، لإنهم كانوا يتحركون للإصلاح من موقع الفساد، وللحرية من موقع الإستلاب وفقدان الهوية، فكانت النتيجة أن أصبحوا أدواتٌ للإستعمار في أكثر البلاد، ومازالوا حتىٰ اليوم يطالبون بالديمقراطية والحرية وغير ذلك مما يحتاج إلى نفوس زكية. لقد غرب عن بال هؤلاء أن التعاون مع الأنظمة الفاسدة، والعمل من خلالها لا ينتج حرية، ولا عدالة، بل ينتج العبودية والهزيمة في كافة المجالات. لقد خسر هؤلاء

حينما عجزوا عن الانتماء إلى الوطن، وحينما ظنوا بأن الأنظمة الجائرة والفاسدة يمكن أن تنتج الحرية والإستقلال «إن الحرية لا يمكن أن تكون حقيقية ومنتجة إلا في ظل دولة عادلة»[1]، وبمساعدة دولة عادلة تعرف معنىٰ العدالة، وأن الظلم مؤذن بخراب العمران، كما يقول ابن خلدون؛ ولهذا السبب وغيره كان من الطبيعي أن يتأثر لبنان بالثورة الإسلامية في إيران لأجل تحقيق الذات وإصلاح المجتمع. . .

أليس من العقلانية أن نستفيد من كل خير عمله الإنسان سواء أكان في أمريكا أو في أوروبا؟ بلى، هو من الخير، ويتهم بالجهل كل مَن يرفض ما توصل إليه العصر الحديث من علوم الحياة. . . نحن نسأل: لماذا يكون من اللاعقلانية أن نستفيد من خيرات الحرية والعدالة والديمقراطية في العالم سواء أكان مصدرها إيران أم غير إيران؟.

ألم يتشدق العلمانيون وغيرهم ممن يلتقي معهم من الطائفيين بالديمقراطية الغربية لدرجة الإفتتان بها حيث أنهم اعتبروها النموذج الأكمل الذي وصلت إليه البشرية، فلماذا لا يستفاد من هذا النموذج بلحاظ التنوع الموجود في لبنان؟

يبقىٰ أن نقول أن ما حصل من تقدم في لبنان في الحركة الإسلامية ولها، كان نتيجة طبيعية لأنتفاضة المسلمين في العالم، باعتبار أن هذه الحركة في لبنان ـ كما اسلفنا ـ ليست فريدة ولا وحيدة وإنما هي جزء من الحركات الإسلامية في العالم. وليس معنىٰ هذا أن الحركة الإسلامية في لبنان ليس لها شيء من ذاتها، بل لها الكثير من ذلك لها تغيير النفس والإستعداد، وتحمل المسؤولية والقدرة على التفاعل مع أبناء الوطن والمحيط، وفضلاً عن كل ذلك لها رصيدها الداخلي وجذورها التاريخية وأبعادها التي تعطيها القدرة على تغيير الواقع من موقع ذاتيتها، والتزامها بالمبادىء الإنسانية، وبكرامة الإنسان، بدليل أن كل المواجهات التي قام بها العلماء السابقون من السيد محسن الأمين، والسيد عبد الحسين شرف الدين،

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، مواقف ودراسات، ج ٢. ص ٣٣٢.

وعلماء آخرين كانوا ولم تكن ثورة الإسلام في إيران[1]، كانوا وكان الإستعمار قوياً وموجوداً، واستطاع هؤلاء العلماء أن يدحروا الاستعمار وأن يحققوا الذات من موقع حريتهم وقواهم الذاتية. . . وقبل ذلك كله من موقع أيمانهم بالله الذي وعد المؤمنين بالنصر **﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾**:

الحركة الاسلامية في مواجهة الطائفية السياسية:

لقد ثار المسلمون على ما يسمىٰ بحقوق الطوائف، والامتيازات الطائفية، واعتبروا الطائفية السياسية أساس بلاء لبنان وسبب محنته، ودعوا إلى الغائها من موقع الإنتماء الحقيقي إلى الوطن، ومن موقع المسؤولية من أجل تحقيق العدالة والمساواة، لأن الإبقاء عليها سيبقىٰ على لبنان المزرعة بدلاً من أن يكون وطناً لجميع أبنائه، ومازالت حتىٰ الآن الحركة الإسلامية تدعو وتعمل ـ من خلال فقهائها وقيادتها ـ لالغائها نهائياً. لكن إصرار البعض في الخارج على إبقاء هذا النظام مازال يحول دون إلغائها مستفيداً من بعض الرموز الطائفية التي لا يهمها أن يكون لبنان وطناً حراً مستقلاً، فقط هي تسعىٰ للحصول على مكاسب شخصية وزعامة سياسية. . لكن الحركة الإسلامية استطاعت ضرب هذا النظام ضربات موجعة وأجبرت الطائفيين على بعض التعديلات من دون أن يكون ذلك مطلباً من مطالبها، وهي تعتبر ما حصل من تعديلات خطوة أولىٰ باتجاه الإصلاح الجذري والشامل وما اتفاق الطائف إلا إتفاق الضرورة. . . كما سماه الشيخ شمس الدين. . .

يقول الشيخ شمس الدين: «إذا الغينا النظام الطائفي واعتمدنا النظام الديمقراطي العددي يمكن حينئذ أن تحكم المواطنية اللبنانية بعيداً عن

---

(١) بعض الباحثين ينفي أن تكون هناك قوة ذاتية للحركات الإسلامية في العالم، ويربط بينها وبين انتصار الثورة في إيران، والحق هو أن هذه الثورة ساعدت على امتداد هذه الحركات في المكان وأصبحت متنفساً لمن ضاقت عليه الحياة، وان أية حركة لا تملك القوة الذاتية والاستعداد اللازم لا يمكنها أن تتأثر بهذه الثورة، أو أن تستفيد منها.

المارونية السياسية، وعن الإسلامية السياسية، كون الأولىٰ تريد امتيازات، والثانية تريد كذلك أيضاً، فإذا ما الغينا الخصوصية الطائفية في النظام واعتمدنا على خصوصية المواطن، فإن العدالة تصبح ممكنة وكذلك المساواة. . . »[1].

ليس الهدف من الغاء الطائفية السياسية، أن تلغي طائفة لتحمل مكانها أخرىٰ، وإنما الهدف هو التطبيق الأفضل لفكرة العدالة، والذين ظنوا بأن الهدف هو تكريس الطائفية، واستبدال هيمنة بهيمنة أخرىٰ قد اخطأوا الهدف وأظلوا الطريق، لأننا إذا استقرأنا الوضع القائم فعلاً فسنجد أن نواباً مسلمين كثيرين في مجلس النواب قد انتخبوا بأصوات مسيحية والعكس صحيح فإذا الغينا النظام الطائفي واعتمدنا المواطنية (العددية)، وهو ما ندعو إليه ونعمل له فستكون أكثرية مختلطة مسلمة ومسيحية في مقابل اقلية مختلطة مسلمة ومسيحية[2]. . إن إصرار أصحاب الإمتيازات على دعم هذا النظام (حفار القبور كما يسميه الشيخ شمس الدين) سيؤدي حتماً إلى تضييع كثير من الفرص لحل الأزمة القائمة منذ خمسين سنة تقريباً، كما أنه سيعطي العدو فرصة للتدخل في الشؤون اللبنانية لتعقيد الأزمة، وهذا فيما لو تم يتحمل مسؤوليته كل مَن هو متمسك بهذا النظام لدرجة أنه يقبل بتقسيم لبنان الوطن على أن يتهدد مستقبله السياسي، وهو يفضل أن يبقىٰ رئيساً لمزرعة على أن يكون نائباً، أو عضواً في مجتمع أو في دولة. فما يقوم به المسلمون اليوم هو حق طبيعي لهم، وما يمارس من عنف هو نتيجة طبيعية لهذا الإصرار على الإمتيازات، وللمقولات التي تنتقص من مواطنية بعض اللبنانيين، وهو نتيجة أيضاً لما يصدر من دعوات تطالب بفصل لبنان عن محيطه وعلمنته بطريقة تتنافى مع تركيبته وتنوعه! ان الطائفيين سبق لهم أن خيروا اللبنانيين بين أمرين، بين أن يبقىٰ النظام الطائفي وبين أن يقسم لبنان، وهذا التخيير أيضاً أدىٰ إلى العنف لأن الاستئثار بالسلطة، كما يقول الشيخ شمس الدين، يؤدي

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، مقابلة في مجلة الأسبوع العربي، تاريخ ١٩٨٤/١١/٢٦.
(٢) م. ن.

حتماً إلى الثورة ويمنع من حل الأزمة اللبنانية. . .[1]

كان المسلمون دائماً يحذرون من الإصرار على الإمتيازات، ومن الطلب للضمانات، لكن أهل النظام أصروا على أن يكون لبنان بلداً قوياً في ضعفه، ومحقاً في باطله، وعادلاً في ظلمه، مع ما ينشأ عن كل هذا من تناقضات سياسية واجتماعية. . . هذا كله أدىٰ إلى خروج الثورة من القوة إلى الفعل وحصل ما حصل من فتك ودمار وأهوال ومصائب، وكانت النتيجة أن دفع اللبنانيون جميعاً ثمن إصرار هذه القلة على حقوق الطائفة، وهؤلاء حقيقة لايمكن اعتبارهم لبنانيين، لأنهم لو كان كذلك لرأينا أثر ذلك في سلوكهم وفي تطبيقاتهم السياسية، لكن للأسف ما ظهر كان فيه روح العدوان، وروح الظلامية لجميع اللبنانيين، وما زال لبنان حتىٰ الآن يدفع ثمن الحب للغرب والإستعمار. . !!

فالحركة الإسلامية في لبنان عبرت عن رأيها بضرب مشروع التقسيم، وليس يضرب اللبنانيين، عبرت عن رأيها بدحر العدوان الإسرائيلي وتحرير الجنوب، ولم تعبر عن رأيها ضد هؤلاء الأشخاص الذين لم يكن يعنيهم أمر الوطن وتحريره من قريب أو من بعيد، لقد عبرت عن رأيها بحماية الوطن والمواطن. بإعادة لبنان وطناً حراً له قيمته وفاعليته في العالم بسبب ما ظهر فيه من مقاومة إسلامية جعلت من كل المعادلات الدولية صفراً، هذا فضلاً عن بقاء لبنان جزءً من محيطه العربي، إلى جانب بعده الإسلامي من دون تبني الدعوة إلى إقامة دولة إسلامية بالقوة في مقابل ما دعا إليه البعض من إبقاء النظام الطائفي بالقوة.

المسلمون كانوا ولا يزالون يريدون عيشاً مشتركاً، ومواطنة حقيقية، أن يأخذ كل إنسان حقه، ويقوم بواجبه من دون انتقاص من كرامته، فإذا كان النظام يؤمن هذا، فإن جميع اللبنانيين سيدعمونه حتماً، لأن الهدف هو

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، مقابلة في مجلة الشراع، عدد ١٩٣، تاريخ ١٩٨٥/١١/٢٥.

الإنسـان، هو بقـاء الـوطن الحقيقي الـذي لا يعيش فيـه الإنسـان غـريبـاً عن ذاته. . .

أجل الحركة الإسلامية واجهت هذه الحالة الـطائفية ولا تـزال بعيداً عن الـدعوة للذات أو للحكم، وإنمـا بهدف إقـامـة دولـة الإنسـان، الـدولـة التي تساوي بين المواطنين في الحقوق والواجبات، الدولة التي تعمل على مواجهة الصهاينة الذين يحتلون قسماً عزيزاً من لبنان، الذين يحتلون لبنان في جنوبه، هذه الحركة لم تكن وحدها ولن تكون، بل هناك مَن يعمل معها لتحقيق هـذه الأهداف النبيلة من المسيحيين الذين ضاقوا ذرعاً من تصرفات النظام الطائفي الذي قلما يتيح لمؤسسات القمة في الدولة أن تعمل من منـطلق وطني شامـل لجميع الشعب اللبناني والمناطق اللبنانية[1].

لم تكن الثـورة الإسلاميـة في لبنان مـدعومـة من أحـد لتحقيق أهـداف غريبة عنها ولا تخدم مصالحها الوطنية كما هو حال بعض الحركـات الطائفيـة والحـزبية، وليس في مشـروعها مـا يضر بمصـالح اللبنـانيين الآخـرين الـذين يرفضون العـدالة والمسـاواة تحت شعار الخـوف على الوجـود المسيحي، بل كان لهذه الحركة الإسلامية دافـع من ذاتها لـذاتها حتم علهيـا الثورة، أو على الأقل الاعتراض على مشاريع تقسيميـة تخدم المشـروع الإسرائيلي، ولا تقيم أدنىٰ اعتبار لمصالح اللبنانيين جميعاً، ولا نبالغ إذا قلنا أن الحـركة الإسـلامية حفظت الوجود المسيحي ودافعت عنه أكثـر مما يـدعي المطالبـون بضمانـات وامتيـازات للحفاظ على وجـودهم. إنها حـركة تحـركت بدافـع من ضميرهـا الحي باتجاه تحقيق الوطن النهائي لجميـع اللبنانيين دون استثنـاء من دون أن يكـون معنىٰ النهائيـة أحداث تصـارم ما بين لبنـان ومحيطه. فـإذا كـان بعض السياسيين قد قام بأعمال لا تمت إلى الحركـة الإسلاميـة بصلة، فإن ذلـك لا يحمل الحركة وزر هؤلاء، بل تبقىٰ حركة حقيقية، ومعبرة عن نفسها في وجه كل المشاريع المضادة لها. . .

فـالوطن النهـائي، الذي هـو جزء من محيـطه الجغـرافي، والبشـري،

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، مواقف، ودراسات، ج ٢. م. س، ص ٣٣١.

والحضاري كان ولا يزال يحتاج إلى هذه الُحركة الحرة للحفاظ عليه وطناً لجميع أبنائه، وطناً قادراً على حل مشاكله وأزماته حلاً جذرياً، بعيداً عن التسويات، وعن تجميد الأوضاع لصالح بعض الأشخاص الذين يهمهم أن يبقىٰ الفساد على حاله»[١].

فإذا تخلىٰ بعض دعاة الوطنية والديمقراطية عن لبنان، كما تقضي بذلك مشاريعهم الخاصة، فإن المسلمين لم ولن يتخلوا عن هذا الوطن، وستبقىٰ حركتهم حية وناشطة مادام يوجد في هذا الوطن مَن يعمل لحساب الخارج أو على الأقل لحساب نفسه، ومادام هناك ظلم وحرمان وهيمنة وغير ذلك مما تتقوّم به الطائفية السياسية، والنظام الطائفي في لبنان، وقوانين التماس العدل والوفاق في أجواء الهيمنة. . . .

يقول الشيخ شمس الدين في الجواب على انتماء المسلم المطلق والنهائي إلى لبنان: «إن الفريق الإسلامي ينطلق من مفهوم للبنان الوطن يقوم على أن الوطن جزء من محيطه الجغرافي والحضاري والبشري، ومن هنا، فإن على لبنان الوطن أن يتحمل نتائج ذلك كله كما أن من حقه أن يتمتع بخيرات ذلك كله أتحدث هنا عن الإنسان اللبناني المسلم البسيط، وعن التزامه الصافي، لا عن ممارسته السياسية الخاطئة. في بعض الحالات وفي كثير من الحالات لهذا الإلتزام والتي يرجع وزرها إلى عمل كثير من السياسيين الذين يدجلون ويتاجرون. . . وربما لا يكون لبعضهم أي حس وطني على الإطلاق إلا بمقدار التزام التاجر ببضاعته. . .»[٢].

مما لاشك فيه أن الحركة الإسلامية في لبنان وقعت في أخطاء كثيرة أوقعها فيها تجار الدين والسياسة بسبب عدم قراءة الواقع جيداً، أو بسبب سوء الفهم أحياناً، وهناك أخطاء طبيعية تولدت عن ضغط القهر والحرمان والهيمنة والإتهام في المواطنية، لكن هذه الأخطاء لا تمنع أبداً من اعتبار هذه الحركة

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، مواقف دراسات، ج ٢. م. س. ص ٣٣٠.
(٢) را: الشيخ شمس الدين، مجلة الحوادث، ١٨ شباط، ١٩٧٧، العدد رقم ١٠٥٨، السنة الحادية والعشرون.

والانتماء إليها في الدفاع عن لبنان، واعتبارها فوق كل المشاحنات والمداولات السياسية الخاصة لهاذا الفريق أو ذاك ممن يطمعون في أن تكون هذه الحركة حركة خاصة تعمل وفق ما يشتهي البعض بعيداً عن المصلحة الوطنية العليا. . .

وما يمكن ملاحظته هنا (في أيام الطائف)، أن الذين كانوا يتهمون الحركة الإسلامية بأنها ناقصة المواطنية وليست على ولاء مطلق للبنان، ويعملون من أجل تشويه صورتها في الخارج والداخل، أصبحوا اليوم من المدافعين عنها بعد أن اقتنعوا بأنها حركة تريد العزة والكرامة، والحرية، ولا تريد لهذا الوطن، أن يكون مسرحاً للأعداء، أو ساحة لجنود الإحتلال يجوبون فيها دون وازع أو رادع.

إن الحركة الإسلامية اليوم باعتراف جميع خبراء السياسة هي أعظم معادلة في الشرق الأوسط، ومن دون أن تلحظ لا يمكن لأي مشروع سياسي أن يتحقق، ولهذا نحن نجد أن كل المشاريع التي أريد لها أن تنجح على حساب هذه الحركة قد منيت بالفشل وسحقت تحت الأقدام، ابتداءً من إتفاق السابع عشر ١٧ من أيار وانتهاءً بكل المشاريع التي يراد للبنان أن يعيشها رغماً عنه. . . وهذا لا يعني أبداً أنه لم تعد هناك محاولات للعودة بلبنان إلى الوضع القديم وهي اليوم تستهدف أول ما تستهدفه الحركة الإسلامية كونها تعرقل خطط العودة بلبنان إلى الوراء، إلى شعارات وطني دائماً على حق، وأن ولاء المسلم مشكوك فيه، وان لبنان ليس جزءً من محيطه وغير ذلك!!!

والحق يقال: أن الحركة الإسلامية حتى اليوم لم تحصل على جواب دقيق ومفهوم على سؤال وجهه الشيخ شمس الدين إلى دعاة الطائفية والعلمانية والقومية أيضاً وهذا السؤال كان ولا يزال مطروحاً، ويوجد في لبنان اليوم عدد كبير من السياسيين الذين مازالوا يشكون بمفهوم الوطن الذي يقوم علي أنه جزء من المحيط وأنه ذو بعد إسلامي!؟. . .

يسأل الشيخ شمس الدين: «هل تنطلق في التزامك بلبنان الوطن النهائي ذو الشخصية المميزة من مفهوم يقضي بأن لبنان جزء من محيطه» أو

من مفهوم يقضي بأن لبنان كيان مستقل عن محيطه. . . ؟[1].

٢ ـ الحركة الاسلامية في مواجهة التيار العلماني:

إلى جانب التيار الطائفي في لبنان، إذا صح التعبير، يوجد التيار العلماني الذي يلتقي مع التيار الطائفي في كثير من التفاصيل، والعلمانية هي من المصطلحات التي حملت على غير وجهها مثلها مثل الطائفية التي هي نعمة ولكن الإستعمار الغربي، ومن يعمل له جعلوا (في الداخل) منها نقمة، وهكذا أيضاً أسيء استعمال كلمة العلمانية حيث جعل منها كلمة متصلة بالعلم ونابعة منه في حين أن هذه الكلمة تعني العالم، وهذا الوضع جاء نتيجة الظروف التي نشأ فيها هذا المذهب السياسي في أوروبا حيث كان الصراع على أشده بين الكنيسة، وبين القوى الجديدة في حقول التجارة والعلم والفن والسياسة وغيرها من حقول الحياة، وبعبارة أخرىٰ، كما يقول الشيخ شمس الدين «. . . العلمانية تعني أن تقوم الحياة في المجتمع والدولة على ضوء المعطيات التي يوفرها سير الحياة الطبيعية في العالم، وانطلاقاً من المشكلات التي تثيرها حياة الإنسان في العالم. . . وفي مقابل هذا المصطلح يمكن أو يوضع مصطلح «الدينية» ثيوقراطية؟ يعنى به دولة ينظم فيها المجتمع والسلطة على أساس من الدين، ويقودها رجال دين والمؤسسات الدينية، وتشيع فيها روح الدين ورؤيته الكونية»[2].

---

(١) كان المسيحيون في الماضي، الموارنة بوجه خاص، ينطلقون في ممارستهم السياسية في الداخل والخارج من مفهوم للوطن اللبناني يقوم على فكرة أن لبنان كيان جغرافي وبشري وحضاري مستقل عن محيطه، لا تربطه بهذا المحيط أية وشائج ذات شأن. . . وهذا المفهوم يقضي بأن لبنان غير مسؤول عما يجري في هذا المحيط، بل هذا المفهوم يعطيه حقاً في أن يقوم ـ من حيث المبدأ ـ بالتزامات تتنافىٰ مع مصالح محيطه إذا كان في هذا ما يحقق مصالحه. . . را: الشيخ شمس الدين، مجلة الحوادث، ١٩٧٧، م. س. عدد ١٠٥٨.

بعض الطائفين لا يزال يتمسك بهذا المفهوم تحت شعار الحرية والاستقلال، ويرفض مبدأ التغيير قبل أن تقدم ضمانات معينة لإستمرار التسلط السياسي. . !؟

(٢) را: الشيخ شمس الدين، العلمانية، دار مج، ط ٢، ١٩٨٣، ص ١٢٦.

وكما جاء في دائرة المعارف البريطانية التي تتحدث عن العلمانية تحت مادة SECULARISM، فتقول «إنها حركة اجتماعية تهدف إلى أبعاد الناس عن الإهتمام بالحياة الأخرىٰ في مقابل الاهتمام بالحياة الدنيا. . . ذلك بعد أن انصرف الناس كلياً للتأمل بالأخرة خلال القرون الوسطى. .[1] فدائرة المعارف البريطانية، كما يقول العرمابي في كتاب: «نشأة العلمانية» قد أتت بالحديث عن العلمانية ضمن حديثها عن الإلحاد، حيث جعلت الفلسفة العلمانية أو المذهب العلماني دوراً أو لوناً من الوان الإلحاد»[2] غاية القول أن هذه الكلمة شاعت شيوعها بين الناس بكسر العين (العلمانية) وهو خطأ فاحش إذ لا علاقة للأصل اللاتيني بالعلم من قرب أو من بعد وإنما صحتها بفتح العين نسبة إلى العالم، وهذا ما ذهب إليه الباحث اللغوي (العلايلي)، فقال: «إن العلمانية ـ بفتح العين وسكون اللام ـ من العلم، وهو الدهر والكون ونعني: النظام الكوني مقابل الأخرة[3].

إذن العلمانية مصطلح أريد له أن يكون حياً وشائعاً من جهة دلالاته لأجل أن تفتن المجتمعات البشرية بالإنجازات العلمية، وتأخذ المبادرة في رفض الدين واقصائه عن حياة البشر، ومنعه من التأثير على توجهاتهم السياسة والإجتماعية، بهدف إقامة الدولة الملحدة، ومعالجة المشاكل التي تثيرها حياة الإنسان في العالم بعيداً عن الدين والرؤية الدينية ظناً منهم بأن الدين، كما عرفوه، من خلال الكنيسة في العصور الوسطي، قد أعاق تقدم البشر ومنعهم من أن يحدثوا قفزات نوعية في مجال العلم، ولقد استهوت هذه الدعوة العالم العربي ـ الإسلامي كثيراً، حيث أخذ هذا العالم (ولا يزال قطاع

---

(١) يطلق عليها أيضاً إسم العصور المظلمة امتدت حوالي الف سنة تبدأ من تاريخ سقوط الدولة الرومانية على يد البرابرة عام ٤٧٦ م وتنتهي بسقوط القسطنطينية على يد محمد الفاتح عام ١٤٥٣.

(٢) العرمابي، محمد زين الهادي: نشأة العلمانية ودخولها إلى المجتمع الإسلامي، ط ١، ١٤٠٧ هـ، دار العاصمة. . .

(٣) العلايلي، عبد الله، مجلة آفاق عدد/ حزيران/ ١٩٨٧ م: دراسة بعنوان: (كلمة علمنة تحديد لغوي. ص ١).

كبير منه يدعو إلى العلمانية) يبحث عن حلول لمشاكله في العلمانية وخصوصاً بعد أن رأى الإنجازات العلمانية الهائلة في أوروبا، فحصلت عنده ردات فعل على نفسه حملته على تبني النظرة العلمية والتخلي عن النظرة والرؤية الدينية اعتقاداً منه أن الدين ضد العلم وضد التطور. . !!

في لبنان كانت الفتنة الكبيرة، والعلمانيين الكبار ممن جهلوا أنفسهم أولاً ومجتمعهم ثانياً، هؤلاء رأوا أن الأزمة في لبنان سببها يعود إلى تمسك اللبنانيين بالدين، ولو أنهم تخلوا عنه وأقاموا الدولة العلمانية لكان من الطبيعي أن تحل الأزمة وبسرعة هائلة»؟.

أجل رأوا الأزمة في عدم الأخذ بالعلمانية، ولم يروها في النظام الطائفي!!.

والحق يقال أن دعاة العلمانية أغلبهم يعيش في أجواء الطائفية السياسية، وهم يدعون إلى العلمانية الملحدة لأجل أن يستمر الصراع (كونهم يعلمون أن المسلمين لن يقبلوا بهذه الدولة)، ولأجل إعلام الآخرين بأنه لا خيار ثالث لهذين الخيارين، فإما أن تقبلوا بالنظام الطائفي على ما هو عليه، وإما أن تتخلوا عن الدين وتقبلوا بالعلمانية الملحدة. وهم لم يطرحوا العلمانية بطريقة علمية وموضوعية بل طرحوها لغاية في أنفسهم وهي استمرار سلطانهم السياسي. . .

نلاحظ في هذا السياق أن الشيخ شمس الدين قد طرح العلمانية المؤمنة كحل وسط، لكنهم لم يقبلوا بحجة أن هذه العلمانية تبقى على الأزمة وتثير الكثير من المخاوف، وتعطي المسلمين قوة سياسية من شأنها أن تؤثر على المعادلة الطائفية، هذا فضلاً عما أشاعوه من أن العلمانية المؤمنة من معانيها إقامة الدولة الإسلامية. . . !!!

فأصحاب النظام الطائفي هم في الحقيقة لا يريدون العلمانية الملحدة لأنهم رأوا سقوطها في العالم، وما هذا التلاعب في المفردات السياسية أو في المصطلحات العلمية إلا لأجل إطالة عمر هذا النظام الطائفي لا أكثر ولا أقل.

والصراع مازال حتىٰ الآن محتدماً بين الحركة الإسلامية في العالم، وبين أصحاب الطرح العلماني، ولبنان هو جزء من هذا العالم الإسلامي الذي يعيش أجواء هذا الصراع الناشيء عن كون مجموعة من الناس عاشت في الغرب وعادت إلى بلادها تردد ببغائياً ثقافة الغرب من دون الوقوف على جوهر هذه الثقافة وما تحمله من مساوىء وشرور[1]، جاؤوا بالعلمانية ليقولوا للناس في بلادهم أن الغُرب حينما تخلىٰ عن الدين تنورت أرجاؤه، وعلى مقامه، وتحرر إنسانه! لقد أثر هؤلاء في الناس البسطاء الذين لا قدرة لديهم على التمييز بين الإشياء والذين لا يملكون وعياً كافياً لفهم الأمور على حقائقها، فأبعدوهم عن أصالتهم وحالوا بينهم وبين سعادتهم!! ولماذا نعجب من دعاة العلمانية في لبنان وما يطرحوه، وبعض المسلمين هم أكثر إلحاحاً من غيرهم لإعتماد العلمانية التي من معانيها أن تبقىٰ الطائفية السياسية في النظام، وأن يحال بين المسلمين وبين ما يطلبونه من حقوق مشروعة. فالعداء للعلمانية التي كانت ولا تزال الحركة الإسلامية في لبنان تظهره هو عداء نابع من طبيعة ومضمون هذه العلمانية المليئة بالشرور والمفاسد الإجتماعية إذ أنها تدعو إلى الزواج المدني، وإلى أن يكثر الناس من الاسترسال في المعاصي في ظلمات الخفاء لأجل أن يكونوا حضاريين وعلميين... إلى ما هنالك. يقول الشيخ شمس الدين: «... وقد استعملت وسائل ترغيب وخداع كثيرة جداً للتوصل إلى تكوين قناعات لدىٰ جمهور المسلمين بصلاحية الدعوة العلمانية

---

(١) يقول علي شريعتي: «لا يطلق الأوروبيون على الذين يصنعون في أرضهم، ويحصلون على لقب المثقف والعلامة في بلادنا مثقفين، يقولون: أشباه المثقفين، أشباه الأوروبين، أي الأفراد الذين يحاكون الأوروبين، ودور هؤلاء الأشباه، كان ولا يزال، هو العودة بعد التشبه إلى بلادهم، وحمل الرسالة التي عهد لهم بها الأروبيون، ليفتحوا لهم الطريق للورود والإحتلال... را: الأمة والإمامة، دار الأمير، بيروت، ص ٦٢.

ونشير في هذا المقام إلى أن أصحاب النظام الطائفي ليسوا هم الذين لا يريدون إصلاح النظام، وإنما أسيادهم هم الذين يخوفونهم من أي تنازل للآخرين، لأن من شأن ذلك خسارة الموقع السياسي، فالغرب صنع الكثير في عالمنا للإستمرار بهم. مسيحين ومسلمين. لأن المسيحي أيضاً لم ينجو من شرور النظام الطائفي...!؟

وحقيقتها . . . وقد وجهت أساليب الترغيب والخداع إلى جمهور المسلمين وذلك من أجل عزل الجمهور عن قادته وإيجاد حاجز نفسي وعقلي يحول دون تأثير توجهات القادة في الجمهور، ونرجح أن من وسائل الخداع والتمويه ترجمة المصطلح الذي يدل على لادينية، في اللغات الأوروبية (بـ علمانية) لتكوِّن انطباعاً لدى الإنسان الساذج بأن هذه الدعوة تتصل بالعلم وتنبع منه، مستغلين الخطأ الإشتقاقي لإيجاد اللبس بين النسبة إلى (علم) وبين النسبة إلى (عالم)[1] . . . ».

هذه الأساليب الماكرة والتمويهات الخادعة أثرت كثيراً على إنسان هذا العالم، لكنها لم تؤثر على تلك الجماعات الواعية التي تملك رصيداً داخلياً يؤهلها لمواجهة هذا التيار والحد من نشاطه. والحق يقال: إن العلمانية شأنها شأن الطائفية السياسية فشلت في إجهاض روح الثورة، وعجزت عن أن تقيم الدولة الملحدة ذات الأبعاد الشيطانية على الرغم من أن أغلب الناس قد فتنوا في إغراءات ومفاتن الحضارة الحديثة. «إذ أن الحضارة الحديثة ذات إشعاع عالمي، فإن أفكارها كسلعها ـ ذات تأثير عالمي ومن ثم فإن أفكارها ومذاهبها تؤثر ـ أو يراد لها أن تؤثر بشكل أو بآخر في مناخات بشرية تختلف في مضمونها الثقافي وبنيتها الإجتماعية عن مراكز الحضارة في أمريكا أو في أي بلد أوروبي آخر»[2] لقد تداكىٰ معظم اللبنانيين على أفكار الحضارة الحديثة وسلعها، ومنهم مَن ربط ربطاً محكماً بين أفكارها وسلعها، وقال بأنه إما أن تؤخذ الأفكار والسلع، وإما أن تترك جميعها، ورفض أن يأخذ بأحدهما دون الآخر، وهذا البعض يصر اليوم على التحول نهائياً بحيث يصبح غربياً في كل شيء. كما رأينا عند طٰه حسين وغيره الذي شجع على الذوبان في أوروبا وأخذ كل ما انتهت إليه وتوفرت عليه . . !؟

إن الحركة الإسلامية في مواجهتها لأفكار الحضارة الحديثة، ولكل أطروحات العلمنة، تسعىٰ إلى بناء الإنسان المثقف والقادر على انتقاء ما

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، كتاب العلمانيه. م، س، ص ٨٤.

(٢) را: الشيخ شمس الدين، العلمانية، م. س. ص ١١٨.

يصلح له ويتلاءم مع فطرته وقناعاته ومبادئه. وهي تخوض اليوم صراعاً قوياً مع زعماء التوجهات الغربية الذين ظنوا أنه بالإمكان أن تشرىٰ الناس وتباع كالسلع من دون أن يكون لديهم القدرة على فعل شيء، فقدموا الأطروحة العلمانية كمشروع عام، وهي في الحقيقة لا تصلح لأن تكون مشروعاً خاصاً، وهي حتى اليوم ـ وأعني العلمانية ـ موجودة في الإطار النظري عند اشباه المثقفين، لكن الناس لم يعودوا يألفون هذا الوجه، وهم أبعد ما يكونون عن أطروحات الغرب، وذلك كله كان بسبب نشاط الحركة الإسلامية اللبنانية. . فالغرب واشباهه في لبنان يرفعون شعار العلمانية، ويطالبون بامتيازات طائفية، وينسون واجباتهم إتجاه الوطن والإنسان والمهم عندهم ترديد ما الفوه، وتعليم ما تعلموه. . .

لسنا في البحث بصدد تبيان آثار ومفاعيل العلمانية في لبنان، بل الهدف هو إضاءة بعض جوانب المسألة اللبنانية باعتبار أن الحركة الإسلامية بدأت مواجهتها أول ما بدأت مع أفكار هذه الحضارة الوافدة من الغرب تحت شعارات شتىٰ إلى لبنان، منها شعار العلمانية، لأنهم حينما نقلوا هذه الكلمة إلى العالم الإسلامي هم نقلوها على أساس أنها مرتبطة بالعلم الذي يحبه المسلمون، ويبحثون عنه وأن الأخذ به يؤدي إلى التطور بعيداً عن الدين ظناً منهم بأن الدين ضد العلم. . !؟ لقد استهوى الغرب العالم الإسلامي بشعار العلم الذي يهدف إلى تغيير الإنسان وتحويله نهائياً، وإحلال النظرة المادية للكون والإنسان مكان الدين ورؤيته الكونية. . .

٣ ـ الحركة الاسلامية لا تريد العلمنة، ولكن:

إذا كان من أهداف الحركة الإسلامية في لبنان، مواجهة العدو الإسرائيلي، ومن ثم تغيير الواقع جذرياً، ودفع الإنسان بإتجاه التكامل، ومواجهة تيار العلمنة، وإحلال السلم العادل بين جميع أبناء الوطن الواحد، إذا كان كل ذلك يشكل هدفاً رئيساً للحركة الإسلامية، فإن كل ما يضاد ذلك، ويتناقض معه هو في الحقيقة يدعم التيار العلماني في مواجهة المسيحية الحقة، والإسلام الحق اللذان يتفقان على ضرورة مواجهة كل التيارات التي تهدف إلى قتل الإنسان روحياً، وما يعرفه اللبنانيون عن العلمنة

الملحدة يكفي لأن يكونوا لها بالمرصاد، باعتبار أن السكوت عنها، أو القبول بها، لا يعني أكثر من القبول بشيطان مريد يعمل على افتراس البشر. . . لقد أدت العلمانية في الغرب إلى كثير من المساوىء على الصعيد الأخلاقي والاجتماعي، وجعلت من السياسة مكراً وخداعاً بدل من أن تكون روحاً وحياءاً وحياة. فالغرب يبحث اليوم عن وسائل للخروج مما هو فيه من فراغ، ومن انهيار وانحطاط، ولم يدم طويلاً ذلك الإنبهار بما تحقق تحت شعار العلمانية وحكم العقل المطلق، ومن أين يكون للعلمانية القدرة على بناء الإنسان، والتاريخ مليء بمساوئها، يقول الشيخ شمس الدين: «إن العلمانية بلحاظ أساسيها، مصدر التشريع وشرعية السلطة ليست وليدة العصر الحديث، بل ترجع إلى عهود ما قبل المسيحية في المجتمعات اليونانية ثم في الأمبراطورية الرومانية الوثنية؛ والعلمانية الحديثة ماهي إلا صورة لعلمانية المجتمع الروماني الوثني، اكتسبت عمقاً وأبعاداً جديدة بما أتيح لها من تنظير فلسفي مادي وبإخفاق تجربة الكنيسة في حكم الشعوب التي أخضعت لها منذ إعلان قسطنطين إلى الثورة الفرنسية. . .»[1].

إن الذين يدعون إلى العلمنة الملحدة هم إما جاهلون بالتاريخ، وإما متجاهلون، وفي كلا الحالتين هم غير قادرين على معرفة أنفسهم، والجهل بالنفس يعكس جهلاً في التاريخ وفي كل ما يبنىٰ عليه الإنسان نظرته ورؤيته وانطلاقته. إنه الجهل المركب الذي يحمل بعض الزعانف على المطالبة بدولة علمانية أثبتت التجارب أنها غير قادرة على حكم الإنسان وعلى تلبية حاجاته الروحية. فلو أن هؤلاء استطاعوا استحضار الصورة الوثنية للمجتمعات التي كانت غارقة حتىٰ أذنيها بالعلمنة، لما كان هذا الإصرار على تبني أطروحات سبق للبشرية أن تخلت عنها بعد أن عجزت عن تكييف نفسها من خلالها. . . ومعها. فالأديان السماوية وحدها القادرة على إخراج الإنسان اليوم مما هو فيه من بلاء وانهيار فإذا أراد الإنسان أن يكون حديثاً فما عليه إلا أن يتبنى المشروع الإلٰهي لتحقيق الخير للبشرية جمعاء، لأن الدين

---

(١) م. ع. ص ٨١.

لا يأمر بالتخلي عن المادة لصالح الروح، ولا بالتخلي عن الروح لصالح المادة، وإنما هو يأمر بإحداث توازن، روحي مادي يسمح للإنسان بتحقيق نفسه على أفضل صورة ممكنة، وفي ظل نظام حكم يعمل على إيجاد هذا التوازن، أو على الأقل حفظ هذا التوازن في المجتمع الإنساني.

فالحركة الإسلامية ليست ضد العلمنة، لأنها علمنة، وإنما هي لا تريدها لأنها تعمل على تدمير الإنسان وتلويثه تمهيداً لمسخه ومنعه من التواصل وتحقيق الكمال، وهي تنصف العلمانيين حينما تطالب بالإعتدال في كل شيء، وفي السياسة خصوصاً، لأن المطالبة بالعلمانية والعمل من أجلها في ظل الجهل المطبق بما تؤدي إليه لا يعني أكثر من الخروج عن مبدأ الإعتدال، وهذا من شأنه أن ينعكس سلباً على حركة الإنسان السياسية والإجتماعية، هي ـ الحركة الإسلامية ـ لا تريد للعلمانيين أن يعيشوا في أجواء القلق والإفلاس الروحي وما يترشح عنه من لذات وشهوات وحيوانية. . . !؟

فالدولة التي تريدها الحركة الإسلامية هي دولة الإنسان، فأي دولة تبقىٰ على إنسانية الإنسان وتدفع به باتجاه التعالي، فهي المطلوبة والتي يجب أن يعمل لها في أجواء وطنية غير مشحونة بالتوترات الطائفية والمذهبية، والحزبية. . . دولة الإنسان، أو الدولة الديمقراطية الحقيقية التي ينصح فيها الإنسان ولا تكون مبعث خوف لأحد من أحد، على خلاف ما هو موجود اليوم من خوف تارة من العلمانية ، وطوراً من الطائفية وثالثاً من الإسلامية.

لاشك أن الطائفي السياسي سواء أكان مسلماً أو مسيحياً هو يخاف من الديمقراطية الحقيقية، لماذا؟ لأنها لا تعكس رغباته، ولا تلبي حاجاته وغرائزه، أو أنها تنقص منها. . . !؟.

في لبنان يدعي البعض أنه من الطبيعي أن يخاف المسيحي من المسلم فيما لو تسنىٰ لهذا الأخير أن يحكم، وليس من حق المسلم أن يخاف من المسيحي في ظل نظام حكمه، وكأن الرئيس المسيحي، يتمتع بنفحات إلٰهية تبعث على الإطمئنان به. . . !

هناك خوف من الأكثرية الساحقة للمسلمين، خوف يحول دون إنشاء الدولة العصرية، ودون تحقيق العدالة والمساواة، يقول الشيخ شمس الدين: «فأصحاب الدولة العصرية المتقدمة لا يجب أن يخيفهم الوجود الإسلامي الذي يتميز بالأكثرية، فالمسلمون كأكثرية لم يطرحوا أنفسهم حكاماً بطريقة تدعو إلى الخوف والقلق، وإنما هم طرحوا أنفسهم باعتماد مبدأ الديمقراطية كنهج سياسي، فإذا انتهىٰ بهم ذلك إلى الحكم، فيجب على جميع المواطنين أن يقبلوا بخيار الشعب، وبناء على هذا فإنه لا يحق للأقلية التي تحمل شعار العلمانية والطائفية أن تحكم رغم أنف الجميع، ولا تسمح لأحد بأن يعبر عن رأيه بحرية حقيقية...»[1].

هناك حقائق يجب أن يلتفت إليها أصحاب الدولة العصرية، وبالأخص العلمانيين، ممن اصطنع لنفسه بوقاً غربياً وكاد يذوب نهائياً من دون أن يصبح علمانياً على طريقة الغرب، انه مقلد علماني، يعرف المصطلح ولا يفهمه...!!!.

الحركة الإسلامية لا تريد العلمنة، ولكنها تريد الديمقراطية الحقيقية والحرية التي تنتج تطوراً، فإذا كانت هذه موجودة في العلمانية، فالحركة الإسلامية معها ويمكن أن تتبناها أيضاً، لأنه حيث توجد هذه المبادىء يوجد الإنسان، وتوجد دولة الإنسان.

من هنا يمكن القول أن المسلمين ممن اشتد ولعهم للعلمنة عليهم أن يعطوا لأنفسهم من أنفسهم، ومن أنفسهم لأبناء وطنهم ممن يشتركون معهم في الولاء للوطن النهائي وفي المواطنة، عليهم أن يحققوا أنفسهم بتطبيق كل المبادىء التي تنطوي على كثير من الحقائق الإنسانية، وإلا فإن العلمنة الملحدة التي تطالب بإقصاء الدين. ستؤدي إلى مزيد من المأزق النفسية والاجتماعية والاقتصادية، وإلى مزيد من الفتن والصراعات، وبالتالي تكون النتيجة، لا إنسان لا وطن، لا شيء. فالدولة ونظام الحكم إذا لم يكن

---

(١) را: الشيخ شمس الدين في مجلة الشراع، عدد ١٩٣، سنة ١٩٨٥. وقا: مع مجلة سروش، في عددها الصادر بتاريخ ١٩٨٥/٦/٣.

إسلامياً، أو مسيحياً، فلماذا لا يكون إنسانياً، وهل أن العلمانية أثبتت قدرتها على صناعة الإنسان بطريقة تحفظ استمراره وبقاؤه أم أنها أدت به إلى الإنهيار والتعثر. . ؟؟

فلتكن الدولة مدنية، متحدة سياسياً، معبرة عن نفسها من خلال أبناء الوطن جميعاً وليس من خلال أبناء طائفة واحدة، تدعي ملكية القرار، والدفاع عن الوطن والمواطن زوراً. .

إن عقدة الخوف عند المسيحين هي من الإسلام والمسلمين، بينما عقده الخوف عند المسلمين فهي من العلمانية الملحدة، من الإستعمار، من التغريب، من انعدام الهوية تحت شعار الحداثة، من الهيمنة، وليس من المسيحية، وهذا يعني أن المسلم، رغم تحكم بعض المسيحيين ـ مازال يؤمن بأن المسيحية جديرة بالأحترام ولا خوف منها ما دام المسيحيون يعملون في إطارها ومن خلالها. .

إذا الشيخ شمس الدين أحد فقهاء الحركة الإسلامية في لبنان لم تُقبل دولته المدنية حتىٰ الآن، ولا يوجد تباشير، أو علامات تنذر بقرب هذه الدولة: لماذا؟ لأن الرافضين لدعوة الغاء الطائفية السياسية مازالوا حتىٰ الآن يعبرون عن أنفسهم من خلال هذا النظام الطائفي، ويتهمون الحركة الإسلامية وبعض المسيحين (ممن يدعون إلى إلغاء النظام الطائفي) بالخيانة تارة، والتبعية أخرىٰ، فهم لم يتمدنوا بعد، وتمدنهم يحتاج إلى نفسية مهذبة تصنعها المسيحية أو الإسلام، أو حتىٰ الوطنية، وبعد ذلك يمكن الحديث عن دولة مدنية لا دين لها، ولا تقوم شرعيتها على الدين، من أين الدولة المدنية للبنان، والكل يدعي الحرص والانتماء إلى الوطن النهائي في ظل الغياب التام للإخلاق، وللشروط التي ينبغي أن تقوم عليها الدولة المدنية!؟.

لماذا لم يقبل شعار الحركة الإسلامية، دولة الإنسان، أو شعار لا جمهورية إسلامية، ولا جمهورية علمانية؟؟.

قال الشيخ شمس الدين: نحن أعلنا مرات عدة، أننا لا نتبنىٰ فكرة إقامة جمهورية إسلامية في لبنان، ووصف مشروعنا (الديمقراطية العددية بأنه

علماني، وهذا ينبغي أن يشجع دعاة العلمانية على تبني هذا المشروع، ونحن نقول حقيقة - أن هذا المشروع لا هو علماني، ولا هو جمهورية إسلامية، هو كإسمه ديمقراطي عددي يقوم على مبدأ الشوري يعترف بالإيمان، ويحتضن الإيمان، ولكنه ليس مؤمناً، ولا يستمد شرعيته من الإيمان...»[١].

لاشك أن الحركة الإسلامية في لبنان وقعت في حيرة من أمرها حينما لم يقبل دعاة العلمانية بأي حل وسط، وهذه الحيرة لم تحمل الحركة الإسلامية على إعلان الحرب ضد أحد، بل كانت دوماً ضد الحرب الأهلية، ومع مؤسسات الخدمة، تعمل من أجل تأمين حاجات المواطن بمعزل عن دولته في غالب الأحيان، هذا إضافة إلى حركتها السريعة سياسياً وعسكرياً في مواجهة مشاريع التقسيم، والإحتلال الإسرائيلي، وغير ذلك مما يهدد لبنان الوطن والإنسان، والدولة.

لكن الآخرين أصروا عل أطروحة العلمانية، ومارسوا ضغوطاً سياسية وعسكرية واقتصادية لحمل الحركة الإسلامية اللبنانية على التخلي عن مشروع الديمقراطية، والقبول باستمرارية النظام الطائفي المعبر عن نفسه بالحرمان والقهر، والحرية الشكلية وغير ذلك مما يتميز به هذا النظام، لكن الحركة الإسلامية استمرت في رفض كل المشاريع الطائفية، رغم ما تعرضت له من ضغوط واعتداءات من الداخل والخارج، هذا مع العلم بأن هذه الحركة لم تطرح الدولة الإسلامية، رغم أنه يحق لها، كما يحق لغيرها - أن تطرح مشروعها الذي يتلاءم معها ويعبر عنها، من دون أن يكون لها الحق في فرض هذه الدولة على مجتمع متنوع وغير خالص إسلامياً، وبما أنه لا يحق لها أن تفرض مشروعها، فكذلك لا يحق للآخرين أن يفرضوا مشروعهم بالقوة سواء أكان علمانياً أو غير ذلك، وهذا ما عبر عنه الشيخ شمس الدين في أكثر من خطبة جمعة بقوله: «انه على جميع التيارات أن تكون واقعية في طرح رؤيتها، وان تراعىٰ حقيقة المجتمع اللبناني المتنوع، وأن يعمل الجميع من

---

(١) را: مجلة الشراع. م. س. عدد ١٩٣. ١٩٨٥.

أجل الإتحاد سياسياً في مواجهة التغريب والعلمنة والصهينة أيضاً»[1]. . .

لقد عملت الحركة الإسلامية ولا زالت تعمل من أجل مشروع إنساني يوّفر الكرامة والحرية لجميع اللبنانيين، وفي نفس الوقت يحفظ هوية هذا الوطن ويدافع عنها. هذا مشروع ليس من الضروري أن يكون إسلامياً أو مسيحياً، يكفي أن يكون إنسانياً يبني الدولة العادلة للمواطنين. الأحرار. فالحركة الإسلامية ليست بحاجة ـ كما يقول الشيخ شمس الدين ـ لفرض واقع مؤلم، في السياسة والإقتصاد. . . من أجل تحقيق مكاسب سياسية صغيرة تقع على هامش مشروعها، على خلاف ما يطمع به الآخرون الذين يحاولون زج العباد والبلاد في أزمات عديدة لأجل تحقيق مصالح شخصية الذي غالباً ما يتميز بها أي مشروع من المشاريع المطروحة لحل الأزمة اللبنانية، فالعلمانية، والطائفية، وأحياناً القومية كلها لم يثبت لدىٰ خبراء السياسة أنها تحقق الحد الأدنى من العدالة والمساواة، وإن كانت تُعطي أكثر مما تستحق في أوساط ثقافية معينة، باعتبار أن ما يحصل في العالم اليوم ينذر بفشل هذه الصيغ ويشجع على القبول بالصيغة الملائمة لتنوع المجتمع اللبناني، ونعني بها صيغة الديمقراطية العددية، القادرة على بناء دولة الإنسان كما يسميها فقهاء آخرون في الحالة الإسلامية. . .

لقد خسرت العلمانية، وكذلك الطائفية السياسية، رصيدها في لبنان، ولهذا نراها اليوم تهذي بسبب ما أصابها من جمود وفشل على جميع الصعد، علىٰ الأقل على صعيد تحرير الجنوب من الإحتلال، ليس عجباً أن تصاب بما أصيبت به، لأنها كانت تنظّر للمستقبل السياسي في لبنان في أجواء الإحتلال الإسرائيلي، وهي تنسىٰ دائماً أن وجود الإحتلال يعني عدم وجود الوطن، والذين أعادوا الوطن، وحافظوا على العيش المشترك هم فقط الذين يحق لهم أن ينظروا لمستقبل لبنان السياسي. أجل العلمانية لا تصلح أن تكون هدفاً آنياً، فأنىٰ للمسلمين أن يقبلوا بها كمشروع يراد به تأزيم الأوضاع، وتأطير الأفكار لمصلحة هذا القطب أو ذاك، وهذا كله من شأنه أن ينعكس سلباً

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، خطبة الجمعة، تاريخ ١١/١١/٩٣.

على كل القضايا المصيرية. . . فلبنان وطن لجميع اللبنانيين والحفاظ عليه إنما يتم من خلال إرادة الأحرار، وليس من خلال هواجس وأفكار مستوردة أثبتت فشلها في كل مكان من العالم، وهذا الفشل يتجلىٰ بوضوح فيما اعتبر نهاية للتاريخ عند فوكوياما، «أبداً ـ كما يقول الشيخ شمس الدين ـ حتىٰ الآن لم ينحسم شيء إطلاقاً»(1).

يتجلىٰ هذا الفشل أيضاً في روسيا. . . وفي أماكن عديدة لا مجال لحصرها. . المهم أن الصيغة الوحيدة التي تحفظ لبنان هي الصيغة التي تُصنع في لبنان، وتوافق الجميع، ولا يكون فيها للدين أي أثر، باعتبار أن الدين شيء مقدس، «ومن غير المعقول، وغير جائز أصلاً توظيفه في مشاريع سياسية أو طائفية لمصلحة هذا الفريق أو ذاك»(2).

فالدولة المدنية (العصرية) هي الدولة التي لا تقوم شرعيتها على الدين، وهذا ما يوافق المشروع العلماني، وغيره، وفي نفس الوقت هي دولة مؤتمنة على الدين، وتحترم انتماءات الأفراد وقناعتهم، وهذا يوافق جميع المؤمنين من مسلمين ومسيحيين. وهنا نقول بحرية تامة ـ بعد قراءات كثيرة، وبعد أن سمعنا أطروحات علمانية جديدة على شاشات التلفزة ـ إن العلمانية الملحدة تبحث عن مشاكل مع المواطنين وذلك يظهر من خلال أحاديث متعددة لرجال العلمانية عن ضرورة أبعاد رجال الدين عن السياسة، وكأن رجال الدين هم المسؤولون عن الأزمة اللبنانية!؟ حريٌ بهؤلاء، ونعني العلمانيين ـ أن يعودوا إلى القرون الوسطىٰ لأن فهمهم للدين قديم ويتلاءم هذا الفهم مع ما كانت عليه الأحوال في تلك القرون. . فالمشكلة هي أن هؤلاء لا يعلمون، والعجب الأكبر الذي لا ينقضي هو أنهم يملكون وسائل إعلام وأيادي كثيرة تصفق لهم. . . !

(1) را: الشيخ شمس الدين، مقابلة مع مجلة البلاد، عدد ١٥٨ ـ ٢٧ ـ ت ٢ ـ ١٩٩٣.
(2) را: الشيخ شمس الدين، مقابلة مع الأسبوع العربي، عدد ٩٣٣، ١٩٨٥.

الحركة الاسلامية والخطاب ألذاتي:

لاشك أن الحركة الإسلامية في لبنان ليست بدعاً من الحركات، وإنما هي حركة لها جذورها وأصولها، وقلما نجد زماناً لم تكن فيه هذه الحركة موجودة، إلا أنها كانت تقوىٰ وتضعف بين حين وآخر بحسب الظروف والضغوط. بين مرحلة وأخرىٰ تبعاً للظروف التي كانت تعيشها في ظل أنظمة سياسية الفناها وتعودنا على ادعاءاتها بأنها حرة ومستقلة...!

لقد مرت على هذه الحركة في لبنان ظروفٌ صعبة كما في الحاضر، وتألمت كثيراً. وكانت دائماً هذه الآلام تغنيها وتجعلها أكثر قدرة على الصمود والمواجهة، لكن هذه الحركة لم تنج من الخطأ مع نفسها، فانعكس الخطاب من الآخر عليها وحال في زمن معين بينها وبين نفسها، وكانت النتيجة أن خسرت هذه الحركة الكثير من مكاسبها السياسية والإقتصادية والإجتماعية وحتىٰ الثقافية، ففي الوقت الذي كانت فيه هذه الحركة تعمم انتشارها وتطرح نفسها البديل لحركات أخرىٰ أثبتت فشلها في حماية الوطن والناس، وقعت الحركة الإسلامية في لبنان في أزمة داخلية، وعجزت عن مخاطبة نفسها في الوقت الذي كانت قادرة فيه على مخاطبة العالم أجمع.. إنّ هذا كان مما يثير القلق في أوانه، إلا أنه استُدرِك حينما تعمقت الجراح، وصرخت الدماء... وكان ما كان من عودة إلى الذات، ومن إصرار على الكلام معها، فسمعت الأذان، ونظرت العيون إلى جماجم الضحايا فرأت ما رأت مما لا تصدقه الرؤية وتكذبه العيون...! لكن القلب النابض بحقائق الإيمان لم يروعه المشهد المحزن، ولم يمنعه من تذكر الجنوب اللبناني الذي دعا الجميع إلى تنفس هواءه والأكتواء بناره، بدل الضياع هنا وهناك. هذا النداء الجنوبي أيقظ الحركة الإسلامية اللبْنانية، وأحدث فيها صدمة، فما كان عليها إلا العودة والصحوة من سكرة الموت التي كادت تقضي على الجميع في يوم من أيام الله تعالىٰ.

أجل الحركة الإسلامية تصارعت مع نفسها ومع غيرها، وفي الحالين - أي في أجواء الصراعين - كانت العذابات والجراح تُغني هذه الحركة وتدفع

بها باتجاه الحياة الحرة، وما لبثت هذه الحركة أن تمكنت من الإمساك بزمام المبادرة على أنقاض كثير من الحركات التي لم تغنها لاجراحاتها ولا كثرتها، وهذه هي ميزة الحركة الإسلامية في لبنان حيث أنها استطاعت أن تعطي لنفسها أبعاداً جديدة رغم كل ما وقعت فيه من أخطاء مع نفسها ومع الآخرين، وها هي اليوم في قلب العالم تغيّر في معادلاته، وتسمعه صوتها في اليقظة والنوم حتىٰ ظن بها حلماً مستمراً لابد من تأويله وما هو بتأويل الأحلام بعالِم فكانت المقاومة في الجنوب هي المأولة لجميع أحلامه. . !؟ إنه العالم الفقير في روحيته، الظالم في سياسته.

ماذا يقول الشيخ شمس الدين عن الحركة الإسلامية اللبنانية؟

ماذا يقول الشيخ شمس الدين عن واقع الشيعة في لبنان. . . ؟

هذه الأسئلة كانت دائماً تطرح على الشيخ شمس الدين، وكان دائماً يُجيب عليها بما تستحقه من إجابة دون التقليل من أهمية الأوضاع والظروف الصعبة التي تواكب هذه الحركة، أو قسم كبير منها ونعني به الطائفة الشيعية فهي كانت دائماً تتكامل وتتفاعل مع الطوائف الإسلامية الأخرىٰ لأجل تحسين الأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية السيئة التي كانت تستهدف وحدة المسلمين وكرامتهم، هذا فضلاً عما كان يحصل في داخل المسلمين من حروب وفتن تحت شعارات شتىٰ. ترمي بثقلها عليهم لتحول بينهم وبين قوتهم التي هي شرط أساس في بناء الوطن الواحد. هذا الوضع الإسلامي العام كان دائماً مثار جدل بين فقهاء الحركة الإسلامية اللبنانية، وكان دائماً يُعمل من أجل أن تنمو هذه الحركة بطريقة مستقيمة لتلعب دورها المميز في بناء الدولة، وفي تحرير الأرض من الإحتلال، ولم يصل الأمر يوماً، كما يقول الشيخ شمس الدين - إلى حد الإستياء من هذا الوضع باعتبار أن المسلمين جميعاً كانوا دائماً على أهبة الإستعداد لتقويم ما أعوج بهدف تفويت الفرصة على أعدائهم في الداخل والخارج، وهذا المسعىٰ لم يكن مقتصراً على المسلمين بل تعداه إلى المسيحيين أيضاً، لأن وحدتهم أيضاً هي شرط أساس في بناء الدولة. . .

يقول الشيخ شمس الـدين في جواب على السؤال الأول: «إن الحـركة الإسلامية في لبنان هي بحمد الله في حالة نمو وتسعىٰ إلى أن تصل إلى حالة تكامل فيما بينها، والإتجاه العام في هذه الحركة هو اتجاه إجمالي بالنسبة إلى لبنان، وإلى إعادة تكوينه، وإلى إزالة الإحتلال الإسرائيلي وإلى إعادة تـوحيد لبنان. . . »[1].

وقـد تجلىٰ هذا الإتجـاه أيضاً في ذكـرىٰ عـاشـوراء سنـة ١٩٨٣، يـوم أعلنت المقاومة الشاملة ضد العدو الإسرائيلي وكان يومذاك يومـاً مشهوداً لمـا تميز به من إجماع ووحدة على المواجهة، وهذا إذا كان يـدل على شيء فإنـه يدل على أن المسلمين تناسوا ما وقع بينهم، وانشغلوا بما يقـدسهم ويجعلهم خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتؤمن بالله. . .[2].

إن وحـدة المسلمين لا تعني أبـداً أن يكـونـوا جميعـاً أصحـاب رؤيـة واحدة، ولا وحدة المسيحين تعنى ذلك، بل يكفي هـذه الوحـدة تجوهـراً أن تكون قائمة على أسس واقعية تسمح للجميع بالبناء والتحاور والالتزام بقضـايا المسلمين، ولا يضـر هـذه الـوحـدة أن يكـون هنـاك رؤىٰ مختلفة وأسـاليب متعددة ما دامت كلها تتعاون فيما بينها لأجل توحيـد لبنان، ومـواجهة مشـاريع التقسيم. المهم ـ برأي الشيخ شمس الدين ـ أن لا تتناقض الأطروحات بحيث تتحول إلى صراعات وتجزئـة لأن ذلك من شـأنه إضعـاف الموقف الإسـلامي العـام، وإذا كان الشيـخ شمس الـدين لا يـوافق على طـرح مشـروع الـدولـة الإسلامية، فليس معنىٰ ذلـك أنه لا يسعىٰ لإقـامة هـذه الدولـة، بل معنـاه أن طرح الدولة يجب أن يكون واقعياً ومنسجماً مـع واقع لبنـان وتنوعه[3]، يقول

---

(١) م. ع. م. ن.

(٢) را: الشيخ شمس الدين، مواقف ودراسات، ج ٢. ص ١٨٩.

(٣) في كتابنا السابق عن الشيخ شمس الدين بينا أن مشروع الديمقراطية العددية هو خطوة باتجاه حكم الله في الأرض، فلا يقال عنه أنه مشروع إسلامي محض، ولا أنه مشروع علماني كما يحلو للبعض أن يسميه، هو عبارة عن مشروع تغيير سياسي يضمن العدالة والمساواة لجميع اللبنانيين ويمكنهم من الانتماء إلى لبنـان الوطن، على خـلاف ماهم عليه اليوم من انتماء إلى الطائفة، أو إلى الزعيم السيـاسي. . را: الشيخ شمس الـدين =

الشيخ شمس الدين: «بعض الجهات ربما يتحدث عن هذا الموضوع (من خارج الطائفة الشيعية)، ونحن ننظر إلى الواقع اللبناني وتنوعه ونسعىٰ إلى تصحيح النظام السياسي في لبنان بإلغاء المضمون الطائفي وإعادة تكوينه على أساس الديمقراطية العددية»[1] كما أن طرح الدولة الإسلامية لا يجب أن يخيف الآخرين ممن ينتمون إلى حالات أخرىٰ، بحيث يلجأون إلى ممارسة العنف ضد الحالة الإسلامية خوفاً من الدولة الإسلامية، فما يحق للمسلمين يحق لغيرهم شرط أن تكون الرؤى والمشاريع واقعية وملائمة لطبيعة الواقع اللبناني من دون ممارسة أية ضغوط أو أية قوة لفرض الرأي السياسي لأن ذلك يحدث ردات فعل عنيفة عند الآخرين، فليترك الجميع ـ كما يقول الشيخ شمس الدين ـ يعبرون عن آرائهم بحرية باعتبار أن هذا التنوع في الحالات في لبنان هو ظاهرة صحية وإيجابية وخاصة الحالة الإسلامية التي حفظت لبنان ودافعت عنه، يقول الشيخ: «فعلىٰ هذا الأساس ننظر إلى الحركات الإسلامية في لبنان على أنها ظاهرة صحية وإيجابية، ويجب أن تهيأ لها فرص النمو والتعبير عن نفسها، باعتبار أن القمع يولد العنف. والظلم والإضطهاد يولدان العنف أيضاً، فالحالة الإسلامية في لبنان أصبحت واقعاً لا يجوز لأي سياسي، أو لأية حكومة، أو لأي حكم أن يتجاهله وبالتالي فإننا نعتبر هذه الحالة الإسلامية بكل تنوعاتها حالة صحية وفي كثير من جوانبها إيجابية»[2].

لقد تمكنت الحركة الإسلامية في لبنان من تحقيق إنجازات كثيرة، أهمها إنجاز المقاومة، وهذا يكفي للدلالة على أصالة هذه الحركة التي غيّرت الكثير في الواقع وساهمت في إعادة توحيد لبنان، حيث أنها قللّت من أهمية الحركات الأخرىٰ العلمانية والقومية وكل الأحزاب التي لعبت بكثير من الشعارات ولم تتمكن من تطبيق شعار واحد كانت تحلم به بسبب ما كانت

= بين وهج الإسلام وجليد المذاهب، دار الهادي، ١٩٩٣.

(١) را: الشيخ شمس الدين، في مقابلة أجرتها معه مجلة الأسبوع العربي، م. س. ١٩٨٥.

(٢) را: مجلة الأسبوع العربي، م. ن.

عليه من فساد في نفسها، مما يعني أن الحركة التي غيرّت الواقع وأصلحته هي المؤهلة للقيام بمهمات توحيد لبنان ورعاية مصالح شعبه إلى جانب حركات أخرىٰ لا يقلل من شأنها (مسيحية وإسلامية)، فالحركة التي تملك رصيداً إجتماعياً، ووعياً ثقافياً، وقدرات سياسية هائلة قادرة على القيام بالمبادرة للدفاع عن الوطن والمواطن، وليس تلك الحركات التي تريد أن تفرض نفسها على المجتمع السياسي لأجل أن تجعل منه طريقاً إلى مصالحها الخاصة. . .

أما ماذا يقول الشيخ شمس الدين عن الوضع الشيعي، فهذا ما يمكن أن تجد له إجابة واضحة في عدة نصوص سياسية له، وكما بينا أن الشيخ شمس الدين لم يعمل من أجل تحسين وضع طائفي أو حزبي معين، وإنما هو كان ولا يزال يعمل من أجل المسلمين جميعاً، لكن اهتماماته بالوضع الشيعي تأتي في سياق معين من قبيل معالجة وضع سيء يمكن إذا ترك أن يؤدي إلى شلل في الحالة العامة، يقول الشيخ: «بصراحة أنه لا يمكن الحديث عن عافية إسلامية إذا كان هناك وضع سيء داخلي لأي حركة إسلامية في الواقع، فالشيعة هم عضو في الجسم الإسلامي، فإذا تألموا لابد أن يتألم الجسم برمته، نحن كنا ولا نزال حريصين على وجود حالة أبوية بالنسبة إلى كل القوىٰ، وكل التيارات داخل الشيعة من منطلق أن تكون هناك «حالة إيجابية في الوضع الإسلامي العام، وليس معنىٰ ذلك أننا نعمل طائفياً»[1].

إن مسألة المعاناة لا تنحصر فقط بالطائفة الشيعية، بل يمكن أن تصيب أيضاً أية طائفة أخرى، والاهتمام بمعالجة أي خطر لا يعني العمل طائفياً، ولا من باب حقوق الطوائف، إن الإهتمام بالطائفة والتنظير لها شيء، وإيجاد حلول لمشاكل معينة داخل طائفة ما شيء آخر، يقول: «إن تعاطينا مع المشكلة اللبنانية ككل، ومع الحالة الإسلامية في لبنان لم يكن من منطلق حقوق الطائفة، وإنما كان من منطلق الحفاظ على وحدة الصف الداخلي

---

(١) مجلة الأسبوع العربي، م. ن.

الإسلامي كشرط أساس في الحفاظ على الوحدة بين الشعب اللبناني عموماً»[1].

يبقىٰ أن نشير إلى أنه قد سرت إشاعات عن وجود علاقات متوترة بين الشيخ شمس الدين والحركة الإسلامية في الجمهورية الإسلامية في كثير من التفاصيل، وهذه الإشاعات كانت تهدف إلى تعميق الخلافات بين المسلمين في لبنان، والحق يقال أنهم جميعاً كانوا ولا يزالون يلتقون مع إيران في كثير من المسائل التي تهم كرامة الإنسان وحريته، وإيران الإسلامية ليست منقطعة عن أحد من اللبنانيين مسلمين ومسيحيين، وهي تساعد الجميع على النهوض وفي سبيل تحقيق السلام والوحدة، وإذا كان هناك ثمة علاقات متوترة، فإنها لا تتجاوز الإختلاف في وجهات النظر التي لايمكن أن تكون متطابقة دائماً، يقول الشيخ شمس الدين: «علاقاتنا منفتحة مع كل القوى الإسلامية في الداخل والخارج، وهناك ادعاءات كثيرة، ومَن يحاول الإصطياد في الماء العكر، لكن ذلك كله لن يحول دون إيجاد حالة تكاملية تعود بالخير على لبنان»[2].

إن أحداً لا يستطيع أن ينفي وجود خلافات ما في وجهات نظر حول طبيعة الأزمة في لبنان، باعتبار أن التنوع يفرز مثل هذه الخلافات دائماً، والوعي الإسلامي يجب أن يمنع من تحول هذا الخلاف في وجهات النظر إلى تناقضات، لأن التآمر الخارجي يسعىٰ لإيجاد حالة تجزئة في لبنان من خلال وحيه لبعض الجماعات أن علاقة المسلمين بإيران، وتوحد هؤلاء في الداخل هو ضد المسيحين: «إن هذه الوحدة الإسلامية ليست ضد أحد»[3]، وربما يتوهم البعض أن فرقة المسلمين ضمان لقوة المسيحين وسلامتهم: هذا التوهم لا شك أن الأحداث دفعته بعيداً، وأظهرت أن الخطاب الإسلامي الواحد مع الذات ومع الغير لم يكن إلا من أجل لبنان قوي، حر، لجميع

---

(١) م. ع.

(٢) را: الشيخ شمس الدين، في مقابلة مع مجلة الشراع، تاريخ ٣١/كانون الأول/١٩٨٤.

(٣) را: الشيخ شمس الدين، مواقف ودراسات، ج ٢. ص ١٩٧.

أبنائه على قاعدة العدالة الحقيقية.

مشروع توحيد المسلمين في لبنان:

إن اطمئنان الشيخ شمس الدين إلى وعي وحيوية الحركات الإسلامية في لبنان لم يمنعه من إبداء تخوفه مما قد يحدث لهذه الحركات بسبب المؤامرات التي تحاك ضدها في الداخل والخارج، وهذا الخوف كان ينشأ عن وجود أشخاص في الساحة الإسلامية عاجزين عن قراءة الواقع بدقة، وعن رصد المستقبل، وقد حصل أن وقع الجميع في شباك العجز والفتنة، فمشروع توحيد المسلمين في لبنان هو أيضاً لأجل قوة لبنان، كما أنه يتميز بالدعوة إلى ترك الفقه وعلم الكلام جانباً في التعامل مع الواقع، وفتح أبواب الحوار ـ حوار المذاهب الموضوعي لأجل إغناء الحالة الإسلامية يقول الشيخ شمس الدين لمجلة سروش سنة ١٩٨٥: «أنه يعد مشروع لإيجاد حالة مؤسسية في لبنان تجمع المسلمين في إطار معين وتفتح حوار المذاهب الموضوعي فيما بينهم بحيث يتمكن الجميع من صياغة موقف ينسجم وتطلعاتهم في لبنان»[1] وهذا يعني أن الشيخ شمس الدين يريد أن يكون لوحدة المسلمين أساس وقاعدة تنطلق منه غير الفقه وعلم الكلام، وهو ما يسميه الشيخ شمس الدين قاعدة الإلتزام السياسي بقضايا الأمة...

إذن مشروع توحيد المسلمين في لبنان لسيس الهدف منه إلغاء المذاهب، أو صهرها بحيث تصبح مذهباً واحداً وإنما هو يهدف إلى إيجاد حالة إسلامية تعيش أجواء الحوار وتتفاعل فيما بينها بعيداً عن المذهبية والطائفية والحزبية، وهذا ما عبر عنه الشيخ شمس الدين في ذكرىٰ عاشوراء بدعوته السنة والشيعة إلى الخروج من كهوف المذهبية إلى رحاب الإسلام»[2] إذا أرادوا الحياة لوحدتهم، والقوة لمشروعهم السياسي... لقد

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، مقابلة مع الشراع، تاريخ ٣١/ك١، ١٩٧٤. وقا: مع سروش ١٩٨٥.

(٢) را: مواقف ودراسات م. س. ج ٢. ص ١٨٠، وقا: مع مجلة الفكر الإسلامي، ١٩٨٦.

تعمق الخلاف الفقهي والكلامي ـ والفلسفي نتيجة لتهديد الوحدة، حيث أن كل فريق في أجواء التجزئة أخذ ينظّر فقهياً ـ وكلامياً ضد الفريق الآخر، مما جعل الوحدة الإسلامية مهددة أكثر، فلو أن الحوار بين المسلمين استمر موضوعياً لما حصلت التجزئة في العالم الإسلامي، ولا تمكن الإستعمار من أحكام سيطرته على المنطقة فإذا كان البعض يتهم المذاهب بأنها سبب التجزئة، فإن هذا الإتهام بعيد عن الموضوعية لما نعرفه جميعاً من أن التمذهب في الإسلام كان في نشأته تعبيراً عن حيوية واتساع آفاق، وثمرة للإتساع والرأي الحر ونمو مناهج المعرفة لدىٰ علماء المسلمين، وإنها تحولت إلى أسوار مغلقة بفعل تراجع هذه الحيوية العقلية والفكرية[1].

في لبنان، كما نعلم جميعاً ـ أدت وحدة المسلمين إلى كثير من الإيجابيات ولم يضرها التمذهب في شيء، وإذا رأينا أن التمذهب يحول دون تحقيق الوحدة في أي بلد إسلامي، فما علينا إلا أن نتهم الاستعمار أولاً، والتعصب الأعمىٰ ثانياً، كما أن العمل لهذه الوحدة في لبنان أو في غيره لا يعتبر عملاً طائفياً، يقول الشيخ شمس الدين: «إن الإهتمام بالشأن الإسلامي لا يعني إطلاقاً الإهتمام بشأن طائفي أو مذهبي، وإنما هو اهتمام يكمل الإهتمامات الأخرىٰ التي تساعد على إيجاد المؤسسة الكبرىٰ والوطن الكبير، فالوحدة الإسلامية لا ولن تكون ضد المسيحين، وإنما هي من أجل لبنان، باعتبار أن التجزئة سواء أكانت في الشارع المسيحي أو عند المسلمين من شأنها أن تمنع توحيد لبنان، والحوار بيَن اللبنانيين. . . فالوحدة هدفها الأول والأخير الحفاظ على وحدة لبنان في وجه التهديدات الخارجية، وفي مواجهة العدو الإسرائيلي الذي يراهن على التجزئة في لبنان كل لبنان. . .»[2].

---

(١) را: السيد محمد حسن الأمين، في مجلة العرفان، عدد (٣) ـ ١٩٩٣.

(٢) را: الشيخ شمس الدين، مواقف ودراسات، ج ٢، م. س. ص ١٩٧، وقا: مع السيد عبد الحسين شرف الدين في بغية الراغبين، ج ٢. ص ٤٤٨، ورا: أيضاً الشيخ شمس الدين عن الوحدة الإسلامية في مجلة الغدير، الوحدة والإمامة، عدد ٨ ـ ٩ ـ ١٩٩٠.

اتفق فقهاء الملة على أن التمذهب في الإسلام لم يكن سبباً في تجزئة المسلمين وأنه =

إذن الشيخ شمس الدين يرىٰ أن وحدة المسلمين مقدمة ضرورية لوحدة اللبنانين، باعتبار أن المهم هو الخروج من الحالة الطائفية والانتماء إلى الوطن «فالوحدة الهدف منها هو ـ كما أسلفنا ـ أن يخرج المسلمون من حالاتهم الطائفية، وإيجاد صيغة منفتحة يمكن أن يدخل فيها المسيحيون اللبنانيون لمصلحة لبنان، وهذا لا يعني أبداً العودة إلى الطائفية، وإنما يعني الخروج منها إلى الوطن إلى رحاب المسيحية والإسلام معاً. . .»(١).

كما أن العمل لأجل إيجاد مؤسسة تجمع المسلمين في لبنان ليس الهدف منه إيجاد مؤسسة عليا للطوائف، بل الهدف الجوهري هو توحيد المسلمين على قاعدة الإلتزام السياسي بقضاياهم، ومن ثم إيجاد حالة مؤسسة تجمع المسلمين في إطار معين لا يُلغي خصوصية كل مذهب، فالسني يبقىٰ سنياً، والشيعي، يبقىٰ شيعياً، والدرزي يبقىٰ درزياً. . . مؤسسة تحمي الجميع ويحميها الجميع وهذا لا يعني أبداً التقليل من أهمية المسألة المذهبية باعتبار أن هذه المسألة طبيعية جداً وموجودة في كل عالم ثقافي، وفي كل إطار عقيدي، كما هو حال المسلمين اليوم في إيران الإسلامية التي تتعامل وتتكامل مع جميع المذاهب وتؤكد على الحق الثابت للجميع من منطلق أن الدولة الإسلامية لا ينبغي أن تكون مذهبية المركز الحقوقي للمواطن، أو مذهبية في نهجها السياسي، وفي مواجهة قضايا المسلمين والمستضعفين في العالم على الصعيد الدولي، فالدولة يجب أن تكون في

= لا جدوىٰ من الدعوة إلى إلغاء المذاهب. . . وأن السبيل الأقوم للإصلاح يكمن في نفض غبار الجهل والتعصب بين أتباع هذه المذاهب، وإعادة الإعتبار لحيوية العقل الإسلامي، وعندها لا يعود الخلاف المذهبي سبباً للتفرقة، بل يغدو حافزاً للغني والتنوع والمزيد من ترسيخ أواصر الوحدة، بمفهومها المتحرك والمترفع عن العصبية. . .

ويمكن مراجعة كتاب النص والإجتهاد الذي يقول فيه مؤلفه: إن الشيعة والسنة فرقتهما السياسة وتجمعهما السياسة. أما الإسلام فلم يفرق ولم يمزق وإنما جمع ووحد.

(١) را: الشيخ شمس الدين، مجلة سروش. عدد سابق، ١٩٨٥.

الشأن الحقوقي للمواطن، وفي الشأن السياسي أيضاً مسلمة لا شرقية ولا غربية[1].

من هنا فإن توحيد المسلمين ـ كما يقول الشيخ شمس الدين، لا يستلزم إلغاء التنوعات في داخل الأمة ولا المذاهب باعتبار ان الأمة غنية بها شرط أن يكون الحوار بينها حواراً موضوعياً وعلمياً تخرج منه سياسة المصالح والأهواء وغير ذلك من الأمور مما يعيق عملية الوحدة، ويجعل من الحوار حواراً عقيماً. إن العمل من أجل ذلك يمكن أن يبدأ من لبنان: فلتعمل كل حركة إسلامية باتجاه هذا الهدف، وقبل ذلك فليتبرأ الجميع من الأنانية والموالاة العمياء والتعصب، وليتحرك الجميع في الساحة الإسلامية من أجل تثبيت خيار الأمة ضد كل الخيارات الشخصية المغلفة بالمذهبية التي تحاول رهن الأمة ومصاحلها للإستعمار الجديد. . .

إن الحوار في المسألة التي تتصل بالخط العقيدي، وفي التنوع بالفهم العقيدي في بعض التفاصيل، فهذا أمرٌ متروك للعلماء والمفكرين، فليكتبوا بروح العلم والإنصاف، وليتحاوروا جميعاً في إطار الإسلام الواحد، وكذا الحوار في المسألة الفقهية ليكتب الفقهاء وليؤصل الأصوليون «فأصحاب المذهب الواحد يختلفون فيما بينهم في كثير من المسائل، نحن لا ندعو إلى الوحدة في لبنان، أو في الخارج على أساس علم الكلام، ولا على أساس علم الفقه وإنما ندعو إلى الوحدة على أساس وحدة القرار السياسي، وهذا هو الشيء العملي فالمسلمون يمكن أن يكونوا ستة مذاهب، ولكنهم في الحقيقة أمة واحدة، وفي العالم العربي يجب أن يتوحد المسلمون على موقف إسلامي واحد، في المسائل الخاصة بالعالم العربي، وفي العالم الإسلامي يجب أن يتوحدوا في المسائل التي تخص العالم الإسلامي. . .»[2].

---

(١) را: كتابنا الشيخ شمس الدين بين وهج الإسلام وجليد المذاهب، م. س. فصل الوحدة الإسلامية. .

(٢) را: الشيخ شمس الدين، مجلة الشراع، عدد ١٩٨٦.

إن الحركات الإسلامية فيما لو انطلقت من هذه الحقيقة. من الحوار الموضوعي، فإنها بالتأكيد ستصل إلى النصر المؤزر، وستحدث أعجوبة في العالم، وسيكون التغيير للأوضاع الفاسدة أمراً ممكناً وسهلاً عليها، على خلاف ما لو انعدم الحوار وذهب الريح، وتسلط الإستعمار، وجاس خلال الديار. . . فإذا كان الله سبحانه وتعالىٰ قد أمر بمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، كما في قوله تعالىٰ: ﴿**وجادلوا أهل الكتاب بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا . . .**﴾ فكيف لا يكون هذا الجدال بين المسلمين الذين وحدتهم العقيدة وجعلتهم احياءً وأمة واحدة. . .؟ إن ما يؤسف له هو أن العقيدة قد تعرضت للتحريف وسوء التأويل، وتبقىٰ الوحدة الإسلامية والحوار الموضوعي العلمي المجرد رهناً بإصلاح العقيدة وتأصيلها ونفي الشبه والإنحراف عنها. . .»[1].

من هنا نرىٰ أن انعدام الحوار ـ الذي له أسبابه الكثيرة ـ يعني حتماً الهزيمة على مستوىٰ الوجود، فكيف على مستوىٰ القرار السياسي؟ فما هو حاصل اليوم في العالم العربي ـ الإسلامي من تجزئة ومذهبية وطائفية وحوار عقيم سببه كما قلنا ـ الإنحراف في العقيدة الذي انعكس انحرافاً في إدراك مفهوم الأمة، ومن ثم في التفاعل الخارجي مع واقع الأمة، عقيدة خامدة راكدة، معدومة الحياة في حالة الوعي. مما أدىٰ إلى التأثر بشتىٰ المؤثرات من قومية ومذهبية وعرقية ووطنية، وربما عائلية وشخصية أيضاً»[2].

مشروع الحركة الاسلامية في لبنان:

بعد عرضنا لبعض الأهداف التي تسعىٰ الحركة الإسلامية في لبنان لتحقيقها، نروم الآن الحديث عن المشروع التي تحمله هذه الحركة، لنرىٰ ما إذا كان هذا المشروع ـ الذي يتناقض مع مشاريع أخرىٰ ـ يتناسب وطبيعة

---

(١) را: السيد محمد حسن الأمين، تجليات الوحدة في فكر وجهاد السيد عبد الحسين شرف الدين، مجلة العرفان، العدد (٣) ١٩٩٣.

(٢) را: الشيخ شمس الدين، العلاقة الموضوعية بين عقيدة التوحيد ووحدة الأمة، جريدة السفير، م. س. تاريخ ١٦/٩/١٩٨٨.

المرحلة، ويلامس الواقع المتنوع والمختلط في لبنان، كما أنه لابـد أيضاً من إشارات إلى طبيعة الأجواء السائدة بين مجمل الحركات الإسلامية. . .

سبق لنـا أن بينـا فيمـا سبق بعض الأمـور التي تمنـع الحـركـات الإسلامية من قبول المشروع العلماني لما يحمله هـذا المشروع من مسـاوىء تتعـدىٰ النظام لتصـل إلى واقع النـاس بعد إفسـادها لهم على مستـوىٰ الفكرة والقناعة، باعتبار أن هذا المشروع يدعو إلى الأخذ بالحضـارة الغربيـة، وإلى التخلي عن كل ما هو أصيل وفـطري عند النـاس، ولهذا السبب وغيـره كانت الحركات الإسلامية ولا تزال تعارض العلمانية الملحـدة بكل التفـاصيل، لأن هذا المشروع يعني بشكل أو بآخر العودة إلى الحياة الرومانية الـوثنية كمـا أنه ينطوي ـ على فلسفة مادية لا تقيم أدنى اعتبـار لما هـو عليه الإنسـان في ذاته من حيث هـو إنسان فـطري، روحي، أخـلاقي مكـرم. . . وفي نفس الـوقت يمكن القول أن الحركة الإسلامية لا تدعو إلى إقامـة نظام ينسجم وتـطلعاتهـا دون لحـاظ تطلعـات الآخرين ممن يعيشـون معها في الـوطن الواحـد، هـذه الحركة تدعو إلى مشروع ديمقراطي (عددية) يحفظ للإنسان كرامته، ويسمـح له بالتعبير عن رأيه، ويسمح لكل قوى التغيير بأن تقوم بدورها كاملاً، بهـدف الإصلاح في المجتمع، وإقامة النظام السياسي الديمقراطي. والحق يقـال أن المشـروع الديمقـراطي الحقيقي لا يجب أن يكون مـرفـوضـاً من قبـل بعض المسيحين، لأنه صيغة غربية وليس إسلامية ، «هي صيغة ـ الديمقـراطية ـ من صيغ المسيحية، وهي أسلوب في الحكم يمكن بتعديلات مـلائمة أن يتكيف مع أي وسط ثقافي، نحن نعرف أن الديمقراطية الغربية ليس لها صيغة واحدة بل لها صيغ متعددة متنوعة جداً ـ هي في الواقع ذات منبع واحـد وهو احتـرام الفـرد والإعتراف بـالحريـات الأساسيـة للإنسـان (على أساس تصـور خـاص نخـالف في بعض تفاصيله)، ويمكن القـول أيضاً أنهـا ذات محتوىٰ أخـلاقي نظري لا يتعارض مع معطيات الإيمان الكبري، أنا لا أقـول ينسجم مع هـذه المعطيات، بل أقول لا يتعارض معها. . .»[1].

---

(١) را: الشيخ شمس الدين في الأسبوع العربي، عدد ٩٢٣. سنة ١٩٧٧.

فإذا كان هذا المشروع الديمقراطي ينطوي على حريات حقيقية، فلا ينبغي رفضه من قبل الآخرين بل يجب أن يكونوا أول مَن يقبل به كونه ينسجم مع تطلعاتهم، ولا ينسجم مع تطلعات آخرين يعتبرون مشروعهم الإسلامي مقدساً ولا يمكن القبول بمشروع بديل، لأن المسلمين قد لا يقبلون بديمقراطية غربية في مجتمع خالص إسلامياً، وبما أنهم يراعون الواقع والشروط الموضوعية في الداخل والخارج فكان لابد من القبول بالمشروع الديمقراطي لأجل حفظ صيغة المجتمع المتنوع والمتحد سياسياً، وهم يقتدون بذلك بالرسول (ص) الذي نظم العلاقة بين المسلمين واليهود في المدينة باعتبارهم يشكلون مجتمعاً سياسياً واحداً متنوعاً في انتمائه الديني، وكان من الممكن لهذه التجربة الحضارية الإنسانية الفريدة من نوعها أن تستمر وتنمو لولا أن اليهود أفسدوها وقضوا عليها. . .[1].

إن المسلمين يقبلون بالصيغة الديمقراطية في مجتمع متنوع وغير خالص إسلامياً، بحيث يؤسس لنظام سياسي ديمقراطي يساوي بين المواطنين في الحقوق والواجبات، ويكون الجميع فيه أحراراً في التعبير عن رأيهم، وفي الإنتماء إلى أي دين يشاءون. . هذا في المجتمع المتنوع غير الخالص إسلامياً، أما إذا كان المجتمع خالصاً إسلامياً، فإن الصيغة فيه لا يمكن أن تكون غير الإسلام ومبدأ الشوري، لأن مصطلح الديمقراطية يختزن جواً يختلف عن الجو الإسلامي، بل ربما يعطي هذا المصطلح مفهوماً يختلف عن المفهوم الإسلامي «فلا يجب أن تحرك هذه الديمقراطية في مجتمع خالص إسلامياً على أساس أنها مصطلح إسلامي أو مفهوم إسلامي»[2] ولهذا فلا يجب اعتمادها في البلاد الإسلامية الخالصة لا كسبيل للوصول إلى السلطة، ولا كنهج سياسي، أو عقيدة سياسية، كون ذلك إذا ما حصل يؤدي إلىٰ الخروج على أهم مبدأ من مبادىء الإسلام ألا وهو مبدأ الشورى[3].

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، في الاجتماع السياسي الإسلامي. م. س. ص ١٦٢.

(٢) را: السيد محمد حسين فضل الله. في المشروع الحضاري الإسلامي، مؤسسة العارف، بيروت، ص ١٧٥.

(٣) إن الأخذ بمبدأ الديمقراطية من قبل المسلم في لبنان أو في غيره فيما لو كان المجتمع =

ومن التساؤلات المعقولة أنه إذا كان مشروع الديمقراطية العددية لا يتعارض مع الصيغة الغربية، وإذا كان الطائفيون قد فتنوا ـ بصيغ الغرب وحضارته ـ فلماذا يعارضون مشروع الديمقراطية حتىٰ الآن؟ هل لأن هذا المشروع يسمح للأكثرية الساحقة من المسلمين والمسيحيين بأن يكون لها الدور الفاعل في لبنان والمحيط؟ أم لأن هذا المشروع يعطي لبنان قيمته ويجعله وطناً يحضىٰ فيه الجميع بحقوقهم؟ ما هو نوع وشكل الديمقراطية التي يطالب بها معارضوا مشروع الديمقراطية العددية القائمة على مبدأ الشوري المطلوب منهم هو تعريف الديمقراطية المرغوبة عندهم، فإذا كان من معاني الديمقراطية إحترام الفرد والإعتراف بالحريات الأساسية للإنسان، فإن هذا المعنىٰ يقبل به الإنسان المسلم، كما يقبل به الإنسان المسيحي، فلماذا لم يُعمل حتى الآن لأجل هذه الحريات؟؟

إن تعريف الديمقراطية أصبح مهماً وضرورياً، باعتبار أنه من شأنه أن يضع حداً للجدل القائم حولها. كما أنه لابد من لحظ طبيعة المجتمع اللبناني في أي تعريف لها، لأن تجاهل المجتمع في أي تعريف يمكن أن يقتصر على الجانب النظري ولا يتعداه إلى العملانية. . .

غير مؤهل إسلامياً ـ كما هو الحال في أغلب البلاد العربية والإسلامية، لا يعتبر خروجاً عن مبدأ الشوري، وإن أي مجتمع لا يمارس حياته السياسية والإجتماعية في ظل نظام إسلامي يمكنه اعتماد مبدأ الديمقراطية، وأن يجاهد في سبيلها إذا كان البديل لها هو الإستبداد والفوضىٰ، وكما يقول السيد الأمين: «إن الديمقراطية في مجتمع لا يقوم نظام حكمه على الإسلام هي أفضل الصيغ الممكنة محاكاة لروح الشوري كما تتجلىٰ في مجتمع يقوم نظام حكمه على الإسلام» را: مجلة المنطلق، عدد ٩٨ ـ ١٩٩٣.
وهذا هو مضمون دعوة الشيخ شمس الدين إلى اعتماد الديمقراطية كنهج سياسي في لبنان وخارجه، باعتبارها تشكل نموذجاً مقبولاً يفسح في المجال أمام قوىٰ التغيير كي تصلح ما فسد شرط أن لا يساء استعمالها كما حصل في عدة بلاد إسلامية، والحق يقال أن الهامش الديمقراطي قد ضيق، ويحال اليوم بين المسلمين والديمقراطية من قبل الإستعمار والأنظمة معاً، وحتىٰ الآن ـ على صعيد لبنان لم تعتمد بعد الديمقراطية الحقيقية بحجة أنها تؤدي إلى النظام الإسلامي!؟ وسيشهد العالم العربي والإسلامي موجات عنف جديدة نتيجة لتضييق الهامش الديمقراطي. . . را: الشيخ شمس الدين، مواقف ودراسات ج ٢، م. ص. ص ٣٦٠.

هؤلاء يتجاهلون الديمقراطية ويطالبون بالعلمانية الملحدة رغم علمهم بمساوئها وعدم ملاءمتها للواقع اللبناني الذي عنده المبررات الكافية لرفضها، إذ كيف يقبل بها وهو يعلم بأن الكنيسة في القرون الوسطىٰ هي التي دفعت إليها بسبب مواقفها من العلم والعلماء، مما أدىٰ إلى خلق حالة العداء للدين والإسراف في طلب الدنيا. . . وهذا ما لم يحصل في عالمنا ولا في بلادنا، ولن يحصل لأن المجتمع لم يشاهد آثاراً سلبية للدين، ولم يعانِ من حكم الثيوقراطيين حتى يتم اختياره للعلمانية من دون سبب في الوقت الذي علم فيه الإنسان الأوروبي أن ما اختاره بعد القرون الوسطىٰ والثورة الصناعية لم يكن الخيار الأمثل بسبب ما لحق به من فساد في نفسه وفي واقعه من جراء هذه العلمانية. . . لقد خدع الإنسان الأوروبي في العصر الحديث، كما خدع في القرون الوسطىٰ، ولم ينجُ مما كان يهرب منه، مما يعني أن المسلمين في لبنان لا يمكنهم القبول بالنظام العلماني الملحد في الوقت الذي يفكر فيه العالم يالتخلص منه بعد أن صرخ من جور قضائها. . . !؟

لقد تبين للبنانين أن النظام الطائفي عجز عن بناء الوطن والإنسان، وتبين لهم أيضاً أن العلمانية لم تعد صالحة لبناء الوطن، حتى ولو كانت صالحة في بلدان العالم الغربي، فلا يمكن أن تكون صالحة للمجتمع اللبناني لما هو عليه من تنوع ومعاني دينية ضاغطة وفاعلة، فلم يبق إلا النظام الديمقراطي الحقيقي الذي من شأنه أن يوفر الحد الأدنىٰ من العدالة الحقيقية، ومن المساواة الحقيقية. وهذا ما تطالب به الحركة الإسلامية رغم علمها بأن هذا النظام لا يفي بالمطلوب ولا يلبي الحاجات ولا يحقق السعادة المطلوبة كونه يفتقر إلى السياسة بما هي فلسفة دولة تتحمل مسؤولية صيرورة المجتمع لا وجوده، ومع هذا هي قبلت بهذا الحد الأدنىٰ حفاظاً منها على العيش المشترك، وهذا ما يجب أن يشكل حافزاً عند الآخرين كي يقبلوا بهذا الحد أيضاً للحفاظ على الوطن والإنسان معاً. . .

الفصل الثاني: ايران والحركة الاسلامية في لبنان:

تمهيد الفصل الثاني:

لاشك أن جميع مسلمي العالم استفادوا وتأثروا بالحدث الإسلامي في إيران، والشعب المسلم الأكثر تأثراً بهذا الحدث كان الشعب اللبناني الذي أيد هذه الثورة ووقف معها من أجل تحرير الإنسان من الطاغوت، وهذا التأييد ليس لإيران وحسب وإنما هو لكل ثورة في العالم تنصر حقوق الإنسان وتطالب بحريته واحترامه، وهو لكل ثورة تخرج على السياسة الدولية الظالمة التي لم تراع حرمة لمقدس على وجه الأرض، فضلاً عن الإنسان الذي سحق نهائياً بسبب الظلم الذي لحق به من خلال هذه السياسة...

المهم أن الإنسان اللبناني نصر ووقف مع أخيه الإنسان الذي تحرر من الاستعمار وسياسته، وهذا التحرر هو مطلب كل إنسان في العالم، والثورة الإسلامية في إيران خلقت حالة من الوعي عند الشعوب التي لم تستيقظ بعد، وزادت من حالة الوعي الموجودة عند الشعوب التي تعيش الأزمة وتتحرك ببطء للخلاص منها إن المسلمين في لبنان ـ إلى جانب المسيحين أيضاً، هم شعب يملك رصيداً معنوياً، وإرادة التغيير فأثرت فيه الثورة بقوة ودفعته إلى تخليص نفسه من الظلم والطائفية وغير ذلك مما زاد الشعوب بلاءً على بلاء. يقول الشيخ شمس الدين في محاضرة له في قم المقدسة: «إن مرحلة الوعي التي توصل إليها المسلمون في لبنان، مكنتهم من تعبئة أنفسهم وأكسبتهم ثقة الأمة من الداخل والخارج (وهم اليوم يقتدون بالثورة الإسلامية في إيران في طلب الحرية والعدالة والإستقلال). بعد أن

أفلست كل المشاريع والطروحات القومية والطائفية والعلمانية وغيرها...»[1].

تأثير إيران على مسلمي لبنان:

يقول الشيخ شمس الدين: «إن ما حصل في إيران لم يكن نموذجاً فريداً من نوعه في التاريخ الإسلامي، وإن كان لهذا الحدث ميزته الخاصة، وتأثيراته الخاصة»[2]، فالشيخ شمس الدين يشير في كلامه هذا إلى الحركات الإسلامية منذ الصدام الكبير بينها وبين الإستعمار في أماكن عديدة من العالم، «فالثورة الإسلامية جاءت في نطاق معين، وأحدث حالة جديدة نوعية...»[3].

لاشك أن الحركات الإسلامية في مراحل زمنية معينة كان بإمكانها أن تحدث هذا الزلزال الكبير، لكنها فشلت بسبب عجزها عن قراءة الواقع بدقة، وعن رصد المستقبل، فكانت تفاجأ بالأحداث، تماماً كما حصل في الجزائر وغيرها، وقد عبّر عن هذه الحقيقة العلامة مطهري في كتابه الحركات الإسلامية حيث قال: «في ثورة التنباك نرىٰ أن رجال الدين بعد إلغاء (معاهدة راجي) تصوروا بأن مسؤوليتهم قد انتهت في حين كان باستطاعتهم أن يستفيدوا من استعداد الشعب لإقامة حكم إسلامي واقعي...»[4].

ميزة الثورة الإسلامية في إيران، أنها قطفت ثمار وعيها وحركتها الجهادية ولم تقع فيما وقعت فيه الحركات الإسلامية السابقة من أخطاء، ولم تعجز عن الوصول إلى أهدافها، فأقامت الدولة الإسلامية، وعبرت عن نفسها بأسلوب حضاري، ولم تنل منها كل المؤامرات في الداخل والخارج، وهذا

---

(١) جاء هذا الكلام في محاضرة القيت في قم، نقلاً عن كاسيت مسجلة...
(٢) محاضرة في قم. م. س. ك. س.
(٣) م. ع. ك. م.
(٤) را: مرتضىٰ مطهري، الحركات الإسلامية في القرن الأخير، ت صادق العبادي، دار الهادي ١٩٨٢.

كله يعتبر انتصاراً لم تحققه أية حركة إسلامية في العصر الحديث، بل في العصور السابقة أيضاً. . .

لقد عرض الشيخ شمس الدين بدايات الصدام في شبه القارة الهندية حينما احتل الإنكليز شبه القارة، أو في شمال أفريقيا حينما حدث الصدام الإسلامي الفرنسي والإسلامي الإيطالي. في منطقة الشرق الأوسط حينما حدث الصدام الإيراني الروسي القيصري، والصدام الإيراني السوفياتي بعد قيام ثورة اكتوبر الماركسية، أو في العالم العربي، ابتداءاً من غزو نابليون لمصر، وانتهاءً بكل الحركات الإسلامية في الوطن العربي والإسلامي، حيث نجد الأفغاني، ومحمد عبده، ومحمد إقبال، وابن باديس وغيرهم من رجالات الإصلاح[١] كل هذه الحركات حققت بعض النجاحات، إلا أنها لم تصل إلى المستوىٰ التي وصلت إليه الحركة الإسلامية في إيران، وهذا ما جعل لها ميزات خاصة، وتأثيرات خاصة. انها ثورة استفادت من أخطاء الحركات السابقة، إضافة إلى قراءاتها الدقيقة للواقع، ولكل ما تمر به المنطقة من أوضاع سياسية واقتصادية، وعسكرية فكونت لنفسها هذا المناخ، وأحدثت هذا الزلزال، وكل ذلك لا يمكن فصلهُ عن وجود القائد العملاق الذي قاد عملية الإنتصار والمواجهة مع النظام الطاغوتي من خارج إيران وفوق كل ذلك وقبل كل ذلك لا يجب أن ننسىٰ اللطف الإلهي الذي أحاط بهذه الثورة التي ملك أبناؤها الإستعداد التام للتضحية في سبيل الله تعالىٰ.

في هذه الأجواء بدأت الثورة الإسلامية في إيران» وهي لم تقبل بعروض السياسة والتسويات، ولم تقع في أفخاخ التوفيق بين الإسلام والحضارة الحديثة، كما وقع بعض رجالات الإصلاح حينما لجأوا إلى التوفيق بين الإسلام والغرب وكانت النتيجة أنهم فشلوا في تحقيق الإصلاحات المطلوبة في بلاد المسلمين. هذا الخطأ لم تقع فيه الثورة الإسلامية لأنها رفضت منذ البداية الاستماع إلى الغرب وإرشاداته، وإلى الشرق ونصائحه فجاء الإسلام نقياً خالصاً لله تعالىٰ لاتشوبه شوائب التوفيق

(١) م. ع. ك. م.

ولا الترقيع وغير ذلك مما تعودت عليه بعض الحركات الإسلامية السابقة على الثورة الإسلامية في إيران، يقول الشيخ شمس الدين: «إنها أنجح محاولة، ويقصد الجمهورية الإسلامية ـ لإنشاء فكر سياسي إسلامي على قاعدة المضمون الإيديولوجي للدولة والنظام»(١).

إن الهدف من عرض هذا النموذج الحي، هو الوصول إلى التأثير الذي أحدثته الثورة الإسلامية في العالم وبخاصه في لبنان، فهي ثورة تحركت وجاهدت ليس من أجل المسلمين في إيران وحسب وإنما من أجل المسلمين كافة، وكان أكثر الشعوب استفادة منها وتأثراً بها هو شعب لبنان الذي يواجه اعتىٰ عدو على وجه الأرض (العدو الإسرائيلي) . . .

فما تطلبه الحركة الإسلامية في لبنان ليس شيئاً أكثر من الحرية والكرامة والاستقلال، وهذه أشياء حصلت عليها إيران، وبما أن هذه الأشياء ليست حكراً على شعب دون آخر، فإنه يمكن لأي شعب أن يستفيد من الأحرار، في العالم على خلاف ما تعودت عليه الشعوب في الماضي من طلب الحرية ممن اتخذ إلهه هواه، والعدالة ممن دينهم الظلم والجور والقتل . . . !!؟

من هنا يمكن الحديث عن حقيقة التأثير على الحركة الإسلامية في لبنان(٢) فنقول: إن هذه الحركة كانت ولا تزال تعمل على خطين، الخط الأول هو الحفاظ على الوطن من خلال العمل لإزالة المضمون الطائفي من

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، في مقابلة مع جريدة الصحافي الجديد، العدد (٢) ١٩٨٦ كانت تصدر عن كلية الأعلام والتوثيق.

(٢) يقول الشيخ شمس الدين: «إن التأثير الذي أحدثته الجمهورية الإسلامية في إيران على الفكر السياسي كبير وحاسم، ومن خلالها غداً للإسلام حضور قوي في السياسات الدولية، ويجب أن تتكاتف جميع الجهود مع الجمهورية الإسلامية ليكون الإسلام هو الخط العالمي الثالث في النظام الدولي الراهن الذي يقوم على فكرة الاستقطاب لمصلحة القوىٰ العظمىٰ. را: الشيخ شمس الدين، بحث قدم إلى المؤتمر الثالث للفكر الإسلامي، طهران، نشرته منظمة الأعلام الإسلامي، ط ١، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م ص ١٦٩.

النظام وإقامة الدولة المدنية العصرية على أساس غير ديني، كما هو مضمون مشروع الشيخ شمس الدين، والخط الثاني هو الحفاظ علي هوية لبنان العربية وبعده الإسلامي والدفاع عنه في مواجهة كل مشاريع التقسيم، وكل الجهود التي يبذلها الإستعمار والصهيونية للنيل من وحدة اللبنانيين، وبالأخص من وحدة المسلمين الذين عرفوا كيف يستثمرون هذه الوحدة في مواجهة العلمنة، والطائفية، والتقسيم، وفي مقاومة العدو وتحرير الأرض من رجسه، ولا يخفىٰ على أحد أن الزلزال الإسلامي في إيران كان ولا يزال سبباً في قوة المعارضة في لبنان، وسنداً لكل الحركات الطالبة للحرية والعدالة والاستقلال سواء أكانت إسلامية أم مسيحية، وكذلك سبباً في قوة المقاومة للإحتلال «هذه الحالة يقول الشيخ شمس الدين التي تمركزت في إيران، في أنشطة متعددة، والتي أعطاها الإمام الخميني (قده) دفعاً قوياً مكنها من التغيير أو من إدخال حالة جديدة نوعية على العمل الإسلامي في العالم الإسلامي كله، في الرؤية الثقافية، والسياسية، والجهادية، وفي تكوين المجتمع المسلم، وفي يقظة الإنسان المسلم. . .»[١].

إن الإنسان المسلم في لبنان والمسيحي أيضاً كونه يطلب الحرية والكرامة (وهذه مطالب إنسانية لا إسلامية ولا مسيحية) يعرف تماماً كيف يحفظ انتصاره في ظل وجود دولة تدافع عن حقوق الإنسان[٢]، وعن مصالح الشعوب، وتشكل خطاً ثالثاً بين الخط الشرقي والخط الغربي، الدولة التي حافضت على كل الأديان ودافعت عن كل الشعوب، الدولة التي لا تعرف المذهبية في نهجها السياسي، هذه الدولة تلزم كل إنسان في العالم بالمحافظة على الآخرين والدفاع عنهم فيما لو تعرضوا للظلم والعدوان، مهما كانت انتماءاتهم وولاءاتهم. . .

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، مقابلة مع الصحافي الجديد. م. س.

(٢) في الآونة الأخيرة وقفت إيران إلى جانب لبنان، وكذلك سوريا في الجمعية العامة للأمم المتحدة، لمصلحة القرار ٤٢٥ في حين أن كل الدول الأخرىٰ صوتت ضد القرار، وضد لبنان، وهذا كافٍ لمعرفة أصدقاء لبنان الحقيقيين الذين يقفون معه في السراء والضراء.

لقد تعلمت الحركة الإسلامية في لبنان، وفي العالم كله كيف تشق خطاً ثالثاً بين الخطوط الشرقية والغربية، وعرفت كيف تحفظ نفسها بقدرتها على حفظ لبنان وطناً موحداً حينما تمكنت من هزيمة العدو الإسرائيلي في الداخل والخارج، لا قدرة لنا على إحصاء التأثيرات السياسية والثقافية والجهادية للثورة الإسلامية على اللبنانيين، كما يمكن القول أن إيران ساعدت لبنان على تحرير أرضه وصنعت الكثير من المقاومين الذين ضحوا بأنفسهم من أجل الأرض والإنسان، بل من أجل الدين، هؤلاء أصبحوا اليوم قدوة لكل الحركات التحررية في العالم، حتى أن إيران نفسها هي اليوم في موقع الاقتداء بهؤلاء المجاهدين الأحرار الذين أخرجوا العدو من أرضهم، هذا فضلاً عما أحدثوه من رعب في قلوب الأعداء الصهاينة ومن وراءهم حتى بات هؤلاء يشكلون رقماً صعباً في المعادلة الدولية.

إن الثورة في إيران غيرت الكثير من الموازين، وأحدثت الكثير من الإنقلابات، وأغنت الفكر الإسلامي نظرياً وعملياً، والغت الكثير من الحركات القومية والعلمانية، يقول الشيخ شمس الدين: «إن الحركة الإسلامية الحديثة في العالم في جميع أحزابها وحركاتها كانت تتحرك من خلال النظريات وتجارب تطبيقات الماضي التي سادت المجتمعات الإسلامية قبل نشوء الدولة القومية الحديثة في غرب أوروبا وقبل عصر الاستعمار، وجاءت الجمهورية الإسلامية لتحول النظرية إلى تطبيق شامل في الحكم والتشريع والحياة السياسية والإدارة والإقتصاد والثقافة وسياسات التنمية، وفي أصعب الظروف التي يمكن أن تمر بها أية دولة... ومع كل ذلك ازداد الفكر السياسي تعمقاً وتوسعاً وغنىً وثراءً من جهتين: الأولى: في إثراء الجانب النظري منه بما دفعت إليه من زيادة الدرس والتبحر في الفقه السياسي والإقتصادي وهو لعل كان مهملاً إلى حد كبير... والثانية: هي الممارسة التطبيقية الشاملة لجميع وجوه النظام السياسي للمجتمع السياسي الإسلامي في قضايا الحكم والإدارة والتشريع والاقتصاد وسياسات التنمية والسياسة الخارجية»[1].

(١) را: الشيخ شمس الدين، المؤتمر الثالث للفكر الإسلامي، م. س. ص ١٦٩.

كل هذه التغيرات والتحولات، وهـذا الغنىٰ والثراء، كـان لابد أن يؤثـر في الحركات الإسلامية خارج إيران، والشعب اللبناني عرف كيف يُغني نفسه في النظرية والتطبيق من خلال علاقاته الودية مع الجمهورية الإسلامية. . .

طبيعة العلاقة مع الجمهورية الاسلامية:

كـان لابد من الإشـارة إلى ما تميـزت به إيـران عن غيـرهـا من الـدول والحـركات الإسـلامية السـابقـة عليهـا والتي شكلت الجمهـوريـة الإسـلاميـة الإيرانية عصارتها أذا صح التعبير، والهدف لم يكن أكثر من استعـراض بعض الحقائق التي أدت إلى انتصار الشعب المسلم في إيران بقيادة الإمام الخميني (قده)، وبعض العوامل التي ساعدت على إقامة النظام الإسلامي، فالثـورات التي سقـطت في منتصف الطريق رغم استعـداد الشعوب لـلأحـداث أعـطت الشعب اللبنـاني ـ كما أعـطت إيـران ـ دليـلاً واضحـاً على أن الإستمـرار في الجهـاد والتضحيـة في سبيـل الله تعـالىٰ، (وعلى خط النبـوات) هـو السبيـل الوحيد الذي يؤدي إلى الفوز بالحرية والاستقلال.

لذا فإن العلاقة مع إيران لم تكن عاطفية، أو ثورية، كما يحب البعض أن يسميها[1]؟، بل كانت ولا تزال علاقة مبـدئية مـوضوعيـة مع شعب عـرف كيف يختار من نفسه لنفسه بعيداً عن وصاية الشرق والغرب، ومـا تدعـوه إليه فطرته، وبما أن هذا الشعب يعرف كيف يختار، فـإن عدم العـلاقة معـه يعني الخسـارة، من هنا كـان للبنان ولغيـره هذه العـلاقة المـوضوعيـة التي تطورت فأصبحت أكثر من ذلك. . .

---

(١) لابأس أن تكون العـلاقة بين الثـورة الإسلاميـة في إيران وبين الحـركة الإسـلامية في لبنان علاقة سياسية ثورية باعتبار أن الثورة والـدولة في إيـران هما في حقيقتهما ثورة من خـارج الخط الحضاري السـائد في الغـرب، وفي الشرق، خـارج منـطق الاستقـطاب السياسي الدولي، إنها ثورة على النظام السياسي الدولي، وبما أن الشيخ شمس الدين ينصح الحركة الإسلامية خارج إيران أن تكون كذلك، فلا بأس أن تكون العلاقة بينهما سياسية وثورية لمواجهة سياسة الإستقطاب الدولي. . .

إن الشعوب غير الحرة التي لها علاقة مميزة مع الجمهورية الإسلامية هي تتوخىٰ من وراء هذه العلاقة الإستفادة من الدروس التي تعلمتها إيران في الطريق إلى الحرية والكرامة والعدالة والإستقلال، وهذه الدول تريد أن يكون لها وعندها ما لإيران وما عندها بغض النظر عن طبيعة النظام القائم فيها، بدليل أن قضايا الإستقلال والحرية والكرامة هي في جوهرها قضايا إنسانية لا تختلف بين شعب وآخر، فأية علاقة من شأنها أن تؤدي إلى الحرية يجب أن تقام، بل يجب أن يبذل الكثير من الجهود لأجلها، لأننا شاهدنا كثيراً (ولا زلنا نشاهد) من العلاقات التي لم تؤد إلا إلى التبعية، والرهن، والاستغلال، تحت شعار المعاهدة والصداقة والتعاون والتنسيق، والدفاع المشترك وغير ذلك من الأسماء التي ينهب العالم الإسلامي تحتها وفي ظلها. . . !؟

فلننظر، بل فلنقرأ جميعاً عن طبيعة تلك العلاقات التي كانت ولا تزال قائمة بين العالم العربي والإسلامي. وبين الغرب فهل أن هذه العلاقات هي علاقات حقيقية، أم أنها استسلام الضعيف للقوي، هل هي علاقات ودية وتؤدي إلى عزة وكرامة شعوب هذا العالم؟ نحن بإمكاننا أن نقدم أمثلة حية عن العلاقات الحقيقية والطبيعية بين الشعوب.

ويمكن أن نقتصر بالمثال على العلاقة القائمة بين لبنان وسوريا، وبين لبنان وإيران، ومن ثم بين سوريا وإيران، هذه العلاقات، هي حقاً علاقات موضوعية ودية. . .

إن الإنجاز الأول الذي تحقق في ظل العلاقة المميزة بين لبنان وسوريا هو أن لبنان استطاع أن يحفظ هويته وبعده. . . والإنجاز الثاني، هو أن لبنان سلك الطريق الذي يؤدي به إلى الحرية والكرامة، إضافة إلى إنجازات أخرىٰ من قبيل القضاء على مشاريع التقسيم. . . هذا على صعيد لبنان وسوريا وما بينهما من علاقة مميزة، وإخوة وصداقة وتعارف، وكما قال الرئيس الأسد في إحدىٰ المناسبات: إن ما بين سوريا ولبنان لم تصنعه نحن وإنما صنعه الله».

أما على صعيد العلاقة بين لبنان والجمهورية الإسلامية، فإنه يكفي أن نقول أن الوعي عند المسلمين والمسيحين حتم هذه العلاقة المميزة أيضاً،

وإذا كان للبنان ثمة قوة سياسية في المحافل الدولية، وإذا كان لبنان قد أجبر إسرائيل على الإنسحاب من الجنوب والاعتراف بالهزيمة، فإن كل ذلك سببه طبيعة العلاقة الحقيقية بين لبنان وسوريا، ولبنان وإيران، ومن ثم سوريا وإيران. هذا الحلف الثلاثي المتداخل في السياسة والاقتصاد، وفي كل شيء توجد بينه علاقات مميزة ساهمت في أحداث كثير من التغيرات في المنطقة، وجعلت الغرب يفهم معنىٰ أن تكون العلاقات ودية وطبيعية بين بلدان عربية وإسلامية متميزة بما لها من جذور في التاريخ، وامتدادات في الزمان. هذه العلاقات المميزة بين الدول الثلاث، مكنت الحركة الإسلامية في لبنان من تأليف فكرة سياسية عادلة، ومن تشكيل مقاومة فاعلة وناشطة لدرجة أنها حققت الكثير من الإنتصارات الساحقة على العدو في الجنوب اللبناني.
وذلك كله كان بفضل التوافق التام بين هذه الدول المواجهة للمشروع الاستعماري الذي من أولىٰ مهماته قطع العلاقات الطبيعية بين الدول العربية والإسلامية لأجل الإستفراد بهذه الدول وإقامة علاقات غير متكافئة معه من موقع قوته وهيمنته. لقد تأكد جميع العاملين في الحقل السياسي من أن المقاومة في لبنان هي الورقة الوحيدة الرابحة في المجالين العسكري والسياسي، ولم يعد هناك ما يثير الشكوك حول دور هذه المقاومة، وحول دور الدول العربية والإسلامية الداعمة لها. بدليل أن طبيعة العلاقات المميزة تقتضي أن تكون هذه المقاومة فاعلة في مواجهة مشروع تقسيم لبنان وفي مواجهة الإحتلال الإسرائيلي، وفي الآونة الأخيرة تحدثت وسائل الإعلام في لبنان عن الدعم الرسمي اللامحدود لهذه المقاومة، وهذا يمكن أن يفهم على نحو إيجابي سواء أكان الهدف منه محاصرة المقاومة أو دعمها. وقد حصل ما توقعه الجميع من عمليات ضد إسرائيل، وما لا يتوقعه أحد من اعتراف العدو بالهزيمة.كل ذلك يحتم القول بأن صدق العلاقات كان وراء هذا النجاح الذي حققته الحركة الإسلامية في لبنان...

إن اللبنانيين مثلهم مثل أية حركة تغيير في العالم. حيث أنهم تمكنوا من تغيير أنفسهم، مما مكنهم من تغيير طبيعة علاقاتهم القديمة واستبدالها بعلاقات مميزة ودية وأخوية وحقيقية «يقول الشيخ شمس الدين: «لقد كان

التغيير في إيران، وفي لبنان، وفي أي منطقة حققت إنجازات مهمة على صعيد الواقع السياسي. هذا التغيير في الإنسان هو الذي حول كل شيء. وقد تم هذا وفقاً لقاعدة قرآنية عامة في حركة التاريخ تقول إن الإمتيازات التي يحصل عليها المجتمع إنما هي جوائز على الفضائل التي يتمتع بها، وإن الكوارث والمصائب هي نتاج أفعاله وتصرفاته. قال تعالىٰ: **﴿إن الله لا يغير مابقوم حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم﴾**[1]. إن التغيير في النفس هو وراء كل التغييرات في حياة المجتمعات البشرية، وقد تجلىٰ هذا التغيير بوضوح في إيران، ولبنان، وفي مناطق إسلامية أخرى...[2].

إن العلاقة الجديدة القائمة بين الشعوب الطالبة للحرية، هي نتيجة حتمية لحالة التغيير الداخلية في الإنسان، ونتيجة طبيعية للوعي القومي والإسلامي عند الشعوب الإسلامية، وغير الإسلامية، وما حصل عليه الشعب اللبناني من امتيازات لم يكن بفعل العوامل والظروف الخارجية، وإنما كان بسبب وعيه وحركته، وبسبب شعوره الباطني ومقاومته الفعلية لكل أشكال الذل والعبودية.

من هنا يصح القول أن العلاقة بين إيران الإسلام ولبنان هي من جملة الإمتيازات التي حصل عليها الشعبان، وكلما كان الإلتزام بالقضية المقدسة أكبر وأشد كلما تكرس هذا الإمتياز حتى يصل إلى نهاية المطاف، لقد سئل الشيخ شمس الدين عن طبيعة هذه العلاقة وعن نقاط الإتفاق بين إيران ولبنان، فقال: «علاقتنا بالجمهورية الإسلامية الإيرانية هي علاقة جيدة وعميقة، ونلتقي في نقاط كثيرة ونتوحد حولها، خصوصاً مواجهة العدوان الإسرائيلي على المسلمين... نلتقي في الموقف العام من مشروع الإستعمار الجديد في المنطقة بشكل خاص، وفي العالم الثالث بشكل عام، ونلتقي في إعادة بعث وتكوين الشخصية الإسلامية لدىٰ الإنسان المسلم

---

(١) سورة الرعد، آية: ١١.

(٢) جاء هذا الكلام في محاضرة القاها الشيخ شمس الدين في جنوب لبنان في ذكرىٰ أسبوع عدد من الشهداء بتاريخ ١١/١١/٨٩.

وإخراجه من حالة الإغتراب الحضاري التي يعاني منها. . .»[1].

إذن الشعب الإيراني المسلم الذي لم يقبل بنظام الشاه في إيران، والذي أدىٰ إلى غربة الشعب الإيراني، وإلى حرمانه من حقوقه، لا يمكن أن يقبل بالنظام الطائفي في لبنان الذي قال عنه الشيخ شمس الدين أنه حفَّار القبور، ونظام السقوف المتفاوتة[2]. وبما أن هذه الأنظمة ظالمة ومستبدة، فلا بد أن تلتقي الشعوب مع بعضها البعض وأن تساعد بعضها البعض لأجل التغيير والإصلاح، وقد تم بعون الله تعالىٰ تقليم أضافر النظام الطائفي في لبنان، وها هو الشعب اللبناني الآن قد عاد إلى التنفس تدريجياً بعد أن وفرت له علاقاته المميزة مع سوريا وإيران وكل الدول الصديقة المزيد من الدعم اللازم للحصول على الحد الأدنى من الحقوق والكرامة. . .

لقد التقىٰ الشعبان على مبادىء الحرية والكرامة مع شعوب أخرىٰ عربية وإسلامية، وهذا لا يعني المساس بهوية الشعوب وانتماءاتها إلى أوطانها، وقد عبر الشيخ شمس الدين عن هذا بقوله: «إن انتصار إيران لا يلغي لبنانية الشيعة، فالشيعة في لبنان هم لبنانيون أولاً ومسلمون ثانياً، وشيعة ثالثاً، وإن لبنانيتهم قاعدة أساسية في حقيقة وجودهم، وأي تغيير في إيران أو في أي مكان آخر لن يزيل هذه الحقيقة، ويمكن أن يمثل على ذلك بالسؤال التالي: هل يمكن أن ندعي أن انتخاب الرئيس جون كيندي الكاثوليكي المذهب في بلد بروتستانت سيغيِّر من واقع الكاثوليك في العالم»[3]؟

لاشك أن هذا الكلام يقطع الطريق على كلام قد يأتي من هنا وهناك لأجل إبراز العلاقة القائمة في شكل تبعية أو ما يشبه ذلك، فليس معنىٰ أن تكون هناك علاقة بين شعبين أن لا يكون هناك تداخل وتواصل بين قضايا الحرية والكرامة. . بل العلاقة الطبيعية بين مسلمين من جوهرها الإلتقاء حول ما يهم الإنسان في أي بلد من بلدان العالم، من دون أن يعني ذلك

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، مجلة الشراع، عدد ١٤٦ سنة ١٩٨٤.
(٢) را: الشيخ شمس الدين، مواقف ودراسات، م. س. ج ٢، ص ٣٩.
(٣) را: الشيخ شمس الدين، جريدة السفير، ١٩ ـ ٢ ـ ١٩٧٩.

تبني قرارات مخالفة لما تفرضه طبيعة الهوية الخاصة أو الانتماء الخاص، يقول الشيخ: «الشيعة في لبنان يذهبون إلى إيران بهدف الزيارة والسياحة وشيعة إيران يأتون إلى لبنان للسياحة أيضاً ويمرون عبره لزيارة السيدة زينب (ع) أو الأماكن المقدسة في العراق. إن الروابط بين شيعة لبنان ومسلمي العالم العربي هي أقوىٰ من روابط شيعة لبنان بشيعة إيران لأنها روابط لها جذورها الثقافية والعلمية وواقعها التجاري. . .»[1].

كما أنه ليس من طبيعة العلاقة أيضاً أن لا يُشهد للإمام الخميني (قده) بأنه أعظم رجل عرفه القرن العشرين لما حقق من إنجازات، ولما حصل من امتيازات، وهذه الشهادة يمكن أن تكون لرجال آخرين في العالم الإسلامي أو في العالم المسيحي، لأن المقياس في العظمة والاعتراف هو ما يحققه الرجال العظام لشعوبهم، هل هم يحققون لهم الإستقلال والحرية والكرامة؟ أم العبودية والذل والهزيمة؟؟. وبما أن الإمام الخميني (قده) هو من هؤلاء الرجال (الذي قلما يجود الزمان بمثلهم) الذين شهد لهم العالم بالقدرة على التغيير والإصلاح والانتقال من وضع إلى آخر إلى ما يتلاءم مع طبيعة الشعب الوجودية، فإن ذلك يحتم ليس على المسلمين فقط بل على المسيحين أيضاً أن يعملوا من أجل إقامة علاقة حميمة ثقافية وسياسية مع شعب تميز بما حصل عليه من جوائز وفضائل وبما حقق من إنجازات على الصعد كافة التي اعتبرها الشيخ شمس الدين فلتة في تاريخ الشعوب. . .

هناك سؤال يطرح: هل من الضروري أن تكون العلاقة بين لبنان وإيران إو بين الشيعة وإيران (بلحاظ الإنتماء الشيعي النهائي للبنان) قائمة على الدعم المتبادل، أو علي ما يسمىٰ بالتدخل في الشؤون الخاصة، أو الداخلية لكل بلد في شؤون الآخر، أم أن جوهر العلاقة هو التفاعل مع المعطيات الإيجابية التي تنعكس على واقع كل منهما؟.

لاشك أن الإجابة عل هذا السؤال تبقىٰ مبهمة ما لم تفهم القاعدة الأساسية في حقيقة وجود كل من الشعبين أو كل من الدولتين، فإذا فهم أن

---

(١) را: جريدة السفير، عدد نفسه. . .

اللبنانية الشيعية تبقىٰ شيعية في ظل هذه العلاقة، فإن الإجابة حتماً ستكون واضحة وصريحة بحكم كون التغييرات الخاصة في كل بلد، والتي تحصل بين حين وآخر، لا تؤثر جوهرياً في طبيعة الانتماء. وحينما سئل الشيخ شمس الدين عن طبيعة هذه العلاقة، وهل هناك علاقات على مستوىٰ الدعم المتبادل مع الحركة الثورية في إيران أجاب: بالنفي، لأنه لم تكن هناك علاقات سياسية في الأصل بيننا، وطبعاً هذا لا يحتم عدم الوقوف مع هذه الحركة منذ البداية، لأنها حركة تحرير ستنعكس نتائجها إيجابياً على أوضاع الشعب الإيراني، وعلى العرب والمسلمين في كل أنحاء العالم[1].

فالشعب الإيراني قرر مصيره بيده ويجب أن يشكل ذلك حافزاً لكل شعب من الشعوب أن يقرر مصيره بيده، وأن لا يبقىٰ أسير هذه الإرادة أو تلك، والوعي بهذه الحقيقة يجب أن يترسخ، ويمكن لنا أن نستفيد من إمثولة هذه الحركة كنموذج فذ في الربع الأخير من القرن العشرين.

كما أنه من الطبيعي أن تطرح عدة أسئلة حول طبيعة هذه العلاقة، ومن جملتها، هذا السؤال.

هل أن هذه العلاقة الطبيعية والمتينة تحول دون وجود خلافات بين إيران ولبنان؟

وإذا كان هناك ثمة خلافات فما هو نوعها، وكيف يمكن تحديدها؟.

بعد أن عرضنا لما يتفق حوله مسلمو لبنان مع الجمهورية الإسلامية، وبعد الوقوف عند عدة مسائل جوهرية تتعلق بطبيعة العلاقة بينهما، نرىٰ أنه من غير المعقول. أن نقول أن المسائل كلها واحدة، وأن الظروف ملائمة لجعل المسلمين وحدة وواحدة نظرياً وتطبيقياً. بل الدقة تقضي القول «إن النظام الإسلامي في إيران هو أنجح محاولة لإنتاج فكر سياسي تجريبي وتطبيقي حتى الآن[2]» لكن إلى جانب ذلك يمكن القول أن هناك بعض

---

(١) را: جريرة السفير، عدد نفسه، ٧٩/٢/١٩.

(٢) الصحافي الجديد. مذكور سابقاً...

الخلافات في وجهات النظر وهي من مقومات هذه العلاقة أيضاً على خلاف ما يتوهمه البعض من أنه تناقض فاضح بين شيعة إيران وشيعة لبنان.

إن الشيخ شمس الدين يرىٰ أنه لا يمكن أن نعتبر نموذج الفكر السياسي التطبيقي أو التجريبي في الجمهورية الإسلامية على التراب الإيراني. هو النموذج الذي يجب أن يكون محتذىٰ خارج إيران»[1] لأن الواقع الإيراني يفرض نوعاً من التطبيق قد لا ينسجم مع الواقع اللبناني مثلاً، والدليل على ذلك هو أن إيران يمكن القول عنها أنها تتميز بإسلامية خالصة نسبة (٩٠٪) بينما لبنان لا يمكن القول عنه أنه كذلك، فالواقعية تفرض ملاحظة هذا الواقع ودراسته جيداً(٠). راجع المجتمع اللبناني وأنه غير خالص إسلامياً في كتابنا عن الشيخ شمس الدين لجهة اعتبارء لبنان مجتمعاً مختلطاً. وكما اصطلح فقهياً على تسميته بدار التعاهد. را: كتابنا عن الشيخ شمس الدين بين وهج الإسلام وجليد المذاهب، م. س. الفصل الثاني: صص. ٩٧ ـ ١٢٥.

«الإسلام هو إيديولوجيا واحد ولكن في التطبيق السياسي يمكن أن يكون فيه تنوعات بين منطقة وأخرىٰ، مرحلة وأخرىٰ، فالإسلام كمضمون إيديولوجي هو بعد أن اكتمل في الوحي نجد له في مكة، في المدينة، أول الهجرة أيام أمير المؤمنين (عليه السلام)، صيغ تطبيقية مختلفة[2]...

بطبيعة الحال يمكن القول أن هناك مجتمعات إسلامية خالصة يلائمها النظام الإسلامي وهناك مجتمعات مختلطة قد لا يلائمها التطبيق للنظرية الإسلامية، مثل لبنان: من دون أن يعني ذلك عدم السعي لإقامة الدولة الإسلامية في المجتمع المختلط، لأن الناس قد يقبلون الإسلام كنظام، فإذا كان الإسلام مستمراً في الأمة وحية به، فلابد أن تكون الدولة الإسلامية هي النتيجة الضرورية لذلك.

---

(١) الصحافي الجديد. م. س.

(٢) را: كتاب الشيخ شمس الدين بين وهج الإسلام وجليد المذاهب، م. س. الفصل الثاني، صص. ٩٧ ـ ١٢٥.

فالمجتمع اللبناني مثلاً، هو مجتمع مختلط لا يمكن أن يكون النموذج الإيراني مناسباً له، لأن المجتمع الإيراني شبه خالص إسلامياً، فما يطبق هناك فليس من الضروري أن يكون صالحاً للتطبيق هنا، فكل مجتمع له خصوصيته، فالصيغة الملائمة للمجتمع اللبناني هي صيغة الديمقراطية العددية ـ ونحن نقول أنها صيغة ملائمة ـ باعتبار أنها لا تخالف الإسلام، ولا تخيف المسيحين إذا كان هناك ثمة خوف من المشروع الإسلامي.

غاية القول: «إن الفكر التجريدي هو فكر فوق التناقضات والتنوعات كأن نقول مثلاً الإنسان يجب أن يصلي الظهر أربع ركعات من قيام ووضوء وما إلى ذلك، فإذا كان مسافراً يصلي ركعتين... فالفكر التجريدي لا يحسب حساب التنوعات، ولكن هو لأجل أن يكون عملياً ومنتجاً يجب أن يكون فكراً ملاحظاً للتنوع... فما يطبق في المسألة الفلانية داخل إيران لا يطبق في لبنان بالضرورة حتى الخطاب السياسي يجب أن يكون متفرعاً، وخصوصية التفرع والمرحلية، هاتان الخصوصيتان هما في صميم العقيدة الإسلامية، والفكر الإسلامي ويخلص الشيخ شمس الدين إلى القول: إيران يمكن أن تعتبر التجربة الرائدة القائدة، ولكن من السطحية وقلة الخبرة أن نقول هي النموذج الذي يصلح لكل مجموعة أو لكل شعب، فحينما تتكامل الشروط الموضوعية في أي مكان للتجربة الكاملة يمكن أن تطبق التجربة الكاملة، ولكن حينما تكون هناك ظروف لابد أن تراعي تلك الظروف»[1].

إذن الخلافات في وجهات النظر لا يجب أن تشكل حاجزاً أمام جوهر العلاقة القائمة بين لبنان وإيران، وإن كنا شهدنا بعض التوترات، فذلك إنما يعود إلى طبيعة الحوار الفاعل والبنّاء.. إلى الرغبة القوية لفهم خصوصية كل بلد في أصعب مرحلة من مراحل الصراع الفكري والإيديولوجي باعتبار أن الثورة الإسلامية ـ كما يفهم من كلام الشيخ شمس الدين ـ أحدثت إنقلابات قوية ليس في هياكل البلاد والعباد، فقط بل في النفوس أيضاً، وهذا هو الأهم، وهذا ما يمكن إدراجه تحت إسم التأثير الإسلامي العام لهذه الثورة

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، في الصحافي الجديد، م. س.

الي أغنت الفكر والتجربة معاً[1].

إن الشيخ شمس الدين يتحدث عن الثورة من داخلها، وليس من الخارج، لأنه أحد أبرز العلماء الذين نظروا لهذه الثورة، ودافعوا عنها كثورة ذات هدف عام واستراتيجي لم تحمل الأمل لشعب إيران فقط، بل لكافة الشعوب الإسلامية والمضطهدة في العالم.

الشيخ شمس الدين يقول: «نحن جزء من هذه الجمهورية الإسلامية[2]، وهي تتكامل وتتفاعل مع كل المسلمين في العالم سواء أكانوا سنة أم شيعة، فالإسلام في مواجهة النظام العالمي والسياسة الدولية الظالمة ليس سنياً ولا شيعياً، وإنما هو الإسلام الذي يُغني الجميع ويغتني بالجميع[3].

---

(١) را: مقالات المؤتمر الثالث للفكر الإسلامي م. س. ص ١٦٩.
(٢) را: مجلة البلاد. م. س. عدد ١٥٨. ٢٧/ت٢ ١٩٩٣.
(٣) را: مواقف ودراسات، م. س. ص ٣٦.

الفصل الثالث
موقف الشيخ شمس الدين من المعارضة

ـ المعارضة والنظام الديمقراطي[1]:

يقال أنه لابد من المعارضـة في أي بلد من بلدان العالم، كـون انعدام المعـارضة يؤدي إلى الاستبـداد، أو أنه يعني وجـود حكم استبـدادي، وقـطع

(١) قيل: إن مفهوم الديمقراطية نسبي وليس مطلقـاً، فالقـول بأن الـديمقراطيـة هي حكم الشعب بـالشعب وللشعب يحمل الكثيـر من المثاليـة، لأنـه لا يمكن للشعب، في أي نظام سياسي أن يكون في الوقت نفسه حاكماً ومحكوماً، ولا يمكن لأي نظام أن يحقق مصالح كل فئات الشعب على قـدم المساواة فـالأنظمـة السياسيـة تقترب من الانمـوذج المثالي للديمقراطية.

نحن نرىٰ بأن التنظير للديمقراطية والكلام عن مثاليتهـا هو في الحقيقـة كلام عن عـدم وجودها، لأنه غالباً ما يؤدي العجز عن تطبيقهـا في الواقـع إلى التنظيـر لها فمـا يجري اليوم في العالم هو أن الذين ينظرون للديمقراطية هم الذين ضيقوا هامشهـا خوفاً من الحركات الأصولية، فإذا ما قورن بين الديمقراطية في الغرب أو في أي بلد يدعّيهـا، وبين النظام الإسلامي في إيران، فإن هذه المقارنة لابد أن تظهر بنتائج مهمة للغايـة أقلها أن الشعوب ستعرف بـأن النظام الإسـلامي (الشورى) حقق إنجـازات لا يمكن أن تحققها الديمقراطية. من هذه الإنجازات ـ كما يقول الشيخ شمس الدين ـ أن الشعب الإيراني استـطاع إيجاد الصيغـة التنظيميـة المتحركـة والفـاعلة لـلأمـة الشـاهـدة والـوسط وهي الجمهورية الإسلامية في حين أن كل الدول الإسلامية هي تفتقد الوسـطية في المسـألة السياسية، والثقافية، وفي كل شيء مما يعني أن الحرية المبحوث عنها ليست مـوجودة إلا في النظام الإسلامي سواء اعترفوا بذلك أم لم يعترفـوا: را: الشيخ شمس الـدين، =

الطريق على الاستبداد إنما يكون بإيجاد هـذه المعارضـة والسماح لكـل فئات الشعب بـأن تـعـبر عن رأيهـا في وطنهـا، وأن يكـون لكـل فئـة الحق في المشـاركة في صنـع القرار، شـرط أن تكون هـذه المعارضـة ملتـزمـة وبنّـاءة ومراعية للظروف ولمصالح الوطن الذي يستمد عافيته وقوته من وحدة الكلمة، ومن تعاون الجميع، المعارضة إذن ليس أداة للهـدم، كما يقـول البعض ـ ولا هي قادرة في كل الأحوال على أن تكون كذلك باعتبار أن شعارها هـو الإنتماء إلى الوطن والدفاع عنه وكذا الأمر بالنسبة للنظام، فهو يـدعي حمايـة الوطن، وغـالباً مـا يتهم النظام المعـارضة بـالفساد وغيـر ذلـك مـا يليق بـه في غـالـب الأحيـان، وتحت هذا الشعـار يقوم النـظام الإستبـدادي الـذي يـدعي الحكم المطلق، بمطاردة المعارضة وبالقضاء على كـل الأصوات المـطالبة بـالحريـة وبالمشاركة السياسيـة، وهنا يمكن أن يشـار إلى حقيقة بسيـطة جداً، وهي أن المعـارضة يجب أن يكـون دورها تصحيـح الأخطاء التي تـرتكب بحق الوطن والمـواطن، وإرشـاد النـاس إلى هـذه الأخـطاء التي يـرتكبهـا النـظام، ومن المفروض أن يكون النظام مستعداً لقبول النقد البناء الموجه إليه، وكذلك من المفـروض أيضاً أن لا تعتبـر المعارضـة نفسها دائمـة الإصابـة، أو مقـدسـة، وقـادرة دائماً على تصـويب الأخطاء، وتقـويم الاعوجـاج، لكنها تبقىٰ الـركن الأساس في النظام الديمقراطي سواء أخطأت أو أصابت في النقد والتصويب، والحق يقال: أن وجود هذه المعارضة يبقىٰ ضروروياً في جميع الأحوال، لأن عدمها يعني الاستبداد والتفرد في اتخـاذ القرارات الشخصيـة. وهنا يشـار إلى أن كثيـراً من الأوطان قـد احترقت في نـار الصراع بين النـظام المعارضـة كما حصـل مؤخراً في مـوسكو حينمـا اقتحم مقـر البـرلمـان (المعـارض للرئيس) بالدبابات، وهذا من النماذج الحية للديمقراطية الغربية. . . !؟

المهم أن مهمة السلطة هي أن تهيء الظروف المناسبة لتحقيق مصلحـة

= مقـالات المؤتمر الثـالث للفكر الإسـلامي. م. س. ص ١٦٧، وقا: مـع بحث معنىٰ الوسطية في القرآن أيضاً للشيخ شمس الدين، في كتابنا الشيخ شمس الـدين بين وهج الإسـلام وجليد المـذاهب، م. س. وقا: مـع عصام سليمـان، مجلة المنطلق، عـدد ٩٨، ١٩٩٣.

الـوطن، ولحفظ دوره وموقعه في العـالم من خـلال سياسـة خـارجيـة تلحظ مصلحة الوطن وحقوقه في الكرامة والسيادة والاستقلال: أما مهمة المعارضة، فهي أن تمارس الرقابة الفعلية على الحكومة في النظام البرلماني، وأن تـطرح نفسهـا بديـلاً عنها، وحـول هذا يقـول الشيـخ شمس الـدين: «ولكي تتمكن المعارضة من تأدية دورها ووظائفهـا كاملة عليهـا أن تنظم صفـوفها وأن تقـدم للمواطنين برنامجاً سيـاسياً للتغييـر والإصلاح، وتخـوض على أساسـه معركـة إسقـاط الحكومـة، فلا يجـوز أن تكتفي المعـارضـة بتـوجيـه الانتقـادات إلى السلطة الحاكمة ـ كما في لبنان مثلاً ـ فالمعارضة التي لا تصل طموحاتها إلى هذا الحد لا يمكنها أن تؤدي وظائفها في النظام الديمقراطي»[1].

فإذا كان دور المعارضة لا يقتصر على تجريد نفسها، والإكتفـاء بتوجيـه النقد إلى الحكومـة، فكذلـك هذه الأخيـرة لا يقتصر دورهـا على الدفـاع عن نفسها أمام موجة الانتقادات الموجهـة إليها، بـل عليها أن تكـون عملانيـة في الـدفاع عن نفسهـا أمام الشعب الـذي يعيش في أجـواء وتحت ظـلال النـظام الديمقراطي! وفي نفس الـوقت عليها أيضـاً أن تقبل النقـد «أن تسمح بـوجود المعارضة إذا أرادت أن تحفظ لنفسها صفة الديمقراطية فهذه الأخيـرة معرضـة للتحول إلى نظام آخر ـ قد يكون الاستبداد ـ في غياب المعارضـة الفاعلة لأن الميزة الطبيعية للسلطة هي التمركز في أقلية حاكمة تميل فطريـاً إلى الاستئثار بـالسلطة والانسلاخ عن الشعب. . . لـذلك تعتبـر المعارضـة الفاعلة ضمـانة استمرار وفعالية الديمقراطية. . »[2].

هـذاالكلام المتقـدم فيمـا لـو كـان هنـاك نـظام ديمقـراطي ومعـارضـة حقيقيان، إلا أنه من المنـطق والعقلانيـة أن يشك في وجـود شيء حقيقي في العـالم اليوم مـع استثناءات قليلة، فـالشيء الحقيقي المـوجـود اليـوم هـو أن المجتمعات انقسمت بحيث أن قسماً من الناس استولوا على حقوق قسم آخر منهم واحتكـروا كـل شيء لصـالحهم، وحـولـوا نـظام الحكم إلى نـظام

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، مجلة الشعلة، عدد ١٣٨ ـ ١٩٩٣.
(٢) را: سليمان، عصام، مجلة المنطلق عدد (٩٨، ١٩٩٣).

استبدادي، وكما قلنا سابقاً أن ما يوجد من الحرية اليوم في العالم العربي والإسلامي لا يكاد يكفي لإنسان حر واحد! هناك مجموعة من الناس الأقوياء تتفرد بالضعفاء، يقول دوفرجية: «كل شيء في هذا العالم واضح المعالم، منظم الجريان، يستحق الأقوياء فيه أن يقودوا لأنهم ـ حسب زعمهم ـ هم الأخيار ـ ويستحق الضعفاء فيه أن يخضعوا لأنهم دون أولئك من جميع النواحي ولا تقاس أقدار الناس في هذا العالم إلا بمقاييس خارجية قائمة على منزلتهم الإجتماعية»[1].

ديمقراطية تؤسس لسياسة غير أخلاقية، تعتبر الإنسان شرير بطبعه، وأن الحاكم ظل الله على الأرض، وما على الناس إلا أن يطيعوه، يقول الشيخ شمس الدين في وصف السياسة اليوم التي يتشدق بها العالم الغربي: «في العمل السياسي يسود عنصر المصلحة ولا مكان للقيم الأخلاقية فيه والتعبير الشائع (السياسة ليس لها قلب ولا ضمير، لها عقل فقط) هذا التعبير يُضيء الموقف كله، والقضية السياسية العادلة منطقياً وواقعياً، وأخلاقياً وإنسانياً ليست بالضرورة عادلة سياسياً، إن الحل لكي يكون عادلاً ـ والكلام للشيخ شمس الدين ـ يجب أن يحقق مصالح الأقوياء وأكبر مثال على ذلك هو القضية الفلسطينية الذي يتعامل معها الاستعمار (وكل أنظمته الديمقراطية) على أساس أنها قضية إنسانية وليست قضية سياسية تستدعي حلاً عادلاً يمكِّن شعب من استرداد حقوقه. . .»[2].

نعم، لا يوجد في العالم أنظمة ديمقراطية، ولا معارضة حقيقية، ولو كان هناك معارضة فاعلة، لكنا رأينا لها أثراً في الواقع السياسي. . . باعتبار أن هذا الأثر يمكن أن يظهر من خلال الضغط على السلطة القائمة على الأقل للتخفيف من حدة الإستبداد. . . هناك شخصية استبدادية متصفة بانصياع صارم وخضوع أعمىٰ للقيم التقليدية، هناك خوف من الغرب، وحرص على

---

(١) را: دوفرجية، موريس، في الفكر السياسي، ترجمة سامي الدروبي، دار دمشق، ص ٤٤.

(٢) را: الشيخ شمس الدين، العلمانية، م. س. ص ١٨.

الدنيا، مما أدىٰ إلى تسلط الأشرار على الأمة، حتىٰ أذعنت بأخلاص تام للسلطات تحت شعار الأمن والإستقرار وهذا خير من الفوضىٰ!؟، فالمعارضة في أغلب البلاد تعيش هاجس السلطة وتستبد للوصول إليها تحت شعار الديمقراطية، يقول الشيخ شمس الدين: «لا توجد معارضة، يوجد الرأي وما يقابله، ويوجد التصرف وانتقاده، من دون الإحاطة التامة بالمشكلة الواقعة، هناك مشاغبة تهدف إلى تحويل الإطروحة السياسية إلى إضرابات ومظاهرات وخصومات. . .»[١]. نظام قوي بالغير، ومعارضة ضعيفة بنفسها، الأول يتشبّث بالأطر الخارجية، لأنه لا يملك ما يتشبث به في داخل نفسه، والثانية - أي المعارضة غير قادرة على المشاركة في الحياة السياسية بطريقة تسمح لها بإصلاح الخلل، فطريقة الحكم تعتمد على القوة الخارجية، ويمتنع الحاكمون عن قبول النقد بسبب الضعف المحيط بهم، ولهذا قيل: «إن الدول أو الأحزاب القائمة على القوة تتألف من أناس ضعفاء»[٢].

يقول الشيخ شمس الدين في معنىٰ فعالية المعارضة وقدرتها على الإصلاح والتغيير، أنه لابد في الطريق إلى ذلك من برنامج سياسي، وإلا فإن المعارضة لن تتمكن من تحقيق نفسها بطريقة عملانية، فالمعارضة لا تكون لمجرد المعارضة، وإذا كانت كذلك فيصح تسميتها بالمشاغبة وليس بالمعارضة، هي يجب أن توجد، وبما أنه يجب أن توجد، فإنه يجب أن يكون لديها برنامج سياسي يؤهلها لأن تكون طبيعة حياة، ودليل عافية كونها - في الجوهر - هي طبيعة الحياة، وإن أي مجتمع يخلو منها، لا يمكن أن يكون مجتمعاً سليماً. . .»[٣].

أما عن برنامج المعارضة، فيقول الشيخ شمس الدين: «هو الشعب، هو المجتمع باعتبار أن وظيفتها ومسؤوليتها أن تلاحظ حاجاته وأن تكون أمينة لها حينما تنتقل إلى دائرة السلطة، وما يؤسف له، هو أن المعارضة حينما

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، مجلة الشعلة. م. س.
(٢) را: دوفرجية، موريس. م. س. ص. ن.
(٣) را: الشعلة. عدد نفسه مأخوذ بتصرف.

تنتقل وتصبح سلطة وحكومة تضيق ذرعاً بالمعارضة التي تثير نفس القضايا التي أثارتها من قبل أن تصل إلى السلطة. . . »[1].

وهذا يعني أن أنفاس المعارضة اليوم في أغلب البلاد، هي أنفاس إستبدادية يمكن أن تتنفسها في أية لحظة، وقد رأينا أن شعوباً كثيرة راهنت على دور المعارضة، وعلى وصولها إلى السلطة، وعلقت آمال كبيرة عليها لكنها ما لبثت أن رأت منها الكثير من المساوىء والشرور على كافة الصعد، مما دفع بعض الشعوب إلى الترحم على السلطة السابقة: فالأمر كله يدور حول التوازن الذي لابد منه في كل مرحلة سياسية، وغالباً ما يكون هذا معدوماً وقد يعبر عن عدم وجوده بنقص في الذات، وبتعبيرات أخرىٰ في الخارج من قبيل سماع أصوات اليأس من المعارضين قبل الوصول إلى السلطة، وحين يصلون إليها يتحولون مباشرة إلى جبابرة وطغاة، فهذا قيصر، ونابليون، وهتلر، وموسوليني، وستالين وغيرهم كثير، فهؤلاء كانوا يتحركون تحت شعار الإصلاح والنقد والمعارضة، ولما وصلوا إلى السلطة، عبروا عن أنفسهم بكثير من الجرائم والحروب وغير ذلك مما يمكن إدراجه تحت الصفات الغضبية والحيوانية، كان تحركهم يهدف إلى القضاء على ما يسمىٰ بالمعارضة، لأنهم مروا بهذه المرحلة وسموا بهذا الإسم، الذي لم يكن منطبقاً عليهم حقيقة، فمالوا مباشرة إلى الاستبداد، ومنعوا المجتمع من تشكيل معارضة، لأن المجتمع الذي أنشأهم يُنشىء غيرهم، فلا حاجة إذن إلى معارضة تتنفس هواء الإستبداد. . . !؟

إن نظرة عميقة في حياة الشعوب، وفي حياة الأنظمة السياسية إذا صح أن لها حياة لابد أن تنتهي بالباحث إلى التأكيد على أن المجتمعات اليوم ليست مؤهلة لأنتاج حقائق سياسية، لأن الموجود من صنعها، وهذا ما أشار إليه الشيخ شمس الدين بقوله: إن المجتمع أو الأمة التي لا تقوم بدورها ولا تتحمل مسؤوليتها لا تنتج إلا جبابرة وطغاة وفراعنة، وحينما يعجز المصلح الحقيقي عن الإصلاح لابد أن يقول قول أمير المؤمنين (ع): «اللهم إني

---

(١) را: مجلة الشعلة، عدد نفسه.

أسألك أن تستبدلني بخير منهم، وأن تستبدلهم بشر مني . . . كل الرعاة تخاف ظلم رعاتها وأنا أخاف ظلم رعيتي . . . » وغير ذلك من أقواله في وصف حال الأمة . . .

إن شهوة السلطة والتسلط تحول دون قيام المسؤولين بواجباتهم وتحمل مسؤولياتهم، وتمنع المعارضة من أن تكون واجدة لشروط القوة والبقاء والحركة، فضلاً عن الرؤية الواضحة والكاملة. فإعادة التوازن، والوصول إلى النظام الديمقراطي والمعارضة الحقيقية له إنما يتم من خلال وعي المجتمع وقدرته على معالجة مشاكله بحيث يتمكن من إنتاج الهيئات القادرة على رعاية مصالحه بعيداً عن المصلحة الخاصة، وعن شهوة السلطة . . .

٣ ـ المعارضة والنظام الاسلامي:

إذا كان لابد من المعارضة في النظام البرلماني (الديمقراطي) فهل المعارضة في مجتمع يقوم نظام حكمه على الإسلام ضرورة من ضرورات هذا المجتمع، أم أنه لايوجد ضرورات تقتضيها في النظام الإسلامي، وكيف يمكن أن نفسر وجود هذه المعارضة فيما لو وجدت؟ إن الدولة الوحيدة التي تعيش الإسلام في جميع شؤون حياتها في القرن العشرين، هي دولة إيران الإسلامية، ولهذا فإنه من الممكن أن تكون هذه الدولة موضوع هذا البحث باعتبار أن هناك معارضة ما يسمىٰ بمجاهدي خلق وغيرهم ممن لم يرتضوا الإسلام بديلاً للنظام الطاغوتي السابق . . . !

نحن بيَّنا فيما سبق أن المعارضة هي عبارة عن نصيحة وأنه لابد من وجودها وإيجادها، وأن أي مجتمع يخلو منها لا يمكنه أن يعيش حالة التوازن أو الفعلية السياسية، كما أننا سنرىٰ أيضاً ما هو موقف الشيخ شمس الدين من معارضة النظام الإسلامي في إيران، باعتبار أن الشيخ شمس الدين كان سباقاً إلى اتخاذ موقف من هذه المعارضة الناكثة للميثاق، والخارجة على خيارات الشعب الذي ارتضىٰ الإسلام ديناً ودولة. فالديمقراطية ـ كما قلنا ـ أصبحت طعماً للشعوب تتلهىٰ به، وما تبقىٰ في العالم من الأصوات المعارضة، لايعدو أن يكون صوتاً موسيقياً ترهن له الشعوب . . . !

وتـطرب بـه الحكـام، تلك هي الحقيقـة التي لامسنـاهـا في الأبحـاث السابقة، والآن نهدف إلى بيان حقيقة أن المعارضة في أي بلد: إما أن تكون ضعيفة التحرك، وإما أن تكون مرهونـة وتعمل بـوحي الإستعمار لإثـارة الفتن والدسائس في مجتمعات أنتجت أنظمة تتلاءم وطبيعتها وتتوافق مع طموحـاتها لجهة بناء الدولة التي تخدم الأمة، هذه المعارضة كونهـا الاستعمار لأجـل أن تتربص بالأمة الإسلامية في إيران شـراً ظناً منـه أنه بـإمكانـه من خلالهـا إعادة فرض الدولة من فوق كما كانت في زمن الطاغوت. ولكن الله تعالىٰ متم نوره ولو كره المشركون، حيث قامت الدولة والنظام الإسلامي وحيل بين الاستعمار وبين مـا يـطمـح إليـه بسبب إصـرار الأمـة على تحكيم الإســلام في جميـع شؤونها.

قبـل الإشارة إلى مـايقـولـه الشيـخ شمس الـدين، نلفت النـظر إلى أن الإستعمـار يثير العنف في هـذه الدولـة وفي تلك بهدف جعـل الأنـظمـة غيـر مستقرة، والمجتمعات غير آمنة، ورغبة منه في جعل كل فريق مقابـل الآخر، علماً بأن الأنظمة موالية له وكذلك المعارضة أيضاً في بعض البـلاد هي تتلقىٰ الدعم من الغرب، لأن مصلحتـه من وراء ذلك أن يتمسـك الجميع بـه، وأن يقبلوا بشروطه بحيث أن أي فريق لايستطيع أن يخالف خوفاً من الفريق الآخر أن يتلقىٰ الـدعم الـلازم. !؟ هـذه الأجـواء تعيشهـا بعض البـلاد العـربيـة والإسـلاميـة، وتسيـطر عليهـا. . إن الاستعمـار يستفيـد من بعض الحـركـات المعارضة أكثر مما يستفيد من النظام الحاكم. أما في إيران، فالوضع مختلف تماماً، إذ أن الشعب هناك راضٍ عن حكومتـه، وما يسمىٰ بـالمعارضـة، هي في الحقيقـة مشـاغبـة يغـذيهـا الاستعمـار لأجـل زعـزعـة الأمن والاستقـرار الحاصلين في إيران من جراء سيطرة الإسـلام واختياره من قبـل الشعب فيها. هذا النظام الإسلامي الذي يُعمل اليوم على تقـويته وتـرسيخه وجعله قـوياً في مـواجهة تحـديات الغـرب والشرق، أوجـدت له مشـاغبة في الـداخل رسمت خطوطتها، ووضعت برامجها خارج إيران لتثير النزاعـات والخصومـات تحت شعار الحرية والديمقراطية وغير ذلك مما يتاجر به الغرب. هذه المشاغبة التي تسمىٰ (مـجاهدي خلق) كانت تعمل مع الناس لأجل إسقاط نظام الشاه، ولما

سقط هـذا النظام، خـرجت هذه المجمـوعة عن إلتـزامهـا وادعت الخـطر من النظام الإسلامي والحكومة الإسلامية، بعد أن كانت تعرف بأن النظام البديـل لن يكون غير الإسلام، لما تعرفه هذه المجموعة عن طبيعة الشعب الإيراني، وعن التزامه الإسلام حتى مع وجود الشاه، وقـد عبر الشيـخ شمس الدين عن هذه الحقيقة بقوله «إن إيران كانت جمهورية إسلامية أيام الشاه»[1].

هـذه المشاغبـة التي يعطيهـا الإستعمـار كثيـراً من الإهتمـام الإعـلامي وغيره، مشروعها هو زعـزعة الأمن في الـداخل وإربـاك الوضع لإيهـام العالـم الغربي، ودولاً أخرىٰ إسلامية وغير إسلامية بأن النظام الإسلامي المـوجود في إيـران، هو نـظام قمعي ولا يمكن اعتماده لأنـه يعود بـالمجتمـع إلى القـرون الوسطى. . . !؟

لقـد تأثـر الرأي العـام بما كـانت تثيره وسـائل الإعـلام، وحشدت كـل الـطاقـات لأجـل إسقـاط النـظام الإسـلامي في إيــران تحت شعـار حمــايـة الديمقراطية وحقوق الإنسان. . . ! وتحت شعار حماية القادسية أيضاً: !!

في هـذه الأجـواء المشحـونـة بـالسمـوم وقعت حـرب الخليـج ضـد الجمهـورية بعـد أن حشدت لهـا الجيوش العـربية والأجنبيـة من كـل حـدب وصوب، وكانت النتيجة فشل كل المحاولات وخرج الإسلام منتصـراً من هذه الحرب، لأن الجمهورية الإسلامية ـ حكومة وشعباً ـ كانت على وعي تام بمـا يحـاك ضدهـا في الداخـل والخارج، ومـا زال الغـرب حتىٰ اليـوم يبحث عن وسائل للنيل من هذه الـدولة الإسـلامية بعـد أن فشل في إيجـاد معارضـة في الـداخل، وفي إعـلان الحرب عليهـا من الخارج، بـل هو اليـوم في صـدمـة حقيقية، ورغـم ذلك لازلنا تسمع بعض الأصوات في أوروبا تندد بالجمهـورية الإسـلامية وتـطالب بمعاقبتهـا وتحميلهـا مسؤوليـة مـا يحصـل في العـالم من أحداث ضد الغـرب والموالين لـه. وما يؤسف لـه أكثر هـو أن كل الصـدمات التي تعـرض لها الغـرب لم تقنـع حتىٰ الآن الـرأي العـام هنـاك بـأن الشعب الإيراني حقق وجوده بما انتهىٰ إليه على صعيد بناء الدولة الخادمة لـه، ولهذا

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، مجلة البلاد، عدد ١٥٨. ١٩٩٣..

يسمع بين الحين والآخر بالدعم لمجاهدي خلق من قبل بعض الدول، وكأن التجارب الماضية لم تكف لإيقاض هؤلاء من غفلتهم، ومازال الإعلام يروّج الدعايات للنيل من الإسلام والمسلمين في العالم الإسلامي كله تحت شعار أن الحركات الإسلامية الموالية لإيران تسعىٰ لزعزعة أمن المنطقة وتهدد السلام في الشرق الأوسط، وإذا صدر موقف ما أو رأي من قبل أية جهة مسؤولة ينصف الإسلام والمسلمين، فإن الإعلام الغربي يتناول هذا الموقف بالتحريف ويجعله غير معلوم عند الرأي العام. . .(١).

لاشك أن شيئاً من الاستطراد قد يُغني البحث الذي نريد له الإحاطة بعض الشيء فيما نتناوله عن المعارضة والنظام الإسلامي، وهنا نلفت النظر إلى حقيقة أخرىٰ أن الإستعمار الغربي ينظر إلى كل معارضة تنصب العداء لإسرائيل على أنها إرهابية وتهدد السلام، وكل معارضة له ولإدواته في المنطقة هي كذلك من حيث هي معارضة مطالبة بالإستقلال والتحرر من قيوده، خصوصاً بعد دعوة البعض إلى التحلل من الإلتزامات معه وما يسمىٰ بالمعارضة في إيران يقال فيها وعنها الكثير مما تقدم ذكره لجهة أن كل ما تفعله هذه المعارضة يمكن اعتباره عملاً يخدم الشعب! ولصالح الديمقراطية!

(١) را: من الأمثلة الدقيقة على ذلك أن هناك بيانات عدة صدرت عن الفاتيكان تثير الدهشة فعلاً لما تحمله من حق. . . لقد دافع الفاتيكان عن الإسلام، وأمر بمراجعة كل الأحكام المسبقة عن الإسلام والمسلمين. . . واعترف بأن كل هذه الأحكام لم تكن موضوعية ويجب التخلي عنها، وكما يقول موريس بوكاي: «إن دفاع الفاتيكان يشير دهشة كثير من معاصرينا سواء أكانوا مسلمين أم مسيحين أم يهود، فذلك إعلان يتميز بإخلاص وبروح انفتاح يتباينان بشكل فريد مع مواقف الماضي، ولكن كم هم قليلون حقاً الغربيون الذين عرفوا تلك المواقف الجديدة التي اتخذتها، أعلىٰ سلطة في الكنيسة الكاثوليكية ـ!؟

را: دراسة علمية في الكتب المقدسة، دار الأفكار، بيروت، ط ١ ١٩٩١، ص ٩. هذه نكتة مهمة جداً، يستفاد منها، أن إعلام الغرب يحول دون وصول الحقائق إلى الناس ولا يجعلهم يعرفون إلا ما يريده فقط كما أنه يبرز الصورة الحسنة لكل مَن يعارض الأنظمة التي خرجت عليه، وأصبحت في موقع مستقل تماماً عنه، ولهذا نجد أن لبنان، والسودان، وإيران، وسوريا، وكل الدولة المستقلة في سياستها هي متهمة اليوم بالإرهاب، أو مدرجة على لائحة الإرهاب. . . !!!

يقول الشيخ شمس الدين: (إن معارضة لا تريد أن تدفع ظلماً وقع عليهم، لأنهم شاركوا في إتباع الخط الذي أدىٰ إلى انهيار الشاه) والتخلي عن هذا الخط لا يعني أكثر من عودة النظام السابق وقد تخلوا عن هذا الخط لرغبة غربية وهم بذلك لا يخدمون الإيديولوجية المستقلة (اللاشرقية واللاغربية) وإنما خدموا قوة أخرىٰ خارج إيران، والحق يقال أن ما يجري الآن في إيران، وما يحصل على يد مجاهدي خلق هو ليس من أجل شعب إيران، بل من أجل قوة أجنبية عظمىٰ تسعىٰ للسيطرة على الوضع من جديد في إيران»[1].

إن معارضة تعمل من أجل هدم ما بنته الأمة طيلة قرون من الزمن، لا يمكن أن تكون معارضة حقيقية، باعتبار أن المعارضة لكي تكون حقيقية، فأول ما ينبغي علهيا أن تفعله هو حماية إنجازات الأمة، فإذا كان دور المعارضة تعريض هذه الإنجازات للخطر، فلا يمكن أن تكون شرعية إطلاقاً، وهذا ما ينطبق على ما يسمىٰ بالمعارضة في إيران، فالأمة هي التي تعطي الشرعية لأية حركة سياسية في الواقع، خصوصاً إذا ما عرفنا أن هؤلاء كانوا مع الأمة ثم انفصلوا عنها لغايات ومآرب شخصية، فهم من أهل النفاق حيث أنهم أضمروا الكفر وأظهروا الإيمان بقبولهم العمل في خط الثورة ومن أجلها، ومن ثم النكث بالعهود والمواثيق، فالديمقراطية الحقة، والشورى، وكل مبدأ من المبادىء السماوية بل وحتىٰ الوضعية يأمر بمعاقبة هذه الجماعات على ما أحدثته من فساد، وعلى ما ارتكبته من جرائم بحق الشعب الإيراني، وبحق المسؤولين في إيران سواء أكانوا علماء دين أم رجال سياسة. . . «إنها معارضة مرتبطة بالأجنبي، وعاملة له في إيران، ويوجد مثلها الكثير خارج إيران، بل كيف لا يكون هؤلاء مجرمون وهم يعلمون أن الثورة الإسلامية لم يكن فيها غش من أول الأمر، والذين كانوا يحاورون الإمام الخميني (قده) لإدخال أي تغيير شكلي في الشعارات كانوا يلقون منه الرفض. أجل هؤلاء دخلوا واشتركوا في العمل للثورة وهم يعرفون أنهم

---

(١) را: مواقف ودراسات، م. س. ج ٢. ص ٢٤.

يعملون للإسلام، ومن أجل إقامة نظام إسلامي لا شرقي ولا غربي»[1].

هذه الجماعات ستبقىٰ مرفوضة ومحاربة من قبل الشعب الإيراني المسلم، كما أنها ستعاقب على كل الجرائم التي ارتكبتها بحق الشعب الإيراني المسلم آجلاً أم عاجلاً، وقد علمت هذه الجماعة أن الغرب يده قصيرة جداً، ولن يكون في جانبها بعد أن علم بإصرار الشعب على العيش حياته الإسلامية بعيداً عن الأجنبي، إن النظام الإسلامي، مثله مثل أي نظام حقيقي يقبل بمن لهم آراء معارضة وناقدة في جميع المجالات، المعارضة البناءة التي ترعىٰ مصالح الأمة: اما أن تكون معارضة لأجل المعارضة فقط فذلك مما يحتم على الإسلام والمسلمين عدم القبول بها. أما المعارضة الهادفة، فإن النظام الإسلامي يتفاعل معها ويستفيد منها. «إن أي نظام عالمي لا يمكنه القبول بمعارضة تعتمد أسلوب القتل في التعبير عن رأيها في الديمقراطية الغربية ماذا يصنع القانون في أمريكا مع قوىٰ سياسية مسلحة تعتمد القتل في معارضة النظام الأمريكي، ولا تعتمد العمل السياسي، نقول تعتمد القتل، مما لا ريب فيه أنهم يقتلونها في غرف الغاز. . .»[2].

وهنا نسأل لماذا لا تكون هذه المعارضة مقبولة في الغرب، ويراد لها أن تكون مقبولة في إيران، أو في أي بلد آخر غير إيران. . . ؟

إن منطق الاستعلاء الفرعوني ﴿**قد أفلح اليوم من استعلىٰ**﴾ هو الذي يجعل من هذه المعارضة غير مقبولة في أمريكا ومقبولة في إيران، فأية معارضة تنسجم مع هذا المنطق وتعمل وفقاً له يقبل بها فرعون هذا الزمان ويقدم لها المساعدات والخبرات لكي تمعن فتكاً وإجراماً وفساداً. ومن هنا يمكن القول أن أغلب الأنظمة الديمقراطية في العالم هي تتنفس هواء الاستعلاء، ومنطقها هذا المنطق الذي هو في حرب دائمة ومستمرة مع منطق ﴿**قد أفلح مَن تزكي وذكر إسم ربه فصلىٰ**﴾ وهذا هو منطق النظام الإسلامي في إيران، وغير إيران، ومنطق الحركات الإسلامية الفاعلة اليوم. . . فالفرق

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، مواقف ودراسات، ج ٢، م. س. ص ٢٥.
(٢) م. ع. ص ٢٦.

بين ما يسمي الأنظمة الديمقراطية، والنظام الإسلامي، هو أن النظام الديمقراطي سلعة يتاجر بها الغرب لتحقيق مصالحه، وهو غالباً ما يتحول إلى الاستبداد حينما يعلم الغرب بأن هذا النظام سيؤدي إلى الحرية الحقيقية تماماً كما حصل في الجزائر. . .

أما النظام الإسلامي فقد ظهر للعيان أنه نظام يحقق الحرية والعدالة ويلحظ خيارات الشعوب، ويقبل بالمعارضة التي تعمل من أجل تصحيح أي خلل وتقويم أي مسار يمكن أن ينحرف، هذا فضلاً عما يمتاز به هذا النظام من سياسة هي في الحقيقة فلسفة دولة تهتم بمصير الإنسان وروحيته، وتحصنه ضد كل الشرور والمساوىء التي ترشحت عن الفلسفات المادية، والنظم الديمقراطية ذات التوجه المادي. انه نظام يعمل من أجل تحقيق التوازن في شخصية الإنسان تمهيداً لصناعة المجتمع بطريقة تلائمه روحياً ومادياً وسياسته تنسجم مع فطرة الإنسان وشهادته لله تعالىٰ، وتحقق للأمة شهادتها ووسطيتها بعد أن خسرتها بسبب تمويهات الغرب، أجل إنه النظام الذي يحقق الكمال المنشود للشعب المسلم ويقدس خيارات الأمة، كونه لا يوجد أية سلطة مقدسة غير سلطة الأمة التي قدسها الله تعالىٰ. . هذه هي ميزة النظام الإسلامي.

إن اليسار واليمين كان يُهلل للثورة الإسلامية في إيران، وكانت تلقىٰ الدعم اللازم ولا تزال من كل فئات الشعب، فماعدا مما بدا حتىٰ ينحرف هؤلاء ويخرجوا على إرادة الأمة التي أرادت الاستقلال عن الأجنبي. . .؟

هذا ما كان ينبغي أن يشار إليه في هذه العجالة، وكان من الممكن التوسع أكثر فيما لو كان الهدف من البحث الوقوف على كافة تفاصيل الواقع السياسي، لكن نكتفي بالإشارة إلى أن كل معارضة لا يكون همها الإستقلال عن الأجنبي لايمكن أن تكون حقيقة، وللأسف أن بعض الحركات في العالم انطلقت وحققت الكثير من المكاسب السياسية، لكن ما لبثت أن وقعت في شباك الإستعمار من جديد.

والإشارة الثانية، هي أن الحركات الإسلامية المناهضة للغرب يجب أن

تعي خطورة المرحلة بحيث تعرف كيف يمكن تحقيق الاستقلال من دون أن يؤدي ذلك إلى العنف والفوضىٰ، وأن لا تحارب الديمقراطية تحت شعار أنها شرك بالله تعالىٰ في الوقت التي لا تملك فيه البديل الذي يمكن تحقيقه في الواقع على أنقاضها، وهذا لا يعني أن الديمقراطية هي خاتمة المطاف، فلتعتمد كنهج سياسي في الوقت الذي لا يوجد فيه ديمقراطيون: وكما قيل: يوجد ديمقراطية، وتوجد مسيحية، ويوجد إسلام، لكن النظرية شيء، والتطبيق شيء آخر، بمعنىٰ أنه يوجد إسلام ولا يوجد مسلمون، وتوجد مسيحية، ولا يوجد مسيحيون، فالديمقراطية شعار نظري، والاستبداد هو المنطق العملي، وكذا الإسلام والمسيحية نظريات كاملة لم يُعمل لأجل الإستفادة منهما في الواقع حتىٰ الآن، وإن أي تطبيق في الواقع لا يحمل خصائصهما، ويتفرد الإستبداد في حكم الناس!!.

ـ الحركة الاسلامية بعد وفاة الامام الخميني (قده):

١ ـ الامام ورصد المستقبل:

من بديهات الأمور أن يقال بأن الحركة الإسلامية قد تأثرت بغياب الإمام الخميني (قده)، وذلك أمر طبيعي فيما لو نظرنا إليه من ناحية تاريخية، باعتبار أن هذه الحركة لم تتأثر برحيل الإمام (قده)، فقط، بل هي تأثرت بغياب كثير من المراجع العظام الذين قاموا بدورهم في فترات سابقة حتى وصل الأمر إلى الإمام الخميني (قده) حيث أنه أكمل ما بدأبه أسلافه العظام. فالفقهاء السابقون ـ كما ذكرنا آنفاً ـ في ثورة التنباك كان باستطاعتهم أن يستفيدوا كما يقول (مرتضىٰ مطهري) من استعداد الشعب لإقامة حكم إسلامي واقعي، لكنهم لم يستفيدوا من هذا الاستعداد في الوقت الذي كان من الممكن أن تكون تكاليف إقامة هذا الحكم أقل مما كانت عليه في زمن الإمام الخميني (قده)، فميزة الإمام أنه استطاع أن يُكمل الطريق حتىٰ النهاية ليعطي غيره مهمة إنجاز ما تبقىٰ من هذا المشروع، كانت الحركة الإسلامية في الماضي تشق طريقها بأمر من فقهاء عدول دفعوا أثماناً باهظة في أثناء مواجهتهم للإستعمار. والحق يقال أن جهود الفقهاء في السابق كانت تتراوح

بين التنظير لما ينبغي أن تكون عليه هذه الحركة في الواقع، وبين ما يمكن أن تحققه هذه الحركة في الواقع فيما لو استمرت في ثورتها، وبين هذا وذاك خسرت الحركة الإسلامية كثيراً من المواقع السياسية التي كان من الممكن أن تصل إليها بأقل تكاليف ممكنة، وليس معنىٰ هذا أن الفقهاء يتحملون مسؤولية تأخر هذه الحركة في الوصول إلى أهدافها، وإنما معناه أن هؤلاء الفقهاء لم يكونوا قادرين على التحرك في الواقع إلا على ضوء ما تمليه عليهم المصلحة الإسلامية العليا، مع الأخذ بعين الاعتبار قدرة المجتمع على الثورة والإستمرار فيها. بمعنىٰ آخر أن الخلافات التي وقعت بين الفقهاء حول المشروطة والمستبدة، هي في الحقيقة خلافات نابعة من واقع الناس، ولم تكن تجريدية إطلاقاً، فالبعض كان يرىٰ أن المجتمع يمكن أن يتحرك مرحلياً بحيث يكون واثقاً من تحركاته بإتجاه الحكم الإسلامي الواقعي، والبعض الآخر كان يرىٰ ضرورة لذلك مادام المجتمع مستعداً لمثل هذه القفزة النوعية. كما أن الحكم على الماضي من خلال ثورة الإمام الخميني (قده) قد لا يكون موضوعياً ودقيقاً، باعتبار أن الإمام (قده) وصلت إليه الأمور واضحة، والناس عندهم فكرة كاملة عن طبيعة الحركات الإسلامية في الماضي. ولا يستطيع أحد القول بأن الإستعداد للثورة في زمن الإمام الخميني كان مماثلاً لإستعداد الشعب في الماضي. إن قراء سريعة في القرن العشرين، وبالأخص أحداث النصف الأخير منه تكفي للكشف عن كثير من الحقائق. . .

إن الحركة الإسلامية قبل الإمام الخميني (قده) كانت تتحرك في الإتجاه الذي تحرك فيه الإمام الخميني (قده) ولو كان العكس هو الصحيح لما تمكن الإمام من الوصول إلى ما وصل إليه من إقامة حكم الإسلام في الأرض، بدليل أن الإمام تابع المسيرة واستفاد من استعداد الشعب لإقامة مثل هذا الحكم الواقعي بعد تجارب كثيرة قام بها الفقهاء السابقون، والقول بأن الفقهاء لم يتمكنوا من الإستمرار في حركتهم إلى النهاية، قول غير دقيق ويحتاج إلى دلائل كثيرة كيما تثبت صحته. إن الفقيه من مهامه ومسؤوليته أن يقرأ الواقع جيداً وأن يكون صاحب نظرة ثاقبة تمكنه من الولوج إلى عمق

الـواقع، ومن استشـراف آفاق المستقبـل بحيث تكون لـديه القـدرة على قيادة الحركة الإسلامية إلى حيث يجب أن تكون من دون أن تتعرض هـذه الحركـة لأي نكسة (بسبب عدم القـراءة الصحيحة للواقـع) يمكن أن تصاب بهـا، إن القياديين لا يمكن أن ينفعلوا بأي حـدث، لأن معنىٰ أن تكون قيـاديـاً هـو أن ترصد المستقبل قبل أن يأتي، وأن تدرس الاحتمـالات المستقبلية فيمـا يمكن أن يختزنه المستقبل من متغيرات قبل أن تفرض نفسها عليك»[1].

نحن نجد رصداً دقيقاً للمستقبل عند جمال الـدين الأفغاني في رسـالته إلى السيد الشيرازي، فهو حينما يقـول له في رسـالته «وعلمت أن الله تعـالىٰ سيحدث بيدك أمراً»[2]. إن الأفغاني كـان متيقناً من أن فتـوىٰ السيد الشيـرازي ستحدث إنقلاباً في المجتمع، ولا يمكن حمـل هذا القـول على التكهن، بل هو قائم على دراسة موضوعية لواقع الشعب. هـذا الرصـد للمستقبل ليس من مسؤولية أفراد الحركة الإسلامية، وإنما هو من مسؤولية قياديها وأعني الفقهاء.

يكفي الأفغاني وجميع قيادي الحركة الإسلاميـة فخراً أنهم حققـوا لهذه الأمة وجودها وأعادوا إليها حيويتها، ورصدوا مستقبلهـا بوعي كـامل، فكـانت النتيجة أن وصلت هذه الحركة إلى بعض أهدافها من غير انفعال.

إذن الإمـام الخميني (قده) قـرأ الماضي جيـداً، ورصـد المستقبـل من حاضره وليس من ماضي أسلافـه فجاءت الـرؤية الثـاقبة لمـا يحمله المستقبل للشعب المسلم في إيـران والعالم، وعلى أسـاس هذا الـرصد للمستقبـل من الحـاضر ـ انـطلق الإمـام وحقق المعجـزة الكبـرى في إقـامـة حكم الإسـلام الـواقعي في إيران. من هنـا يمكن القول أن غيـاب الإمام الخميني (قـده) لا غياباً للمستقبل، وإن كان له تأثيرات في الحاضـر، فالمستقبـل لا يغيب مادام

---

(١) را: السيد فضل الله، محمد حسين، الزمن والمعـارضة، دراسـة في الفكر الحـركي، سليم الحسني، دار المنتدىٰ، ط ١ ١٩٨٩، ص ١٨٦.

(٢) را: جمـال الدين الأفغـاني الأعمال الكـاملة، ج ٢، ص ٢٧٦. وقا: مـع كوثـراني، وجيه، في الفقيه والسلطان، ص ١٨٧.

هناك فقهاء يرصدونه بدقة، وهذا ماكان الإمام مطمئناً له يوم وفاته حينما عبر عن ارتياحه للأشخاص الذين عملوا معه من أجل إقامة حكم الله في إيران. . والذين لديهم القدرة على رصد المستقبل من حاضرهم.

بعض الناس ظن أن الإسلام سيتعرض لنكسات خطيرة بعد غياب الإمام، لكن الأيام أظهرت عكس ذلك تماماً. فها هي الثورة الإسلامية في إيران، وكل المجموعات الإسلامية في العالم تتقدم باتجاه أهدافها متخطية كل الصعاب، مما يعني أن الإمام مازال موجوداً وحياً وفاعلاً من خلال وصاياه وأطروحاته وأفكاره التي لم تنس لحظة واحدة، وهذا وحده يكفي للإستمرار بالدعوة، وللإنتصار على كل الأطروحات المضادة للإسلام ومن أسباب الإنتصار أيضاً أن نقرأ نحن الحدث من حاضرنا من أيامنا، وليس من أيام الإمام رضوان الله عليه، تماماً كما رصد الإمام المستقبل من حاضره، على الحركة الإسلامية أن ترصد المسقبل من حاضرها وأيامها حتى لاتفاجأ بأي حدث من الأحداث، وحتىٰ لا تنفعل بأي حدث يمكن أن يؤثر على حركتها سلباً. وهنا نضرب مثالاً هاماً. لقد قرأ الإمام الخميني (قده) ورصد مستقبل الإتحاد السوڤياتي والشيوعية، وها هي الأيام أثبتت حقيقة ما قاله الإمام، فالرصد الحقيقي للقيادي اليوم لا يكون من موقع رصد الإمام الخميني للمستقبل، وإنما يكون من موقع القيادي نفسه لأن الإمام حينما رصد مستقبل الإتحاد السوڤياتي أراد من خلال ذلك إعطاء الفرصة الحقيقية للآخرين كي يقفزوا فوق مساحة رصده كي يصلوا إلى أحداث المستقبل قبل أن تأتي تلك الأحداث وإلا لو كان معنىٰ رصد المستقبل هو أن نعيش في المساحة المرصودة من الزمن (المستقبلي) لما كان هناك أي معنىٰ للرصد الماضي فرصد الماضي في الحاضر ورصد الحاضر معناه في المستقبل. . . ومن هنا نقول أنه على الحركة الإسلامية أن ترصد المستقبل من واقعها، وعلى ضوء ما يحيط بها حتى تتمكن من إعطاء فرصة لنفسها كي تستمر. إن معنىٰ الرصد ـ كما نفهمه من خلال نصوص الإمام الخميني هو أن يعيش المسلمون في ظل الفقهاء العدول في المستقبل حينما يكون الآخرون يعيشون الحاضر. . . تماماً كما كان الإمام يعيش المستقبل، في الوقت الذي كان كثير من فقهاء

عصره يعيشون الحاضر. ومما يجب ذكره أيضاً أن الشيخ شمس الدين رصد مستقبل العلمانية الملحدة في سنة ١٩٧٥ (في الإتحاد السوفياتي) وكانت النتيجة أن تحقق هذا الرصد في المدة المحددة را: كتابنا الشيخ شمس الدين فصل العلمانية.

الشيخ شمس الدين يرصد مستقبل الحركة الاسلامية بعد وفاة الامام الخميني (قده):

يقول الشيخ شمس الدين: «نحن لا نخشىٰ على الجمهورية الإسلامية الإيرانية.. نحن منذ سنين نعتبر أن الجمهورية الإسلامية رسخت كنظام إسلامي سياسي في إيران، ولا نخشىٰ على أصل وجود كيان الجمهورية الإسلامية، وإن كنا قلقين دائماً ونخشىٰ من مؤامرات ضدها ـ كما حصل حينما شن النظام العراقي عدوانه عليها. وكذلك بالنسبة إلى الحركة الإسلامية ـ سواء في لبنان ـ أو في العالم أجمع لسنا قلقين شرط أن تدرك هذه الحركة شروط العمل وأن تخضع نفسها لهذه الشروط، وأن تكون واقعية في طرح مشاريعها، وفي التعبير عن طموحاتها...»[١]

ليس من معاني رصد المستقبل عند الشيخ شمس الدين أن يتخلى الإنسان المسلم سواء أكان عادياً أو قيادياً عن الواقعية، وعن الشروط التي ينبغي أن تتوفر للقيام بأي حركة تغييرية في الواقع. إن معنىٰ رصد المستقبل هو الإلتزام الكامل بشروط العمل، وقراءة الأحداث قراءة صحيحة وموضوعية بعيداًعن الإنفعالات والعواطف والمهيجات الثورية التي قد تعيق عملية رصد المستقبل وما يحمله من أحداث ومتغيرات. من الأخطاء الكبيرة في مجتمعاتنا الإسلامية اننا نحاول إيجاد شروط عمل غير مناسبة لتحركنا، أو أننا نصنع لأنفسنا أفخاخاً تعيق عملية تقدمنا، هذا إذا لم نقع فيها، وقد وقعنا فيه عدة مرات من دون أن يعكس ذلك وعياً مافينا. فشروط العمل قد تكون موجودة، وما على هذه الحركة الإسلامية إلا أن تستفيد من أخطاء الآخرين ومن

(١) را: الدنيا ٦/٧ ـ ٧٩.

أخطائها أيضاً، ويمكنها أن تلتمس من الآخرين ما يجعلها أكثر حيوية وأكثر واقعية. إن الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني (قده) قد تمكنت من التعبير عن نفسها في ظل مراعاة دقيقة لشروط العمل ولظروفه على الرغم من التكاليف الباهظة التي دفعتها. والحق يقال ـ كما يقول الشيخ شمس الدين ـ أنه من الخطأ أن نسأل عن التكاليف فيما لو كانت حركتنا في الواقع ملتزمة بالشروط والواقعية، ومنطلقة في التعبير عن نفسها بطريقة حضارية، فنحن لا نستطيع مواجهة إسرائيل عسكرياً، لكننا نستطيع أن نقول لها لا دائماً مع اختيار أفضل السبل لمواجهتها، وخير هذه السبل وأنجحها كانت المقاومة الإسلامية»[1].

لذا فإن أي عجز في قراءة الواقع، أو في رصد المستقبل، سيجعل الحركة الإسلامية غير قادرة على إصلاح المجتمع، ولا على تغيير أوضاعه، بل يمكن أن يتعدىٰ الأمر عدم القدرة على ذلك إلى ما هو أخطر منه إلى ما يشبه الحرب فيما بين قطاعات المجتمع بحيث يصبح من الصعب إصلاح الحال والوصول إلى المنال.

ماذا يقتضي رصد المستقبل بحسب رأي الشيخ شمس الدين؟.

إن أول ما يقتضيه رصد المستقبل هو تخلي الحركة الإسلامية عن مشاريعها الخاصة، وعن أهدافها الخاصة، واعتماد الوحدة الإسلامية كبديل لكل المشاريع الطائفية أو المذهبية، أو القومية وغير ذلك من الشعارات التي كان لها الدور الكبير في تقسيم المجتمع، وفي بعثرت جهوده، وهذا ما ينبغي أن تستفيده الحركة الإسلامية العالمية من الثورة الإسلامية في إيران التي دعت إلى التوحد على قاعدة الإلتزام السياسي الواحد، وإلى التحرر من الاستقطاب الدولي، ورفع شعار لا شرقية ولا غربية، باعتبار أن الدخول في المحاور الدولية والتبعية لهذا القطب أو ذاك كان ولا يزال يمنع فئات الحركة الإسلامية من التوحد، والانطلاق بحرية تامة في دراسة أوضاع المجتمع الإسلامي وإيجاد الحلول المناسبة لمشاكله المعقدة. إن الحركة الإسلامية

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، عاشوراء. دار مج، ط ٢ ١٩٩٢. ص ٢٧٦.

بعـد وفاة الإمـام الخميني (قـده) يجب أن تستمـر في السعي للحصـول على الإستقلال التام بحيث تعيد هذه الحركة لنفسها الشهادة والوسطية انطلاقـاً من مبدأ اللاشرقية واللاغربية بل إسلامية، خصوصاً بعـد أن تأكـدت هذه الحـركة من نجاح هذا الشعار نظراً وتطبيقاً في إيران «إن الثورة الإسـلامية قـد وضعت هـذا الأساس التـوحيدي مـوضع التـطبيق، حيث تجاوزت المسـألة المـذهبية والصراعات المذهبية القائمة على النزعات الفقهية والكلامية، وركزت جهدها على مسألة الإلتزام السياسي من قضايا الأمة الإسلامية وقضية تحرير الأمة من قبضة الإستعمار الجديد، وهذا الأساس. مازال حياً في إيران بعد وفـاة الإمام الخميني (قده)»[1] فإذا أرادت الحركة الإسلامية أن تصنع لنفسها مجـداً، وأن تغدو نموذجـاً فريـداً، وأن تتحول إلى حـركة تغييـر حقيقية، فمـا عليها إلا أن تلتـزم بروحيـة هذا الشعـار (لا شرقيـة ولا غـربيـة)، وبحقيقـة هـذا الأسـاس التوحيدي الموضوع موضع التطبيق في إيران والذي ظهرت آثـاره ونتائجـه في تبني الثورة الإسلامية في إيران لكل قضايا الأمة الإسـلامية إلى أي مـذهب أو طائفة انتمت، وبغض النظر عن الخلافات الفقهية والكلامية التي لا تصلح أن تكون أساساً للتوحد أو للتحرر من قبضة الإستعمار الجديد. . .

فرصد المستقبل، وقراءة الواقع بدقة ومـوضوعيـة يحتمان على الحـركة الإسـلامية التعـاون والانسجام التـام مع شعـارات الثـورة ومبـادئهـا (التي هي مبادىء الإسلام) سـواء أكان الإمـام الخميني (قده) حيـاً أم ميتاً، إنـطلاقاً من حقيقـة تاريخيـة يعرفهـا جميع المسلمين في العـالم ألا وهي عدم ارتبـاط أي مشروع إسلامي بشخص من الإشخاص.

إن الأمـة هي التي تحمل المشـروع، وهي التي تدافـع عنـه، ومـا دور القائد إلا توجيه الأمة، ورصد المستقبل، وقراءة الواقع بدقة حتىٰ يتسنىٰ لهذه الأمة الوصول إلى أهدافها، وهذا لا يعني أن دور القـائد ثـانويـاً، بل هـو دور أساسي لأن الأمة تحتاج إلى بصيرة القائد، وإلى نـظرته الثـاقبة، وإلى علومـه

(١) را: الشيخ شمس الدين، مـواقف ودراسات، ج ٢، ص ٧٠، م. س. قـا : أيضاً: كتـابنا، الشيـخ شمس الدين بين وهـج الإسـلام وجليـد المـذاهب. م. س. الفصـل الخامس.

وسياسته، فإذا انعدمت هذه لا يبقىٰ للأمة إلا الفوضىٰ والسقوط، وكلنا يعلم أن الإمام الخميني (قده) كان له الأثر الكبير في الأمة، في توجيهها وإرشادها، ووضعها على طريق الحق في الوقت الذي كان يظن البعض فيه أن توجيهات الخميني وتعاليمه لن تفلح في إسقاط الشاه، وفي إعادة الحياة إلى المشروع الإسلامي، فجاءت النتائج على خلاف ما كان يتوقعه هذا البعض فحدث الزلزال، وأعيدت الحياة إلى الأمة من خلال التزامها بالإسلام وإطاعتها التامة للإمام الخميني (قده) الذي جعل من هذا العصر، عصراً إسلامياً حياً تنبض شرايينه بدماء الشهداء. . . والمقاومين للإستعمار الغربي وإسرائيل. . .

يقول الشيخ شمس الدين: «إن الإمام الخميني (قده) هو في الحقيقة إمام الأمة، وقائد حركة الإسلام الشامخة، وهو الذي أعاد بفكره وخطه الشريف الحيوية إلى الإسلام في هذا العصر فانبعث قوة. منيرة، مشرقة، هادية. . .[1]»، كل ذلك كان وسيكون بفضل وعي الأمة وتلبيتها لنداء قائدها، ومن هنا يمكن القول أن الحركة الإسلامية في العالم لا تفتقر إلى القادة الأحرار، حتى تكون عاجزة عن رصد المستقبل، وعن معرفة السبيل الذي ينتهي بها إلى الهدف المنشود، وكل ما ينقصها أو تفتقر إليه، برأي الشيخ شمس الدين ـ هو ملاحظة الواقع بدقة، مراعاة شروط العمل والثورة، والبحث عما يمكن أن يؤدي إلى حد أدنىٰ من التفاهم مع نفسها، أو مع الأنظمة التي تتصارع معها. فالخوف على الحركة الإسلامية لن يكون من الخارج، وإنما هناك مَن يعمل لأحداث ثغرات في جسم هذه الحركة، وهذا ما يبعث الخوف والقلق عليها. ولهذا فإن المطلوب من المسلمين في العالم أن يكونوا حذرين لما يحاك ضدهم من قبل الشرق أو الغرب، وأن يكونوا على مستوىٰ الرسالة التي أخرجتهم من الظلمات إلى النور، بذلك فقط يمكن مواجهة الاستعمار وأدواته في العالم الإسلامي، كما أن عليهم أن يتوحدوا لتحقيق حد أدنىٰ من الإلتزام بقضايا الأمة. لأن التجزئة كانت ولا تزال السبب

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، مواقف ودراسات، ج ٢. م. س. ص ٥٥

في عدم وصول هذه الأمة إلى أهدافها، وهي السبب في عـدم تحقيق وسطيـة الأمة. وإذا كان هناك ثمة شيء يهدد هذه الأمة، فهو التجزئة.. أولاً وأخيراً، ويأتي في الدرجة الثانية علم الكلام وغيـره من العلوم التي للدنيا نصيب كبيـر فيها.

هـذا هـو معنىٰ أن يبقىٰ الإمـام الخميني حيـاً في قلوب وعقــول أبنـاء الحـركة الإسـلامية، كـونه حقق هـذه الوحـدة في واقعه، .ودعـا مخلصـاً إلى تحقيقهـا في العالم الإسـلام وإلى ترك كـل ما من شـأنه أن يؤثـر على توحيـد المسلمين وهذا يجب أن يشكل حافزاً لنا لتأييد الثورة الإيـرانية، بـاعتبار، أن هـذا التأييـد سيعود بـالفائـدة على القضايـا العربيـة وقضـايـا حـريـة وحقـوق الإنسان»[1].

* * *

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، جريدة السفير ١٩٧٩/٢/١٩.

القسم الرابع: الحركة الاسلامية والازمة الحضارية. وموقف الشيخ شمس الدين من الحضارة السائدة.

الفصل الأول: الموقف من الحضارة السائدة وأزمة الحضارة في العالم الإسلامي.

١ ـ الحركة الإسلامية في مواجهة أزمة الحضارة.

الفصل الثاني: موقف الشيخ شمس الدين من الثقافة السائدة

الحركة الإسلامية وثقافة التغيير

الحركة الإسلامية ومهمة التربية

الفصل الأول: الموقف من الحضارة السائدة:

الحضارة في اللغة والاصطلاح:

جاء في القاموس المحيط عن معنىٰ الحضارة بأنها الإقامة في الحضر[1]، والحضر، كما ذكر ابن منظور في لسانه أنه خلاف البدو[2]، وحددها وجدي في دائرة المعارف بأنها خلاف البداوة، وبالتالي الإقامة في الحضر[3]، وذكر الزبيدي في تاج العروس: أن الحاضرة هي خلاف البادية، والحضارة، الإقامة في الحضر، والحاضرة والحضرة والحضر، هي المدن والقرىٰ والريف، وسميت بذلك لأن أهلها حضروا الامصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار[4].

٢ ـ المعنى الاصطلاحي:

لا شك أن التعريف اللغوي للحضارة يجعلها مفهومة إلى حد كبير، باعتبار أن معناها يتسع ويضيق تبعاً لتوصيفات الكتاب والباحثين والمحققين اللغوين، ولا مشاحة في الإصطلاح فيما لو كانت المعاني كلها متشابهة إلى

---

(١) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص ٤٨٣.
(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، صص ١٩٦ ـ ١٩٧.
(٣) وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، ج ٣، ص ٤٥٤.
(٤) الزبيدي في تاج العروس، ج ١١، صص، ٤٠ ـ ٤٩.

درجة كبيرة، بمعنىٰ أنها تبقىٰ ذات مدلول واحد حتىٰ ولو تشعبت التعريفات، وكثرت الإشارات، ولكن لابد من ذكر ما تقدم حتىٰ يتسنىٰ لنا معرفة رأي الشيخ شمس الدين بالحضارة السائدة الآن.

٣ ـ الحضارة فعل في الطبيعة:

مما يعود إلى الحضارة أيضاً من حيث هي حضارة متفقة المعاني والمداليل، أنها ليست شيئاً مجرداً وإنما هي واقع وفعل، بحيث أننا لا نستطيع أن نتحدث عنها بمعزل عن الإنسان الذي هو صانع الحضارات ومؤلف الثقافات، وعلى حد تعبير قسطنطين زريق، : «الطبيعة بذاتها لا تكوّن الحضارة وسواء اعتبرنا طبيعة الأرض أو طبيعة الإنسان، فإن هذه أو تلك لا تعدو أن تكون مادة وإمكاناً. أما الحضارة فهي فعل فيهما وحصيلة هذا الفعل، ولذا فالمجتمع الذي يكون خاضعاً لمحيطه الطبيعي اقصى الخضوع، والذي يسير أفراده بدافع السليقة والشهوة يظل قاصراً عن مرتبة الحضارة»[١].

٤ ـ تعريف الشيخ شمس الدين للحضارة:

يقول الشيخ شمس الدين: «الحضارة ليست شيئاً في المطلق، وإنما هي شيء نسبي، هي ظاهرة ثقافية في مجتمع ما أوفي أمة من الأمم، هي ليست شيئاً تجريدياً وموحداً. . وإلى جانب هذا هي فعل في الطبيعة، وتطلق على التقدم المادي والروحي للأفراد والجماهير على السواء. . . لكن يبقىٰ السؤال عن أية حضارة نتحدث عن الحضارة الإسلامية غير الموجودة وغير القائمة فعلاً، أو عن الحضارة الغربية المادية القائمة فعلاً والسائدة في كل العالم. . .»[٢].

---

(١) زريق قسطنطين، في معركة الحضارة، ص ٤١. دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٦٤.

(٢) الشيخ شمس الدين، محمد مهدي، مجلة المنطلق، وجوه الحضارة، العدد الثالث =

إن التطور المادي والروحي من شأنه أن يؤدي إلى التكامل والسعادة في حياة الإنسان، وإذا كانت الحضارة الغربية هي السائدة اليوم، فيمكننا من خلال معرفتنا لجوهر هذه الحضارة ولما تقوم عليه، أن نعتبرها حضارة مدعية للإطلاق، لأنها اعترفت في البداية أن للآخرين من مسلمين وغيرهم دوراً كبيراً ومساهمة فعالة فيما وصلت إليه الحضارة العالمية، لكنها ما لبثت أن تراجعت لتدعي بأنها المساهمة الوحيدة في الحضارة العالمية. لقد أعطت نفسها أكثر مما تستحق من الفعلية، وهذا أدىٰ بشكل أو بآخر إلى رفض الآخر

= عشر ١٤١١ هـ. ص ٤. وقارن مع ألبرت أشفيتر الذي يعرّف الحضارة بالتقدم المادي والروحي، را: فلسفة الحضارة، ص ٣٤، وقارن مع مالك بن نبي في شروط النهضة، الذي يرىٰ أن الحضارة ليست أشياء مبعثرة ملفقة، ولا مظاهر خلابة وليست الشيء الوحيد، بل هي جوهر ينتظم جميع أشيائها وأفكارها وروحها ومظاهرها، وقطب يتجه نحوه تاريخ الإنسانية. ص ٢٣٩. وقارن مع السيد فضل الله في مجلة المنطلق، العدد ٦٢، كانون الثاني، ١٩٩٠، ص ١٣٢، يقول السيد: إن الحضارة تمثل مزيجاً من الجانب المادي والجانب العاطفي والعملي الذي يتقاطع مع حركة استلهام ذلك كله في حركة الإنسان في الحياة. وقارن أيضاً مع محسن الميلي في مجلة الإنسان، العدد الأول ـ السنة الأولىٰ ١٤١٠، ١٩٩٠. ففي هذا العدد جاء الحديث عن النسبية الثقافية بما هي مصطلح حضاري واضحاً وكاشفاً، ومن جملة ما قاله الكاتب: «إن لكل شعب ثقافة مميزة تعبر عن روحه وتلخص تجاربه ومميزاته التاريخية، وإن النسبية الثقافية تقول بأن لكل مجتمع ثقافة مميزة وإن كل شعب أضاف وساهم في الحضارة العالمية، (ويمكن أن نضيف نحن بدورنا إلى ما تقدم أن الحضارة القائمة اليوم (الغربية) ما كانت لتصل إلى هذه المرحلة المتقدمة لو لم يأخذ الغرب بكل إنجازات العالم الإسلامي، وسنبين لاحقاً كيف أن الإسلام والمسلمين قد تمكنوا من تأطير وتكييف كل الأطر الحضارية سابقاً. إن أي شعب لا يستطيع أن يدعي احتكار التطور وأنه الوحيد الذي ساهم في الحضارة العالمية)، ومما أضافه الباحث أيضاً أن النسبية الثقافية تنفي مقولة (أنجلز) في أن كل تقدم في الحضارة كان خطوة نحو الحرية، ومقولة (هيغل) التي تفيد أن التاريخ يتقدم نحو العقل والحرية. . . لاشك أن هناك مكتسبات في إتجاه العقل والحرية ولكن هناك أيضاً انتكاسات وانعطافات تنفي مصداقية الإتجاه التطوري في تفسير التاريخ الثقافي فالنسبية الثقافية من شأنها أن تؤدي إلى تحرير الأفراد من الولاء الأعمىٰ لثقافتهم ومساعدتهم على التسامح في المعاملة مع الآخر وعلى المرونة في قبول التغييرات والأضافات والمبادرة بها داخل ثقافتهم. . .

وعدم الإعتراف به، فالغرب اليوم وعلى رأسه أمريكا يقول أنا ربكم الأعلى» ويجب على العالم الآخر أن يقوم بأداء واجب العبودية له، كما أنه يدعي أيضاً ما كان (أنجلز وهيغل) وغيرهم يدعيانه من أن الحضارة والتقدم فيها كان خطوة نحو الحرية والعقل. . .

وهنا يمكن أن يقال بأن التطور المادي، أو ما يسمىٰ بالحضارة الغربية، لم يبق على شيء من الأخلاق والحرية والعقل، ولا يوجد في هذه الحضارة ما يقوي روحية الإنسان حتىٰ يكون قادراً على أحداث تكامل ما في حياته[1]. لقد هزم الإنسان أمام تقدم المادة مما أدىٰ إلى انتكاسات وانعطافات خطيرة في المجتمعات البشرية، وها هي اليوم ترزح تحت وطأة ما يسمىٰ بالعقل والحرية، فالعقل لم يعد عقلاً، والحرية لم تعد حرية، والإنسان لم يعد إنساناً في أوروبا، وانعكس هذا الوضع على الدول الأخرىٰ التي لم تعد تحتفظ بشيء من ثقافتها وإنسانيتها. . . فضلاً عن انتخاب رئيسها بعشرة أصوات أحياناً. . . !!!

نعم لقد انقطع الحوار والتفاعل مع الآخرين، وأصبح العقل (صاحب التقدم) في أوروبا، يتعامل مع الآخر بمنطق الولاء الأعمىٰ لحضارته ولثقافته إن صح أن له ثقافة[2]؟.

(١) من جملة ما وصف به روجيه غارودي حضارة الغرب وثقافته: «إنها ثقافة شوهاء، فليس الغرب إلا طوراً من أطوار الحضارة ليس أحسنها ولا أفضلها ولا أكثرها إنسانية وتقدمية. وقد تجل ذلك في كلمته الشهيرة: الغرب عرض طارىء لا قدرة له على إقامة حوار حقيقي بين الحضارات (بسبب ولائه الأعمىٰ لثقافته وحضارته). را: مجلة الإنسان، محسن الميلي، م. س. ص ١٥.

(٢) من أين يكون له ثقافة، وهو على ما هو عليه، وأعني الغرب ـ من فساد في داخله وخارجه، هذا فضلاً عما يتميز به من جاهلية على مستوىٰ النظرة إلى الوجود والإنسان، وعلى مستوىٰ العلاقة مع الآخر الذي كان له الدور الكبير في الوصول إلى ما وصل إليه الغرب، إنها حقاً ثقافة شوهاء ينقصها الكثير حتىٰ تكون ثقافة حقيقية، باعتبار أن الثقافة هي ذلك المركب الكلي الذي يشتمل على المعرفة، والمعتقد، ولفن الأدب، والأخلاق، والقانون، والعرف. . . والقدرات والعادات الأخرىٰ التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع، هذه هي الثقافة كما عرفها (تايلور) في كتابه الثقافة

إذن الشيخ شمس الدين يقول بنسبية الثقافة، وبكل ما تحتوي عليه الثقافة، ويعترف بأن ما يوجد في الغرب هو حضارة مادية قضت على إنسانية الإنسان، كما أنها منعت الإنسان من الإعتراف بأخيه الإنسان. وشجعته على الولاء الأعمىٰ لحضارته. وسمحت له بأن يطغىٰ ويستعمر الآخرين من منطلق أنه الأقوىٰ وصاحب حضارة، فلو كان عند الغربيين ذرة من العلم الحقيقي لما

= البدائية: أنظر جان فريمون «تلاقي الثقافات والعلاقات الدولية» في مجلة العلاقات الدولية، العدد ٢٤ وقد ترجمته مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت العدد ٢٩، ص ٨٥، وقارن أيضاً مادة الثقافة الإنسانية في دائرة المعارف البريطانية.

فإذا صح أن هناك ثقافة في الغرب، فهي شوهاء، ولا يصح أبداً أن نطلقها على مجتمع لم يعد يعرف شيئاً عن القيم والأخلاق والتقاليد والأعراف والدين والمعتقد، وغير ذلك مما ينسجم مع روح الإنسان وتتلاقىٰ معه، إن ما عند الغرب هو المادة فقط وما ينسجم معها من شهوة ولذة وزنا وربا ومخدرات، وقتل وإجرام وفواحش واستعمار وهيمنة وسرقة، ولصوصية وسلاح نووي يهدد به الفقراء، وغير ذلك مما يطلق عليه اليوم إسم الحضارة الغربية. . .

وإذا صح أن الهنود الحمر في أمريكا عندهم ثقافة، وأن هناك ثقافة الأسكيمو ولا نستطيع أن نصنف ثقافة هؤلاء في دائرة الحضارة، فإنه يمكن أيضاً أن لا نصنف ما عند الغرب من تكنولوجيا ومقتنيات مادية بأنه ثقافة أو حضارة وقد أشار المفكرون الغربيون، لاسيما الإلمان منهم إلى مثل هذا القول حينما أجمعوا على أن الحضارة تقتصر على الإنجازات التقنية والمعرفة العلمية الموضوعية التي يمكن أن تقاس قياساً كمياً.

را: معنىٰ زيادة، معالم على طريق تحديث الفكر العربي، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٧، ص ٤٥. وهنا نتساءل أين هي روح الإنسان. . .؟ وأين هي الثقافة الحقيقية التي هي ذلك المركب الكلي الذي أشار إليه إدوارد تايلور، مادامت الحضارة تعني فقط بالجانب العمراني ـ والتكنولوجيا والمقتنيات المادية؟. أين هي الثقافة النسبية والعالم كله مغلق على نفسه ومنفتح على كل ما فيه شقاؤه؟؟

لقد مات الإنسان في أوروبا، ويحاول الشرق (بما يتمتع به من ضمير متعب على حد تعبير نيتشه) إحياءه!؟ لقد مات الإنسان!! يوم فتن بثقافة شوهاء، بحضارة، بآلة صماء، بشهوة، بفحشاء، برائحة نتنة تزكم الأنوف وتقطع الأنفاس. . .! لقد مات الإنسان. . . فلتكن الحياة بالإسلام والموت عليه. . . فلتعد تلك الحضارة بما هي ثقافة، بما هي أصالة، بما هي وجود لعل الإنسان يستطيع أن ينفض غبار العدم والعبودية عنه. . . فليعد الإسلام إلى الحياة إذا كان لابد من عودة الإنسان إليها. . .!

أقدموا على نفي الآخر، ولما ادعوا أنهم أصحاب عقل وحرية، إذ أنه كيف يمكن التسليم بأن هناك تقدماً نحو الحرية، وكلنا يرىٰ أنه كلما تقدم العالم وطور من تقنياته، كلما انحدرت قيمه الأخلاقية، وأقيمت نظم سياسية واجتماعية واقتصادية تشجع الاستبداد وتمارسه!؟ «فقد ظهرت في العصر الحديث أشكال جديدة للهيمنة والاستعباد لم تظهر في العصور القديمة حتى في أيام الرق والاقطاع. . . »، بمعنىٰ آخر إن القيم والنظم السياسية. . . لم تتطور بنفس الأسلوب التي تطورت فيه التكنولوجيا. . .

الشيخ شمس الدين يعتبر أن الاستعمار والهيمنة بدأت منذ أن بدأ الغرب بنفي الآخر ونكران جميله ومساهمته في الثقافة والحضارة، وها هم الآن يحدثوننا عن ما يسمىٰ بالمفاوضات ويدعوننا إلى الإعتراف المتبادل، نحن لن نعترف بقوم قتلوا الإنسان وحرموه من أبسط حقوق العيش والكرامة. بقوم لم يعرفوا من الإنسان إلا شهوته ولذته،بقوم ينفي علينا حقنا ويعتبر نفسه شعباً مختاراً. . . !

فالشيخ شمس الدين ينصح الأمة بأن تعترف، بل يدعوها إلى عدم التفاعل مع قوم كل ما عنده مشوهاً وعارضاً، ولا يملك إلا الحقد والكراهية لمن أمنوا بالإنسان الذي كرمه الله تعالىٰ. . .

أجل لم يعد عند الغرب شيء من النسبية، بل هو يقول بالمطلق في كل شيء في الفساد، والغباء، والإجرام، والأنانية، وأخيراً بالثقافة والحضارة!!! لكن ما ينبغي أن يتذكره الإنسان هو أن الذين سبقوا الغرب، وقالوا قوله. من أمثال فرعون، وقارون، وغيرهم من جبابرة التاريخ لم يدم لهم شيء فلتقل أمريكا «أنا ربكم الأعلىٰ» وليخنث العالم أجمع بسكوته على فرعون هذا الزمان، وسيأتي اليوم الذي سينتصر فيه الإنسان المؤمن بالله. . وكما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿**ولينصرّن الله مَن ينصره إن الله لقوي عزيز**﴾[1] وكما في قوله: ﴿**إنا لننصر رسلنا والذين أمنوا في الحياة الدنيا**﴾[2].

---

(١) سورة غافر، آية: ٥١.

(٢) سورة الحج، آية: ٤٠.

موقف الشيخ شمس الدين من الحضارة السائدة:

أجمع الفقهاء على وجود حضارتين منذ بدء الخليقة هما حضارة الحق، وحضارة الباطل، ولكل حضارة منهما منطقها الخاص، فالأولىٰ منطقها ـ كما بين الله تعالىٰ ـ **﴿قد أفلح مَن تزكي﴾**[1]، والثانية منطقها، **﴿وقد أفلح اليوم مَن آستعلىٰ﴾**[2]، فحضارة الباطل كانت ولا تزال تعبر عن نفسها بالإستعلاء والاستكبار، وحضارة الحق، كانت ولا تزال تعبر عن نفسها بالإيمان وتزكية النفس وغير ذلك من المبادىء التي تسمح للإنسان بالتعالي والكمال والفوز بدار الخلود.

كما أن لحضارة الباطل نماذج ذكر بعضها القرآن الكريم الذي أشار إلى حقيقة ما كان يدعيه «فرعون» أمام الملأ من أنه ربهم الأعلىٰ، وما علم أن لهم من آله غيره إلى ما هنالك من ادعاءات ليست من الحق في شيء، وكانت النتيجة أن هزمت هذه الحضارة أمام المؤمنين الذين كانوا مع النبي موسىٰ وأخيه هارون عليهما السلام.

والحق يقال أن هذه الحضارة (الباطل) ستهزم أمام المؤمنين في كل زمان حتىٰ وإن كان لها من الظهور ما ينخدع به البعض من الناس ممن يرون في حضارة الباطل ملاذهم المادي والشهواني، والتاريخ حافل بالشواهد على ما أصاب الباطل والمبطلين سواء على يد الأنبياء والمرسلين أم على يد الأئمة والصالحين. ولو أردنا الدخول في متاهات القرن العشرين الذي تتحكم به حضارة الباطل ومنطقها؛ لقلنا أن هذا القرن سيصاب بما أصيب به أي قرن آخر من طغيان الباطل ومن ثم انتصار الحق عليه كما قال تعالىٰ: **﴿كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال..﴾**[3].

---

(١) سورة الأعلى: آية: ١٤.

(٢) سورة طٰه: آية: ٦٤.

(٣) سورة الرعد: آية: ١٧.

الله سبحانه وتعالىٰ يقول ﴿**وتلك الأيام نداولها بين الناس**﴾[1] وهـذا ما ينبغي أن يعتبر به كل إنسان لأنه يتمتع بالعقل الذي يستطيع من خلالـه معرفـة كل ما جرىٰ في الماضي، وما يجري في الحاضر. إنـه العقل الـذي يستطيـع قراءة الأحداث جيداً بحيث لا يفاجأ بأي حـدث من الأحداث. لكن الإنسـان مات حينما تخلىٰ عن مهمة أعمال العقـل في التاريـخ والزمـان، مما أدىٰ إلى خروجه منهما من غير أن يكون له تـأثير فيهمـا، باعتبـار أن الإنسان هـو الذي يعيش الـزمان ويصنـع التاريـخ وليس الإشنياء التي لا تتمتـع بما يتمتـع به من عقل وإرادة. . فإذا كـان الإنسان عـاجزاً عن إثـارة دفائن عقله، فكيف يكـون قـادراً على صنع الحضـارة وتكييف كل مـا يحيط به من أطـر حضاريـة. . . ؟ فالإنسان المسلم في المـاضي استطاع أن يبني حضـارته ويؤلف ثقـافته، لأنـه كان حياً يعتبر بما مضىٰ وجرىٰ، ويقتدي بالخلفاء الصالحين، ويسمع لنصائح المـرشدين، حتىٰ انتهىٰ بـه الأمر إلى صنـع الشخصية الحضـاريـة أولاً، ومن صنع الواقـع الحضاري ثـانياً بمـا هو انعكـاس لما في النفس من قيم ومعـرفة وأدب وعلوم، وقبل كل هذا، لما في النفس من تقوىٰ وإيمان بالله الذي خلق فسوىٰ، وقدر فهدي»، فالحضارة هي قبل كـل شيء صناعـة للذات، وليست هدية تهدي، أو كلمة تلقىٰ، أو بضاعة تباع، أو أكذوبة تشاع. . . إنهـا حقيقة حية في الزمان، وما على الإنسـان إلا أن يكون حيـاً بحيث لا تزعـزعه أهـواء الباطل، ولا تغريه ماديات الحياة. . . !؟

إذن الشيـخ شمس الدين، وكمـا سنذكـر لاحقاً ـ يبحث عن الشخصيـة الحضارية التي أعطت الماضي كل أبعاده، ويحث هذا الحطام البشـري على النهوض في وجه حضارة الباطـل التي باتت تـأتيه من بين يـديه، ومن خلفـه، ومن كل مكان. إنه بالفعل حطام بشري يستورد الحضارة من دون أن يكون له دور في صنعها، ولا تأثير فيها، وكـأنه لا يملك شيئـاً يمكن أن يبعث فيه على الأقل التنبه لها، والانتقاء منها. فهو يتكيف معها مادياً وتحول نظرته. . وتبدل قناعته: . . . وكـأنه آلـة صماء تحـرك إلى أي اتجاه نـافياً عن نفسـه الكينونـة

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٤٠.

الحرة، وباعثاً فيها ما يجعل منها صنماً لا حراك به... إنه الإنسان!!

يقول الشيخ شمس الدين: «الحضارة ليست شيئاً تجريدياً، وإنما هي تعبير الإنسان عن تكيفه مع العالم في المادة والفكر والتنظيم... وهو - أي الإنسان - منذ وجد يبحث عن صيغ: أكمل لتكيفه مع العالم... مع مجتمع يبحث باستمرار عن هذه الصيغ الأكمل... إنها منهج معرفة وفهم الأمة للحياة...»(1).

إن الإنسان الذي ذابت شخصيته في الآخرين ممن يتساوون معه في ذوبان الشخصية لا يستطيع التكيف مع العالم ولا التأثير فيه، ولا قدرة له على إقامة علاقات متوازنة مع البشر، ولا على الحوار معهم، فحرىٰ بهذا الإنسان أن يكون غير قادر على التأمل والتبصر بعيداً بحيث يفهم ما معنىٰ الوجود والطبيعة والغيب وكل الحقائق التي تحتاج إلى عقول، وإلى شخصية تمنهج الحياة معرفياً، وتثبت دورها إنسانياً وإيمانياً، وتنطلق في بناء المجتمعات إسلامياً، وتصنع الحضارة روحياً ومادياً...(2) ومن أين يكون هذا والشخصية معدومة، والعقول عقيمة لا تنتج أفكاراً، والقلوب مقفلة لا تعرف إقبالاً ولا إدباراً... إنه العدم لشخصية كنا نتمنىٰ «أن يكون لها إرادة العدم خير من أن لا يكون لها إرادة بالمرة»(3).

---

(1) الشيخ شمس الدين، محمد مهدي، مجلة المنطلق، ع. ن. قا: مع الدكتور سليمان، سمير، الإمام الخميني والمشروع الحضاري الإسلامي، دار الوسيلة، ط ١، ١٩٩٣، ص ٢٠.

(2) م. ع. م. ن. وقارن: مع السيد فضل الله، في المشروع الحضاري الإسلامي، مؤسسة العارف، ط ١، ١٩٩١، ص ٥٤. «الذي رأى بأن مسألة أن تكون لك حضارة، هي مسألة أن تكون لديك شخصية تنتمي إلى هذه الحضارة وتنفتح على كل قضايا الواقع من خلال هذه الشخصية.

(3) إن أول من تمنىٰ أن يكون للناس إرادة العدم هو الفيلسوف الألماني (نيتشه)، لأنه كان يرىٰ الناس في حياتهم كأنهم أشباح بلا أرواح، وقد ساءه هذا الوضع لدرجة تمنىٰ الموت على أن يراهم هكذا!: را: كتاب الفيلسوف، أصل الأخلاق وفصلها، ترجمة حسن قبيسي، دار مج، ط ٢، ص ٩٥.

إذن ما يسود العالم الآن هو انعدام الشخصية، وسيطرة المادة على كل شيء، وقد يصح القول أنها أصبحت الكلمة الرديفة لحياة الإنسان، وبما أن الهدف هنا هو التعريف بالمشكلة الحضارية التي هي مشكلة الإنسان، فإننا نكتفي بالإشارة إلى جوهر الحضارات من دون ذكر التفاصيل العائدة لكل من الحضارتين الآنفتي الذكر. لأن من شأن التفاصيل أن تغرق البحث علماً بأن هناك مئات الكتب التي تحمل عنوان الحضارة، ولو أردنا ذكر التفاصيل لما كان بالإمكان الإكتفاء بهذا البحث عن جوهر الحضارة والمواقف منها. . .

وهنا نود الإشارة إلى أن كل حضارة تكون على شاكلة أصحابها، ففرعون مثلاً كانت له أفكار وأطروحات تتلاءم مع مافي نفسه من استكبار واستعلاء، كما هو الحال بالنسبة لأمريكا اليوم، وكذا الأمر بالنسبة للنبي (ص) الذي أسس لبناء حضارة إسلامية مميزة من حيث أفكارها وأطروحاتها وشخصيات القيمين عليها، الذين كان منطقهم «قد أفلح من تزكي» فحضارة الباطل تغيب شخصية الإنسان، تغيبه عقلاً وروحاً، وتجعله غريباً عن ذاته، أما حضارة الحق، فهي التي ينطلق فيها الإنسان من ذاته تمهيداً لبناء العالم الخارجي الذي تنعكس عليه صورة النفس فتجعله أكثر لمعاناً، هذا الإنعكاس لا يذهب بالنفس إلى حد الإفتتان بالطبيعة والمادة لدرجة تصبح النفس معها أسيرة الواقع الخارجي، بل يبقىٰ الواقع أسير النفس وعلامة من علاماتها، ولهذا فإنه حينما يقال بأن حضارة الحق هي حضارة التوحيد والفطرة والدعوة إلى الله وعبادته إلهاً واحداً لا شريك فذلك انما معناه أن الإنسان الموحد لله تعالىٰ قد أثار ما في نفسه، وعبر عن شخصيته المتوازنة، (من خلال فطرته السليمة، وتوحيده الخالص لله تعالىٰ) وأعطاها بعدها في الواقع من دون أن يفتتن بما أنجز من ماديات، ومن دون أن ينسىٰ أنه شهد لله بالربوبية في عالم الذر، بل بقي متذكراً لله من خلال ما خلقه فيه، ومن خلال ما أقدره عليه. (على صنعه وإبداعه). . . وهذا ما عبر عنه الإمام علي (ع) والله ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله ومعه».

أما الحضارة الشيطانية، فهي التي تغيب فيها ومعها شخصية الإنسان نتيجة لسيطرة هوى النفس عليها، وحينما تصاب هذه النفس بالغرور تنمحي

كل آثار الشهادة لله تعالىٰ، ويتحول إنتاج الإنسان إلى فتنة له، ويظن بنفسه خيراً في كل ما يفعله، وهذا الإنسان الغائب تراه يستغرب حينما يرد عليه منطقه الاستعلائي ﴿وقد أفلح اليوم مَن استعلىٰ﴾، ويرىٰ أن الهيمنة والاستعمار شيء طبيعي مادام هو الأقوىٰ «شخص، أو دولة ترىٰ نفسها لكن من دون وجه حق، وهذا المنطق يحكم اليوم أغلب المجتمعات المادية والدول العظمىٰ»[1] إن حضارة الحق هي التي عرفها البشر على يد الأنبياء والمرسلين والأئمة الصالحين ومن تبعهم من علماء المسلمين، حيث أنها ميزت العالم بالروحية والمادية، وبما أحدثت فيه من توازن، وبما بعثت في الإنسان من قدرة على الإستفادة من طاقاته وقدراته في التفاعل مع الطبيعة، وفي التكيف مع المحيط، وفي التواصل مع الغيب، إنها حضارة حق تحولت إلى حطام حضاري بسبب تخاذل المسلمين، وابتعادهم عن دين الله تعالىٰ، ودخولهم في الجاهلية من جديد، وكأن خروج الإنسان من الظلمات إلى النور قد أفاد عكسياً، فتحولت رؤية النور عند السياسيين إلى ظلام، ورسالة الإسلام إلى أضغاث أحلام، فعاد الإنسان قديماً كما كان يعبد الأزلام لسان حاله يقول، لانبي أرسل، ولا وحي نزل، تلك هي حالة الإنسان في القرن العشرين. لقد خرج الإنسان عن إطاره العام، وعن مبادئه مما أدىٰ إلى تخلفه وضياع حضارته بعد أن كان سيداً في عالمه وعالم الآخرين... !!؟

يقول مالك بن نبي (ويوافقه الشيخ شمس الدين): «إن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارية، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته مالم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية، وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها»[2] فمن أين تكون الرفعة والارتفاع ويفاع الحقيقة، والإنسان عاد إلى حضيض المجاز بسبب تهاونه بالقانون والفكر الذي أوصله في الماضي إلى قمة العلى؟؟

---

(١) الشيخ شمس الدين، محمد مهدي، مواقف ودراسات، ج ٢، ص ٢٧.

(٢) را: مالك بن نبي، شروط النهضة. دار الفكر بدمشق، ١٩٧٩، ص ١٩، وقا: مع الشيخ شمس الدين في مجلة المنطلق، العدد ١٣، ١٤٠١ هـ.

بـل أي حـدث إنسـاني هـذا يبعث في الإنسـان القلق على المصير والحرية، والكرامة، وفكرته لا تزال تهوىٰ في الماضي البعيد لتصنع منه صنماً وجموداً لا يسأل عن خطب فادح ولا عن حدث جليل؟ إنها الجاهلية الجديدة التي تتصل بالماضي في ظل غياب إرادة الإنسان وعقله وكينونته الحرة، يقول الشيخ شمس الدين: «إن حركة التاريخ لا تحدث حارج إرادتنـا بالـرغم منا، وإنما نحن الذين نمهد للتغيرات الكبرىٰ في حياتنا، هكذا ببساطة غير نفسك تغير التاريخ، فلنرجع الآن إلى حاضرنا لنـرىٰ ماذا ينقصنـا، ولنرىٰ لمـاذا حل بنا ماحل، ولنرىٰ صنع أيدينا كيف تحول إلى استعمار ويهود ولاجئين»[1].

هـذا هو حـاضر الحضـارة بعد مـاضيها المشـرق (التي امتدت لـزمان، وجعلت من الإنسان المسلم قائداً حياً، ونوراً يضيء الآفاق، حتىٰ قيل بشأنـه ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب والمسلمين»[2].

إن الذي يعاني منه هذا العالم اليوم ـ كمـا يقول الشيـخ شمس الدين ـ هـو عدم حضـور الإيمان في حيـاة الناس، وإذا حضـر لا يكون لـه أيـة قيمـة عملية، في حين أن الله تعالىٰ قـد قرن في كتـابه العـزيز بين الإيمـان والعمل الصالح» حيث قال تعالىٰ: ﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات**. . .﴾ إن تغيير التاريخ، وبناء الحضارة المتوازنة لا يمكن أن يتم بمعزل عن الإيمان والعمـل الصالح، ولهذا نحن نجد أن الحضارة السائـدة اليوم تبنىٰ على أسـاس مادي محض، وتقـاس ـ كما أسلفنـا ـ قيـاسـاً كميـاً، على خـلاف مـا كـانت عليـه الحضارة الإسلاميـة في القرون السـالفة إذ أنهـا كانت تتميـز بحضور الإيمـان فيها، وتدمـج جميع العلوم في كـل عضوي واحـد[3]، وتهتم بالمـادة والروح

(١) جاء هذا الكـلام في خطاب سيـاسي القاه الشيـخ شمس الدين في النجف الأشـرف، سنة ١٩٦٥.

(٢) أنظر كتاب حضارة العرب للكاتب والمؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون ص ٣، وقـارن: مع مالك بن نبي شروط النهضة، ص ١٤٨.

(٣) يقـول روجيه غـارودي: «إن التصور العضـوي للعلم هو اليـوم قيم لمحاربـة التشـظي الثقافي، إذ أن فصل كل علم عن المجموع العضوي الذي يعطيه لا يعني تشجيـع نمو إنساني للمعرفة، بل تكاثراً سرطانيـاً لمعارف جـزئية تنتشـر بشكل أعمىٰ وهكـذا تنتشر =

معــاً، ولا تقلل من قيمـة أي علم على الإطـلاق مثلمـا هـو حـاصـل الآن في الغرب الذي يفصل بين العلوم ويجعل الحضارة تعني بالجـانب العمراني ومـا يشبهه من مقتنيات مادية وتكنولوجيـة فقط، وهذا الإعتنـاء اللامتنـاهي بالمـادة سببه أن الإيمان غير فاعل في حياة الغربيين، ولو كان له ثمة وجود في حياتهم وقلوبهم لأدركوا أن كل ما في الكون هـو واحد، ويكشف عن وحـدة الحقيقي الذي يتجلىٰ من خلال هذا المتعدد. ـ كما يقول الشاعر: «وفي كـل شيء له آية تدل على أنـه واحد». إن انعـدام الإيمان أدى إلى الفصـل بين العلوم في الغرب، وإلى الاعتماد الكلي على المعـرفة العلميـة الموضـوعية بمعـزل عن العلوم الدينية والأخـلاق. . . وهذا أدىٰ بـدوره إلى حضارة شـوهاء. . . !! إن الذي ينقصنا هو هذا، هو أننا فصلنا بين الإيمان والعمل، بين العلوم الطبيعية والعلوم الدينية، بين الإنسان وذاته بين عقيـدة التوحيـد ووحدة الأمـة! فتحول عـالمنا إلى حـطام بشري، حضـاري: لذا فـإن التمهيـد للمتغيـرات، وتغييـر التاريخ، إنما يبدأ في حياة المسلمين حينما يعـودوا إلى أنفسهم ليروا مـا حل بهـم، وما صنعوه بأيديهم ـ من استعمار ويهود ولاجئين ـ. . . ليعرفوا أن تقليـد الغرب في كل شيء، من شأنه أن يؤدي إلى محو شخصية الإنسـان المسلم،

= علوم الغرب وحضارته بلا وعي لعلاقتها مع المجموع الـذي يمنحها معنىٰ، وبـلا وعي لغايتها الإنسانية، إن حكمـة الإيمان تـدمج جميـع العلوم في كل عضـويّ واحد، لأن موضوعهـا ـ كلها ـ عـالم، هو ـ في مجمله ـ تجـلٍ، وتجسيد لآيـات الله، ففي الكون يكشف الواحد الأحد (الله) نفسه ويتبـدىٰ من خلال المتعـدد بواسـطة ألف رمز. . . إن واحدة من الخصائص الأساسية للعلوم العربية، والتي تتفرع من مبدأ الوحدة هـذا، هو استقلاليتها، ليس ثمة فصل بين علوم الطبيعية وعلوم المرئي من جهة، والعلوم الـدينية من جهة أخرىٰ. وما من حاجز عازل بين العلوم المختلفـة وهذا مـا يفسر العـدد الكبير من العبقريات المـوسوعيـة في الثقافـة الإسلاميـة وهذه الـرؤية التـوحيديـة تفسر أيضـاً الأهمية التي تعطيهـا الحضارة الإسـلامية لتصنيف العلوم: فبتـوضيحها وحـدة الحقيقي ووحـدة المعرفـة التي يمتلكها الإنسـان، نجد أنفسنـا مدفـوعين من تـأمـل العـالم إلى وحدانية الخالق التي تشكل وحدة الطبيعة صورة لها. را: روجيه غارودي، الإسلام في الغـرب، ترجمـة د. محمد مهـدي الصدر، دار الهـادي، بيـروت، ط ١ ١٩٩٠، ص ٢١٥.

وإلى الاعتماد الكلي على المعرفة المادية في تفسير الكون والحياة. . . والإنسان. . !؟

إن التوغل في الماضي البعيد الذي تتصل جذوره بالجاهلية، سبّب غياب الإرادة، وهو الذي جعل منا أنصاراً لحضارة الباطل المتمثلة بالغرب[1]، وطلاباً لها بعد التخرج من مدارسها بطريقة اصطناعية، وهو الذي أفرز الاستعمار والجاهلية والنظرة المادية للكون والإنسان. فمن أين الارتفاع بالفكرة إلى الحدث، وكيف يكون التمهيد للتغيرات الكبرىٰ في حياة الإنسان؟ إنها أسئلة صعبة جداً، ويصعب على عالمنا بناء الحضارة مجدداً إذا استمر بتوغله في هذا الماضي البعيد الذي غير الإسلام صورته، وبدل قناعته، وجعل منه شيئاً جديداً كما قال رسول الله (ص): «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض»[2].

وهنا نقول في إجابة على ما ورد من تساؤلات. إن الموقف من هذه الحضارة القائمة فعلاً اليوم هو موقف من الباطل الذي هو في صراع دائم مع الحق منذ أن برأ الله الخليقة وسيستمر هذا الصراع إلى يوم القيامة، وما يؤسف له هو أن العالم الأسلامي اليوم من خلال أنظمته السياسية والإجتماعية والاقتصادية يهادن هذا الباطل ويتعاطف معه إلى حد القبول به والتقليد له في كل شأن من شؤون الحياة، لقد عاد الإنسان ليعمل ضد مبادىء الله وقوانينه كأنما لا نبي أرسل، ولا وحي نزل،! فمنطقه التقليد، وعقيدته الدهر، عاد ممثلاً لأولئك الذين قالوا: **﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن**

---

(١) حضارة الباطل تبدأ من هذا العالم وتنتهي إليه على قاعدة أن الخير هو أن يكون لك أقوىٰ ما يمكن من الرغبات، وأن تجد الوسائل لتحقيقها، وفاق القانون اللاخلاقي لأمبريالية آتينا الذي قام عليه صرح الغرب الحديث الذي يقول «مملكتي في هذا العالم وحده رداً على النصرانية التي تقول «إن مملكتي ليست في هذا العالم. . . را: سمير سليمان، المشروع الحضاري الإسلامي، الإمام الخميني، م. ص. ص ٢٤.

(٢) سيرة ابن هشام، تحقيق مصطفىٰ السقا، ط ٢، ١٣٧٥ هـ، ١٩٥٥، ج ٢، ص ٦٠٤.

بمبعوثين﴾[1] **﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾**[2].

إن الموقف من هذه الحضارة هو موقف الإسلام منها، موقف المسلمين الذين أقاموا صرح الحضارة الإسلامية المتضمنة لتلك الرؤية التوحيدية، وستعود هذه الحضارة إلىٰ العالم يوم يتغيير الإنسان في نفسه، لأن الحضارة السابقة قامت وتألقت وازدهرت كل العلوم فيها لأن الإنسان المسلم كان يملك رصيداً داخلياً، وثقافه أصيلة تمكن من خلالهما من الإستمرار جديداً في حياته «هكذا حدثت المعجزة الإسلامية برغم القلة، وبرغم الذلة، وبرغم وجود الأعداء في الداخل من اليهود والمنافقين، ومن دون أي تغيير نوعي في العناصر الخارجية وفي شروط المعركة, . . لقد كان التغيير في الإنسان هو الذي حول كل شيء، وقد تم هذا وفقاً لقاعدة قرآنية تقول: **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم﴾**[3] وقوله تعالىٰ: **﴿ذلك بأن الله لم يكن مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم، وأن الله سميع عليم﴾**[4][5].

إن معنىٰ أن يتخذ الإنسان موقفاً سلبياً من حضارة الغرب وهو على ما هو عليه من فساد في نفسه، معناه عدم جدوىٰ اتخاذ هذا الموقف، ومن هنا فإن التغيير وصلاح الأنفس هو الكفيل بسحق حضارة الباطل مهما كانت قوية، وإن أي موقف يتخذ ـ من موقع صلاح الذات، لابد أن يكون فاعلاً ومؤثراً في واقع الناس لجهة منع ظهور الأفكار المادية التي يتاجر بها الغرب في أسواق المسلمين، باعتبار أن أفكار الإستعمار الغربي، كسلعه تقبل من دون أي تردد. . . بسبب غياب الرؤية التوحيدية عند إنسان هذا العالم!!؟

إذن الارتفاع بالفكرة إلى مستوىٰ الحدث، هو الذي يجعل من الموقف

---

(١) سورة المؤمنون، آية: ٣٧.

(٢) سورة الزخرف، آية: ٢٣.

(٣) سورة الرعد، آية: ١١.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٥٣.

(٥) جاء هذا الكلام في خطاب سياسي ألقاه الشيخ شمس الدين في النجف الأشرف سنة ١٩٦٥.

موقفاً فاعلاً، وهنا نعود إلى ما ذكره (ابن نبي)، لنقول بأن المشكلة لا تبدأ بالفكرة وارتفاعها إلى مستوىٰ الحدث، ما دام هناك نفس مريضة فاسدة تقلب الأفكار، وتقبل بكل الأحداث، ولا يكون لها أي موقف منها، إن البداية والنهاية إنما تكون في النفس الإنسانية التي وحدها تعطي الإنسان القدرة على التحرر والخلاص من حضارة الباطل، وعلى بناء حضارة الحق باعتبار أن الإنسان يسأل الله تعالىٰ صلاح الذات أولاً، كما في قوله تعالىٰ: ﴿**وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين**﴾ ومن ثم يسأل صلاح العمل...

إن حضور النفس والإيمان، مع ما ينبثق عنه من تغيير داخلي، يعني حتماً وجود الفكرة الحية التي لا تلامس الحدث وحسب، بل تتعداه لتجعل من الزمان زماناً جديداً، فإذا كانت الفكرة حية، فذلك يعني حتماً وجود الموقف الحي الملاءم لطبيعة الإنسان ولفطرته...

وهنا نعود للسؤال ثانية، ماهي الأسباب التي أدت إلى هذا الحطام البشري، الحضاري عل حد تعبير الشيخ شمس الدين، وإلى تغيير نعم الله تعالى التي أنعم بها على المسلمين؟؟

من جملة هذا الأسباب التي لا يحتاج البحث عنها إلى كبير عناء، هي أن المسلمين يبحثون اليوم عن العناصر الخارجية، وعن شروط المعركة في الخارج، وعن العوامل التي أدت إلى انهيار حضارتهم، بمعزل عن أية التفاتة بسيطة إلى ما يوجد في داخلهم من خواء وفراغ وأمراض خبيثة تهدد وجودهم!؟

لقد روجوا أفكاراً اصطناعية تلقوها في الغرب ونشروها في ساحتهم مما حمل الكثيرين على تلقفها لملىء الفراغ الذي يعيشونه[1]، دون أي تأمل

---

(١) الفيلسوف الفرنسي، هنري برغسون يلفت النظر إلى أن كل من أقام في بلد غير بلده، وأراد بعد ذلك أن يلقن مواطنيه ماتسميه العقلية الأجنبية، يلقي منهم مقاومة غريزية... را: منبعا الدين والأخلاق، هنري برغسون، ترجمة سامي الدروبي) وعبدالله عبد الدائم، دار العلم للملايين، ط ١، القاهرة، ١٩٤٥، ص ٢٩٥.
من الغريب حقاً أن يكون هؤلاء (الذين عادوا من الغرب) قد قاموا بتلقين الشرقيين ما =

أو تبصر في مدىٰ ملاءمتهالطبيعتهم الإيمانية، ولفطرتهم الإنسانية الموحدة لله تعالىٰ. . . إنهم يتشدقون بعلوم وهمية، وبإشارات سلكية ولاسلكية، وبتوازنات استراتيجية، وكأن الله يغافل عما يعملون، انهّا حقيقة مرة، ولكن الحطام الحضاري يفرضها ويجعلها بارزة على جبين قمم العرب والمسلمين واتفاقاتهم مع مَن صنعته أيدينا، وأفرزته جاهليتنا الجديدة من استعمار ويهود ولاجئين! الموقف من الحضارة هو هذا، بغض النظر عن هذا العديد الممتد من طنجة إلى جاكرتا، ومن المحيط إلى الخليج، عديد متهم بالإرهاب في الوقت الذي تسبىٰ فيه نساؤه في أكثر من منطقة من العالم الإسلامي، في الصومال، وفي العراق، وفي فلسطين، وفي الجزائر. وفي البوسنة. . . إنه عديد ألهاه التكاثر حتىٰ تحول إلى عبد متهم. يعبد الحياة بنفس الطريقة التي يعبد بها النهم طعامه، إنه يلتهمه لكنه لا يحترمه، كما تقول الأمثال. . . !!!

نعم لقد انتصر الإسلام والمسلمين حينما كان يملك الإنسان رصيداً داخلياً، وفكرة حية عن الوجود والإنسان، والمصير، هذا الرصيد الداخلي، وهذا الموقف الحيوي أهله للإنتصار على كل الأنماط الحضارية والبيزنطية، والفرعونية، والساساتية، بطريقة حضارية، مكنه من تحدي كل الحضارات بما كان يملك من قيم ومبادىء وعلوم حياة، رصيد داخلي، بعث فيه القدرة على تكييف نفسه مع العالم في المادة والفكر والتنظيم، لأنه عرف كيف يستفيد من الرسالة السمحاء الخاتمة المتضمنة لكل معاني الحياة والخلود. . .

لكنه لما هجر الرسالة، تحول إلى ركام حضاري تبنىٰ عليه حضارات الآخرين وثقافاتهم من دون أن يكون له حق التكيف مع حضارة الباطل، (إلى

= تعرفوا عليه في الغرب من دون أن يجدوا أية مقاومة لهم، وقد ذكرنا سابقاً، أن طٰه حسين وغيره ممن تثقفوا غربياً قد دعوا إلى ضرورة أن يصبح جميع من في الشرق غربياً. إن الغربيين يستهجنون فعلاً هذا الأقبال الشرقي عليهم وهم يعرفون جيداً أنهم ليسوا بأهل كي يؤخذ عنهم كل شيء، لأن ما عندهم من ثقافة وحضارة قد شوه الكثير من معالم وجودهم، فكيف تكون هذه الثقافة مرغوبة عند الشرقيين، هذا ما يسأله بعض الغربيين العارفون بحقيقة ما عندهم من علوم وثقافة. . . !؟

هذه الدرجة وصلت حالة الإنسان) إلا بشـروط تفرض عليـه، وهو الآن يبـذل كثيراً من المساعي للحصـول على فتات من حضـارة الغرب وثقـافته فهـو يبيع مواده الخام، ومعادنه، ونفطه، وذهبه، وأرضه، وكل ما يملك لأجل أن يكون في مكتبـه كرسـي غـربي، أو عربـة غربيـة!!؟. إنـه وقـود في هـذه المعـركـة الحضارية، تلتهمه نيرانها، ويردمه غبارها. . . !؟

إنسان خسر كل شيء، وإذا كان له ثمة موقف فلا يتعدىٰ الإستنكار لما يجري في عالمه، ويكذب على نفسه في أنه يعبر عن رأيه بحـرية. . . وبـأنه إنسان حضاري مميز. . . !؟

أزمة الحضارة في العالم الاسلامي:

بعـد انتصـار الإسـلام الحضـاري، وهـو يختلف عن انتصـار الإسـلام السياسي الذي بلغ ذروته في القرن الرابع الهجري، واستمر متصاعداً إلى أن بـدأ ما يسمىٰ بعصـور الإنحطاط، بعـد هذا الانحـطاط لم تعـد هنـاك أزمـة حضارة، كانت أزمة الحضارة موجودة عندما كـان المسلم حياً يتحـرك ويصنع تاريخه. «أما حينما بدأ المسلم بالإنحطاط فلم تعد هنـاك أزمة حضـارة، لأنه لم يعد هنالك إنسان بالمعنىٰ الحضاري[1].

نعم لم يعد هناك أي انتصـار للإسـلام في حياة المسلمين، لا سيـاسي ولا حضـاري، لقـد انتهى كـل شيء عنـدهم منـذ أن بـدأوا يتـوافـدون على الغرب، وها هم اليوم يعانون من الهزيمـة على كافـة الصعد، ومـا تبقىٰ منهم يـطارد، ويقتـل ويختفي في السجـون، كم هـو دقيق هـذا الـوصف لحـال الإنسان، بعد عصر الإنحطاط، عصر النفس المغادرة لكنف الحرية، والباحثة عن العبودية لغير الله. . . !؟

هـذا الإنحطاط لم يكن من دون سبب، كمـا سنرىٰ في تعليـل الشيـخ شمس الدين وتحليله، بل له أسبابه الموضـوعية وأول هـذه الأسباب أن الأمـة الإسـلاميـة ارتـاحـت إلى انتصـاراتهـا، وتعبت من أحـلامهـا. من جهـادهـا،

---

(١) الشيخ شمس الدين، محمد مهدي: مجلة المنطلق، وجوه الحضارة، م. س.

وحاولت أن تستفيد من فوائد جهدها والتنعم بنعمة الراحة، والتوسع في متسع الأمن، وشرعت القوة الروحية الباعثة للعمل في الخمود، وقد أثبتت التجربة القطعية أن المجتمعات المؤتلفة لغرض هام كلما قلت أفرادها وقوي مزاحموها، أو أحاطت بهم الفتن والمحن كانت أكثر نشاطاً للعمل وأحد في الأثر، وكلما كثرت، كانت أكثر خموداً وأقل تيقضاً وأسفه حلماً. . . »[1].

إن الله سبحانه وتعالىٰ عبر عن هذه الحقيقة بقوله: ﴿**ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغنِ عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين**﴾[2].

كانوا مع رسول الله (ص) قلة ويحققون أعظم الإنتصارات، ولما كثروا أعجبتهم كثرتهم ولم تحقق لهم هذه الكثرة ما كانوا يحلمون به من انتصار على أعدائهم، لأنهم كانوا كلما كثروا عدداً، كلما خمدت سجاياهم النفسية والمعنوية باطناً، لكن الرسول (ص) كان يعمل دائماً من موقعه الرسالي على إحياء باطن هؤلاء، ويعلمهم بأن الكثرة لا تحقق شيئاً إذا لم يكن هناك رصيد داخلي، وروح معنوية ـ تبعث على الصبر وتحمل المكاره في سبيل الوصول إلى الهدف، وقد لاقىٰ (ص) على أيديْ هؤلاء المنطلقين من كثرتهم في تحمل المسؤولية، الكثير من المتاعب، وكان الرسول (ص) يلاقي على الهزائم ويحقق الانتصار بقلة قليلة من الناس الذين آمنوا ولم يكن لهم طمع في سلطة ولا في جاه، أو مال، أو غير ذلك مما يجعل الحاكم طامعاً بالحرب أو بالسلام من غير هدف حقيقي ونبيل. . .

لاشك أن الأمة الإسلامية عاشت قروناً في ظل حضارتها الراقية وثقافتها العالية حينما كان على رأسها الأئمة عليهم السلام الذين كانوا ينهلون من معين الإسلام لتحقيق العزة والكرامة لها.

ولما بدأ عصر الإنحطاط هو بدأ مع أولئك المستبدين، ومحبي الآثرة

---

(١) را: السيد الطباطبائي، تفسير الميزان، ج ١٩، ص ١٢٧، وقا: مع عبد الغني عبود، الحضارة الإسلامية، ص ٤٩.

(٢) سورة التوبة، آية: ٢٥.

والترف وتاركي الأسوة، مع الطامعين بالسلطة، الذين لا يملكون القدرة على توعية الأمة وإرشادها إلى ما يمكن أن يحفظها ويعزز مسيرتها الحضارية. بدأ مع حكام هم أحوج الناس إلى الرصيد الداخلي والروح المعنوية، تركوا الأمة تعجب بكثرتها، وتنام على اللدم، بهدف الإستفادة من كبوتها، مما أدىٰ إلى هذا الإنحدار والتخلف...

يقول عبد الغني عبود في كتابه الحضارة الإسلامية والحضارة المعاصرة: «إن الحضارة تولد في حالة يكون فيها البناء الإجتماعي الثقافي قد تكامل أو صارت الأمة مدفوعة في ضوء تكامله إلى أمام لتحقق أهدافاً عزيزة عليها، فتحقق تلك الأهداف، وتحقق وعلى طريقها ونجاحها حضارة، وعندما يصل التقدم الحضاري إلى ذروة معينة، يبدأ الإختلال في هذا البناء الإجتماعي الذي شيد في مراحل الكفاح الأولىٰ إما بتغلب فرد على الأمة واستبداده بها، وإما بتغلب طبقة من الطبقات على سائر الطبقات واستئثاره ـ دونها ـ بالمال والنفوذ، أو كليهما معاً، وأما سيادة الترف جميع الأفراد والطبقات، نتيجة للتقدم الحضاري الذي تحقق، (كما هو الحال في الحضارة الغربية المعاصرة) فيبدأ هذا الترف ينهش في خلايا الأمة الحية التي يقضي عليها تماماً»[1].

لقد مات الإنسان الحضاري في العالم الإسلامي، وماتت الثقافة الإسلامية، أو على الأقل أصبحت شوهاء تضر أكثر مما تنفع، وماتت السجايا النفسية والمعنوية لدرجة أنها لا تحرك ساكناً إزاء ما يحصل من منكر أمامها. كل ذلك نتج عن وجود حكام مستبدين ومترفين همهم الأول والأخير التنعم بخيرات الأمة وتجهيلها حتى يتسنىٰ لهم البقاء والتقلب بالنعم...[2].

---

(١) الشيخ شمس الدين، محمد مهدي، محاضرة القيت، في كلية الحقوق الجامعة اللبنانية، تاريخ ١٩٨٨/٣/٢٥. وقا: مع عبد الغني عبود، الحضارة الإسلامية والحضارة المعاصرة، القاهرة، ط ١، ١٩٨١، ص ٥٠.

(٢) ما أشبه المستبد في نسبته إلى رعيته بالوصي الخائن القوي على أيتام أغنياء، يتصرف في أموالهم وأنفسهم كما يهوي ما داموا قاصرين، فكما أنه ليس من صالح الوصي أن يبلغ الأيتام رشدهم، كذلك ليس من غرض المستبد أن تنور الرعية بالعلم، لأنها إذا =

أجل: بدأ الإنحطاط، وانهارت الحضارة الإسلامية التي استطاعت، ولطيلة قرون أن تكيف كل الأطر الحضارية، «بجعلها إسلامية بمستويات مختلفة من حيث العمق والأصالة والشمول. . . وغدا الإنسان المسلم في هذه الأطر التي كيفها الإسلام، غدا يشعر بالألفة بعد أن كان يشعر بالغربة»[1].

أمة إسلامية تعبث كثيراً، بل ضحت بالكثير من رجالها وأموالها من أجل تكييف كل الأطر، ومن أجل بعث الحياة في البشر، أو على الأقل التأثير فيهم، ومن أجل بناء الإنسان روحياً ومادياً حتىٰ يتمكن من الإستمرار في حمل الرسالة، وفي حفظ الأمانة، وفي بناء الحضارة دون انقطاع، باعتبار أن الحضارة إنما تتم بالجهد والإكتساب، فإذا تخلىٰ جيل عن القيام بدوره، فإن ذلك ينعكس سلباً على واقعه الإجتماعي، وعلى ثقافته، ومن ثم على حضارته «فالحضارة ليست شيئاً طبيعياً ـ حتىٰ يترك للطبيعة أمرها ، وإنما يجب أن يحصل عليها ويغذيها كل جيل، فإذا انقطع موردها، أو توقف انتقالها بصورة جدية تنتهي. . »[2].

إن ما حققته الأمة في السابق من تطور وتقدم على كافة المستويات، لم يحفظه من تولىٰ أمرها في قرون عديدة من الزمان، بل أضاعوا كل المكاسب، ولم يستفيدوا من الوقت، ولم يعملوا على الإستفادة من جهود السابقين من رجالات المسلمين الذين لم يقطعوا مورد من سبقهم ولا تنعموا فيه بل أضافوا إليه شيئاً جديداً بهدف حماية الأمة ونهوضها. أما أولئك الذين اكتفوا بإنجازات مَن سبقهم، فهم الذين دمّروا الحضارة[3]، وقطعوا التواصل الثقافي والحضاري بين الأجيال. إن ما حدث من تخلف وضياع

= وعت، يصبح من الصعب على الحاكم المستبد التنعم بخيراتها. . . را: عبد الرحمٰن الكواكبي، طبائع الأستبداد ومصارع الاستعباد دار النفائس، ط ١، ١٩٨٤، ص ٥٠.

(١) الشيخ شمس الدين، محمد مهدي، مجلة المنطلق. م. س.

(٢) را: مدخل إلى تاريخ الحضارة، د. جورج حداد، دمشق ١٩٥١، ص ١٩.

(٣) را: نظرية توينبي الحضارية، مستقبل الحضارة، دي بويسي /هولندي/ دار الكرنك مصر. ص ١١٧.

واستعمار وتبعية، وأزمات اقتصادية واجتماعية خانقة حملت هذا العالم على الاستعانة بالآخرين الذين يتربصون شراً بالإسلام والمسلمين، وكانت النتيجة أن سرق هذا العالم، ولم يبقَ عنده إلا الحطام. . . ولو أن الحكام الذين تعاقبوا على السلطة، حفظوا الأمانة، وقاموا بالمسؤولية لحققوا التواصل الحضاري، ولما كان الغرب هو المسيطر على بلاد المسلمين ومقدراتهم بعد أن سرق جواهر علمهم وعملهم. . . أجل، إن تخلىٰ الحكام عن واجبهم، واستسلامهم للدعة والرخاء هو الذي أحدث القطيعة بين الأجيال الإسلامية، ويضاف إلى كل ذلك إهمال هؤلاء للثقافة والتربية وغير ذلك مما يكمل الإنسان باطنياً[1]. . .

لو أن الحكام الذين تعاقبوا على السلطة رافقوا الأمة في مسيرتها، وانطلقوا مما انتهىٰ إليه من سبقهم، لكان بالإمكان الإستمرار بالحضارة الإسلامية إلى القرن العشرين من دون أن يكون للآخرين ممن فشلوا في صناعة الإنسان وتربيته أي دور في الحضارة: «لأن المدنية ليست شيئاً مجبولاً في فطرة الإنسان، كلا ولا هي شيء يستعصى على الفناء، إنما هي شيء لابد أن يكتسبه كل جيل من الأجيال إكتساباً جديداً فإذا ما حدث اضطراب خطير في عواملهاالاقتصادية أو في طرائق انتقالها من جيل إلى جيل فقد يكون عاملاً على فنائها»[2].

لكن الحكام سواء أكانوا أمويين أم عباسين وغيرهم وصولاً إلى حكام العرب والمسلمين في القرن العشرين، اقتصروا في عملهم على التربص،

(١) يقول غوستاف لوبون (مؤرخ وعالم فرنسي شهير): إن سبب فشل نظم العرب السياسية وسقوط دولهم هو أن الذي يقبض على زمام الأمور في دولهم رجل واحد بيده كل الحول والقوة ويجمع بيده كل السلطات العسكرية والسياسية والمدنية والدينية فإذا قتل هذا الولي أو مات إنهارت الدولة دفعة واحدة، ويؤكد على أن الدول والحضارات لا ترتقي إلا إذا كان على رأسها مجموعة رجال عظماء. . . (وهو يقصد الأمويين والعباسيين)، را: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر القاهرة، ط ٣، ١٩٥٦، دار إحياء الكتب العربية، ص ٦٠٨.

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت، ج ١، ترجمة زكي نجيب محمود، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية ١٩٧١، ص ٨.

وعلى التحكم السياسي من غير وجه حق، وكان بعضهم يقتل جيلاً بكامله لأنه اعترض على عمل ما، وبعضهم الآخر كان يدعي الملكية المطلقة من قبيل قول أحدهم: أينما تمطرين يا دنيا فخراجك إلي» إلى ما هنالك من حكايات السياسة والهزيمة... وصولاً إلى حكام القرن العشرين الذين يعتبرون أنفسهم أوصياء على الأمة والمقدسات تمهيداً لبيعها وقبض ثمنها موقفاً سياسياً هنا وهناك، أو تختاً بحرياً في هذا البلد الأوروبي أو ذاك؛ ومتى كان الشعب أي شعب يحقق لنفسه شيئاً، وهو يعيش العبودية ولا يعرف الحرية، ولا يسمح له بأن يعيشها أو أن يتنفس شيئاً منها؟؟ لقد مات الإنسان بالمعنىٰ الحضاري في العالم الإسلامي، «ولم يبق منه إلا الإنسان الذي يعيش الحياة البيولوجية من جانب المادة، وأسطورة سحرية من جانب الفكر، حتىٰ انتهىٰ الأمر بالإنسان اليوم إلى أن يحل مشاكله وأزماته بالوهم تارة، وبالعوذ أخرىٰ، وبالإستسلام تحت شعار السلام ثالثة. !!!»[1].

إن قيام الحضارة يحتاج إلى الإيمان بالله، إلى وعي بمشاكل الإنسان، وبأنه كائن حر قادر على الإختيار، إلى معرفة تامة بما يحيط بالإنسان. إن العالم الإسلامي انحدر هذا الإنحدار الخطير حينما لم يعد الإيمان حياً في قلبه، ولا مؤثراً في حياته، مما أدى إلى هذا الحطام، وإلى هذا التجزؤ الخطير الذي أضعف الأمة ومنعها من مواكبة العصر...[2].

إذن أزمة الحضارة في العالم الإسلامي تبقىٰ قائمة ومستمرة ما لم يعد الإنسان إلى بناء ذاته، وتوجيه ثقافته على ضوء رسالته، وتنمية روح الفاعلية[3]. فيتمكن من إيجاد حلول لكل مشاكله وأزماته بلحاظ الماضي والحاضر والمستقبل، إذ أنه يجب عليه أن يجهد لأجل أن يكتسب شيئاً جديداً حتى يكون مشاركاً ومساهماً ولديه القدرة على إعادة حضارة الحق.

---

(١) الشيخ شمس الدين، محمد مهدي، مجلة المنطلق، م. س.
(٢) الشيخ شمس الدين، محاضرة الحقوق الجامعة اللبنانية، م. س.
(٣) الشيخ شمس الدين، مجلة المنطلق، م. س.

هنـاك شيطان يفتـرس هذا العـالم، ويسعىٰ سعيـاً حثيثـاً لإفـراغ الإنسـان من روحيته، لأجل أن يبعث فيـه روح العدوان، ويخليـه من كل القيم والمبـادىء الأخلاقية. إنه شيطان الحضارة الغربية السائدة التي غيرت خلق الله وأفسـدت العالم. . . !.

قال الله تعالىٰ: **﴿إن يدعون من دونه إلا إناثاً، وإن يدعون إلا شيطانـاً مريداً، لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً، ولأضلّنهم ولأمنّينهم ولآمـرّنهم فليبتّكن إذان الأنعـام، ولآمـرنّهم فليغيّـرن خلق الله ومن يتخـذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً، يعدهم ويمنّيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً، أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصاً﴾**[1].

يرىٰ الشيخ شمس الدين: أن الحضارة الغربية السائدة من نتائجها أنهـا غيـرت خلق الله، حضـارة شيـطانيـة لم تبق على شيء صـالـح في الأرض والسماء قال تعالىٰ: **﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾**[2] لقد خالفت أمر الله تعـالىٰ بمـا أقـدمت على فعله من تلويث لحياة الإنسـان وأفكـاره. . . «الشيطان هنا في هـذه الآيات المبـاركة أحـد تعابيـره، أحد مسـالكه هـو هذه الحضارة» واتخاذها نموذجاً يصلح لإنساننـا هو في الحقيقـة ـ لايعني أكثر من القبول بموالاة الشيطان، والمخالفـة لأمر الله تعـالىٰ الذي عـرف الإنسان بمـا يدعوه إليه الشيطان كمـا في قولـه تعالىٰ: **﴿إن الشيـطان كان لـلإنسان عـدواً مبيناً﴾**[3] **﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبـه ليكونـوا من أصحـاب السعير﴾** ٦/٣٥ فـاتخاذ هـذه الحضارة نمـوذجـاً من قبـل الإنسـان المسلم يعني المشاركة بإفساد الأرض ومن عليها[4]. . .

---

(١) سورة النساء، آيات: ١١٧ ـ ١٢٠.

(٢) سورة الأعراف: آية: ٨٥.

(٣) سورة الإسراء: آية: ٥٣.

(٤) الشيخ شمس الدين خالف الفقهاء الذين يرون أن المقصود بتغيير خلق الله هـو اللحية وحلقهـا، وخصاء العبيـد والسحق واللواط وغير ذلـك را: الشيخ محمـد جواد مغنيـة، التفسير المبين، ص ١٢٣. إن معنىٰ الآيات يتعدىٰ ما ذهب إليـه بعض الفقهاء بـاعتبار أن الشيطان قد سلك في جميع مفاصل هذه الحضارة وجعلها ضـد الإنسان. بمـا أدت =

إذن أزمة الحضارة في العالم الإسلامي هي أن الإنسان لم يعد إنساناً بالمعنىٰ الحضاري، وإنما هو إنسان بالمعنىٰ البيولوجي يحمله الشيطان على شراء قنينة عطر من فرنسا أو أمريكا بما يعادل المائة برميل نفط من بلاده، من خيرات الأمة، أو على شراء صابونة فرنسية تفح منها رائحة الخيانة للأمة، أو شراء سيارة أمريكية يعادل ثمنها كل ما يملك!! إنه الترف الذي ذهب بأخلاق الناس، وجعلهم على همجية وبداثية لم يعرف الإنسان العاقل لها مثيلاً، «بداثية عريقة في النفوس، لم يلطفها التحضر الإسلامي، ولا الإختبار الإنسائي إلا تلطيفاً ضئيلاً وهي أبداً متأهبة للظهور وللإنقضاض على قوى الخير، بل إن لديها اليوم من الوسائل والإمكانات ما يجعلها أقوىٰ وأبعد أثراً مما كانت عليه سابقاً. . .»[1].

إنه ترف ذهب باستعداد الناس الباطني للإنبعاث من جديد، لقد أريد للإنسان (من قبل زعمائه ومن يمثلونه في بلاده) أن يعيش خالياً من أي معنىٰ، وفارغاً من أي مضمون حضاري، وهنا يتساءل الشيخ شمس الدين عن قيمة الإنسان في العالم العربي ـ الإسلامي في ظل سيطرة هذا الشيطان (بما هو عدوان وترف وفساد في الأرض) الغربي عل بلاد المسلمين ومقدراتهم فهو يقول: «أظن أنكم جميعاً ـ في خطابه إلى المسلمين العراقيين واللبنانين في النجف الأشرف ـ حين أقرر واقعاً نعيشه في كل مكان، وهو أن الإنسان شيء رخيص عندنا، الإنسان العادي المجرد من القوة والمال والنفوذ شيء رخيص جداً، إنه أرخص من المال، وأرخص من الجاه والسلطة. هذا الإنسان العادي يدرك هذه الحقيقة بوضوح لكثرة ماذاق طعمها في أكثر من مكان، يدرك أنه رخيص مع اغنيائه والمستبدين به. . هذا الإنسان ليس لديه أية ذخيرة روحية مستقيمة، فقسم قليل منه يعيش روحية مريضة مشوهة من بقايا

= إليه من مفاسد اجتماعية وأخلاقية وسياسية. . . كما يقول الشيخ شمس الدين، فهو يرىٰ بأن الشيطان متمثلاً بهذه الحضارة التي أفسدت الآفاق والأعماق، فالآية تعطي معنىً شاملاً.

(١) را: قسطنطين زريق، في معركة الحضارة، دار العلم للملايين بيروت، ط ١، ١٩٦٤، ص ٣١٥.

الصوفية التي سادت العالم العربي في عصر الإنحطاط، والقسم الأكبر منه جرد من محتواه الروحي بسبب الجري وراء النموذج الغربي للحياة ظناً من قياداتنا السياسية والثقافية أن الطريقة الصحيحة الوحيدة تقوم في التخلي عن الروحية. . .[1].

لقد مات الإنسان في العالم الإسلامي حينما خسر رصيده الداخلي الذي مكنه قبل عصر الإنحطاط من الإنتشار في العالم فاعلاً ومؤثراً ومتحركاً وقادراً على صنع تاريخه، هذا الإنسان القديم الجديد كان يعيش الأزمة الحضارية ويتحدى الواقع. . . أما إنسان اليوم فهو ليس على شيء من الحضارة والفاعلية والحركة حتى يكون صاحب أزمة، وقادراً على التحدي «الإنسان الحي المتحرك المتحدي صانع التاريخ الذي يثور على الآخرين ويثير الآخرين هو الذي يستحق أن تكون له أزمات، ونستطيع أن نتحدث عنه كيف حل أزماته. . . أما الإنسان المستلب والمهزوم. والمنهار والبيولوجي، الخرافي، فليس له أزمة ولا يمكن الحديث عنه والسؤال عنه بطريقة حضارية»[2]إن العالم الإسلامي اليوم نريد له أن يكون في أزمة. أزمة خلق، أزمة إيجاد، رغم كونه لا يملك رصيداً داخلياً ويعتمد إعتماداً مطلقاً على العوامل الخارجية، ويراد له أن يبقىٰ كذلك حتى لا يشعر أنه في أزمة، لأنه حينما يشعر أنه في أزمة لابد أن يتحرك بإتجاه إيجاد حل لها. وهذا ما لا يراد له. فقط يراد له أن يبقىٰ مشغولاً عن تفاهته وجهالته، وعن فراغه الروحي . لاهياً عن رخصه حتىٰ يستمر في غب اللذة بشراهة، وفي كره الموت، وحب الحياة بعيداً عن الهدف والطموح والأمل وغير ذلك مما يشكل إنسانيته ويحصنها، يكدح في سبيل العيش، العيش الوادع الآمن الرخيص، ويعيش الذلة، فلا بأس مادام هناك عيش وحياة ولذة»[3].

---

(١) الشيخ شمس الدين، محمد مهدي، خطاب سياسي في النجف الأشراف، نقلاً عن كاسيت مسجلة.

(٢) م. ع. خطاب سياسي في النجف الأشراف، نقلاً عن كاسيت مسجلة.

(٣) م. ع.

الحركات الاسلامية في مواجهة أزمة الحضارة:

يقول الشيخ شمس الدين: «. . . الصحوة الوحيدة التي حصلت في هذه العصور هي الصحوة التي أحدثها الغزو الصليبي للعالم الإسلامي، وحصلت حالة وعي استثنائية تجاوزت مرحلة التخلف واستطاعت أن تثبت للغزو الصليبي ولكنه اقتضىٰ منها قرناً بكاملة مع أن هذا الغزو لم يكن يستحق أن يستغرق هذه المدة الطويلة إلا أن الغزو الصليبي كان يتمتع بحيوية، والعالم الإسلامي كان يعاني من حالة الركود من حالة الجمود فاقتضىٰ الأمر هذا الزمن الطويل لدحر هذا الغزو، ومنذ ذلك الحين وإلى أيامنا هذه بدأت أزمات من نوع جديد. . . »[1].

قلنا فيما سبق من أبحاث أن سبب انحطاط العالم الإسلامي الماضي كان انعدام الإيمان من حياة وقلوب الناس، وتولي الحكام المستبدين زمام الأمر في البلاد الإسلامية، فالإيمان لم يكن له قيمة عملية، والحكام لم يقوموا بدورهم في نقل الحضارة إلى الأجيال التي كانوا مسؤولين عنها، وكانت النتيجة أن حدث هذا التصارم الذي تولد عنه تخلف العالم الإسلامي، والغزو الصليبي له. لكن الصحوة الإسلامية التي حصلت مكنت المجتمع الإسلامي من ترجمة إيمانه، وحدت من نفوذ المستبدين، وتحركت بما كان لديها من مقومات،واليوم التاريخ يعيد نفسه، الأمة لا تملك رصيداً داخلياً، والحكام لا يملكون الوسائل التي تمكنهم من النهوض بالأعباء، وحل الأزمات الناشئة عن حضارة الغرب، هذا فضلاً عما يقوم به هؤلاء من قمع، ومن ممارسات تهدف إلى التضييق على الأمة ومنعها من إعادة تكوين نفسها بحيث يكون لها في الحاضر ما كان لها في الماضي من قدرة على الإنبعاث، وامتلاك المصائر، وغير ذلك مما يؤهلها لكي تكون منتجة وفاعلة على خلاف ما هي عليه من جمود وركود جعل منها أمة مستهلكة تكدس ولا تنتج تآكل ولا تعمل، وإن عملت لا تكون لها ثمار عملها إلى ما هنالك من أزمات تعيشها وتمنعها من تحقيق نفسها على مستوىٰ الوجود والكينونة. . .

---

(١)را: مجلة المنطلق، وجوه الحضارة، م. س.

هذا الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية، لم يكن بإمكانها الصبر عليه، ولا السكوت عنه، ولا القبول به، باعتبارها أمة تملك تاريخاً، وتملك حضاره، وعندها من القوانين والمبادىء ما يؤهلها لأن تكون أمة شاهدة ووسطاً، أمة تنطلق من الإسلام وتعود إليه، ويوجد في تاريخها من التجارب ما يكفي للإنطلاق في عملية تحرير الإنسان من شر حضارة على وجه الأرض. إن قراءة الأمة لتاريخها حتم عليها العودة إلى الإسلام الذي سبق له أن أعطاها أبعادها الحقيقية في المكان والزمان، فإذا كانت الصحوة السابقة قد أدت إلى طرد الغزو الصليبي، فإنه من الممكن أن تؤدي الصحوة اليوم إلى التخلص من حضارة الغرب المادية التي لا تقل خطراً عن الغزو الماضي، وهذا لا يمكن أن يتم بمعزل عن الأيمان، والأخلاق، والعلم. ـ كل العلوم ـ التي تشكل كل عضوي واحد ـ والثقافة، والعمل تطبيقاً لقوله تعالىٰ: **﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات...﴾**[1] وكما في قوله تعالىٰ **﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾**[2].

إن معنىٰ أن تكون الأمة واعية، معناه أن تؤمن وتعمل لأجل أن تتمكن من مواجهة الآخرين الذي يتسلحون بالعلم والمعرفة الموضوعية وحدها...! إذ أنه ليس بإمكانها أن تدافع عن نفسها، وتتحدىٰ الآخرين من موقع روحيتها فقط بحجة أن لعالم الغربي (الحضارة الغربية) مفتقرة لأهم عامل من عوامل التقدم أُلا هو الأخلاق، وهذا يعني أنه يجب على الحركات الإسلامية (التي تشكل صحوة اليوم، صحوة القرن العشرين) أن تدرس جيداً أوضاعها، وان تقرأ الواقع بدقة حتىٰ تتمكن من تشكيل البديل الإسلامي الذي لا يمكن أن يكون مجزءً إطلاقاً. وحتىٰ يكون الصراع مع كل آليات الحضارة، وذلك يفرض على الحركة الإسلامية العودة المتأنية إلى الماضي كي تتأكد من أن عدم الأخلاقٰ، (وإن كان هو سبب في انهيار الحضارات) ليس وحده السبب، وإنما هناك أسباب أخرىٰ لابد من الوقوف عليها للإحاطة بكل ما من شأنه أن

---

(١) سورة محمد آية: ٢.

(٢) سورة آل عمران آية: ١٠٤.

يؤدي إلى الكشف عن طبيعة الإنتصار أو الهزيمة في كل مرحلة تاريخية. . .»[1].

العالم اليوم لا يخلو من مجتمعات أخلاقية لا تتمتع بقيم علمية موضوعية، كما أنه لا يخلو أيضاً من مجتمعات علمية لا تتمتع بأية قيمة أخلاقية وهي المجتمعات الأكثر إنتشاراً بسبب الإنهبار بالحضارة الغربية.

فإذا أرادت المجتمعات الأخلاقية أن تعمل من أجل بناء حضارة، فهي لا تستطيع ذلك لأنها لا تملك الوسائل التي تمكنها من بناء حضارة، وكذا الأمر بالنسبة إلى المجتمعات المفتقرة لعامل الأخلاق ولكل القيم هي أيضاً لا تستطيع أن تنشىء حضارة كاملة الأبعاد، باعتبار أن معنىٰ الحضارة الحقيقية كما يقول ـ البرت أشفيستر:

هو أن يكون الإنسان متقدماً مادياً وروحياً»[2] وبما أن الحضارة الغربية اليوم لا تملك رصيداً أخلاقياً، فإنها حضارة غير كاملة ولا إنسانية كونها تفتقر إلى المقوّم الجوهري للحضارة، ونعني به الأخلاق. وبما أنها تفتقر إلى المقوّم، فقد أصبحت حضارة شيطانية مهمتها تغيير خلق الله، وتشويه معالم الإنسانية، هذا فضلاً عما انتهت إليه من إفساد في الأرض والسماء. . . !؟

إن الحركات الإسلامية اليوم ـ كما يقول الشيخ شمس الدين، تعمل لأجل أن تكون هي البديل الحقيقي، والأمل الحقيقي لكل بني البشر، إنطلاقاً من كون مسؤولية الإسلام أوسع من حدود الأمة الإسلامية وتحقيق

---

(١) يقول غوستاف لوبون في كتابه السنن النفسية لتطور الأمم: «نحن هنا إذا ما بحثنا في الأسباب التي أدت بالتتابع إلى انهيار الأمم، وهي التي حفظ التاريخ لنا خبرها كالفرس والرومان وغيرهم، وجدنا أن العامل الأساسي في سقوطها هو تغير مزاجها النفسي تغيراً نشأ عن إنحطاط أخلاقها، ولست أرىٰ أمة واحدة «زالت بفعل انحطاط ذكائها، ووجه الإنحلال واحد في جميع الحضارات الغابرة: . . .» را: السنن النفسية. . . ترجمة عادل زعيتر، دار المعارف مصر، ط ٢، ١٩٥٧، ص ١٧٣.

(٢) را: البرت اشفيستر، فلسفة الحضارة ترجمة بدوي، عبد الرحمٰن، دار الأندلس، ط ٣، ١٩٨٣، ص ٣٤.

تحريرها ونهضتها. . . إنها مسؤولية عالمية تحملها الحركات الإسلامية الحديثة، وإذا كان هذا هو مشروع الحركة الإسلامية، فإنه ينبغي عليها أن تعلم بأن الحضارة الغربية لن تخلي مكانها إستجابة لصوت العقل والضمير، لأن الغزو الصليبي الاستعماري القديم لم يخل مكانه بسهولة ولا استجابة لنداء الإنسانية، بل أجبر على ذلك وحيل بينه وبين أهدافه على الرغم من حالة الجمود والركود التي أخرت هذه الحركة لمدة قرن من الزمن.

«إن الغرب سيقاتل باستماتة، أي لن يسمح لبديل أن يحل مكان حضارته وسيطرته من خلال منافسة حرة وشريفة، ولن يسمح للبديل الإسلامي بالذات أن يرىٰ النور إلا وقد أدماه بالمحاربة، وأرهقه بالصراع، ومن هنا لن يتشكل البديل الإسلامي من خلال تقديم حسن مكان قبيح، أو إظهار عدل مكان ظلم. إنه سيتشكل من خلال ذلك جزئياً ولكن عبر الصراع وعبر توفير النجاح في هذا الصراع»[1].

فما تقوم به الحركات الإسلامية اليوم من عودة إلى الكتاب والسنة، وما تواجهه هذه الحركات من قمع وقتل وسجن من قبل الاستعمار وأدواته، هو خير دليل على أن المشروع الإسلامي لن يسمح له بأن يشكل البديل للحضارة الغربية، وقد رأينا كيف أن الاستعمار يقاتل باستماتة في العالم الإسلامي لأجل أن لا تنتصر أية حركة إسلامية بدءً بالجزائر، وانتهاءً ببلدان أخرىٰ، ومروراً بالصومال التي تتربىٰ أمريكا على يديها اليوم، حيث أنها تحولت إلى قزم في الوقت الذي تدعي فيه العظمة والجبروت. . . !!

كما أن الحركة الإسلامية، انطلاقاً من مفهومها للإسلام، لا تجد مانعاً من استعمال أدوات هذه الحضارة الغربية ومؤسساتها لتحرير نفسها وبناء دولتها، باعتبار أن كل حضارة تقوم على أنقاض حضارة أخرىٰ، وليس معنىٰ أن تقوم حضارة إسلامية، أن تلغي ما انتهت إليه الحضارة السابقة من إنجازات علمية وتقنية وتكنولوجيا، حتى يصح أن نسمي حضارة ما بالإسلامية (بل تكون كذلك إذا ما قومناها بالأخلاق، وأعطيناها أبعادها الحقيقية بحيث

---

(١) را: عيسىٰ النصراوي، مجلة الإنسان، العدد (١) السنة الأولىٰ، ١٩٩٠.

لا تكون ذات بعد مادي) ولأن البديل الإسلامي لا يقف في جزيرة وأعداءه في جزيرة أخرىٰ، وإنما هو في عقر داره. . . مما يفرض عليه أن يصارع في ظل ميزان قوله في غير مصلحته، أي يجب عليه أن يخرج من تحت الركام والرماد وأن يدخل في صراع في أحضان الحضارة الغربية ـ كما هو حال الحركة الإسلامية اليوم ـ وهو في قلب الشرنقة التي نسجتها من حوله، دولة، ومؤسسات وأنظمة اقتصادية. . ولا يستطيع إلا أن يستخدم عدداً من الأدوات والمؤسسات التي نسجتها الحضارة الغربية. . . »[1].

يقول الشيخ شمس الدين: «يوجد حطام حضاري يتمثل في نتف مبعثرة في حياتنا يمكن أن نسميه حطام الحضارة الإسلامية (يتمثل في أنماط محدودة جداً في الحياة الإجتماعية) في مقابل حضارة مادية فاقدة لكل شروط البقاء وغير ملائمة لطبيعة الإنسان وفطرته، هذا فضلاً عن أنها قاهرة له وضاغطة عليه في الوقت الذي هو منبهر بها وطالب لإنجازاتها ومتعاطف معها، وداع إلى التوفيق بينها وبين الإسلام. . . »[2] فحل الأزمة ومواجهة الحضارة الغربية من قبل الحركات الإسلامية، إنما يكون بالعودة إلى الأخلاق، وإلى عدم الإعتماد المطلق على العقل، بل يجب إعطاءه جرعة من الشعور»[3]، إلى تشكيل بديل إسلامي (برنامج) من خلال دراسة معمقة لمكونات الحضارة الغربية الأساسية، «إذ أن الذي يميز تلك الحضارة ليست إنحرافاتها الأخلاقية، كما يفهم بعض المسلمين، ولا سيطرتها على شعوب العالم واستغلالها البشع. . . وإنما هنالك آليات خاصة تميز طبيعة أنظمتها وثقافتها وحركتها الداخلية»[4].

إن هذا الحطام الحضاري الإسلامي يمكن إعادة تكوينه، والخروج من

---

(١) عيسىٰ النصراوي، مجلة الإنسان، م. س.

(٢) را: الشيخ شمس الدين، بين الجاهلية والإسلام، م. س. ص، ٢١٨. وقارن مع كتاب العلمانية ص، ٨٠.

(٣) را: السيد فضل الله، مجلة المنطلق، موقع الفقيه في الدولة الإسلامية، عدد ٦٤، ١٩٩٠، ص ١١.

(٤) عيسىٰ النصراوي، مجلة الإنسان، م. س.

تحت ركامه ورماده، إذا استخدمت بعض مؤسسات الحضارة القائمة، لأن الإنسان المسلم ليس من واجبه أبداً أن يتخلىٰ عن كل ما هو مادي بحجة أن الله لا يشجع على الإنجاز المادي، كما فعل أولئك الصوفيون الذين هجروا المدينة إلى الصحراء طلباً لثواب الله، وهذا ما أشار إليه الشيخ شمس الدين في كلامه الآنف الذكر، فالدولة الإسلامية من واجباتها أيضاً الإهتمام بالماديات كاهتمامها بالروحيات والأخلاق لأن الإنسان يحتاج في حركته إلى كثير منها، وإلا فإن العجز سيمنعه من مواكبة العصر، وليس معنىٰ هذا كله أن يقوم الإنسان بصنع الآلات التدمير والتلويث التي تهدد الإنسان وكل إنجازاته الحضارية. . .!؟

إن البديل الإسلامي لا يمكن أن يكون أخلاقياً فقط، لأن من شأن ذلك أن يفسح المجال أمام المسلمين مجدداً للإنبهار بالحضارة الغربية ومؤسساتها، وهنا نقول أن الأخلاق إذا عدمت فستؤدي حتماً إلى الإنبهار بالحضارة،كما أن وجودها، أي الأخلاق، لا تكفي وحدها لتشكيل حضارة. فالمطلوب هو إيجاد بديل لا يحمل في داخله بذور فنائه، وهذا ما يجب أن يربىٰ عليه الإنسان المسلم، فالأخلاق تعزز الحضارة وتجعلها مستمرة بشكل متوازن، ومن دونها لا يمكن أن يكون هناك حضارة مكتملة الأبعاد، فضلاً عن إنسان متوازن له قيمته. إن اقتصار النقد على الجوانب الخلقية أو الإستغلالية للشعوب الأخرىٰ، أو المظالم العالمية المختلفة، يحصر الحديث حول بديل فاضل خلقياً، وعادل عالمياً، ثم يبقىٰ الباب مفتوحاً أمام مغريات الحضارة الغربية من الدولة إلى البنوك، إلى الشركات. . . لأن تلك المؤسسات ليست مجرد آلات صماء لا قِبَل لها على فعل شيء، إلا وفقاً لما تعطاه من أوامر، وإنما هي مقومات قاعدية وهيكلية لنظام متكامل، ولها الياتها وأحكامها، ومن ثم تؤثر في راكبها، ربما أكثر مما يؤثر هو فيها حتىٰ لو حمل أخلاقاً غير تلك التي حملها راكبها السابق من أهل الحضارة الغربية»[١].

من هنا يمكن القول أنه على الحركات الإسلامية أن لا تقف عند حدود

---

(١) را: عيسىٰ النصراوي، مجلة الإنسان، م. س.

الماضي والتراث لتجعل منه قيمة عملية، بل عليها أن تنظر بعين الواقعية إلى مؤسسات الغرب بمعزل عن إنحرافاته ولا أخلاقياته. إنه غرب ميت في نفسه ولا يصلح لأن يكون على رأس هذه المؤسسات وعلى المسلمين أن يعملوا لأجل التحكم بهذه المؤسسات بهدف تحويلها إلى مؤسسات إنسانية حقيقية تعمل لخير الإنسان وسعادته.

هناك حركات إسلامية لا تقبل بمسميات الوزارة، والشركات، وغير ذلك مما عرف من مصطلحات في العصر الحديث، وهذه الحركات ليست على قدر كبير من المعرفة الإسلامية، ولهذا هي تشكل خطراً على الإسلام والمسلمين، كما انها تغمر نفسها بركام حطامها الحضاري، في الوقت الذي تنادي فيه بالبديل الإسلامي. . . !!!

إن هذه الحركات تطالب ببديل لا تعرف عنه شيئاً، حتىٰ أنها ضعيفة الأخلاق تماماً، لأنه من معاني الأخلاق أيضاً أن تكون على مستوىٰ حركتك وفاعليتك وقدرتك على إيجاد حلول لجميع الأزمات التي تعاني منها في العصر الحديث، ولهذا نجد أن معنىٰ البديل عند هذه الحركات غير الواعية، أن تدمر كل مؤسسات الغرب سواء أكانت سلبية أم إيجابية من دون أن يكون لديها القدرة على إيجاد المؤسسة التي تمكن الإنسان من ممارسة دوره، وتحقيق فاعليته. إنه حطام حضاري فعلاً سببه قديماً وحديثاً أولئك الذين يدّعون أن الإسلام حكراً عليهم، وانهم وحدهم الذين يحق لهم أن يتحدثوا باسم الأمة. . . !!

إن مهمة الصحوة الإسلامية اليوم هي أن تستوعب الحاضر، لتشرف منه على المستقبل، وان لا تنكفىء على الماضي تحت شعار التخلص من مساوىء الحضارة الغربية الشيطانية، فإذا هي استطاعت تحقيق النجاح في مهمتها، فإنها تكون بذلك قد وضعت نفسها في موقع التحدي لهذه الحضارة، وفي موقع القدرة على القبول أو الرفض لما تفرضه هذه الحضارة على واقع الناس كل الناس، كما أنها تستطيع من خلال هذا الموقع المميز أن تقبل كل إيجابيات هذه الحضارة فيما يتعلق بالمؤسسات، والدولة، والشركات التي ساهمت في تطوير عمل الإنسان، وجعلته مدنياً بالقياس إلى

ما كان عليه في البدائية. . .

صحيح أن هذه الحضارة، كما هي اليوم، لا تلائم الإنسان، ويقف منها موقفاً صعباً، بسبب ما تقدم عليه من إفساد في الأرض والسماء، وبسبب المادية المفرطة التي لا تقيم أدنىٰ اعتبار للقيم والمبادىء الأخلاقية إلا أن ذلك لا يجب أن يحدث نفوراً من الحضارة لدرجة تفضيل البدائية عليها، بل ذلك ينبغي أن يشكل حافزاً للإنسان كي يقوم بدوره الفعال لأجل تصويب الفكرة والعقل الذي يعمل غريزياً ويدفع بالناس نحو الحيوانية، فإذا استطاعت الحركة الإسلامية أن تقف بوجه هذه الحضارة، وأن تتخذ منها مواقف انتقائية بحيث تختار منها ما هو موافق لها، لفطرتها، ولأنسانيتها، ولأخلاقيتها، فذلك يعني حتماً حسم المواجهة القائمة لصالح الإسلام والمسلمين، من دون أن يكون هناك أي عداء مطلق لهذه الحضارة، وهذا ما أشار إليه الكسس كارل حينما اعتبر حضارة العصر اليوم تجد نفسها في موقف صعب، «لأنها لا تلائمنا، فقد أنشئت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية، إذ أنها تولدت من خيالات الإكتشافات العلمية، وشهوات الناس، وأوهامهم، ورغباتهم، ونظرياتهم، وعلى الرغم من أنها أنشئت بمجهوداتنا، إلا أنها غير صالحة لحجمنا وشكلنا. . .»[1].

إن الإنسان في العالم العربي الإسلامي، وفي أي مكان آخر يتعرض لشرور هذه الحضارة، لأنه لم يتمكن حتى الآن من إيجاد البديل (رغم أنه يحمل في روحه وعقله المشروع المناسب والذي من شأنه أن يحقق السعادة فيما لو تم حمله على محامل التطبيق)، لهذه الحضارة في صراعه معها، فهو يأخذها جملة من دون السؤال عما إذا كانت صالحة أم لا، وما يأخذه منها لا يحقق له السعادة، ولا يجعله إنساناً مستوياً مع غيره، باعتبار أن المستفيد من هذه الحضارة من الطب، والعلم، والسيارات، والرفاه هم مجموعة من الناس فقط، وما تبقىٰ يحلم في أن يكون له منزل أو سيارة، أو مدرسة يعلم فيها أبناءه. . ؟!! إنه يدفع ثمن هذه الحضارة، ويساهم في تغيير خلق الله، ولا

(١) الكسس كارل، الإنسان ذلك المجهول، مكتبة المعارف، تعريب شفيق أسعد فريد، بيروت، ص ٣٧.

يستفيد منها شيئاً، وخسارته هذه حتىٰ الآن لم تدفع به إلى التغيير، وإلى الإصلاح، فكيف يكون الحال لو أن هذا الإنسان مستوٍ مع غيره في الحصول على ما أنتجته هذه الحضارة من ترف ورخاء. . . ؟؟

لا شك أن السبب في عدم تمكن الحركات الإسلامية في أكثر من بلد إسلامي من تحقيق مشروعها في الواقع هو الحكام الذين يحولون بين الأمة وأهدافها، بل بين الأمة وخياراتها ـ لأنهم يعتبرون حركة الأمة ومشروعها ضد كيانهم وهذا ما لم تصرح به الحركات الإسلامية، كما أنها ليست مسؤولة عن الصراع الداخلي إذا كان هذا الصراع منبثقاً، أو متولداً عن الصراع الخارجي مع الغرب فإذا كان الحكام مع الأمة، فمن واجبهم مساندتها فيما تقوم به من مواجهة مع الغرب وحضارته الشيطانية، أما إذا كانوا بعداء عنها، ولا ينتمون إلى مشروعها، فذلك لا يلزم الأمة بقبول ضروراتهم، وتقليدهم للغرب، ولا بالتخلي عن مشروعها لأجل استقرار أنظمتهم، لأن مشروع الأمة شيء، واستقرار النظام المناوىء للأمة شيء آخر، ولأن حرية الأمة شيء، وحرية النظام شيء أخر ، حرية الأمة أن تكون حاكمة لنفسها، ومعبرة عن رأيها بحرية، وحرية النظام أن يكون تابعاً للغير، ومقلداً له في كل شيء ومنفذاً لسياساته التي لا تتلاءم مع سياسة الأمة القاضية بالأستقلال والتحرر. . . فحيث تقع الهزيمة في مواجهة الأزمة الحضارية، يكون السبب عدم تعاون الأنظمة مع الأمة الإسلامية. . .

وبما أن الحضارة لا تتم إلا بالجهد والاكتساب، فمن أين القدرة على بناء حضارة إسلامية، والأنظمة تأكل كل مكاسب هذه الأمة، أو على الأقل لا تحفظها، ولا تشجع عليها!!!

هذا فضلاً عن ماتمارسه الأنظمة من هيمنة على الفكر والثقافة والعلوم، حيث أنها فصلت بين العلوم وأصبح من غير الممكن الوصول إلى رؤية توحيدية تدفع بالإنسان إلى تأمل العالم ـ بما هو ـ في مجمله، تجلٍ وتجسيد لآيات الله ـ إلى وحدانية الخالق التي تشكل وحدة الطبيعة صورة لها، كما رأينا عند (غارودي).

لقد هيمن الحكام على الثقافة وانقلبت المقاييس، فبدلاً من أن يكون هناك سلطة الثقافة، أصبح الموجود هو ثقافة السلطة، وبدلاً من أن يكون الفكر حراً، أصبح فكراً سياسياً يبرر هذه النظرية لهذا الحاكم أو ذاك، ولم يعد هناك ما يمكن أن تسميه التواصل بين الذات والفكرة المنبثقة عنها، فالمثقف غير مقتنع بتبرير فكرة الحاكم وساسته لكنه ملزم على ذلك تحت الضغط والتهديد... إن الحركات الإسلامية الحية في العالم اليوم، والتي تعمل من أجل حرية الإنسان وكرامته، ومن أجل إحياء اللبنة الأولى في هذا المشروع والتي هي الإنسان، حققت بعض التقدم في بعض البلاد الإسلامية، رغم ما تواجهه من عقبات وقمع من قبل الكيانات غير الطبيعية والأنظمة الموجودة فيها، باعتبار أنها لا تريد للأمة أن تبلغ سن رشدها، ولا تعترف لها بالقدرة على تحمل المسؤولية حتى ولو بلغت سن الرشد، ولا تقدم لها أموالها متهمة إياها بالسفه... !!

يقول الشيخ شمس الدين: «إن إطار الحاكمين: غالباً ما يمثلون رسل الحضارة الغربية في مجتمعاتهم، وتتفق مصلحتهم مع تطبيق الحضارة المادية في حياتهم»[1] فالصراع هو بين حركة تحمل مشروعاً يقضي جوهره الخروج على الحضارة الغربية، أو على الأقل تنقيتها وعدم أخذها جملة وتفصيلاً، وبين أنظمة تحمل مشروعاً غربياً يعمل على تفتيت الأمة ويمنعها من التحرك لأجل أن تعيد بناء ذاتها، أو أنها على الأقل لا تسمح للأمة بأن تتوحد أمام قضاياها المصيرية، والذي زاد هذه الأزمات تعقيداً هو تمكن الأنظمة من تجنيد أكثر الناس لدعم مشروع الحضارة الغربية والأخذ بكل شروره ومساوئه، وهذا كله كان نتيجة لهيمنة هؤلاء على المدارس والمعاهد العلمية التي لا تذكر شيئاً عما كان عليه المسلمون في السابق من حضارة وتقدم وازدهار.. !؟

لقد اتبعت الأنظمة المنهج التلقيني في المدارس، ووظفت مَن بإمكانهم التأثير على عقول الناس، بهدف صبغها وطبعها بما يتلاءم مع

---

(١) الشيخ شمس الدين: مجلة المنطلق، م. س.

توجهاتها في السلطة والحكم، واقنعت الكثيرين من أبناء الأمة بأن الإسلام ليس ضد الحضارة والعلم، مما أدىٰ إلى وقوع الإنسان المسلم في حيرة من أمره، وكانت النتيجة أن تمزق هذا الإنسان بين المعتقد وصبغة الحياة، بين الفكر، وبين نمط الحياة الغربي»[1]، وبلغ به الأمر أحياناً إلى حد إطاعة قانون الدولة ومخالفة الإسلام. . . !؟

إن خيار الحركة الإسلامية، كان ولا يزال حفظ وحدة الأمة، وتماسك المجتمع، وحفظ النظام العام سواء أكانت في مواجهة الغرب، أو الأنظمة التابعه له، وما يحصل من صدامات تتسم بالعنف أحياناً تتحمل مسؤوليتها الأنظمة، لأنها لا تقيم وزناً لوحدة أمة، ولا لنظام عام. ولا لمجتمع متماسك، فإذا كانت المشكلة مشكلة حضارة، فإن الحل لهذه المشكلة يبقىٰ معلقاً مادام هناك أنظمة مستبدة، وكيانات غير طبيعية تمارس دوراً لا ينسجم مع وحدة الأمة. . . ولا يسمح بإيجاد الحلول المناسبة لمشاكل وأزمات أصبحت مستعصية على الحل في أكثر من بلد إسلامي. أما إذا كانت المشكلة هي أولاً وأخيراً مشكلة الحضارة، وينبغي على الإنسان أن يرتفع بفكرته إلى مستوىٰ الأحداث، فذلك كيف يمكن أن يحصل، والأزمة ـ في الأصل ـ هي أزمة فكر وثقافة، قبل أن تكون أزمة حضارة أو مشكلة حضارة. فمالك (بن نبي) سهىٰ عن هذه الحقيقة وطالب بالإرتفاع إلى مستوىٰ الحدث من خلال أفكار حرة، لكن غرب عن باله أن السلطة اليوم هي لفكر السلطة الحاكمة ولثقافتها[2].

---

(١) م. ن. م. س.

(٢) إن وضع يد السلطات السياسية في عالمنا العربي والإسلامي على المؤسسات والمنظمات الثقافية؛ الأدبية والفكرية والفنية، أضاف بعداً فجائعياً إلى علاقة المثقف بالسلطة، فقد بات المثقف الإعتراضي الحر مهدداً بالتصفية الجسدية أو المعنوية على يد السلطة، ولكن ـ هذه المرة ـ بغطاء من هذه المؤسسات والمنظمات الثقافية نفسها، فكم من مرة رفضت مؤتمرات أدبية وثقافية انعقدت في هذا القطر العربي أو ذاك إصدار قرارات أو توصيات بشأن نزلاء السجون والزنازين من المثقفين: را: السيد محمد حسن الأمين، تجليات أزمة المثقف والسلطة في الواقع العربي الإسلامي، مجلة المنطلق، العدد ٩٩، ١٤١٣ هـ.

وما هو موجود عند الناس من الحرية لا يكـاد يكفي لحل مشكلة إنسـان واحـد في هذا العـالم الإسلامي فكيف يمكن أن يكفي لحـل أزمـة أو مشكلة حضارية يعيشها العالم الإسلامي برمته؟!.

من هنا نقول أن الصحوة الإسلامية اليوم ليس همهـا تمكين الإنسان من الخـروج على الغـرب بـأي شكـل من الأشكـال، بـل همهـا أن يتمكن هـذا الإنسان من معرفـة نفسه أولاً، ومن معـرفة الأسبـاب التي تحول دون وصـوله إلى هدفه، ولا تجعله قادراً على الإحاطة بكلّ وجوه أزمته، لأنه بدأ يشعر بأن الأزمة ليست أزمة حضارة شيطانية وافدة من الغـرب فقط، وإنما هنـاك حقول لـلأزمة، هنـاك أزمة فكـر، أزمة تنميـة، أزمة تنـظيم... أزمات متعـددة تكاد تقضي على معناه الحضاري نهائياً. فالحركـة الإسلاميـة العالميـة لا تستطيـع إيجاد حلول فورية وارتجالية لهذه الأزمـات ما لم تلتفت وتقف على الأسبـاب التي مهدت للإستعمار وحضارته ولتغلغله في داخل البلاد الإسلامية[1]، فإذا ما عثرت على هذه الأسباب، ووقفت على حقائق الأمور، وأحداث التاريـخ، فـإنها تفكـر حينئذ بمـا يمكن فعله لإخراج هـذا العالم من أزمـاته المتعـددة. والشروع في إيجاد الإطار العام لبناء الأمة وتعبئة قواها وطاقاتها للمعـركة ضـد التخلف»[2].

فـالحضارة لا تبـدأ من الصفر، ولا بـاللجوء إلى العنف، ولا بتجـاهـل الأسبـاب التي أدت إلى هـذا التمـزق والتصـارم ومـا انبثق عنـه من استعمـار وتبعية، وإنما هي تبـدأ من وعي الإنسان بـذاته، وبتـاريخه، وبـالإستفادة من محطات الماضي والحاضر تمهيداً لتكوين رؤية وحدودية مستقبلية...

هناك أزمة فكـر في هذا العـالم، هذه الأزمـة هي عبارة عن صـراع بين منهج وطريقة غربية في البلاد الإسلامية وبين نهج وطريقة إسلامية يعمل على إقصائها عن حياة الناس. فالأنظمة القائمـة ـ بكل مؤسسـاتها ـ تحمـل مشروع الحضـارة الغربيـة وتدعـو إلى الافتتان بهـا بكل مـا تعنيـه هـذه الحضـارة من

---

(١) را: مجلة المنطلق، الشيخ شمس الدين، م. س.

(٢) را: الصدر، محمد باقر، أبحاث إسلامية. دار الزهراء. فصل الحرية.

كتاب، ومدرسة، ووسائل إعلام، ومنتجات صناعية، وعدم أخلاقية، وثقافات شوهاء. أما الحركة الإسلامية فهي تحمل مشروعاً مضاداً سبق له أن أعطىٰ الأمة دورها الرائد والمميز، مشروعاً يهدف إلى استيعاب حركة الإنسان في الحاضر، وإلى تعبئة الأمة بحيث تكون قادرة على التعامل بموضوعية مع ما انتهىٰ إليه العصر الحديث من علوم. إضافة إلى ما يتضمنه هذا المشروع من حياة ومبادىء أخلاقية تسمح للأمة بالخروج من جهلها وضعفها، والدخول مباشرة فيما يعطيها الحيوية والوعي السياسي والإجتماعي والديني. . .[1].

هنا نعود لنؤكد أن الصراع لم يحسم حتى الآن لصالح الأمة، وذلك يعود إلى عدة عوامل، منها أن الإنسان المسلم مازال حتىٰ الآن، ورغم علمه بمفاسد أوروبا ـ مفتوناً بأطروحات الغرب، وهي تفرض نفسها عليه من حيث يدري أو لا يدري، حتىٰ أنها افقدته حرية الإختيار، وجعلته عبداً يتلقىٰ من الآخرين كل شيء وينتظر منهم المزيد من التجهيل له والتشهير به «ولا تصدق، كما يقول الشيخ شمس الدين ـ أن هذا التلقي مرفوض، أو أنه لا يؤثر، بل إنه يكيف كل جيل من الأجيال بدرجة أكبر من درجة التكيف التي حصلت في الجيل السابق[2]. هذا الإنسان يتلقىٰ أطروحات الغرب ومنتجاته، وأفكاره، وينفعل بها، ويتحد معها لدرجة أنه يصعب التمييز بينها وبينه وكأنها من صنعه، وفي نفس الوقت هو يتلقىٰ الفكر الإسلامي بطريقة

---

(١) يقول أبو الحسن الندوي: «إن الأمم الأوروبية ـ برغم إفلاسها في الروح والأخلاق ـ وبرغم عيوبها الكثيرة ـ قوية الوعي ـ ـ الوعي المدني والسياسي، وقد بلغت سن الرشد، واعترف لها زعماؤها بذلك، وأصبحت تعرف نفعها من ضررها على خلاف ما هي عليه الأمة الإسلامية من جهل وضعف الناشيء عن وجود حكام وقادة يسترسلون في خياناتهم رعيتهم ثقة ببلاهة الأمة، وسذاجة الشعب، وفقدان الوعي. أمه لا يسمح لها ببلوغ سن الرشد، وهي إن بلغت لا يعترف لها بذلك. . . را: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، دار المعارف، ط ٧، ١٩٨٨، ص ٢٩٢.

(٢) را: مجلة المنطلق، ع. ن.

رسمية تقليدية، وعن طريق الغرب أيضاً الذي يصور لـه الإسلام على أنه دين خـرافات وأسـاطير وإرهـاب، يتلقىٰ كل ذلـك بطريقـة غربيـة، في الـراديـو، والتلفـزيون، والصحيفـة، وغير ذلـك من وسائـل الإعلام، ولشـدة تأثيـر هذا التلقي فيـه اقتنع في زمن معين بـأن الإسلام هـو سبب الهزيمـة في الحـروب العـربية الإسـرائيلية. . . لقـد عمل بـإيحاءات الغيـر، وعلى طـريقتهم، وفي سبيلهم من حيث لا يـدري، ولم يستيقظ إلا على غربيتـه وفضـاضتـه، وعلى رخصـه، وهـا هـو اليـوم ـ أغلب النـاس، يصحـون على خيـارات الآخـرين وحـريتهم من دون النظر إلى مـا هم عليه من عبـودية وذل. . . !!°بين صحـوة البعض، من المسلمين طبعاً، وجهل بعض آخر، تجد فريقاً ثالثاً معتـدلاً فيما يـدعو إليـه من توفيق بين الإسـلام كمشروع حيـاة ونظام حكم، وبين الغـرب كمشروع إفساد في الأرض، وهذا الفريق الثالث يدعي القدرة والفهم لحقائق الأمور، وينصح بالإعتدال في التعامل مع الغرب بحيث نسمح له بأن يلج إلى أعماق وجودنا ليساعدنا في الخـروج من أزمتنا، وهـذا ما ينقـده الشيخ شمس الدين بشدة معتبراً الدعوة إلى التوفيق من شأنها أن لا تجعـل المسلم غربيـاً، وأن لا تبقيـه مسلماً، مثلمـا حصل لكثيـر من المسلمين حينما عجـزوا عن أن يصبحوا غربيين في الوقت الذي لم يعودوا فيه شرقيين، هذا فضلاً عما افتقده الإنسـان المسلم من قدرة الإختيـار في ظل هـذه الدعـوات المشبـوهـة وغيـر المـدروسة، يقـول الشيخ شمس الـدين: «في الحالات الأخـرىٰ التي لا يتم فيها الإختيار/حينما تطرح الخيارات، أو الموقف من الحضـارة الغربيـة أو من الإسلام، التي يؤثر فيها الإنسان أن يبقىٰ فيما يخيل إليه محافظاً على المعادلة بين الفكرين، أو ينتهي الأمر بـانعدام الفـاعلية، وانعـدام التأثيـر والقدرة على الفعل، وهذا ما حدث في جميع أرجاء العالم العربي والإسلامي. . .»[1].

هذه هي أزمة الفكر التي تعمل الحركات الإسلامية على إيجاد حل لهـا عن طريق إيجاد مؤسسـات ثقافيـة حرة، عـدا عن أزمة التنميـة، التي لا يتسع المقام للحديث عنهـا. وعدا أزمـة التنظيم، وغيـرها من الأزمـات التي تعاني

---

(١) را: م. ن. ع. ن.

منها الأمة. . . إن أهداف الحركات الإسلامية، من دخولها الصراع والمواجهة مع الغرب هي الخروج من المأزق الحضاري، كما أن ذلك، يدل بوضوح على أن هذه الأمة، بدأت تعي الأخطار المحيطة بها، وهي كما قلنا، تعبر عن يقظة الأمة الإسلامية، وتهدف من مواجهتها إلى إخراج العالم الإسلامي من أزماته، وإدخاله في كل ما من شأنه أن يجعل منه إنساناً قادراً على اتخاذ موقف من كل ما يحيط به، أو يقع في بلاده، واتخاذ موقف من كل ما يُلقىٰ عليه من دون أن يؤثر المحافظة على معادلات جعلته خارج التاريخ . . . ؟!

فالحركات الإسلامية في العالم الإسلامي ليست تهدف ـ كما يقال ـ إلى زعزعة أمن البلاد، وتعريضها للخطر، وإن كان البعض منها ينحو هذا النحو من غير دراية، ومن غير سوء نية، بل هي حركات تريد للإنسان أن يكون فاعلاً في مجتمعه، ومشاركاً في صنع القرار، وفي بناء الحضارة العالمية. . وبما أن هذا الإنسان لم يسبق له أن ادعىٰ إحتكار النشاط الإنساني. رغم ما كان يتمتع به من قدرات أهلته لتكييف كل الأطر الحضارية، فإن ما يريده اليوم ليس أكثر من المشاركة في البناء الإنساني والحضاري، باعتباره ركناً أساسياً في المجتمع العالمي . . .[1].

---

(١) سئل حسن الترابي (السودان) عن موقع الحركات الإسلامية في النظام العالمي الجديد (الذي لا يعترف به كون الغرب دأب على أن يشملنا في كل ما يدعيه، فالحرب العالمية الثانية سميت بالعالمية ولم تكن كذلك بل كانت بين الأوروبين، ولم يكن فيها للعالم الإسلامي ناقة ولا جمل، وهو اليوم يطلق إسم النظام العالمي الجديد وهو في الحقيقة لا يعنينا فضلاً عن أننا لا تعترف به): أجاب: إن الله تعالىٰ أبىٰ أن يكره البشرية كلها على نمط واحد، أو أن يخضعها لسلطان واحد. . . إن التباين ضروري لحيوية التاريخ البشري شرط أن يتشكل هذا العالم بما يحفظ قدراً من الحرية ، ونحن نرفض أن ننفعل بقوة الغرب الصاعدة ، أو أن نذوب في هذه القوة، أو أن تنمحي هويتنا وأصالتنا. . . نحن خلقنا لنشارك في البناء الإنساني الحضاري العام للبشرية، إنطلاقاً من كوننا أصحاب الحضارات، ومهد الديانات، ولنا دور في هداية البشرية. . . لن نكون فريسة لحضارة الغرب، وسنخوض ـ كما نحن الآن ـ جهاداً من أجل استقلالنا وأصالتنا وحريتنا، وكرامتنا وقداسة أرضنا، حتىٰ إذا تمكنا من السيطرة على أنفسنا وعلى واقعنا استطعنا بعد ذلك أن ندير الحوار مع الآخرين =

يبقىٰ أن نقـول: بأن الحـركات الإسـلامية ليست بـدعاً من الحـركات، وإنما هي صحوة إسـلامية سبق لهـا أن عبرت عن نفسهـا من خلال التصـدي للغزو الصليبي، وللإستعمار القديم بكل أشكالـه وألوانـه، وها هي اليـوم تعبر عن نفسها بالتصدي للإستعمار بمالديها من وسائل وإمكـانات. وهي لا تملك شيئاً إلا أن تدفع الآخرين عن بلادها قـدر الإمكان، وهـذا حق من حقوقهـا، كمـا أنهـا لا تحـارب الآخـرين لأنهم آخـرين، بـل لأنهم محتلين وسـالبين ويمارسون فن اللصوصية، وإلا هي من أقدر الحركات على فتح بـاب الحوار والتفاهم مع الآخر الذي هو على مستوىٰ إنسانيته وأخلاقيته. . .

الموقف هو هذا. والصراع هو هذا، والمواجهة لن تقف عند حد مـالم يتراجع الغرب عن أطماعه، وما لم يوضع حد للإفتتان بالحضـارة الشيطانيـة. إن العالم الإسلامي لا يتحمل هذه الحضـارة في الوقت الـذي هو عـاجز عن الإختيار، ويقف موقف الـلامبالي من كـل المعادلات، أو أنـه يقبلها جميعـاً، فالحضارة معناها أن تكون لصالح البشرية، ومكتملة الأبعاد، ومتميزة بمبادئهـا الأخلاقية، وليس من معانيها الحقيقيـة أبداً أن تتحـول إلى أداة للقهر والعنف والحـرمان والاستعمـار وتلويث الأعماق والآفـاق، وتغيير خلق الله. فـالإنسان المسلم حينمـا يصبح قـادراً على إتخاذ مـوقف انتقائي ممـا يقدم لـه، حينئـذ يمكنه أن يختار بين النماذج والبرامـج بحيث ينتقي الأصلح له والأفضـل. أما أن تقـدم له هـذه الحضارة المـادية من خـلال الحكام والمفكـرين السلطويين التابعين لهـم، والإنسان هو علىٰ ما هو عليه من جهل وعجز، فـإن ذلك معنـاه القضـاء على الإنسان المسلم وتحـويله إلى مجرد آلـة لا قبـل لهـا على فعـل شيء. من هنا كانت الحركات الإسلامية ولا تزال تعبر عن يقظة الأمة، اليقظة

= والتفاعل معهم ،مع الغرب والشرق لمصلحة البشرية قاطبة. . . نحن لا نريد أن نتقوىٰ لنستقـل ثم النطغي، ثم لننقض على الغـرب لنستأصله، أو لكي نقـولبه في قـالبنـا. . . نحن نريد التفـاهم مع الآخـر، والتحاور معـه، كنا ولا نـزال أمة حيـة تملك مشروعهـا ورصيـدهـا والـدين الـذي يؤهلهـا للمشـاركـة في البنـاء الإنسـاني والحضـاري العـام للبشـرية. . . هـذا تلخيص لحوار أجـرىٰ مع الترابي. تصرفنـا فيه قـدر الإمكان، را: ملف المعلومات، المركز العربي، م. س. ص ٦٥.

الحيـة والفـاعلة والمؤثـرة والقـادرة على إدخـال الإنسـان مجـدداً إلى رحـاب الإسـلام، بعدمـا ضيق عليـه الخنـاق من قبـل الأنـظمـة في دوائـر الـطائفيـة والمذهبية، والقومية. . . وقد تمكنت هذه الحـركات بـأسلوبها المبـرر شرعـاً وبـدعوتهـا وحكمتها من أن تعيـد لـلإنسـان بعض حيـويتـه في أرجـاء العـالم الإسلامي، وقدرته، وخياراته، فكان أن عبـر هذا الإنسـان عن نفسه في أكثـر من موقع من مـواقع الحيـاة، وفي مواجهـة كل أسـاليب العنف والفوضىٰ التي تريد الحضارة الغربية أن تغرقه فيها لأجل أن تقول لعالمها المتحضر على حد زعمها أنظروا إلى هـذا الإنسان الـذي لا يؤمن إلا بالعنف، ويـرفض الحوار، تلك هي مـزاعم الغـرب في حق الإسـلام والمسلمين في الـربـع الأخيـر من القرن العشرين.

وإن غـداً لناظـره قريب، وسيشهـد العالم انتصـار الحـركـة الإسـلامية العـالمية في مـواجهة الاستعمـار وأدواته، وستتحـول إلى دولة عـظمىٰ تعمـل لصالح البشرية، ولن تكون أبداً أمبراطورية الشر الجـديدة كمـا يقول «كيبـل» الذي حكم حكماً جائراً نتيجة لقصر نظره، ولإحكامه المسبقة التي تفتقـر إلى الموضوعية عن الإسلام والمسلمين. . .

الفصل الثاني: موقف الشيخ شمس الدين من الثقافة السائدة:

١ ـ الثقافة في اللغة:

ترجع كلمة ثقافة في اللغة العربية إلى فعل ثقف، وكما جاء في مجمع البحرين (باب الثاء) ثقفت الرجل إذا أوجدته وظفرت به، ومنها قول الله تعالى: ﴿. . . حيث تقفتموهم﴾ أي حيث وجدتموهم وظفرتم بهم. كما يقال «غلام ثقف لقن» أي ذو فطنة وذكاء بمعنىٰ أنه واثق من معرفته لما يفعل ولما يحتاج إليه. ويقال أيضاً: الثقاف، وهو ما تسوىٰ به الرماح. .[1].

لا يقف معنىٰ الثقافة في اللغة عند هذا المعنىٰ، بل نجد له إستعمالاً آخر، وعلى نحو أضيق، فقد جاء في الموسوعة الفلسفية في معنىٰ الثقافة ما يلي: «. . . تنمية بعض ملكات العقل بواسطة دربات مؤاتية، كما تعني استنتاجاً ما هو حاصل بفعل هذه العملية، أما المعنىٰ الأوسع، فهو صفة الشخص المتعلم الذي يكون قد أنمىٰ ذوقه وحسه النقدي وحكمة بواسطة الإكتساب، وأحياناً تستخدم للدلالة على عملية التربية المؤدية إلى اكتساب الصفات المذكورة[2].

وكما جاء في المعجم الوسيط: «ثقف الخَلّ ـ ثقافة ثقف. فهو ثقيف، وفلان: صار حاذقاً فطناً، ويقال (ثاقفه) مثاقفةً، وثقافاً: خاصمه وـ جالده

---

(١) مجمع البحرين، باب (الثاء)، ص ٣١٤..

(٢) الموسوعة الفلسفية، معهد الإنماء العربي، مج (١)، ص ٣١٠.

بالسلاح و ـ لاعبه إظهاره للمهارة والحذق، (ثقّف) الشيء: أقام المعوج منه وسواه. و ـ الإنسان: أدبه وهذبه وعلمه. (تثاقفوا): ثاقف بعضهم بعضاً. (تثقف): مطاوع ثقفه. ويقال: تثقّف على فلان، وفي مدرسة كذا.

(الثقافة): العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها»[1].

٢ ـ مفهوم الثقافة:

قال محسن الميلي: تحت عنوان مقهوم الثقافة ما يلي: «. . . الثقافة هي المضاف الإنساني لحالات الطبيعة من علوم ومعارف وتنظيمات أخلاقية وسياسية وصنائع عملية، الثقافة منتجات وتنظيم. . . إنها أسلوب حياة المجتمع. . . الثقافة واحدة ومتعددة، ثابتة ومتطورة، وهي نمط حياة المجتمع وهويته الخصوصية. . .»[2].

وقال السيد محمد حسن الأمين تحت هذا العنوان أيضاً: «. . . ان مفهوم الثقافة لا يزال من المفاهيم التي يكتنفها الكثير من الغموض نظراً للتحديدات المختلفة والمتفاوتة بين تيار وآخر ومثقف وآخر. . . ويمكن التركيز على بعدين من أبعاد الثقافة هما المعرفة، والمعرفة بوصفها وسيلة التغيير والتحول في العقل والوعي والمجتمع. . .»[3].

وقال تايلور (أدوارد) في كتابه (الثقافة البدائية) الصادر سنة ١٨٧١ إن الثقافة هي ذلك المركب الكلي الذي يشتمل على المعرفة، والمعتقد، والفن، والأدب، والأخلاق، والقانون، والعرف، والقدرات، والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع. . .»[4].

---

(١) المعجم الوسيط، إنشارات ناصر خسرو، طهران، إيران، ج ١، ص ٩٨.

(٢) محسن الميلي، مجلة الإنسان، عدد (١)، ١٩٩١.

(٣) السيد محمد حسن الأمين، مجلة المنطلق، عدد ٩٩.

(٤) أنظر جان فريمون (تلاقي الثقافات والعلاقات الدولية، في مجلة العلاقات الدولية، م. س، ص ٢٩.

وقال: هيريـو عن الثقافـة «بأنهـا ما يبقىٰ في ذاكـرتنا عنـدما ننسىٰ كـل شيء»[1].

وعرفها الشيخ شمس الدين «بأنها مفهوم متنوع الجـوانب إلى درجة قـد يمكن القـول معها أن ثمـة مفاهيمٌ متعـددة للثقـافـة: هنـاك الثقـافـة النـظريـة المحضة التي ليس لها أثر مباشر في المجتمع، وهناك الثقافة بمعنىٰ الأعراف والتقـاليـد والعـادات التي تنعكس في أنمـاط الحيـاة، وهنـاك الثقـافـة بمعنىٰ يتجاوز هذا وذاك المعرفة والمقولات الفكرية التي يتكون منهـا وعلى أساسهـا الرؤية السياسية والموقف السياسي من قضـايا الـوطن والأمة. . . ثقـافة تـرتكز على رؤيـة معينـة لتنـظيم المجتمـع ووضعيـة الإنسـان في المـجتمـع والعالم. . . »[2].

هــذه جملة من التعـريفـات والمفـاهيم للثقـافـة (بمـا هي مصـطلح حضاري)، وكلها تتفق حول حقيقة وهي أن الثقافة (كالحضارة) ليست مفهوماً مجـرداً، بل هي واقعـة طبيعية يتفـاعل معهـا الإنسان، ويتـأثر فيهـا إلى درجة يمكن القول معها أن الإنسان هو موجود ثقافي، وله معنىٰ ثقافي منذ خلقه الله تعـالىٰ، حيث أن الله سبحانـه وتعالىٰ زوده بـالعقل الـذي يجعل منـه موجـوداً عالماً ومثقفاً به تفهم الإشيـاء، وبه تتحـرك هذه فضـلاً عما لهـذا الإنسان من قيمة وجودية ترتفع به فوق كل الكائنات. إنه موجود ثقافي (حضـاري) يمتاز عن غيره في أنه يعقل ويحيط بالأشياء بحدود عقلانيته من دون أن تكون لديـه القـدرة على الإحـاطـة بكـل شيء علمـاً، وهنـا يجب التمييـز بين أن يكـون الإنسان عالماً متجرداً، وبين أن يكون مثقفاً منفتحاً، فالعلم الحقيقي ليس هو ذاك العلم التجريدي الذي لا يتحول إلى ثقافة تبنىٰ للإنسان عقله بطريقة حية منفتحـة على الحياة، وإنمـا هو العلم الـذي يمكن الإنسان من تـوسيع دائـرة

---

(١) أنظر «الثقافة والثقافة المضادة، جوزيف شريم، مجلة الفكر العربي المعـاصر، العـدد ٢٧/٢٨، ١٩٨٣ ص ١٧٣، وقا: مع محمد عبد الجـابري: نقـد العقل العـربي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٤، ص ٣٨.

(٢) أنظر الشيخ شمس الدين، «الإتجاهات الفكرية المعاصرة، جريـدة السفير، ٩ أيلول، ١٩٨٥. . .

حياته ليقف في مواجهة التحديات التي تفرض عليه باعتبار أن كلمه بلىٰ في عالم الذر أبىٰ الله سبحانه وتعالىٰ أن تبقىٰ مجردة دون فاعلية فخلق العالم للإنسان من أجل أن يقوم بترجمة شهادته باكتشاف العالم وتحصيل العلم والثقافة التي تسمح له بمعرفة نفسه والآخرين. إن كلمة بلىٰ في الأصل هي كلمة تجريدية امتحن بها الإنسان في هذا العالم، فمنهم من تذكر، ومنهم من نسي، فمن تذكر تواصل ثقافياً وحضارياً، ومن نسي خسر نفسه، ولم يحفظ قيمته الوجودية المتضمنة لهذا المعنىٰ الثقافي. . .

كما أننا نلاحظ أيضاً في ظل هذه التعريفات التي تلتقي من حيث العموم، أنها واحدة وإن جاءت منقسمة، فتعريف تايلور القديم، يتناول الإنسان (كموجود ثقافي) ككل مع نفسه ومع الآخرين من دون تقسيمات تجعل من الثقافة منقسمة إلى ما هو نظري محض، وإلى ما هو واقعي، وكذلك تعريف (هيريو)، فإنه يتناول الإنسان بما هو (كائن عاقل) مفكر ذو ذاكرة تحفظ، وتنسىٰ من دون إشارات إلى طبيعة الثقافة من حيث هي حقيقة متحصلة (مكتسبة) ومدللة على إنسان يعيش في الواقع ويتفاعل معه. . .

لذا فإن كل المفاهيم يمكن أن تكون ناقصة لجهة النظر إليها واعتبارها واحدة ومتعددة، ثابتة ومتطورة، «لأن ظاهرة الإختلاف بين الثقافات واقعة أولية واضحة يمكن ملاحظتها في الواقع واستنتاجها من تعريف الثقافة نفسه؛ ولكن الناس لم يتفقوا في فهمهم لها ولا في مواقفهم منها إذ اعتبرها بعضهم ظاهرة طبيعية ناجمة عن علاقات مباشرة أو غير مباشرة بين المجتمعات، واعتبرها البعض الآخر مدعاة للتنافر والعداء والتفاضل»[1].

ليس بالإمكان إعطاء الثقافة معنىً واحداً في الزمان (ثابتاً) لا يتغير، لكن الإنسان يبقىٰ قادراً على تحديدها وفق أطر الزمان المعين، والمكان المعين، من دون أن يكون لديه القدرة على وضعها في قالب ثابت يمنعها من التغير بمعنىٰ أنه يمكن أن تأخذ معاني جديدة وتعاريف جديدة كما أنه يمكن أن تحدد من جهة الخطوط العامة، وقد يستمر تعريفها ضمن هذه الخطوط أيضاً

---

(١) را: محسن الميلي، مجلة الإنسان، م. س. ١٩٩٠. عدد أول. ص ١٣.

التي ترسمها أو تتراكم حولها، في حين أنه لا يمكن إعطاؤها معنىً مطلقاً، أو مركزية تمنع الآخرين من أن يشاركوا في بنائها، ولا تعترف للآخرين بالمشاركة إنطلاقاً من مفهوم خاطىء يغرق الثقافة في مركزية ظلامية تنفي على الآخرين حقهم ومشاركتهم. إنه مفهوم ينفي التواصل بين الثقافات، لأجل إيهام الإنسان بأن الثقافة يمكن أن تصدّر، وقد بينا في الفصل السابق ما هو عليه الغرب من فضاضة في دعوته إلى نفسه، حيث أنه نفى الحضارة عن الآخرين واعتبر نفسه سيد العالم بما يملكه من تقنيات وتكنولوجية، وكانت النتيجة أن نفى الغرب المعنى النسبي للحضارة وللثقافة أيضاً مدّعياً الأطلاقية والمركزية التي هي مركزية ظلامية تنفي الآخر، أو تنفي أن يكون لهذا الآخر معايير مقبولة[1].

إنها ثقافة تواصلية ـ إذا صح التعبير ـ لا تنقطع، لأنها حيث تنقطع تبقى ثقافة لكن يستحيل عليها أن تعطي نفسها معنىً حضارياً، وخير مثال على ذلك هو أن المسلمين قاموا بعملية تثاقف ملفتة للنظر أدت بهم إلى بلوغ أوج التحضر والارتقاء، ثقافة أعطت الإنسان بعده الروحي والمادي. وهذا ما قيل عن الحضارة بأنها أشبه ما تكون بعملية تثاقف متواصلة لا انقطاع فيها[2]، هذه العملية يمكن أن تؤدي بالإنسان إلى التواصل مع الحياة بكل ما تفرضه

---

(١) يقول محسن الميلي: «. . . ولنا في المركزية الأوروبية شواهد على ذلك: ذلك أن الفكر المركزي الغربي الأوروبي برر حركة الاستعمار والهيمنة التي مارستها الحضارة الغربية على شعوب أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، لقد صفق هيغل لما سماه بانتصار الروح الأوروبية وعودتها إلى مجدها عند احتلال فرنسا للجزائر، كما اعتبر ماركس وانجلز الإستعمار الفرنسي للجزائر خطوة تقدمية ترقى بالجزائر من طور الأقطاع إلى طور الرأسمال. . . أما زعيم المدرسة الوضعية أوغست كونت) فرأى أن التفكير البدائي كان في مرحلته الصبيانية وهماً يعتمد الأساطير والأديان ثم جاء اليونان والغرب قديماً فولد العقل المجرد ثم تطور إلى التجريب مع عصر النهضة الأوروبية ليبلغ المرحلة الوضعية في العصر الحديث. إنها نزعة ظلامية تقوم على الإحتواء والنفي والهيمنة والإقصاء.

(٢) أنظر: معن زيادة، معالم على طريق تحديث الفكر العربي، عالم المعرفة، ١١٥٤، ص ٥١.

هذه الحياة من تقدم وتطور ومواكبة للعصر، ويمكن أن تؤدي به إلى حفظ ماء وجهه كما هو اليوم. لكن لا يمكن أن يقال عن إنسان ما انه بدائي الثقافة، حتى الهنود الحمر، والأسكيمو وغيرهم ممن لا يصح أن نصنف ثقافتهم بالحضارة، باعتبار أن الإنسان بما هو إنسان عاقل شاهد، حر مختار هو له معنىٰ ثقافي وجودي[1].

---

(١) هناك من ينسب فعل التحضر إلى نوابغ ورجالات كبار ساهموا إلى درجة كبيرة في ارتقاء الحضارة وتطورها. وهؤلاء النوابغ يعطون من القداسة ما لا تعطاه باقي الأمة، وكأن هؤلاء يملكون عصا سحرية. . . ؟ كما أن هذا البعض يتهم من تبقىٰ بتكديس الثقافة من دون أي فعل من شأنه أن ينتج ثقافة خاصة به، وإذا كان هذا الكلام الأخير يصح، فإنه لا يعطي النوابغ من الأمة هذه القيمة، وأحياناً يكونون هم سبب إقدام الأمة على هذا التكديس الثقافي، لأنهم لم يقوموا بدورهم في توعية الأمة ووضعها على السبيل الذي يؤدي بها إلى إنتاج ثقافة أخلاقية (علمية وروحية) تدفع بها إلى الاستقلال. فما لك بن نبي مثلاً اتهم الأمة بعد عصر الانحطاط بأنها تكدس ولا تنتج، لكنه لم يعط النوابغ قيمة زائدة، ولم ينكر قدرة الأمة على التغيير، مثله مثل الكسس كارل، ومرتضىٰ مطهري، والشيخ شمس الدين، وغيرهم من فقهاء المسلمين. . إن الغرب أراد أن يعطي النوابغ القيمة المطلقة، لكنه أخفق حينما تمزقت روحه، وبعض العلماء الأجانب أدرك هذه الحقيقة فمونتسكيو مثلاً، يرىٰ بأن النوابغ أثار ونتائج لقضايا أوسع مجالاً وأطول زماناً وهيغل يرىٰ بأنهم لم يخلقوا التاريخ بل هم كالقوابل. . . على الرغم من أنه صفق للإنتصار الأوروبي حينما أقدم على قتل كل نابغة بقتله للروح حين استعمرها وقذف بها نحو العدم. وكذا الشهيد مطهري هو يرىٰ بالنوابغ علائم وليس عوامل، إنطلاقاً من مقولة أصالة الجماعة وليس الأفراد، ويلتقي معه في هذا الشيخ شمس الدين بتأكيده على ضرورة أن تكون الجماعة حية ومتواصلة من خلال ثقافتها مع العالم الآخر، وهو حين يفسر آية الوسطية يذهب بالقول إلى أن المسلم لا تمنعه ثقافته من أن يكون حياً في حواره مع الآخرين، ويعترف لهم بجهودهم ولا ينكر عليهم حقهم، فليس هناك نوابغ يملكون ثقافة تختلف عن ثقافة الأمة، وإنما هناك ثقافة متفاوتة بين من يملك القدرة على التواصل وغيره ممن لا يملك هذه القدرة، باعتبار أن هناك ثقافة إسلامية تمتاز بمضمونها الواحد الذي يصلح لكل زمان ثقافة صنعها الإسلام، وقدمها النوابغ من الأمة، وهنا يتجلىٰ الفرق بين ثقافة استمرت وحفظت نوابغها، وبين ثقافة قتلت نوابغها وهذا ما ذهب إليه الكسس كارل بقوله: إن الحضارة الموجودة الآن قللت من هؤلاء النوابغ بل هي عاجزة عن انجاب موهوبين من ناحية =

. . . .

= الخيال والذكاء والشجاعة، ففي كل بلد يوجد تناقض في المستوىٰ العقلي والأدبي، لأولئك المسؤولين عن الشؤون العامة. را: الإنسان ذلك المجهول: م. س. ص ٣٥. إن حضارة الإسلام أحيت نوابغ الأمة، من خلال الأمة ومن أجلها لأنها حضارة عميقة الجذور، وتعود إلى أنبياء وأئمة أعلام هم النوابغ فيها، وكلما كانت الثقافة متواصلة مع هؤلاء، كلما كانت ولادة النوابغ متيسرة أكثر. وكلما انقطع التواصل مع هؤلاء، كلما كان التصارم متيسراً أكثر. فالنوابغ لا يأتون من فراغ، ولا هم أولئك العلماء الذين منعوا الناس من إقامة علاقات مع ربهم لما كدسوه على فطرتهم وروحهم من تعاليم مزيفة، ولا هم أولئك الحكام الذين منعوا الأجيال من أن تتلاقىٰ وتتواصل حتىٰ تستمر في بناء حضارتها الإنسانية. إنهم أولئك الرجال الذين استمروا أحياءً بعد موتهم، والذين بهم الأمة تحركت باتجاه مصيرها الخالد.

إن الحضارة الحقيقية لا تحتكر لأشخاص يطلق عليهم إسم النوابغ، وإنما هي تعود في أصلها إلى دين إلٰهي يبعث فيها الحياة فيما لو اعتمد عند أبنائها وجماعاتها. فالحضارة التي يبنيها أعاظم الرجال كما يزعم الغرب ـ يجب أن تستمر في حفظ نوابغها لا أن تقضي عليهم وتجعل منهم مشوهين ومجرمين وغاصبين ومحتكرين لكل شيء، هذا فضلاً عن نشأة هؤلاء النوابغ في مختبرات جهزت لقتلهم. . . !! وهنا نتذكر قول غوستاف لوبون ـ لم تنهار لأنها زكية وشجاعة، وإنما انهارت لأنها لا أخلاقية، فلو كان هؤلاء النوابغ في الغرب أخلاقيين لما انتهىٰ الأمر بهم إلى تلويث أنفسهم بما صنعوه من الآلات لتدمير البشر وقتلهم. إن انهيار العالم اليوم يبشر بانهيار نوابغ الغرب وكل مَن يقال فيهم أنهم أحرار أممهم، ! وهذا الكلام لا ينطبق على المسلمين، لأن ما يوجد عندهم من نتف حضارية. كما يقول الشيخ شمس الدين ـ (حطام حضاري) سببه أن الأمة قتلت نوابغها وحالت بينهم وبينها على خلاف الغرب وحضارته، فإن النوابغ في الغرب، هم الذين يهددون الأمة بالقتل، فالمعادلة هنا بسيطة جداً ، ان النوابغ في الأمة الإسلامية، قدسوا الأمة ، في حين أن هؤلاء ظلموا من قبلها وخافوا منها بدل أن تخاف منهم من حيث كونهم رعاة لها أما النوابغ في الغرب، فالامة تخافهم، وتقدسهم وتعيش معنىٰ وحقيقة العبودية لهم! . لقدمات هيغل وهو يصفق للإنتصار الأوروبي ولو بقي حياً لصفق للهزيمة، ولعرف أن النوابغ هم الذين يقدسون الأمة لا الذين يقتلونها!! إن التحضر الحقيقي، والتثاقف الحقيقي إنما يكون بعودة الجماعة إلى نفسها، ومن ثم عودتها إلى أصالتها، إلى نوابغها الأخلاقيين، إلى الأنبياء والأئمة (ع). . . الذين عرفوا كيف يوجهون الإنسان الأول لبناء حضارته ولنشر ثقافته، وللتواصل مع الآخر أياً كان. فالنابعة لا يموت، بل يبقىٰ حياً بما ينجزه لأمته، وبما يحققه لها من كرامة وعزة، وكيان ووجود. . .

بمعنىٰ آخر الإنسان هو وحدة ثقافية حضارية منذ وجد، بل هو كذلك حيث كان قبل أن يكون.

لقد كان الإنسان قبل كونه إنساناً ثقافياً حضارياً بإجابته على السؤال الإلٰهي «الست بربكم، قالوا بلى شهدنا...». هذا الإعتراف أعطىٰ الإنسان قيمته، وأبرز مضمونه الثقافي الحضاري، وإذا كنا نرىٰ بأن هذا الإعتراف قد توارى عند أغلب الناس، بعد الكون المادي، فذلك إنما حصل بسبب ما تكدس على فطرة هذا الإنسان من جهل وحب للشهوات والماديات وغيره مما أدىٰ إلى نسيان الإنسان لذاته بعد أن نسي اعترافه وشهاداته. فلم يعد هناك أي مفهوم ثقافي عند الإنسان بعد هذا النسيان، لأنه لم يعد متذكراً لشيء إطلاقاً، ولو كان متذكراً لشيء ما لما أقدم هذا الإنسان على إخفاء روحه وقتلها بالمادية وبالتحضر الوحشي الذي قضىٰ على إنسانيه الإنسان، ونحن نرىٰ بأن تعريف هيريو للثقافة لم يعد تعريفاً قائماً لما يفتقر إليه هذا التعريف من دقة، لأنه إذا كان معنىٰ الثقافة «هو ما تبقىٰ في الذاكرة عندما ننسىٰ كل شيء». وبما أن الإنسان لم يعد متذكراً لشيء بسبب نسيانه لشهادته ولإعترافه في عالم الذر، فإن هذا الإنسان، بحسب تعريف هيريو - لم يعد موجوداً ثقافياً وحضارياً، والحق يقال أن الإنسان الأوروبي اليوم لا يمكن تسميته بالإنسان الثقافي، أو الحضاري بسبب غلبة النسيان عليه، نسيانه لنفسه، ولغيره، وما يتولد عنهما من نسيان لقدرة الله تعالىٰ، ولرحمته، ولإرادته، ولو كان هناك ثمة تذكر لكنا رأينا أثر ذلك في أقوال الإنسان وأفعاله حيث أنه يدعو في أوروبا علانية إلى قطع العلاقة مع السماء، أو على الأقل إلى عدم مراعاة ذلك في التعامل مع الإنسان الآخر، وفي التعامل مع الطبيعة... نحن لا نصدق بأن هناك تعاملاً حسناً وتذكراً جميلاً مع الآخر في الوقت الذي نرىٰ فيه أن التعامل السلبي مع الله والنسيان له، هو المهيمن وقد قال تعالىٰ **﴿ولا تكونوا من الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾**[1].

إن العداء لله تعالىٰ لا يمكن أن تكون نتيجته الحب للإنسان،

---

(١) سورة الحشر، آية: ١٨.

وللطبيعة، والوجود. وما نتج عن حضارة الغرب من هيمنة واستعمار، وتكنولوجيا غيرت خلق الله، هو نتيجة طبيعية لعدم العلاقة الصحيحة مع السماء، ونتيجة لعدم الخوف من الله. بل نتيجة للعداء مع الله سبحانه، هذا العداء الذي يقابل به الإنسان الأوروبي، رحمة الله ولطفه، ونعمه عليه، يقول محلل غربي: «إن الحضارة الغربية لا تجحد الله في شدة وصراحة، ولكن ليس في نظامها الفكري موضع لله في الحقيقة ولا تعرف له فائدة، ولا تشعر إليه بحاجة[1] . . . الله سبحانه وتعالىٰ يقول: ﴿**ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً**﴾[2] .

فما هو نوع الثقافة التي يملكها الإنسان الأوروبي بعد أن نسي كل شيء حتى نفسه؟ فمن أين تكون له الذكرى وهو أعمى القلب والعقل، وفاقد البصيرة. ﴿**فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور**﴾[3] .

إن الآية الآنفة الذكر تحمل معنىً ثقافياً حضارياً يعطي الإنسان قيمته وكرامته، وكم هي كلمة«بلىٰ» حضارية إذا كان الإنسان متذكراً تماماً معنىٰ شهادته ومسلماً لله تعالىٰ بالربوبية. وما أشرنا إليه سابقاً من أن المشروع الحضاري الإنساني، هو مشروع فطري عند الإنسان من معانيه أن يعود الإنسان إلى فطرته وإلى توحيد الله تعالىٰ توحيداً لا شائبة فيه، وفي هذا المعنىٰ، ومن خلال هذا المشروع يلتقي جميع بني البشر، لأن الله سبحانه وتعالىٰ يقول: ﴿**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا: بلىٰ شهدنا. . .**﴾[4]

فالبشر جميعاً هم وحدات ثقافية حضارية متميزة بالكينونة العاقلة الحرة

---

(١) أنظر كتاب حضاراتهم وحضارتنا، عبد المنعم النمر، دار المعارف بمصر ١٩٧٨، ص ١١.

(٢) سورة النساء، آية: ١١٩.

(٣) سورة الحج، آية: ٤٦.

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٧٢.

الدافعة إلى التواصل الحقيقي مع الإسلام، ومن ثم مع البشر جميعاً، ومع خالق البشر والطبيعة والزمان الذي تعيشه كل الأجيال المتواصلة فيما بينها لتشكيل الثقافة والحضارة بما هي امتداد لكلمة بلىٰ.

إن الشيخ شمس الدين حينما أشار إلى ثقافة ليس لها أثر مباشر في المجتمع، وإنما يقتصر أثرها على صقل الذوق الفني وعلى تنمية الحس الجمالي. . . هو في الحقيقة أشار إلى هذا المعنىٰ الحضاري الثقافي المسلم به من كل بني البشر، لأنهم يلتقون جميعاً حول ما ينفر منه الذوق، وحول ما يستحسنه، إنهم يملكون ثقافة واحدة، ليس لها أثر مباشر بالنسبة إلى الجماليات والإحساس بها. لكنهم يختلفون في نظرتهم إلى الواقع، وفي تعاملهم مع الطبيعة، باعتبار أن هناك نوعاً من الناس، ونتيجة لتذكره شهادته في عالم الذر، يبقىٰ منسجماً مع فطرته في التعامل مع الآخرين، وهناك نوع آخر نسي هذا (الشهادة) فانعكس نسيانه عداءً لله وللطبيعة وللإنسان، ولو أن هذا الإنسان حافظ على نفسه وملك زمامها حينما لبس هذا الثوب المادي، لما كنا رأينا في الواقع وعند الناس ثقافات مختلفة وتيارات متناقضة، ولكن شاء الله أن يبلونا أينا أحسن عملاً وأصدق شهادة واعترافاً. إن المادة التي أغرقت الإنسان وحالت بينه وبين فطرته، والتي جعلته مختلفاً مع أخيه الإنسان، ومنتقماً منه أحياناً، إذا تسنىٰ للإنسان أن يتخلص منها أو على الأقل إحداث شيء من التوازن بين المادة والروح، فإنه حتماً سيعود إلى فطرته، وإلى شهادته، لأن الفطرة فيما لو خلي الإنسان ونفسه، فإن حالته الفطرية تقتضي أن يصدق دائماً، وأن يكون ثقافياً حضارياً مميزاً دائماً. . .[1].

---

(١) قال العلامة الشهرستاني في مجلة المرشد ـ ص ٢٦ ـ ٢٧، الفطرة هي ما يقتضيه الشيء لو خلي ونفسه وبدون مانع ـ والمادة هي المانع. . . وهذه الفطرة قد تدوم. . . وقد تزول عنه بمانع أقوىٰ فيلتجىء إلى الجريمة. . . ومما يريك دين الإسلام بلباسه الفطري، أن حقيقة الإسلام هو أن يسلم المرء أمره إلى خالقه وأن يسالم المخلوقين، وهل هذا إلا حقيقة الفطرة. . قال سبحانه «ومن أحسن ديناً ممّن أسلم وجهه لله وهو محسن» أي المسلم لله والمسالم لعباده» را: تصحيح الاعتقاد، أو شرح عقائد الصدوق، تأليف الشيخ المفيد، منشورات الرضى، قم، ١٣٦٣، ص =

موقف الشيخ شمس الدين من الثقافة السائدة:

إن أي موقف يتسم بالسلبية أو بالإيجابية لا يكون من الثقافة نفسها، وإنما يكون مما تحدثه هذه الثقافة في مجتمعات الناس، فإذا كان لهذه الثقافة مفاعيل وتأثيرات تدفع بهذا المجتمع بإتجاه كماله وشهادته المقدسة (بلىٰ) فإن الموقف منها ـ حتماً ـ سيكون إيجابياً، أما إذا كان لهذه الثقافة تأثيرات عكسية، بحيث يتحول المجتمع في ظلها ومن خلالها إلى مجتمع حيواني استهلاكي، يقيّم نفسه إفراداً وجماعات، بما يملك ويستهلك، بمعزل عن الشهادة، والكرامة، وما تقتضيه الفطرة، وغير ذلك مما يحدثه النسيان ـ فإن الموقف منها سيكون سلبياً حتماً...

من هنا يمكن فهم تقسيمات الشيخ شمس الدين للثقافة بما هي ثقافة قريبة من قضايا المجتمع ومشاكله...

الشيخ شمس الدين يرىٰ بأن الثقافة النظرية المحضة التي يملكها أي إنسان في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية ليس لها أي مفاعيل عملانية في الواقع البشري ـ لما تتميز به هذه الثقافة من تجريد على مستوىٰ التعقل البشري، كما أن تجريدات هذه الثقافة ليس من شأنها أن ترسم خطوطاً، وإن كان بإمكانها أن تحدد سلوكات لجهة ما هي عليه من معاني رائجة في العقل المجرد، وهي غالباً ما تكون مؤثرة روحياً، إذ أنها أحياناً تدفع الإنسان إلى تقديس نفسه من حيث هي نفس شاهدة معترفة نظرياً، فإذا ما عرف الإنسان ذاته، وتذكر شهادته، فإنه حتماً سيعطي نفسه شيئاً من الواقعية بحيث يكون له قدرة على تجريد الواقع، إذا لم يكن لديه القدرة على عقلنة الحياة بطريقة تحفظ له استمراره الحضاري والثقافي...!؟

إن هذه الثقافة المجردة ليس من شأنها أن تتحول إلى واقع ملموس، أو

= ٤٦. إن الثقافة في الغرب اليوم التي تتميز بعدائها للإنسان، وبعدم مسالمتها لله، هي نتيجة حتمية لما يوجد من موانع، ومن موبقات على النفس الإنسانية، وهذا ما يمنعها من أن تبقي إنسانية...

إلى كلمة محسوسة، فلا يكون لها ذلك لما تتضمنه هذه الثقافة من تعقيدات يصعب على المجتمع الإنسان آياً كان هذا المجتمع التكيف معها بطريقة عقلانية ومنطقية وواقعية، كونها تحمل الكثير من الخرافات والأساطير، وهذا ما لا ينطبق على الثقافة الإسلامية باعتبار أن الثقافة المجردة عند المسلمين هي في ذاتها ثقافة يمكن ترجمتها في الواقع سلوكياً وأخلاقيا بحيث يتذكر الإنسان دائماً أنه مخلوق لله وعبد له، ولا يحق له أن ينظّر ثقافياً وأخلاقياً في مقابل ما يحتوي عليه الإسلام من ثقافة وأخلاق وحضارة، فقط هو يحق له أن يبني نفسه على ضوء معطيات الإيمان التي تتحكم بأنفاسه، وتعطيه دفعاً باتجاه إيجاد المعاني الثقافية والحضارية المعبرة عنه، والمتضمنة لحقيقة إيمانه، أما الثقافة عند غير المسلمين، ممن يشرعون لأنفسهم - فيما لو أعطيناها طابعاً غير تجريدياً، فهذه الثقافة تختلف بين قوم وآخر، ولا يمكن الاعتماد عليها في تحديد سلوكات المجتمع، وغالباً ما ينشأ عنها صراعات ونزاعات تحول المجتمع إلى كومة من الخرافات والتقاليد. . . هذا في المجتمعات التي تقدس نفسها من خلال اعتقادات وقوانين تضنعها لنفسها ما أنزل الله بها من سلطان. . .

لكن يبقىٰ أن نقول أن الموقف من هذه الثقافة المحضة، هو أن كل إنسان صنع لنفسه شيئاً مجرداً يقدسه، ويعطيه معاني مقدسة في ذاته من دون أن يتعداه إلى الواقع. . .

فالموقف من هذه الثقافة هو أيضاً موقف نظري ليس له انعكاسات عملانية (إلا في بعض المجتمعات البدائية التي لم ترتقِ بعد إلى مستوىٰ الفكرة الدينية، يقول الشيخ شمس الدين: «البدوي والحضري، الصانع والتاجر، العالم والشاعر. . . من أنظمة سياسية مختلفة، وأطر عقائدية مختلفة يتمتعون بنفس الذوق الفني، والحس الجمالي، يحبون كتاباً واحداً، وتأخذ بألبابهم روعة مشاهد واحدة. . . إن هذا الخط من الثقافة ساحة يمكن أن تكون مشتركة يلتقي عليها البشر، وتتوحد فيها التنوعات. . .»[1].

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، الاتجاهات الفكرية المعاصرة. م. س.

فالثقافة التي تتفاعل مع نفسها تجريداً لم ولن تكون موضع خلاف بين البشر، لأنها لا تتصل بشيء من حياة الناس، ولا لها أي تأثير في المجتمعات الإنسانية، فإذا لم تكن ذات فائدة إيجابية، فلن يكون لها أي تأثير سلبي كونها تعيش في أعماق عقول الناس، ومفاعيلها دائماً تكون نفسانية، كما أن هذه الثقافة ليس من شأنها أن ترسم سياسات المجتمعات والدول، ولا من شأنها تحديد ماهية العلاقات. أما الثقافة التي هي على اتصال دائم بالمجتمع ولها تأثيرات عملانية، فهي الثقافة التي لها تأثير في علاقات الناس، والتي تحدد لهم مسارات معينة، كالثقافة الإسلامية التي يتكون على أساسها الموقف السياسي المبدئي الذي يحفظ للإنسان كيانه وحريته وكرامته فإذا أدت الثقافة إلى خلاف ذلك فلا تكون ثقافة إسلامية ولهذا نقول إن أخطر ما تواجهه هذه الثقافة هو أن يعترف بإسرائيل، فبقاء الثقافة الإسلامية معناه بقاء العداء الوجودي لإسرائيل، فإذا اعترف بإسرائيل وحوّل الصراع، فلن يبقىٰ لهذه الثقافة أية ميزة عن غيرها من الثقافات، بل تصبح ثقافة الهنود الحمر والأسكيمو أفضل من ثقافة شعب يمكن عدوه أن يفري جلده، ويهشم عظمه، ويعرق لحمه... إن من أعمق المعاني الحضارية والثقافية عند الإنسان المسلم، أن يستمر العداء الوجودي لإسرائيل بما هي كيان مغتصب، ومدنس للمقدسات...

هذا النوع من الثقافات غالباً ما يخلق تمايزاً حاداً في المجتمعات الإنسانية، وتبني عليه مواقف فكرية وسياسية تتصل بشؤون المجتمع والدولة، فالمجتمع الذي لا يتعدىٰ أفراده حدود المواد الثقافية التي تتعلق بخط ممارسة الحياة اليومية ليعيش في إطار المقولات الفكرية التي يتكون منها وعلى أساسها الرؤية السياسية والموقف السياسي في قضايا الوطن والأمة، هذا المجتمع الذي يتجاوز حدود الثقافة التجريدية يجد نفسه مسؤولاً عن كل ما يجري من أحداث، وعن كل ما يحيط به من أشياء،فليس من حق الإنسان أن يتدخل لأتخاذ موقف من ثقافة مجردة عند أناس بعيدين عنه ويألفون الحياة بطريقة خرافية وأسطورية، أو بمعنىٰ أدق ليس من حقه أن يتخذ موقفاً سلبياً من أناس ليس لديهم القدرة على التثاقف والتواصل مع أقوام آخرين، على

خلاف ما هـو مطلوب من هـذا الإنسان فيمـا يعود إلى شؤونـه الداخليـة، وما يجري في مجتمعه من قيـام بعض الجماعـات الغربيـة بمهمات تفـرض عليه تبني بعض الأعراف والتقاليد، والعقائد البالية، فهنا يحق له أن يتخذ مـوقفاً، لأن الأمر تعدىٰ حدود الثقافة بما هي ثقـافة غيـر مؤثرة، وأصبـح الأمر متعلقـاً بثقـافة أخـرىٰ ذات نوع عمـلاني ويـراد منهـا تغييـر مجتمـع من المجتمعـات لصالح أقوام أخرىٰ، تماماً كما يحصل اليوم من قيام بعض الجماعات بمهمـة تغريب المجتمع وفصله نهائياً عن ثقافته وعن تقاليده وأعرافه، وعن كل ما هو ملاصق لذاته. هذا التجاوز لحدود الثقافة النظرية يحـدث شيئاً من الحـدة في المجتمعات، وهذه الحـدة موجـودة اليوم بين المجتمعـات الإسلاميـة نفسها، وبين المجتمعـات الإسلاميـة والغرب قـد يقول البعض: إن هـذا الأمـر شيء طبيعي فيما لو نظر إليه من زاوية الحركة الإنسانية الناشطة وخصوصاً إذا عرفنا أن الإنســان ليس جامـداً، وإنما هـو في حركـة ثقافيـة دائمة. ومن واجبـه أن يتحـرك ثقـافيــاً لأجـل الإصــلاح والتغييـر في البنىٰ النفسيــة والاجتمـاعيــة والسياسية!.

وهنا يقال: صحيح أن الإنسان ليس جـامداً، لكن الثقـافة ليست دائمـاً وسيلة لـلإصلاح، بـل قد تكـون وسيلة للإفسـاد أيضاً، كمـا هو حـال الثقافـة الغـربيـة التي تهيمن على هـذا العـالم بحجـة إصـلاحـه، والمسـاعـدة على نهوضه. هذه الثقافة ـ كما يقـول الشيخ شمس الـدين ـ لابد من اتخـاذ موقف سلبي منها لأنها تهـدف إلى تغيير طبيعـة الإنسان، وإلى قلبـه رأساً على عقب بحيث يعود مقلوباً كما كان في زمـان الجاهليـة، فالثقـافة إذا لم تكن منـطلقة ومتحركة على أساس التقوى والإيمان بالله، فلا تكون ثقافة هادفة لـلإصلاح، بـل هي الفساد بعينـه، وهذا مـا تعرض لـه العـالم الإسـلامي حينمـا، أبـدىٰ استعـداده المطلق لإفسـاد نفسه بثقـافة الغـرب تحت شعار الإيمـان وإصـلاح النفس ومواكبة العصر!!! يجب أن تؤخذ ـ قبل كل شيء ـ مصادر الثقافة بعين الإعتبار، فإذا كانت مصادرها أهواء الإنسان وأطماعـه وشهواتـه، فهذه الثقـافة ليست ثقافة حقيقية وإنما هي سياسة تهدف إلى إفساد هذا العالم، وكل ما فيه من ثقافة أصلية وأصيلة.

إذا كانت الحضارات السابقة قد تشكلت من ثقافات معينة، فليس معنىٰ هذا أن الحضارات كانت إنسانية، ومتجاوبة مع فطرة الإنسان وشهادته لله تعالىٰ، باعتبار أن الإنسان سواء كان فارسياً، أو رومانياً، (والحضارات السابقة) ـ قد اصطنع له ثقافة وحضارة، اصطناعاً، وقد بينا أن هذه الحضارات لم يكن فيها الإنسان الحقيقي، ولما أدرك الإنسان هذه الحقيقة خرج عليها وسحب اعترافه بها وقدمها للإنهيار كي تصبح حطاماً. كل هذه الحضارات السابقة اهتمت بالجانب المادي للإنسان، وغفلت عن أن هذا الأخير قد لا يكون على استعداد لأن يستمر مادياً إلى ما لانهاية، تماماً كما هو حال الحضارة الغربية اليوم التي تتجاهل استعداد الإنسان، وتعطيه من المادية لدرجة أنه أصبح يرفض هذه المادية لما أصبح عليه من حيوانية، فالسؤال عن الثقافة ـ هو سؤال عما توفره هذه الثقافة من حرية، وكرامة وإنسانية، ومسؤولية، فإذا انعدمت هذه، فلا يبقىٰ للسؤال أي قيمة، ولا للإجابة أيضاً، لأننا إذا أردنا أن نسأل، نسأل التاريخ وليس هؤلاء. لأنه يملك الإجابة الصحيحة عن كل التساؤلات. . فالثقافة اليوم ليست متكاملة العناصر ـ كما كان حال الحضارة الإسلامية سابقاً ـ كما أنها غير نابعة من معين واحد، وهذا ما سيسبب للمجتمعات كوارث خطيرة. لأن من نتائج تكامل العناصر أن يصل الإنسان إلى التكامل في ظل توازن مادي وروحي، فإذا لم تكن الثقافة مكتملة العناصر فإن التكامل سيكون معدوماً نهائياً، وحينئذ لا يبقىٰ للإنسان معناه الحضاري. . .

بعض العلماء اندفع لدراسة الإنسان سلوكياً، وقارنوا بينه وبين سلوك الحيوان، وكأن ذلك من شروط التثاقف والتواصل والتحضر. إن انعدام العناصر والشروط التي تؤدي إلى التكامل حمل البعض على أن يهذي في تحليلاته ومقارناته!!!.

إن ما يعجب له ومنه هو أن هناك محاولات لإعطاء الحيوانات معاني حضارية وثقافية! حيث أنهم ـ أي الغربين ـ يهتمون بالحيوان، وبالكلاب، أكثر من الإنسان، ويقدمون لهم من الطعام ما يكفي لأطعام مناطق بكاملها! هذه الثقافة الحيوانية في الغرب هي نتيجة طبيعية لما هو عليه الغرب من فساد

في نفسه، إذ أنه لا يستطيع (بسبب نكرانه وجحوده) أن يعطي نفسه معناها من خلال توفير الشروط الحقيقية لبناء حضارة الإنسان وثقافته. . .

فالثقافة يمكن أن تكون ذلك المركب الكلي ـ كما أشار تايلور الذي يشتمل على معارف عدة ومعتقدات وتطورات وقوانين مجموعة من هنا وهناك، لكن هل يمكن أن نجعل من هذا المركب مركباً حقيقياً فيما لو كانت العناصر غير متكاملة، وغير متفاعله؟ هل هذا المركب الذي هو عبارة عن خليط متنافر العناصر اليوم (آخذاً بعين الإعتبار الزمن الذي ألف فيه كتابه تايلور)، هذا فضلاً التناقضات الموجودة إجتماعياً وثقافياً، هل هذا المركب يفسح في المجال أمام الإنسان الأوروبي كي يؤلف لنفسه فكرة منسجمة لا تشوبها الخرافات سواء بالمعتقد، أو بالقانون، أو بالعادات؟ إنها ثقافة بدائية فعلاً تطل برأسها من جديد تهتم بالحيوان أكثر من الإنسان، وتعطي للحيوان من القيم والحقوق والكرامة أكثر مما تعطي للإنسان. . . !!؟

إن المشكلة تكمن في وجود ثقافة غربية متعددة ليس لها مصدر واحد، ولا معنىٰ واحد وهي في الأصل غير متوافقة، وقد أثبتت التجارب أن هكذا ثقافات وحضارات لا يمكن أن تؤدي إلى التكامل والتوافق، بل على العكس من ذلك تماماً، فهي تؤدي إلى الضياع والحروب فضلاً عن الهزائم النفسية «فبمقدار ما تكون عناصر الثقافة متكاملة متوافقة، نابعة من معنىٰ واحد، فإنها تدفع بالإنسان نحو التكامل، وتكون مصدر قوة ومناعة للمجتمع في وجه التحديات، أما حين تكون هذه العناصر متنافرة وملفقة من مناخات حضارية مختلفة، وعوالم ثقافية متنوعة، فإنها تكون سبباً للتمزق والتشتت، وهدر الطاقات، وضياع الجهود»[١].

هذا هو جوهر ثقافة الغرب، وحضارته، إنها غير منسجمة العناصر، وغير قادرة على الاستمرار في ظل هذا التلفيق غير المحكم بين الثقافات. . . !!

أما حضارة الإسلام، كما يحدثنا التاريخ، وكما نعرف جميعاً، فهي

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، الاتجاهات الفكرية المعاصرة، م. س.

التي تتميز بهذا التوافق والتكامل، وقد أثبتت أنها تنطلق وتأخذ من معين واحد هو الإسلام، حيث أنها استطاعت أن تقدم نموذجاً حياً لما يتمتع به هذا الدين من قدرة على تحويل الإنسان من وضع توفر عليه إلى وضع لم يتوفر عليه... لكن حين بدأ العالم الإسلامي يختلط مع الغرب ويأخذ بنماذجه غير الموافقة في أغلبها للإسلام، وحين بدأ يتفاعل مع ثقافات غريبة عنه، بدأ التمزق والانحلال بدءً بالشخصية الحضارية وانتهاءً بالواقع. ليست الثقافة في الغرب ولا الحضارة في الغرب، ما يوجد في الغرب هو عقل فلت من عقاله، ولم يعط جرعات من الشعور والضمير، مما أدىٰ إلى ثقافة وحضارة شوهاء قلما وصل إليها الإنسان عبر التاريخ، حضارة لم يعد يُعرف فيها الرجل من المرأة، كما أنها دفعت بالإنسان نحو مزيد من التكالب على الدنيا من دون أدنى اهتمام بالروحية...!؟

إن معنىٰ أن يكون الإنسان المسلم مثقفاً، معناه أن يكون صاحب شخصية متماسكة من خلال ثقافة متوافقة تنبع من الإسلام وتعود إليه بعد أن تكون قد أعطت الإنسان معناه الثقافي، وبعد أن تكون قد ثبتته على شهادته ووسطيته وكل ما له بموجب قانون الخلق الإلهي الذي كرم بني آدم وجعلهم خلفاء له في الأرض...

ومن هنا ليس على الإنسان المسلم إلا أن ينفض عنه غبار الغربة والتقليد، وكل ما تولد عن تقليده للغرب، وأن يتوجه من جديد نحو عالمه نحو الإسلام «الذي هو محتواه الثقافي، وعالمه الثقافي، ومجاله في الرؤية، وهذا ما يحتم القول بأن الثقافة الإسلامية تنمو وتتفاعل في داخل المسلم من خلال مناخ حضاري إسلامي، وهذا المناخ مختلف عن الرؤية الحضارية لدىٰ العالم اليوناني ـ الروماني، أو العالم المسيحي البوذي»[1].

وكما هو معلوم أن الثقافة الأوروبية اليوم هي عبارة عن مزيج من الثقافات المتنافرة، ولهذا السبب وغيره لم تتمكن ولن تتمكن من احداث توازن في شخصية الإنسان الأوروبي، فضلاً عن إنسان الشرق، وبما أنها

---

(١) م. س.

عجزت عن التقليل من الأعباء المفروضة على الأفراد والجماهير الناشئة عن الكفاح في الوجود، وعن إيجاد الظروف المؤاتية للجميع في الحياة قدر الإمكان، وهذا يعتبر مطلباً يطلب لنفسه من ناحية ومن ناحية أخرىٰ من أجل كمال الأفراد روحياً وأخلاقياً وهو الغاية القصوىٰ من الحضارة. . .»[1].

فإن كل ذلك يدل على أن عالم هذه الثقافة (بما هي مصطلح حضاري) غير معروف، ومجاله غير مرئي، هذا فضلاً عن أنها صنعت صناعة لا تتلائم مع ما جبل عليه الإنسان، ولا يمكن أن تتلائم معه في يوم من الأيام. . .

من هنا يمكن القول أن الثقافة التي هي عبارة عن خليط من اليهودية والمسيحية، والإسلامية عن خليط من الخرافات والأساطير والشعوذات التي تنسب إلى الديانات الثلاث وهي منها براء، هذه الثقافة لا تسمىٰ بالثقافة الدينية كما يحلو للبعض أن يسميها، وهذا البعض نجده في المسلمين، والمسيحين، واليهود، وهو كبير، بل يجب أن يطلق عليها، كما هو الحال ـ إسم ثقافة الواقع. . . على خلاف ما كانت عليه الثقافة الإسلامية قبل عصر الإنحطاط الثقافة الخالصة إسلامياً والتي أدت إلى نهوض المجتمع وتشكيل الحضارة، هذه الثقافة وحدها التي يمكن تسميتها بالثقافة الدينية، ولهذا نلاحظ جميعاً أن الحضارة في الغرب لا يطلق عليها إسم الحضارة الدينية، بل الحضارة الغربية وإن كان للمسيحية شيء فيها[2] وهذا ما يمكن أن يقال عن الثقافة الموجودة في الشرق (والتي هي تبع لثقافة الغرب) بأنها ثقافة عربية وإن شئت فقل غربية وليس ثقافة دينية، لأن معنىٰ أن تكون كذلك أن تكون مثقفة الشعوب إسلامياً، ومتفهمة تماماً لحقيقة ما يتضمنه الإسلام عقيدة وشريعة، فإذا هي عادت إلى أصالتها فإنها تعود إلى ثقافتها. . . وتبني حضارتها الدينية. . .

---

(١) را: البرت اشيفسيتر، الحضارة، م. س. ص ٣١.

(٢) الغرب ليس مسيحياً، والشرق ليس إسلامياً، والكل يلتقي عند المدنية، ويحارب الدينية. . هذه هي نتائج الحضارة اليوم؟؟

إن الثقافة المزاوجة بين العلم والأخلاق، هي الثقافة الإسلامية التي منحت الإنسان بعده الميتافيزيقي بعد شهادته في عالم الذر بقوله بلىٰ وبعد اعترافه العملي. أما الحضارة الغربية، فهي أبعدته عما له ومنعته من العمل لأجل أن يكون له هوية خاصة تمكنه من تأكيد ذاته. وتفعيلها بحيث يقدر على مخاطبة الآخر من موقعه المميز[1]. فالثقافة والحضارة ليست أشياء تجريدية طبيعية، وإنما هي أشياء تكتسب بالجهد والسعي الذي يبدأ باكتشاف المرء لذاته، ومن ثم للعالم. لذا فأنه لا يقال عن شعب قطع علاقته بالله من جهته أنه شعب ذو ثقافة وحضارة، لأنه كما بينا أن انعدام الإيمان يحمل هذا الشعب على التعامل مع العلوم على أساس أنها منفصلة وغير متداخلة مما يمنعه من تشكيل رؤية وحدوية حضارية...

هناك ثقافتان، ثقافة ترتكز وتنطلق من الإيمان بالله. وثقافة أخرىٰ تنطلق بوحي من الشيطان، ولكل ثقافة من الثقافتين منطقها الخاص، وهاتان الثقافتان لا تلتقيان وهما في صراع دائم، الأولىٰ تمثل الحق، والثانية تمثل الباطل، كما أن الأولىٰ تركز على المبادىء والقيم وتعطي للعلاقات بين الناس معناها ونكهتها والثانية تعتمد المصلحة والمنفعة والفوز المادي، يقول الشيخ شمس الدين: «إن الثقافة لا تهندس العلاقات البشرية للإنسانية في المجتمع والعالم وحسب، وإنما تعطيها نكهتها ومعناها»[2].

لقد بانت هذه العلاقة جيداً حينما قدم لنا الغرب نماذج حية عن علاقاته مع الآخرين، وعن تعامله مع المسلمين، علاقة تقوم على أساس أن يكون الإنسان المسلم خادماً للإنسان الغربي من دون أن يكون له أدنىٰ حق في الاعتراض، أو في أي شيء ينم عن احترام هذا الإنسان لذاته. مما يعني أن ثقافة الغرب هي وسيلة من وسائل تدمير الذات[3] .؟؟ إنها تسمىٰ ثقافة

(١) را: الشيخ شمس الدين، م. س.

(٢) را: م. س.

(٣) يقول برهان غليون في كتابه «اغتيال العقل»... «فلابد من أن تكون الهوية مطلباً من مطالب الحداثة، وقضية من قضاياها إذ ما قيمة حداثه تقوم على نفي الذاتية أو تؤدي إلى الإستلاب؟! فالهوية لا تعني تقليد الماضي، ولا عبادة الحاضر، هي عملية تعريف بالذات في كل زمان: را: محسن الميلي. مجلة الإنسان. م. س.

العالم الغربي، لكنها ـ في الحقيقة ـ يجب أن تسمىٰ بالهيمنة، لأننا رأينا بأم أعيننا كيف أن الإسلام قد دعا إلى إقامة علاقات ودية وصداقة وتعاون مع الأمم وهو في أوج قوته ولم يحاول المسلمون يوماً أن يفرضوا وصايتهم بالقوة على أحد، سواء أكان مسيحياً أم يهودياً[١]، لأنه ينطلق في تعامله مع الناس، وفي إقامة علاقاته مع الدول من مبدء الإيمان بالله ومن مبدأ الكرامة البشرية بينما الثقافة الغربية هي تسعىٰ إلى تدمير ومسخ ثقافة كل الأمم خارج إطار مراكز هذه الثقافة في العالم الغربي»[٢]. وما يشهده العالم الإسلامي اليوم من تدخلات ومن استعمار أجنبي، ومن محاربة للدين الإسلامي، من تحريف واتهام ودعايات مغرضة، هو خير شاهد على ما تقوم به هذه الحضارة ضد هذا العالم لمنعه من تشكيل ذاته والحفاظ على هويته. . .»[٣].

---

(١) يقول الشيخ شمس الدين: «. . . خلال الفترة الممتدة من سنة ٦٣٠ م تقريباً إلى سنة ١٩٢٤ م عندما الغي نظام الخلافة العثمانية ـ الذي كان يحكم الإسلام فيها كنظام سياسي ـ في كل منطقة الشرق الأدنىٰ والأوسط، وفي أوروبا الوسطىٰ، في هذه المناطق الجاليات المسيحية واليهودية ـ مروراً بأسبانيا قبل أن يسقط الحكم الإسلامي فيها ـ كل الجاليات عاشت بسلام بل وازدهرت على خلاف ما كانت عليه في أيام الحكم البيزنطي أو الروماني حيث كان المسلمون في ظل هذا الحكم أو ذاك لغوياً وثقافياً ومعيشياً يعانون من حالة انحطاط مشهورة، وهنا يتساءل الشيخ شمس الدين عن الأسباب التي جعلت هذه الجاليات (المسيحية واليهودية) تتمتع بمستوىٰ حياة وفكر وحريات سياسية وثقافية في ظل الحكم الإسلامي أكثر مما كانت تتمتع به في ظل أمبراطورية شارلمان المقدسة في أوروبا الغربية حيث كان الحكم للكنيسة ومن قبل الكنيسة بالذات؟ لماذا التخلف والانحطاط في أوروبا والإزدهار في بلاد المسلمين؟
ـ يجيب الشيخ شمس الدين على هذه الأسئلة بالقول أن الإسلام كنظام سياسي يعتمد مبدأ «لا إكراه في الدين» ويعتمد مبدأ الحقوق الإنسانية لكل الناس من مبدأ «ولقد كرمنا بني آدم. . .» الذي لا يختص بالمبدأ الديني. .» را: نشرة القرار ٦ تموز ١٩٨٤. . .
هنا تبرز قمة التجلي، وجوهرية التحضر. . بعيداً عن التشدق الغربي بالحقوق الأساسية للمواطن الذي أخسرته الحضارة المادية إنسانيته!!
(٢) را: الشيخ شمس الدين، الاتجاهات الفكرية المعاصرة. م. س.
(٣) را: محسن الميلي، مجلة الإنسان، م. س.

يتجلىٰ موقف الشيخ شمس الدين من الثقافة السائدة الآن في العالم العربي والإسلامي، فضلاً عن أوروبا، بأنه كشف عن هوية هذه الثقافة وما تسعىٰ إليه، وهو يرىٰ أنه ليس هناك إسلام حاكم ومتحكم حتىٰ يكون هناك ثقافة إسلامية، وكذا الأمر بالنسبة للمسيحية. . . إذ أن الموجود وما يدعي إليه وما يتشدق به البعض، وما يتبجح به البعض الآخر، هو القومية، (أيضاً هذه لم تعد موجودة بعد أن سقط مبرر وجودها مواجهة العدو الإسرائيلي) وإذا صح أن لهذه القومية دوراً ما فإنها لا تستطيع إعطاء ثقافة منسجمة في المجتمعات وغير متنافرة لأنها أصبحت غربية أيضاً، كما أنها لم تعد قادرة على التعبير عن هذا العالم حتىٰ ولو شكلياً. لقد سقط كل شيء ولم يبقَ إلا الإسلام، والحركات الإسلامية في مواجهة هذه الثقافة. . فالعالم العربي، من لبنان وانتهاءً بآخر دولة عربية وكثير من الدول الإسلامية، هو ينتمي إلى هويات قومية معينة، ويتبنىٰ حضارة (ثقافة) تتغلف وتستمد كثير من مقوماتها من الإسلام، وفي الوقت نفسه تستمد من المسيحية واليهودية، بالإضافة إلى بصمات كبيرة من الحضارة الغربية الظاهرة جداً في جوانب حياتنا»[1].

لقد انتصرت ثقافة الغرب، وأصبحت واسعة الإنتشار، ولم يبقَ لها أي معنىٰ ديني، والدليل على ذلك هو أنها مخالفة لفطرة الإنسان، كما أنها استوعبت في بلاد المسلمين على أساس أنها تمثل الإنسان وتعبر عنه بعد أن تحول إلى آلة صماء يوجه في كل اتجاه! من دون أن يكون له أي موقف متبنياً كل ما هو غربي، فهو لقن الحياة الغربية بطريقة لا تسمح له بأن يكون مبدعاً ومنتقياً، لم يعد من الإسلام عنده إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه، هذه هي حالة الإنسان في الشرق خائفاً مسلوباً لا يملك العقل ولا يحفظ التجربة. مثقف اصطناعي يردد بطريقة ببغاوية شعارات إسلامية، ويطبق نماذج غربية لا قدرة له على التمييز بين ما هو له وعليه، يعمل مع الحاكمين ويخضع لسلطتهم ويبرر أعمالهم، ويصدق أنهم ظل الله على الأرض، ويقوم بإطاعتهم على أساس أنهم أولىٰ الأمر! هذا الإنسان المثقف اصطناعياً ليس

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، مجلة الأسبوع العربي، عدد ٩٣٣. ١٩٧٧.

لديه من المقولات ما يسمح له بأن يكون حراً في التعبير عن رأيه، وفي صنع حياته بطريقة إسلامية. إن معنىٰ الحرية عنده أن يكون خاضعاً لأنظمة الإستبداد، ومقلداً لما تركه الآباء. . .[1]!

إذن حقول الأزمة الثقافية هي ذاتها حقول الأزمة الحضارية، والمأزق الثقافي انتهىٰ إلى مأزق حضاري، باعتبار أن الحاكمين هم الذين مارسوا ضغوطاً على الإنسان كي يمارس نشاطه بطريقة غربية تحت شعار التقدم والعلم، وأن الإسلام ليس ضد الإستفادة من الغربيين بعد أن حققوا لأنفسهم حياة مادية متطورة، وما زالت حملات تجهيل الإنسان قائمة حتىٰ الآن من خلال إيهامه عبر وسائل الإعلام والكتب المدرسية والصحف، والمجلات وتحت شعار أن اتباع الإسلام دون الأخذ عن الغرب لن يحقق شيئاً. وللأسف تمكن الحاكم ومن بحوزته من المنظمات الثقافية من إقصاء الإسلام عن حياة الناس، وكانت النتيجة أن منع الإنسان من تشكيل حضارة دينية تتلاءم معه، وتدفع به إلى امتلاك مصيره في الدنيا والآخرة، ولو أن هذا الإنسان استطاع أن يبني هذه الحضارة كما فعل الأسلاف (الحضارة الدينية) لما رأىٰ نفسه يوماً بحاجة إلى تقليد أحد. . . فالخروج من الأزمة لن يتم ما دام هذا الإنسان مولعاً بحضارة الغرب، ومقلداً لها، وما دام عاجزاً عن الإستقلال في ظل حضارة دينية يكون الإسلام هو المشكل لها. بمعنىٰ آخر نقول: عندما يعرف الإنسان المسلم أنه يعيش في ظل ثقافة متنافرة غير متوافقة ويعرف بأن الثقافة الإسلامية وحدها التي تلائمه لما بين عناصرها من انسجام وتوافق، حينها يمكنه الخروج من أزمته، وإلا إذا استمر جاهلاً بحقائق الأمور، فإنه سيبقىٰ مستحوذاً عليه من قبل ثقافة الغرب لحد أنه لا يستطيع إلا أن يطلق رموزها بطريقة تقليدية. . .؟

المطلوب هو ثقافة تعطي الأولوية للقيم والإنسان، أن تكون ثقافة مميزة

---

(١) يقول د. حسن جابر: «المتعلمون الناقلون لنتاج المجتهدين الغربيين، باتوا يصنفون اليوم، كما كانوا في السابق، على أنهم المثقفون في الأمة والمبدعون فيها، وهؤلاء لا يعدو كونهم نقلة لعلوم الآخرين ليس إلا، وهم في الواقع يجسدون وجهاً من وجوه الأزمة الشاملة، أي أزمة التقليد. . . را: مجلة المنطلق، عدد ٩٩ ١٤١٣.

بطابعها الأخلاقي، لأن الطابع النفعي لأي ثقافة يحمل أصحابها على معاداة الآخرين وادعاء المركزية، وتشجع على الإختلاف العرقي، وتدفع بالجميع نحو الكارثة تحت شعارات القومية والعنصرية، وتحقيق المصالح المادية، تلك هي مميزات ثقافة الغرب الشوهاء السائدة في العالم العربي ـ الإسلامي، كما أنه من مظاهر التمايز بين الثقافتين أن الثقافة الإسلامية لم تنتج مقولة الإستعمار، في أوج ازدهارها وقوتها، وفي أسوء حالات انحطاطها سواء على أساس قومي، لأنها لم تعرف القومية، أو على أساس آخر»[1].

ومن هنا فإن الحركات الإسلامية وجدت نفسها ملزمة بأحياء الثقافة الإسلامية التي هزمت أمام ثقافة الغرب بسبب التآمر على الإسلام من قبل مَن ادعوا القيمومة على شؤون هذا العالم العربي ـ الإسلامي، فالصحوة التي طردت الغزو الصليبي، وأعادت الإسلام إلى حياة الناس قديماً، هي الصفحات المشرقة في التاريخ التي أعاد بعض المسلمين قراءتها من جديد ليصيغوا على ضوئها مشروعاً جديداً يؤهلهم للإنتصار على الإستعمار الجديد بكل وجوهه. ليست الحركات الإسلامية شيئاً عارضاً كما هو حال الغرب وثقافته، بل لها من الجذور ما يكفيها للقيام بمهمة إحياء هذا العالم، كونها متميزة بالأصالة وبما تملك من مشروع سياسي إسلامي لابد أن يؤدي تطبيقه إلى عزة وكرامة هذا العالم...

نعم الحركة الإسلامية ـ هي تقوم اليوم ـ بمهمات صعبة للغاية لإخراج هذا العالم من مأزقه الثقافي حتىٰ يعود سيداً مالكاً لنفسه، ومعبراً عن رأيه بحرية، كما أراد الله تعالىٰ له أن يكون شاهداً ومتعاوناً مع الآخرين لبناء الحضارة العالمية على أسس إنسانية وأخلاقية. وهذا ما سنتعرف عليه تحت عنوان الحركة الإسلامية في مواجهة الأزمة الثقافية، تماماً كما فعلنا سابقاً حينما تحدثنا عن مواجهة هذه الحركة للأزمة الحضارية. كما سنشير أيضاً إلى عناوين ومضامين أخرىٰ تتداخل مع التربية والتغيير، ويمكننا أن نستبدل العنوان الآنف الذكر بعنوان آخر هو الحركة الإسلامية وثقافة التغيير وعلاقة ذلك بالتربية الإسْلامية...

(١) را: الشيخ شمس الدين، الاتجاهات الفكرية المعاصرة. م. س.

٢ ـ الحركة الاسلامية وثقافة التغيير :

لاشك أن بروز الحركات الإسلامية، ودعوتها إلى الإستقلال والحرية في العالم العربي والإسلامي كان ولا يزال سببه سيطرة الثقافة الغربية على أبناء هذا العالم بحيث تحولوا جميعاً إلى مقلدين ويفتخرون أنهم مثقفون غربياً!!!، وكما يقول بعض الفقهاء: إن الحركة الإسلامية ـ في حركتها ـ تسعىٰ إلى إيجاد نماذج وحلول لمشاكل وأزمات وقع فيها هذا العالم من جراء إنتشار ثقافة الغرب السائدة، كما يمكن الإشارة أيضاً إلىٰ أن ظهور الحركة الإسلامية على امتداد التاريخ والزمان لم يكن ظهوراً عشوائياً طارئاً لا قاعدة له ولا أهداف، بل إن ما عرف عن هذه الحركات أنها كانت دائماً حية وقادرة على إخراج المجتمع الإسلامي من أزماته يحمله على العودة إلى رحاب الإسلام كلما خرج منه تحت ضغط الإغراءات المادية والشهوات الجسدية، هي ـ حركات إسلامية ـ عبرت عن رأيها في أكثر من مرحلة تاريخية برفض كل ما هو غريب ودخيل عليها ولا ينسجم مع ما تحمله من مفاهيم إسلامية قرآنية، ويشار هنا أيضاً إلى أن الحكام كانوا ولا يزالون موضع نقد هذه الحركات، وغالباً ما كانت تنشأ بينها وبين الأنظمة صراعات ونزاعات، وحروب أحياناً بسبب تبني الأنظمة لمشاريع ونماذج غربية تتفق مع مصلحة الحاكم وتتنافىٰ مع مصلحة الأمة، وكان دائماً الحاكم يختار مصلحته على مصلحة الأمة. وهذا الاختيار كان منشأ للصراعات والنزاعات، ولم يكن بإمكان الحركة الإسلامية إلا التخفيف قدر الإمكان منها. . .

وتجدر الإشارة هنا إلىٰ أن هذه الحركات لم تكن ساعية لأجل تعميق الصراع بينها وبين الأنظمة الحاكمة بل كانت تتلافىٰ ذلك وتعمل من أجل استيعاب حركة الأمة بطريقة تمنع من التصادم والحرب الداخلية. لكن الأمر أحياناً كان يفلت من يدها لما هناك من علاقة بين مواجهة الغرب وبين تقليد الأنظمة له، باعتبار أن أي صراع مع الغرب لابد أن ينشأ عنه صراعاً مع أتباعه ومقلديه في الداخل.

والحق يقال أن الحركات الإسلامية كانت تتحمل الكثير من المشاق،

وتبـذل كثيراً من المسـاعي لأجل الحيلولـة دون أن يتحول الصـراع مع ثقـافة الغرب إلى صراع مع ثقافة السلطات القائمة «وحين كانت تحصـل إنحرافـات من هذا الحاكم أو ذاك كانت هذه الحـركة بمـا تحمل من ثقـافة تنتج أدوات وصيغاً سياسيـة تصحح الإنحـراف، بدلاً عن أسلوب العنف، وتعـود بالحكم إلى الإستقامة التي يفرضها الطابع الأخلاقي والإنساني للثقافة الإسلامية»[1].

لكن مـا يمكن قولـه هنا: أن هـذه الصيغ والأدوات التي كـانت تنتجهـا هذه الحركات لم تكن تنفع أحيـاناً بسبب إصـرار الحكام على اعتمـاد نماذج الغرب، وعلى نشر الثقافة الغربية في المجتمـع الإسلامي، وهـذا ـ في بعض المـراحل التـاريخية ـ كـان ينشأ عنـه صـراع مـريـر يحـول دون وصـول هـذه الحـركات إلى أهـدافها التي منهـا عدم زج الأمـة في حروب داخليـة تنعكس سلباً على مشروعها وأيجاباً على مشروع الغرب.

وللأسف إن ما كانت الحركة الإسلامية تضغط به على الحاكم، وأعني الطابع الأخلاقي للثقافة الإسلامية لم يكن نافعاً، لأن هؤلاء الحكام لم يكونوا على شيء من الأخلاق حتىٰ ينفعلوا مع مـا ينبثق عن فطرتهم وينسجم معهـا، بل كانوا دائماً غربيين لدرجة أنهم اتهموا الثقافة الإسلامية بالفشل وعدم قدرتها على تحقيق أي تقدم في المجتمع الإسلامي، وهذا،ـ كمـا كانـوا يقولـون ولا يزالون عند قولهم ـ يجب أن يشكل حافزاً لتقليد الغرب والتسلح بثقافتـه. وما يحصـل اليوم كـان حاصـلاً في السـابق من حيث عـدم انسجـام الحكـام مع الإسلام، وإصرارهم على صبغ هذا المجتمع بالثقافة الغربية.

لذا فإن الحركة الإسلامية خيرت بين أمرين بين السكـوت على الثقافـة الغربية وعدم معارضتها في الواقع الإسلامي وبين أن تواجه هـذه الثقافـة بكل أدواتهـا ومنهـا الحكـام، وبين أن ينتصـر النـظام، وبين أن تنتصـر الحـركـات الإسلامية كان يوجد أسلوبان للتعاطي هما أسلوب القمع الذي مارسه النظام، وأسلوب العنف التي تمارسه الحركة الإسـلامية رغمـاً عنها من دون أن يكـون من جملة وسـائلها لنشـر الثقافـة الإسلاميـة.إنه أسلوب كـانت تفرضـه طبيعـة

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، الإتجاهات الفكرية المعاصرة. م. س.

المواجهة مع النظام، ولم يكن نتيجة لما كانت تحمله هذه الحركة من فكر وإيديولوجية، وقد صدرت دعوات مؤخراً من قبل بعض الفقهاء تدعو إلى اعتماد الديمقراطية كنهج سياسي للتخفيف من حدة هذه المواجهة، من جملتهم الشيخ شمس الدين، وهذا المبدأ، أي الديمقراطية لا نظن أنه ينفع في ظل التأويلات الخاصة له عند الحكام الذين يرون فيه حقاً من حقوقهم، ويبررون نظام حكمهم وقمعهم أحياناً من خلاله، لم يسمح حتىٰ الآن للحركات الإسلامية بأن تعبر عن رأيها ديمقراطياً. . . ؟؟ ولا من خلال المؤتمرات التي عقدت لإيجاد صيغة للتعامل مع الآخر.

يقول الشيخ شمس الدين: «إن ما يجب أن يسود ويبحث عنه هو إيجاد صيغة للتعامل والتفاهم مع الآخرين سواء أكانوا في الداخل أم في الخارج، وهذا ما يمكن أن نستفيده من التاريخ الإسلامي «فمنذ عهد الرسول (ص) والخلفاء الراشدون وصولاً إلى العصر الحديث، حيث أننا نجد أن العالم الإسلامي يعمل من أجل صيغة في العلاقات الدولية والنظام العالمي خالية من مقولة الإستعمار ونذكرهنا مساهمة العالم الإسلامي البارزة في فكرة عدم الإنحياز منذ تجسيدها في مؤتمر باندونغ وحتىٰ الآن»[١].

نحن هنا نتساءل مع الشيخ شمس الدين حول ما ذهب إليه في أن العالم الإسلامي يعمل بجد من أجل صيغة في العلاقات الدولية، باعتبار أن الشيخ لم يحدد المعنىٰ من قوله العالم الإسلامي، هل هو الأنظمة أم الشعوب؟ فإذا كان الأنظمة، فإن هذه لم تستطع أن تحقق الإ التسمية وما تبقىٰ من مضامين كان يحمل فكراً غربياً تحت شعار عدم الإنحياز، لأن أغلب الذين كانوا في مؤتمر باندونغ لم يكونوا خالصين إسلامياً، بل كان لديهم النية في أن يتعاونوا مع الغرب بطريقة غربية وليس بطريقة إسلامية. أما إذا كان مقصود الشيخ الشعوب، فهذه الشعوب كانت تأمل في أن يحقق عدم الإنحياز شيئاً، لكنها ما لبثت أن رأت عدم الإنحياز انحيازاً فاضحاً للغرب وتأثيراً كبيراً لهذا الأخير فيه. . . [٢].

(١) را: الشيخ شمس الدين، الإتجاهات الفكرية المعاصرة. م. س.

(٢) لعل من الأمانة أن نلاحظ أن الدول المنحازة في مؤتمر باندونغ كانت تمثل الأغلبية =

إن معنىٰ أن تكـون في عدم الأنحيـاز معناه أن نحقق أنفسنـا أولاً، وأن نخضع كل شيء لفطرتنا ولأصالتنا بحيث يعلم الغرب أننا مستقلون فعلاً وغير منحازين لهذا أو ذاك بـطريقة عشـوائية وغيـر مدروسـة، إذ أنه كيف يمكن أن تكون في عدم الأنحياز ونحن نقلد ولا نبدع عبيد لا نعرف الحـرية، فقـراء لا تعرف العيش الكريم، أحرار في السجون، أموال في الغرب، نفوس مريضة، أهواء حاكمة. أفكار مستوردة وغير ذلك. . !!؟؟

إن ثقافة التغيير التي تحملها الحركات الإسلامية من معـانيها أن يكـون لهذا العالم مؤسساته الخاصة به، وثقافتـه الخاصـة به من دون أن يعني ذلـك

= الكبرىٰ من أعضائـه فالـدول المشتركـة في بانـدونغ وعـددها تسـع وعشرين دولـة كان معظمها مرتبطاً بالمعسكر الغربي بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر، وعشـرون دولة من مجموع الدول المشتركة في المؤتمر نالت في عام انعقاده معونات اقتصادية مبـاشرة من الولايات المتحدة قدرها خمسماية مليون دولار.
والحق أنـه لم يكن من بين الدول التي اشتـركت في المؤتمر إلا ست دول فقط يمكن أن تسمىٰ دولاً حيادية ملتزمة بسياسة عدم الإنحياز، وهي أفغانستان وأنـدونيسيا وبـورما وسـوريا ومصـر والهند، وحتىٰ هـذه الدول ـ في حين انعقـاد المؤتمـر ـ الست لم يكن عدم الإنحياز واضحاً أمامهـا متبلوراً في آثارة وأبعـاده. . را: حسن الإبراهيمي، عـزيز شكري، سيف عباس، في كتاب جولة في السياسة الدولية، الدار المتحدة للنشر، ص ١٨٤ (الكويت).
نحن نفهم من كلام الشيخ شمس الدين أنه يريد للعالم الإسلامي أن يكون كذلك فعلاً غير منحاز وقادر على رسم سياساته وفق مصالحه وأهـدافه، لكن مـا لبث أن سقط هذا المؤتمـر في عين الإنحياز للغـرب، كيف لا وكانت خـاتمـة المسـك غـزا وأريحـا أولاً وأخيراً؟؟
كم هي المسافة بين مؤتمر مدريد، ومؤتمر باندونغ؟؟
إنها قريبة جداً بعد أن اختصرت ليس بالتنازل عن عدم الإنحياز فقط، بل بالتنـازل عن أرض فلسطين أيضاً. . !!
إن الشيخ شمس الدين كان يتمنىٰ أن يكون مؤتمر باندونغ مساهمة بارزة، لكن من أين تكون المساهمة والشخصية العربية الحاكمة في وضع يرثىٰ له حيث أنها سمحت لوزير من وزراء العـدو بالـدخـول إلى المسجـد بحـذائـه!؟ يجب أن نـطوي كشحـاً حتىٰ لا نستـذكـر الكثيـر من المهـازل العـربيـة والإسـلاميـة ونكتفي بهـذا القـدر من التعجب والاستفهام ونظنه كافٍ لإيقاض النيام في المغرب العربي وغيره. . .

انقطاعاً عن الآخر، أو محاربة له، ويضاف إلى ما تقدم أن الأمة تفهم عدم الأنحياز علىٰ خلاف ماتفهمه الأنظمة، فالأمة تريد للعالم الإسلامي أن يكون مستقلاً حقيقة، أما الأنظمة فهي تريد له أن يكون مستقلاً شكلاً، وليس معنىٰ هذا أن الأمة تريد عدم التفاعل مع الآخر، بل هي تريد ذلك شرط أن يكون مقروناً بالقدرة علىٰ مخاطبة الآخر والتأثير فيه، وهذا لن يكون ممكناً ما لم يكن هناك ثقافة إسلامية سليمة، تسمح للمسلم بتحقيق نفسه في هذا العالم.

وكيف تدعي الأنظمة ذلك وهي تعترف أن الغرب، أدخل السُم إلى مؤسسات إنسانية في العالم أجمع؟

بل كيف تدعي أن المسلمين بألف خير، وهي تعلم أن أية مؤسسة في العالم أنشئت بهدف مساعدة الإنسان وتقديم العون له، تعلم أن هذه المؤسسات قد تلوثت بالثقافة الغربية، ولا تزال تعتبرها نموذجا حيا يمكن أن يلجأ إليه ويستعان به؟!

فالحركة الإسلامية تبحث عن مؤسسة يكون لها فيها الدور الذي يمكنها من تأهيل الإنسان، وهذه المؤسسة غير موجودة اليوم، هذا فضلاً عن عدم وجود مؤسسة سياسية ترعىٰ المجتمع وتدبره...!!

عدم الإنحياز هو مؤتمر من المؤتمرات التي سمح لها بالإجتماع ولم يسمح لها بالفعل، لأن الفعل يحتاج إلى قدرة، وإلى كيان حر، وإلى حرية، وكرامة بشرية، ومن أين يكون هذا الفعل لعدم الانحياز، وأغلب الذين شاركوا فيه لم يكونوا على مستوىٰ الفعل والتحقق السياسي الحر. ونحن هنا نضرب مثالاً حيا، هناك مؤسسات، لخدمة الإنسان في أوروبا وليس لها أي طابع سياسي و كانت النتيجة أن تلوثت هذه المؤسسات، فكيف يسمح الغرب لمؤسسة سياسية أن تقوم وتؤثر في العالم؟

إن الحركة الإسلامية تعلم ذلك، ولهذا هي لا تريد أن تعمل لتحقيق نفسها من خلال مؤسسات تابعة للغرب ومعبرة عنه، أو من خلال مؤسسات أقامتها الأنظمة بوحي من الآخر...

يقول الشيخ شمس الدين: «حتىٰ هذه المؤسسات التي أنشئت لتخدم

فكرة الحرية والكرامة البشرية والمساواة بين الشعوب، فإن السم الذي تحمله هذه الثقافة في تكوينها قد تسرب منها إلى هذه المؤسسات فأفسدها وحولها عن هدفها، وجعل منها أداة لخدمة مقولة الإستعمار أو التستر عليها ولشل القوة والحركات المناهضة له، مثال عصبة الأمم التي أنشئت بعد الحرب الأولىٰ، وهيئة الأمم بعد الحرب الثانية خير شاهد على ذلك»[1].

وعدم الأنحياز هي مؤسسة من تلك المؤسسات التي تسرب السُم إليها وأفسدها قبل أن تولد، والحركة الإسلامية تعلم أن هذه المؤسسات التي تفرض من فوق هدفها إستيعاب العالم الإسلامي ومن ثم القيام بتدجينه أو على الأقل إلهائه بهيئة تحمل إسم الإنحياز تارة والإسلام أخرىٰ!

إن ثقافة التغيير ـ كما يراها الشيخ شمس الدين، يجب أن تطال حتىٰ تلك المؤسسات التي تحمل شعاراً إنسانياً، سواء أكانت مؤسسة إقليمية أو دولية، وغالباً ماكانت الحركات الإسلامية تحارب من قبل الأنظمة بحجة أنها تتعرض للمؤسسات الإسلامية.!

وتعمل من أجل شل فاعليتها. . . ! هذا أولاً:

ثانياً: من أهداف الحركة الإسلامية أيضاً من خلال حملها لثقافة التغيير حل أزمات هذا العالم إذ هي تحاول قدر الإمكان تغيير المناهج العلمية القائمة والمستوردة من الخارج والتي أدت وتؤدي إلى مزيد من الشلل والضياع في المجتمعات الإسلامية، فالعلم الموجود الآن يلقن عبر مؤسسات إعلامية، وعبر شاشات التلفزة وأجهزة الراديو، وكتب علمية تحت شعار ثقافة العصر والفكر وما أشبه ذلك، وقد تحدثنا سابقاً عن هذه الأزمة تحت عنوان (أزمة الفكر في العالم الإسلامي)، هذه الأزمة تعمل الحركة الإسلامية على إيجاد حل لها، ولكنها تصطدم بالأنظمة القائمة لأنها المشرفة على نشر العلوم الفاسدة والمشجعة عليها في المجتمع الإسلامي، يقول الشيخ شمس الدين: «. . . هذه الأزمة مرتبطة أكثر ما يكون بالحاكمين، والأنظمة هي التي تملك

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، الإتجاهات الفكرية الثقافية المعاصرة، م. س.

القدرة على القرار في هذا الشأن؛ الشأن الفكري، يعني في تحديد المسار الفكري للإنسان، في الرواسب التي تغلب جانب الفكر الإسلامي على جوانب الفكر الأجنبي، فكر الحضارة المادية المعاصرة هم أصحاب القرار.

الإنسان العادي في هذه الأزمة ليس أكثر من موضوع، ليس أكثر من حقل للتأثر والانفعال، هو لا يملك القرار أبداً، هو يرىٰ البرنامج السينمائي والتلفزيوني، ويسمع الراديو وقد اختاره غيره، هو يقرأ المجلة والكتاب المطبوعين وقد صمم نمطهما الفكري غيره. إذن حقل الأزمة الحضارية في عالم الفكر يرتبط أكثر ما يكون في إطار الحاكمين»[1].

هذا ما تحاول الحركة الإسلامية أن تؤثر فيه أو أن تلغيه بطريقة أو بأخرىٰ، وإذا كان للعنف دور كبير في ثقافة التغيير فذلك ما لا تتحمل مسؤوليته الحركة الإسلامية، لأن النظام الحاكم لا يراعي مشاعر الشعب، ولا يحترم معتقداته ومنطلقاته، وقد اضطرت الحركة الإسلامية إلى ذلك انطلاقاً من قناعتها بأن السكوت سيزيد الحكام قدرة على نشر سموم الثقافة الغربية، وكونها تعلم بأن التغيير في الواقع هو رهن التغيير في فكر الإنسان وتوجيهاته، وفي نظرياته عن الكون والحياة والإنسان، رأت إنه من الضروري القيام بحركة ما في الواقع بهدف الإصلاح ومن أين يكون لها القدرة على ذلك، والأنظمة مستبدة وتمنع وسائل الإعلام من تقديم برنامج واحد يتفق وثقافة الإنسان الإسلامي، أو على الأقل لا ينافيها. والحق يقال هنا أن الحركة الإسلامية لم تقدم على أي تغيير في الواقع إلا وقدمت نصائح من خلال فقهائها إلى الأنظمة كي تراعي شعور المسلمين ومبادئهم التي تحتم عليهم الرفض لكل ما هو غريب عنهم[2].

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، مجلة المنطلق، عدد ١٣، ١٤٠١ هـ.

(٢) من جملة ما تقدمت به الحركة الإسلامية في البحرين إلى الحاكم في المطالب التي رفعها علماء الدين باسم الشعب البحراني في ١٢ شعبان ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩/٧/٧ م، أن تقوم الدولة بتطهير جهاز الإعلام في المجلات والصحف والإذاعة والتلفزيون بما يناسب مبادىء الإسلام، ومنع الخمور بالأصالة من الشركات والفنادق والحانات لأنها مدمرة لإقتصاديات الشعب وتخدم المستغلين. وهكذا كانت تفعل كل حركة إسلامية، =

من الأخطاء الكبرىٰ في التاريخ أن يحاول البعض تصحيح الواقع قبل تصحيح الأفكار وتنقيتها مما يشوبها، لأن هذه الأخيرة إذا كانت فاسدة لا تلبث أن تفسد الواقع بعد إصلاحه، وبما أن الثقافة الإسلامية، هي في جوهرها ثقافة تغييرية، فذلك يحتم على الحركة الإسلامية أن تبدأ أولاً بتغيير النفس ومن ثم الواقع بعدها، ويشار هنا إلى أن بعض الحركات الإسلامية يطمح إلى التغيير في الإطار النظري دون أن يتعداه إلى الواقع العملي وقد نشأ عن هذا الطموح التخلف والضياع والهروب من المدينة. كما هو حال بعض الصوفية، الذين يراهن الغرب على كثرتهم في الواقع الإسلامي. . . !؟

إن حركة إسلامية واعية ترىٰ من واجبها تطوير العلم لمصلحة الجنس البشري، بحيث تزدهر من خلال هذه الثقافة (التي تحملها هذه الحركة الإسلامية) العلوم في نطاق تحريم ما يؤدي إلى ضرر البشر، وإلى تدمير وتلويث البيئة الطبيعية، بينما نجد أن العلم في الثقافة الحديثة يزدهر في نطاق الأساليب والمواد المتعلقة بالحرب في البحار وعلى الأرض وأخيراً في الفضاء الكوني وتنشأ بسبب هذا التوجه الشرير للعالم مشكلة على صعيد الجنس البشري كله، تحمل تهديداً دائماً بالدمار الذري والأسلحة الكيميائية. . .

وما حصل من تقدم في حقول العلوم ذات الصلة برفاه وسلامة الإنسان كالطب والهندسة، وما إليها، فإنما حصل على هامش الأبحاث والإنجازات المتعلقة بشؤون الحرب والتدمير»[1] إن ما يدعى إليه من تغيير من قبل الحركات الإسلامية من شأنه أن يجعل العالم الإسلامي مؤهلاً للدور الحقيقي والسلامة الحقيقية، بحيث يتمكن هذا العالم من إيجاد السبل الكفيلة بإخراجه من أزمته، ومن هنا فإن المواجهة بين الحركة وإطار الحاكمين قد تكون طبيعية فيما لو نظر إليها من زاوية المصلحة العامة للإنسان بعيداً عن

= لكن لم يستجب لكثير من المطالب، وهذا يعني أن الحركات الإسلامية يمكن أن تتفاهم مع النظام الحاكم: را: فيصل هرمون، البحرين، قضايا السلطة، دار الصفا لندن، ط ١، ١٩٨٨، ص ٢٣٢.

(١) را: الشيخ شمس الدين، الإتجاهات الفكرية المعاصرة: م. س.

المصالح السياسية للأشخاص، والتهويل بالحرب الداخلية لا يجب أن يمنع هذه الحركات الإسلامية من إكمال دورها في التصدي لثقافة الغرب. . .

المشكلة ليست في أن هناك ثقافة غربية، وأخرىٰ إسلامية وإنما هي في ضياع الإنسان وعدم قدرته على إتخاذ القرار الذي يعيده إلى إنسانيته. وشهادته ووسطيته ويدفع به إلى انتقاء ما هو صالح من ثقافات الغير «لأن اختلاف الحضارات والثقافات لا يعني بالضرورة موقفاً معادياً من حضارات أخرىٰ وثقافات أخرى، إن الإسلام يعترف بواقع التنوع لدى البشر، وأنه في الواقع لا توجد صيغة حضارية للبشرية، وإنما توجد في الواقع المعاش صيغ متعددة يمكن أن تتنافر، ويمكن أن تتحاور: قال تعالىٰ: **﴿إنا خلقناكم من ذكر وأنثىٰ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾**[1] [2] .

لذا فإن مسألة التغيير عند الحركات الإسلامية لا تنطلق من معاداة مبدئية مع ثقافة الغرب وعلومه وسائر إنجازاته، وإنما هي تنطلق من واقع أن هذه الثقافة لا تلائم الإنسان، ولا تستجيب له في تلبية حاجاته الروحية والأخلاقية، الأمر الذي يدفع به إلى اتخاذ موقف صعب منها، وقد يتعدىٰ به الأمر إلى عدم قبولها. . .

وهنا نسأل كيف لا تقوم هذه الحركة الإسلامية بردة فعل على هذه الثقافة، وهي تراها تفتك بالمجتمع، وتقض مضاجعه، مع علمها المسبق بأن الغرب يهدف من وراء ثقافته إلى السيطرة والاستحواذ؟.

إن الغرب كما يقول الشيخ شمس الدين يهدف من وراء تصدير ثقافته ونمط حياته إلى مهمة مزدوجة، محاربة الثقافة الإسلامية، وسد الآفاق أمام نموها. . . وثانياً إيجاد حالة لا ثقافية «أعني حالة ضياع ثقافي وتسويق نمط معيشي وحياتي يخدمان الطموح السياسي والاستعماري للغرب في العالم الإسلامي. . . »[3].

(١) سورة. الحجرات آية: ١٣ را: الشيخ شمس الدين، م. س.
(٢) م. س. ب، ن.
(٣) م. س. ب، ن.

فإذا كانت هذه هي أهداف الغرب، فلماذا يطلب من هذه الحركة وفقهائها عدم تحريك أي ساكن في الدفاع عن نفسها، وعن ثقافتها، وأصالتها، وغالباً ما يطلب ذلك منها من قبل الأنظمة الحاكمة التابعة للغرب، إن السكوت على هذه المحاولات، وعلى هذا الضياع الثقافي، يعني عدم الحياة للإنسان المسلم، وبالتالي عدم حيويته وتفاعله مع الإسلام، وهذا يعني التفريط بقيم الإنسانية وبالأهداف الإلٰهية، مما يجعل وجود الإنسان مهدداً بالزوال نهائياً أو على الأقل بالعودة إلىٰ الجاهلية من جديد. . .

إن الحركة الإسلامية تتحمل المسؤولية، وهي اليوم تدفع ثمناً باهظاً نتيجة لتبني المواجهة مع الغرب وأدواته في المنطقة العربية ـ الإسلامية ـ كما أنها تشجع المسلمين على اتخاذ موقف عملي من كل ما يجري في عالمها، باعتبار أن عدم اتخاذ موقف معين، وعدم المبالاة ـ يعني، بشكل أو بآخر، الموافقة والقبول بالجاهلية الجديدة، ومن هنا كان للشيخ شمس الدين عدة أسئلة طرحها على مؤتمر الثقافة في الجزائر.

أولها: ما هو موقف المسلم الآن مما يجري، وهل استطاع المثقف المسلم أن يغير شيئاً في ذاته وواقعه، أم أنه استسلم لإرادة الغير ومن يمثلها في بلاده؟

هل استطاع العمل في مؤسسات تخدم اتجاه التغيير في وطنه؟

هناك أسئلة عديدة تطرح والإجابات عليها تبقىٰ مختلفة. . لكن ما يمكن أن يقال هنا هو أن المثقف المسلم الداعي إلى التغيير قد وقع في شباك السلطة، وتغير مضمون دعوته إلى التغيير، فكان يدعو إلى سلطة الثقافة، ومن ثم تحول ليدعو إلى ثقافة السلطة القائمة، هذا التحول أدىٰ بدوره إلى انعكاسات سلبية وخطيرة في المجتمع الإسلامي بكل فئاته وتياراته، وإذا كان هناك مثقفون أحراراً مازالوا يحملون شعار سلطة الثقافة، وشعار التغيير، فإن هؤلاء أصبحوا مقموعين وغير قادرين على الإستمرار في دعوتهم لما يتعرضون له من قمع على يد السلطة ومثقفيها، «فالمثقف العربي والمسلم فهو إما مستوعب للسلطة وموظف عندها يبرر لها سياساتها وثقافتها،

وإما مقموع ومحاصر حين يختار سبيل التمرد عليها، أو حين يختار الموقف النقدي الموضوعي اتجاهها. . . وهذا المثقف سواء أكان حزبياً أو تياراً أو فرداً يواجه أعلىٰ درجات القمع من أنظمة السلطات الحاكمة، وهو مرفوض ومحارب من قبلها. . لأنه يحمل مشروعاً مغايراً للأساس الذي تقوم عليه النظم السياسية الراهنة»[1].

فالصراع الآن في العالم العربي والإسلامي ليس فقط بين المثقفين من جهة، والأنظمة الراهنة من جهة أخرىٰ، وإنما هو بين المثقفين أنفسهم، بغض النظر عن اختلاف الصراع وشدته بين الحين والآخر، وهذا يمنع المثقف المنتمي إلى الإسلام حقاً وحقيقة من اتخاذ موقف من مثقفين آخرين يعملون لحساب النظام وأسياده، فالمسلم الحامل لمشروع التغيير يجب أن يتخلىٰ عن مشروعه المناوىء للسلطة، وأن يعمل وفق جهازها حتىٰ يكون عمله مشروعاً، وإلا فإن عمله الحر سيؤدي به إلى أن يقمع أو يسجن، أو يقتل كما يحصل في بعض البلدان الإسلامية اليوم. . .

موقف المسلم هو هذا، أنه لا يريد لثقافته أن تنحصر داخل جدران بيته، كما أنه لا يريد لها أن تكون غريبة عنه، إنه يريد ثقافة سبق أن عبرت عنه بوجه حضاري. . . ومكنته من الإنفتاح على كل بني البشر إلى أي دين انتموا. ولما كانت هذه الثقافة غير مقبولة من الأنظمة كونها تهدد الثقافة القائمة على الإستبداد والتحكم وخنق الحرية، ومعاداة الثقافة الحقيقية، فإن المثقف الملتزم رأىٰ أنه مضطر للتعبير عن رأيه بوسائل عديدة تضطره إليها السلطة، وإلا هو في غنىٰ عنها.

إن التباين القائم بين ثقافة السلطة، وسلطة الثقافة هو اليوم على أشده، والحركة الإسلامية تعمل بوحي من رسالتها لأجل أن يبقىٰ المثقف حراً وكذا العلماء الذين أعطاهم الله مواقع يقدرون من خلالها على القيام بواجبهم في صنع الشخصية الإسلامية الواعية التي تستطيع القيام بدورها في مواجهة

---

(١) را: السيد محمد حسن الأمين، مجلة المنطلق، عدد ٩٩، ١٤١٣ هـ. وقا: مع الشيخ شمس الدين، مجلة المنطلق عدد. (١) ١٤٠١ هـ.

التحديات التي يفرضها العالم المعاصر»[١]، كما أن هذه الشخصية لابد أن تعكس في المجتمع نوعاً من الثبات والتمسك بالمبادىء والقيم الإنسانية التي تتضمنها الثقافة الإسلامية الخالصة وغير المشوبة بعناصر ثقافية متناقضة. . . لقد نتج عن صراع الثقافات، ومن ثم عن صراع الثقافة الحقيقية مع السلطة وثقافتها طيلة القرون الماضية واليوم أيضاً. في شخصية المسلم تلفيق ثقافي فيه من كل العوالم الثقافية منعه من اتخاذ موقف مما يجري ومن التغيير الجذري في مجتمعه. «تلفيق ثقافي فيه شيء من كل شيء، فيه من الإسلام شيء، ومن المسيحية واليهودية أشياء. . . وقد أدىٰ ذلك إلى ضياع المسلم وجعله يواجه تحديات العالم المعاصر من غير دليل يوجه خطاه ويحدد خياراته، ويحدد أولويات العمل بالنسبة إلى هذه الخيارات»[٢].

إن الحركة الإسلامية ـ بما هي امتداد لحركات إسلامية سابقة ـ رأت في ظل هذا الضياع الثقافي، والإنهيار الأخلاقي الذي يعيشه العالم العربي والإسلامي، من واجبها القيام بخطوات في مواجهة الثقافة الغربية، وفي مواجهة السلطة، التي لا تعتبر المثقف مثقفاً إلا إذا كان مبرراً لها وعاملاً تحت لوائها. هذه الحركة اليوم تعيش الأزمة من كل وجو هها ـ وهذا معناه أنها ذات حركة، وذات معنىٰ حضاري، ومعرضة أكثر من أي وقت مضىٰ لأخطار الداخل والخارج، فإذا كان الهدف هو جعل الإنسان المسلم في مأمن من كل ما يحاك ضده من مؤامرات فإن هذا الهدف يعتبر مقدساً شرط أن تكون هذه الحركة على مستوىٰ التحدي بحيث يكون لديها برنامجها وأساليبها

---

(١) يقول السيد محمد حسن الأمين: إن الإسلام لم يعط مكانة مميزة للعالم والعلم وحسب عن سائر الأفراد، بل رفع مكانتهما بما لا يقاس عن سائر المواقع الأخرىٰ» حيث قال تعالىٰ: ﴿**هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**﴾ ورفع من درجتهم بصورة تكرس مبدأ اعتبارهم مصدراً للسلطة، وينطبق ذلك على السنة النبوية، كما في الحديث المشهور: إذا رأيت العلماء على أبواب السلاطين فبئس العلماء وبئس السلاطين، وإذا رأيت السلاطين على أبواب العلماء فنعم العلماء ونعم السلاطين. . را: للمنطلق، م. س. ص ٩.

(٢) را: الشيخ شمس الدين، بحث الثقافة، الإتجاهات الفكرية. . م. س.

والقدرة على المواجهة ومن ثم التحاور مع الآخر من موقعها قبل القيام بأي عملٍ آخر. لأن المبدأ الأساس المبرر هو الدعوة بالتي هي أحسن، فإذا وجدت هذه الحركة أن الحوار غير ممكن في ظل مبدأ القوة والتسلط التي تعتمده السلطات في التعامل مع الآخرين فمن دون شك لا تستطيع هذه الحركة أن تقول للغرب خُذ ما تشاء ودع ما تشاء باعتبار أن مبدأ الدفاع عن النفس والهوية يبقىٰ مشروعاً لطالما أن الآخرين هم الذين بدأوا بالعدوان.

أما إذا كان هدف بعض الحركات الإسلامية هو مواجهة الغرب وتحدياته بأي أسلوبٍ تحت شعار الإسلام والحاكمية وعدم الشرعية فهذا ما لا يقبل به شرع ولا عقل لأن طبيعة المواجهة تفرض إعداد القوة المناسبة ومراعاة الشروط الموضوعية الداخلية والخارجية. إن بعض الجماعات تفهم الإسلام فهماً ملتبساً وتكفر بعضها البعض وتدعوا إلى مقاطعة جماعات أخرىٰ تقف معها في خط المواجهة للغرب المستعمر، هذه الجماعات لا تمثل الإسلام ولا المسلمين في شيء مما تدعوا إليه وفي نفس الوقت تعمل بعض الحركات على ترشيد هذه الجماعات بهدف ضمها إلى الأكثرية الساحقة من المسلمين بحيث يتمكنوا جميعاً من الإنطلاق باتجاه الهدف المنشود.

يبقىٰ أن نشير إلى أن الثقافة ليست تلك المعرفة المجردة عن الواقع بل هي عملية تربوية أيضاً يجب أن تؤدي إلى بناء الشخصية الإسلامية وتربيتها وهذا ما تمتاز به الثقافة الإسلامية عن غيرها من الثقافات المادية الغربية حيث أن هذه الأخيرة تتعامل مع الثقافة على أساس أنها شيء مادي في الخارج بمعزل عن أي تأثير لها في داخل الإنسان، أو في مسلكه الأخلاقي . . .

الحركة الاسلامية ومهمة التربية:

يتفق علماء وبحاثة العصر الحديث ـ باستثناء الماديين ـ على أن الثقافة ليست المعرفة فقط، وإنما هي إلى جانب ذلك مهمة تربوية في الأساس، ومن ثم تأتي بعدها المعرفة بكل أنواعها. . . وهنا نطرح أسئلة عدة منها.

١ ـ هل الحركات الإسلامية استطاعت أن تربي المجتمع إسلامياً

بحيث يستطيع الإستمرار متميزاً في عالم يعاني من أمراض خطيرة سببتها الحضارة السائدة؟.

٢ ـ هل تملك هذه الحركات برامج ثقافية تمكنها من أن تكون بديلاً لكل البرامج الغربية، أم أنها في الطريق إلى ذلك؟؟

٣ ـ هل السلطات القائمة (الراهنة) في العالم العربي والإسلامي تربي الأمة إسلامياً وترعاها رعاية دائمة وتحذرها من كل ما يحيط بها من أخطار...؟

٤ ـ هل الصراع القائم فعلاً بين المثقفين أنفسهم، وبين المثقفين والسلطات الراهنة يسمح لأهل التربية بأن يقوموا بدورهم كاملاً من دون معوقات داخلية، أم أن دور هؤلاء التربوي يقتصر على تعليم الناس الإسلام بصيغة عصرية، أم أن هذا الدور يتعدىٰ ذلك ليصل إلى حد اتحاد الناس بالإسلام والتفاعل معه...؟

٥ ـ هل الثقافة الغربية السائدة الآن في العالم العربي ـ الإسلامي تسمح بانتشار الثقافة الإسلامية ـ لطالما عرفنا أن هذه الثقافة لا يمكن أن تخلي الواقع بسهولة، هل تسمح هذه الثقافة للمجتمع الإسلامي بأن ينمو بعيداً عنها...!؟

٦ ـ والسؤال الأخير والأهم:

على ماذا تُربىٰ الأمة الإسلامية اليوم؟

وهل يمكن تربية المسلم تربية صحيحة قبل تنقية أجوائه من كل المقولات الدخيلة التي لابست حياته وطبعت بميسمها مسلكه؟ هذه الأسئلة طرحت في السابق، وأعيد الآن طرحها، فما هي الحلول التي يمكن اعتمادها لإخراج المسلم مما هو فيه...؟

قبل الدخول في إجابات الأسئلة لابد من الإشارة إلى ما تعنيه الثقافة الإسلامية من حيث هي مهمة تربوية، فهل معناها أن تربي الأمة على العداء المطلق للآخر، وعدم قبوله نهائياً: أم معناها أخذ ما هو ملائم لفطرة الإنسان والتحاور مع الآخر...؟

لاشك أن الإجابات الإجمالية على ما تقدم من أسئلة تفي بالحاجة، باعتبار أن الأسئلة ليست متباعدة لدرجة أنه يصعب على الباحث حصرها، فهناك سؤال واحد يُغني عن كل الأسئلة وهو: على ماذا تربىٰ الأمة الإسلامية؟.

من هو القادر على إحياء المجتمع الإسلامي في زمن أصبحت فيه التربية معدومة، بعد أن استلب هذا الإنسان، ومنعت عليه العودة إلى ذاته؟.

من هو القادر على القيام بمهمة التربية، وهل هذه المهمة تؤدي إلى إعادة أسلمة المجتمع من تحت بعد أن خسر كثيراً من معنوياته ومقوماته؟.

إذا كان من نتائج المهمة التربوية أنها تؤدي إلى أسلمة المجتمع بطريقة سليمة، وإذا كان الحاكم قد شوه هذه المهمة بما يفرضه على الأمة من قيود؟ فماذا يمكن أن تعمل هذه الحركات إذا كانت المهمة التربوية تنتهي بها إلى صدام مع السلطات الراهنة. . . ؟

فالإجابة على أسئلة في غاية الصعوبة يمكن أن تلامس آفاق المطلوب، فتقول هناك حركات إسلامية نجحت في مهمتها التربوية لدرجة أن مجتمعها لم يعد يقبل بنماذج الغرب ولا بثقافته، وهناك حركات إسلامية هي في الطريق إلى ذلك، لكن السؤال هو هل تبدأ التربية بأسلمة المجتمع من تحت، كما يقال، أم أن التربية تقتضي أن تبدأ أسلمته من فوق. . . ؟

هناك أقوال في هذا المجال، بعض الحركات يرىٰ بأنه من المستحيل القيام بعمل تربوي معين في ظل نظام يستخدم القمع، ويمنع من القيام بأي نشاط تربوي من شأنه أن يثير الشبهات حول عمل السلطات؟ وبعض الحركات يرىٰ أنه يمكن القيام بهذه المهمة من دون التعرض إلى السلطات أو إلى إطار الحاكمين، كما عبر الشيخ شمس الدين، وهذه الحركات تعتبر النهوض بالمجتمع وتغييره هو الذي يسمح للناس بالتغيير، واختيار النظام الملائم. . . لأن الخروج على الحاكم قبل تهيئة المجتمع وتربيته لن يؤدي إلا إلى مزيد من الفوضىٰ، وسيكون البديل مماثلاً لما سبقه، باعتبار أن المشكلة هي دائماً في استعداد الناس، ولو أن الناس كانوا على استعداد

لـلإسلام في السـابق لما تمكن بعض الحكـام من تدجينهم، وكمـا يقـال في الحـديث: «كيف ما تكـونون يـولى عليكم»، ليست المسـألـة أننـا كيف نثـور على الحكـام، وإنما هي كيف يمكن أن نربي أنفسنـا بحيث نمنعهـا من أن تكـون جنداً مطيعاً لشهوات الحكام. . . !؟

هناك فرق كبير بين مفهوم الأمة للتربية، وبين مفهوم الحكام المستبدين لها. فالحاكم لا يريـد للتربيـة أن تتعارض مـع مصلحته الشخصيـة، ولا بأس عنده أن تتعارض مـع مصلحة الأمـة، أما الأمـة فهي تريـد تربيـة تستطيـع من خلالها إستعادة ما خسرته من عزة وكرامة ووحدة، فليس هناك ثمة تقـارب بين مفهوم الأمة ومفهـوم السلطة، فهذه الأخيـرة ليس يهمها أن يكـون الناس على استعداد للتربية التي تؤدي بهم إلى فهم الحقيقة، أو إلى التوحد حول القضايا المصيرية. إن الأنظمة تقتل استعداد الناس للصلاح، وقد قيل: "ان الاستبـداد المشؤوم يؤثـر على الأجسام فيـورثها الأسقـام، ويسـطو على النفـوس فيفسـد الأخلاق، ويضغط على العقول فيمنع نماءها بالعالم، بناء عليه، تكون التربية واستبـداد السلطات عاملين متعـاكسين في النتائـج فكل مـا تبنيه التـربية، مـع ضعفها يهدمه الإستبداد بقوته»[1].

نعم إطار الحاكمين لا يمكنه أن يستورد ثقافة الغرب الشوهـاء، إلا بعد أن يكون قد أفسد عقول ونفوس وأجسام النـاس، لأن التربيـة الصحيحة، إذا ما وجدت تمنع من ذلك، وهذا ما لا يريده الحاكم، والذي حصل في العالم العربي ـ الإسلامي لم يحصل إلا بعد أن قتل استعداد الناس لقبول الإسلام، فإذا أرادت الحركات الإسلاميـة بناء المجتمـع فما عليهـا إلا بذل الجهـد من أجل إعادة الاستعداد لقبول الدين، وأن تعمل جاهدة من أجـل أن تصبح هي صاحبة القرار وليس الحكام من دون أن يعني ذلـك الصراع والنـزاع الدمـوي من أجل صناعة القرار أو تحـويله من السلطة إلى الأمة. وقـد يصح القـول أن من شأن استعادة زمام المبادرة أن تصبـح الأمة مختـارة لنفسها على عكس مـا

(١) الكواكبي، عبد الرحمٰن، طبائع الاستبداد، ومصارع الاستعباد، دار النفـائس، ط ١، ١٩٨٤، ص ٩٩.

هي عليه اليوم من اختيار الحاكمين عنها، وهذا ما أشار إليه الشيخ شمس الدين حينما قال: «إن الحضارة الغربية وأصحاب القرار يختارون للإنسان عنه»[1] وما دامت هذه السلطات موجودة، بحسب رأي بعض الحركات الإسلامية، فإن أسلمة المجتمع وتربيته تربية سليمة تبقىٰ مستحيلة، أو على الأقل إن كانت ممكنة، فإنها ستسير ببطء في مقابل السرعة اللامتناهية للثقافة الغربية المادية، واستبداد الحاكمين الذي لا يسمح لأحد بأن يختار ما يوافقه ويتلاءم مع طبيعته.

إن الحركات التي تعمل من تحت لأسلمة المجتمع وتربيته، لا شك هي الحركات الأكثر نشاطاً، والأوسع تأثيراً، والأكثر فهماً للإسلام من غيرها، كونها تملك القدرة على منع الصدام مع المستبد ومع أصحاب القرار الغربيين في هذا العالم تحاشياً منها لأعمال مضادة وإغراءات كثيرة يمكن أن تؤثر في عملية التربية بحيث تأتي غير سليمة وعلى غير ما تبغيه هذه الحركة من الدقة والأصالة والعمق والشمول. هذه الحركات واثقة من أن الاستبداد لن يتمكن من ممارسة أي ضغط كبير عليها فيما لو كان هناك مشروع حي يأخذ بعين الإعتبار الواقع وما هم عليه الناس من استعداد، باعتبار أن أي مشروع ستكون نتيجته الفشل إذا تجاهل استعداد الناس وقدرتهم على تربية أنفسهم على ضوء التعاليم الإسلامية.

إن المشروع السياسي الذي يذكر المسلمين بحوادث تاريخية معينة من شأنه أن يثير فيهم هذا الاستعداد، لأن التاريخ والعودة إلى حوادثه من أهم الوسائل لإحياء ما قد مات في نفوس الناس، فإذا هم أرشدوا إلى حقائق تاريخية معينة، وإلى أسباب انتصار المسلمين في الماضي، فذلك من شأنه أن يعطيهم الدفع لإنارة حاضرهم ومستقبلهم بما كانوا عليه في سابق عهودهم من عزة وكرامة. . .

هناك صراع خفي بين الحركات الإسلامية، فبعضها يقول بعدم جدوىٰ الأسلمة والتربية من تحت في ظل هذا التحكم المرير للمستبدين. .؟!

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، مجلة المنطلق، عدد (١)، ١٤٠١ هـ.

والبعض الآخر يقول بجدوىٰ التربية وإصلاح النفوس وحمل الناس على الأخذ بتعاليم الإسلام وتنوير حياتهم بها، هذا الصراع الخفي ينعكس أحياناً في التعابير الكلامية، وكان له تأثيرات كبيرة على واقع المسلمين لأنهم انقسموا بين مؤيد للشورة على الاستبداد وبين معارض، وكانت النتيجة أن استمر هذا الصراع من دون أن يحسم لصالح أحد الإتجاهين. في أكثر البلاد الإسلامية. . .

الشيخ شمس الدين يقول بجدوىٰ وفاعلية العمل، في المجتمع من دون التعرض للسلطات بطريقة تثيرها وتجعلها عقبة في طريق الأسلمة والتربية، كما أنه يقول أيضاً بصوابية التحرك السلمي والمدروس في الواقع من دون إثارة المزيد من التعقيدات والصدامات، وهناك أمثلة عديدة في العالم الإسلامي بينت جدوىٰ التحرك السلمي، كما حصل في إيران، وفي الجزائر، في البداية وفي بلدان أخرىٰ، حيث أن الإسلام انتشر بين الناس وعرف بينهم قبل أن يثوروا على الاستبداد ومن يمثله، وقد حقق المجتمع الإسلامي الإيراني انتصاراً ساحقاً بفضل التربية التي تلقاها الناس على يد فقهاء كبار عرفوا كيف تكون الهزيمة لهؤلاء المستبدين وأين. في الجزائر انتصرت التربية، لكن التآمر الدولي وأخطاء الداخل حال دون وصولها إلى موقع القرار الذي تعزز به هذه التربية وتجدر الإشارة هنا إلى أن السلطة هناك لم تعد قادرة على الإختيار عن الإنسان، ولا لديها القدرة على التأثير فيه من خلال أجهزتها الاعلامية، لأن الشعب هناك أصبح على مستوىٰ كبير من الفهم والعقلانية، وكذا الأمر في السودان، وفي مناطق أخرىٰ، كما يمكن القول أيضاً أن السلطات الراهنة لا تقف مكتوفة الأيدي إزاء ما يجري في الواقع، فهي أيضاً تدعي التربية، والقيام بواجبها على حد زعمها، وتقدم للمجتمع كل المواد لتأهيله غربياً تحت شعار أن الإسلام مع التقدم، ومع بناء الحياة بطريقة علمية بعيداً عن خرافات الشرق ومزاعمه كما هو مضمون دعوة (طٰه حسين وغيره) هذه الأنظمة تنشر أفكاراً ـ تحت شعار التربية ـ مضادة للإسلام ومخالفة لفطرة البشر، زاعمة أن البشر عليهم أن يختاروا، وأن يتركوا وأنفسهم من دون تدخلات، ومن دون مربين يعرفونهم ما يجب فعله. إنها تعامل البشر، وتريد

لهم أن يكونوا كالأشجار الطبيعية التي لا تحتاج إلى عناية. . . يقول الكواكبي: «أما المعيشة البشرية، في الإدارات المستبدة، فهي غنية عن التربية، لأنها محض نماء يشبه نماء الأشجار الطبيعية في الغابات والأحراج يسطو عليها الحرق والغرق، وتحطمها العواصف والإيدي القواصف، ويتصرف في فسائلها وفروعها الفأس الأعمىٰ، فتعيش ما شاءت رحمة الحطابين أن تعيش، والخيار للصدفة تعوّج أو تستقيم، تثمر أو تعقم. . .[1]هكذا تريد الأنظمة أن يكون الناس غير منظمين، وغير مؤهلين، من دون فقهاء وعلماء ورجال يتحملون معهم وعنهم المسؤولية ويرشدونهم إلى ما يجب فعله أو تركه، ومضمون دعوة الأنظمة هو ترك الناس عرضة للإهواء الشيطانية لثقافة الغرب، إنها تخاف من الإسلام، وتعطي نفسها حق التشريع وتدعوا إلى ترك البشر من دون رعاية ومؤسسات تربوية حقيقية، وكأن الله سبحانه تعالىٰ الله عن ذلك علواً كبيراً. ترك الناس من دون رعاية ولم يقدم لهم شيئاً حتىٰ يقتدوا به في ظلمات الحياة!!!؟

إن التعارض بين ما تدعو إليه الحركات الإسلامية، وبين ما تدعو إليه الأنظمة يتجلىٰ بوضوح في دعوة الأنظمة إلى أن يكون الناس على مستوىٰ الوطنية والقومية، والقطرية، والحزبية من دوٰن أن يكون هناك أي معنىٰ للأمة الإسلامية ولوحدتها، إنها لا تربي الأمة على الوحدة، لأنها لا تريد لأمر الله تعالىٰ أن يتحقق حتىٰ يذهب ريح الأمة، ويطمئن إلى الإستبداد. . . !!

نعم الاستبداد يربي الناس على القومية ذات المضمون الغربي، وعلى الطائفية ذات المضمون السيء، حتىٰ يتجزأ المجتمع الإسلامي، ويصبح عاجزاً عن النهوض بأعبائه وحل أزماته. في ظل هذا الإدعاء لم يبق أمام الحركة الإسلامية. إلا أن تقوم بدورها حتىٰ تحقق الوحدة الإسلامية التي هي أساس العزة والكرامة والانتصار، ومن دونها لن يتحقق شيء لهذه الأمة على الإطلاق كما هو حالها اليوم. . .

إذن يستفاد مما ذكر أن الأمة مجزأة ومختلفة الأهواء بسبب انعدام

---

(١) أنظر: الكواكبي، عبد الرحمٰن، م. س. ص ١١١.

التربية الحقيقية التي توحد الناس، وتبعث فيهم الحيوية لحل مشاكلهم، كما أن القمع والعنف الإبتدائي هو نتيجة لعدم التربية أيضاً. . . !؟

ليس معنىٰ التربية أن لا نأخذ شيئاً من الغرب، ولا أن نقوم بردات فعل تجعل البلاد عرضة للفتن والحروب، كما أنه ليس من معانيها أن لا نقبل الأنظمة مهما كان نوعها وشكلها، بل يمكن القبول بها فيما لو قامت بواجبها وتحملت مسؤوليتها (وهذا لا يعني الإعتراف بشرعيتها) وحفظت مشروع الأمة ودافعت عنه في مواجهة الأخطار الخارجية، وليس من معانيها أيضاً التسليم بأمر واقع فرضه الغرب «إن العملية التربوية ـ بوجهيها السلبي والإيجابي، يجب أن تترافق مع عملية انتقاء من الثقافة الحديثة لكل ما يتوافق ولا يتنافى) مع قيم ومقولات الثقافة الإسلامية»[1].

فالديمقراطية مثلاً صيغة من صيغ المسيحية، عمل بها في الغرب، وهي لا تتعارض، لا نقول أنها تنسجم ـ مع الإسلام، ويمكن القبول بها كنهج سياسي، وعلى القيمين على الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي أن يربوا الأمة على الوحدة ويشجعون على قبول هذا المبدأ والعمل به في المجتمعات المختلطة المؤلفة من تيارات عدة، من دون أن يعني ذلك القبول بالديمقراطية كصيغة نهائية، باعتبار أن الصيغة النهائية هي الإسلام الذي هو المشروع الإستراتيجي الذي يجب أن يعمل من أجل تحقيقه في الزمان. . . فالمسلم لا ينبغي أن يربي على العداء لكل الثقافات غير الإسلامية، ولا على معاداة التيارات الأخرىٰ التي لا تتلقىٰ معه في توجهاته ومنطلقاته، بل يجب أن يربىٰ على الإعتراف بالآخر، باعتبار أن هناك تنوعاً ثقافياً يخدم الإنسانية، ويساهم في تقدمها، وإن كان من الضروري جداً أن يربي على العداء لكل الثقافات النفعية التي تدعي المركزية وتنفي الآخر، والتي لا تقيم أدنىٰ اعتبار للقيم والمبادىء الأخلاقية. . .

كما أنه ليس من معاني التربية أن يكون العنف هو الأسلوب المعتمد

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، في الإتجاهات الفكرية المعاصرة.

الوحيد لتحقيق الأهداف، وللتعبير عن الرأي السياسي، إذ أنه لا يحق لأحد أن يفرض رأيه على الآخرين بالقوة. . .

من معانيها أيضاً أن لايتربىٰ الإنسان المسلم على ما يضاد الوحدة ويتناقض معها، وأن لا يربي الإنسان المسلم على الترف والرخاء، وان الحرب ليست مقبولة مهما كانت ظروفها وأسبابها من منطلق أنها غير إسلامية وتتنافىٰ مع الإسلام وتعاليمه كما تزعم الأنظمة لتبرير تقاعسها. . . !!

ونخلص إلى نتيجة مفادها أنه على الحركات الإسلامية أن تسعىٰ لأسلمة المجتمع من تحت، وهذا يحتاج إلى كوادر ومربين يعرفون كيف يجعلون من التربية علماً وعملاً بحيث تؤثر على مجرىٰ الأمور السياسية ، وقد أجمع علماء السياسة والأخلاق والتربية على أن الاقناع خير من الترغيب فضلاً عن الترهيب، وعلى هذا بنوا قولهم: إن المدارس تقلل الجنايات لا السجون، ووجدوا أن القصاص والمعاقبة قلما يفيدان في زجر النفس كما قال الحكيم العربي!

لا ترجع الأنفس عن غيِّها   ما لم يكن فيها لها زاجرُ»(١)

إن المسلم المتلزم إذا استطاع التمييز بين ما يريده لنفسه، وبين ما تريده الأنظمة له، فإنه يقدر على وضع نفسه حيث يريد مهما كان نوع الضغوط التي تمارس عليه، لأنه يتمتع بالعقل الذي يجعله قادراً على مواجهة الأحداث بعقلانية، ومن خلال هذا العقل بإمكانه إثارة ما في نفسه من دون أن يؤدي به ذلك إلى تعقيدات تنعكس عليه سلباً، فإذا استطاعت الحركة الإسلامية صنع هذا الإنسان العاقل، فإنها ستجد نفسها يوماً أمام انتصار ساحق على كل أنواع الإستبداد. لكن الظاهر للعلن هو أن هناك حركات إسلامية مازالت تربي على التكفير وعلى الهجران والعزلة، وعلى الإفساد والفوضىٰ وغير ذلك مما يثير السخرية، ففي ظل هذه الحركات لا يمكن أن تكون التربية نافعة فضلاً عن أن تكون عقلانية. إن هذه التربية تدفع بالناس إلى معاداة بعضهم البعض، وإلى إحتكار العمل الإسلامي والمزايدة فيه،

---

(١) م. س. ب، ن.

هؤلاء يريدون احتكار الجنة لأنفسهم من دون برهان ولا دليل!؟

يقول الشيخ شمس الدين «إن عملية التربية تبدأ من البيت، وفي رحاب الأسرة، إلى المدرسة والجامعة، والمسجد، حياة المسلم اليومية، والجريدة اليومية والإعلام الإذاعي وغيره»[١].

إن مفكرين وعلماء وخبراء ومؤرخين، وعلماء نفس واجتماع يجب أن يشرفوا على هذه العملية العظيمة ويتولوا قيادتها»[٢].

لاشك أنه يمكن الإستفادة من هؤلاء شرط أن لا يكونوا في خدمة السلطات الحاكمة ومنتمين إلى ثقافة السلطة، ومتأثرين بحضارة الغرب، لأن ذلك مما يزيد الطين بلة، ويحول دون الوصول إلى تحقيق هذه المهمة...

إن التربية تحتاج إلى عالم بالإسلام، «لأن أهم أصولها وجود المربين، وأهم فروعها وجود الدين»[٣]، كما أنها تحتاج إلى علماء قادرين على قيادة هذا المجتمع الإسلامي ليس باتجاه الأنظمة وإنما باتجاه الله سبحانه وتعالىٰ وباتجاه الإسلام، وهؤلاء ـ كما يقول الشيخ شمس الدين ـ قلة في المجتمع، وهم يتعرضون للقتل والسجن في كل مكان من العالم على يد المخابرات الأجنبية، كما أنهم يتعرضون للقمع ويحال بينهم وبين أن يقوموا، أو أن يراقبوا هذه العملية التربوية[٤] كيف لا يكونون قلة، وقد ذكرنا في أبحاث سابقة أن ما يقرب من سبعماية عالم (٧٠٠) اجتمعوا وأصدروا بياناً يدين إيران ويتهمها بالعدوان!!!. فهل يطلب من هؤلاء وأمثالهم أن يكونوا مسؤولين عن قيادة هذه العملية التربوية، وعن القيام بها... أو على الأقل أن يراقبوها؟ أني لهم ذلك!؟

التربية عملية شاقة تحتاج إلى أجواء ملائمة بعيداً عن أجواء الإستبداد والقمع وممارسة العنف، وفي الحقيقة إن الأولاد، في عهد الإستبداد سلاسل

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، الإتجاهات الفكرية. م. س.

(٢) م. س. ب، ن.

(٣) الكواكبي، عبد الرحمٰن. م. س. ص. ن.

(٤) الشيخ شمس الدين، م. س. ب، ن.

من حـديد يـرتبط بهم الآباء على أوتـاد الظلم والهـوان، والخـوف والتضيق، فالتوالـد هو ـ في زمن الاستبـداد ـ حمق، والاعتناء بـالتربيـة حمق مضاعف، وقد قال الشاعر:

إن دام هـذا ولم تحدث لـه غيـر لم يبكِ ميت ولم يفرح بمولودِ»[1]

ليست مهمة العالم المربي القائد أن يخلق الإنسان، وإنما مهمته تنمية طاقات وقدرات مَن يتولىٰ تربيتهم، وتفجير مـا في داخلهم من معنويـات «لأن الخالق سبحانه وتعالىٰ قـد أوجد قـدرات في الإنسان، ولكن هـذه القدرات، هـذه الاستعدادات إنمـا هي كوامن وأرضيـات وعلى مربي الإنسـان بمعـرفتـه للمقتضيات الكامنة فيه أن يعمـل على إظهار كـوامنه الـداخلية، أي أن يمهـد لظهور الكوامن وإزالة الموانع، وبعبـارة أخرىٰ: إن التـربية هي عبـارة عن أن يقـوم الكمال الكـامن في ذات شيء بالفعـالية والنشـاط. . . فـالبستـاني، أي صاحب البستان عليـه أن يوفـر ظروف نمـو البذرة (الشجـرة) وأن يعد الأرض جيـداً، وإيجـاد العـوامـل المؤديــة إلى النمـو والأزدهــار في القـوة والقـدرة والإمكانات، فـالبستاني ليس خـالقاً، وإنمـا يوجـد الظروف المنـاسبة ويـزيل الموانع والشجرة هي التي تظهر كمالاتها أي ما يكمن فيها. . . »[2].

مـا هو واقـع اليوم: ان البيئـة المعاشـة والثقـافـة المتـداولـة، والغـربـة المتحققـة لـلإنسـان المسلم بسبب الاستبـداد والـوان الإضـطهـاد. لا تسمـح للإنسان المسلم بإظهار ما فيه من كمالات وإمكانيات، وعلى العالم والمـربي وكـل مَن يدعي القـدرة على التغيير أن يـوجد الـظروف المـلائمـة لنمـو هـذا الإنسان. أما أن تكـون هناك معـارف وثقافـات مجردة عن أغـراضها، فـذلك ليس من التـربية في شيء، لأن التـربية تهـدف إلى الإستفادة من كـل مـا هـو موجود إيجابياً، كمــا أن التـربية التي لا تـدفع بـالإنسان نحـو كرامتـه وعزتـه وحريته لا تكون تربية حقيقية، وهي غالباً ما تخدم الغرب. . . !؟

---

(١) أنظر الكواكبي، عبد الرحمٰن، م. س. ص. ن.

(٢) أنظر: جعفر سبحاني، عقائدنا الفلسفية والقرآنيـة، دار الروضـة، ط ١، ١٩٩٣، ص ٢١٦.

من هنا فإن تركيز الفقهاء ورواد الحركات الإسلامية على التربية في عملية البناء والتغيير هو يهدف إلى إخراج المسلم من البيئة الكافرة، والثقافة الكافرة وإدخاله في بيئة صالحة، مؤمنة تدفع به باتجاه معالجة قضاياه ومشاكله على ضوء الإسلام. . .

إن الثقافة من دون تربية، قد تكون سماً وشراً يتسرب إلى داخل كيان الأمة، وهذا ما هو حاصل اليوم حيث أن الأنفاس كلها غربية، والأحلام كلهاصناعية، والأفكار كلها تجارية، والأعمال كلها مادية. . !!

لذا فإن الشيخ شمس الدين يدعو إلى إقامة مؤسسات على مستوىٰ الأمة الإسلامية (يشرف عليها العلماء والباحثون وذوي الإختصاص والقدرة)، مؤسسات تشرف على هذه العملية التربوية بما هي عملية أساسية تقوم عليها سائر المعارف، كما أن هذه الدعوة تأتي في سياق الرفض التام لكل المؤسسات القائمة في العالم الإسلامي لما تقوم عليه هذه المؤسسات من تقليد للغرب في جميع فنونه وثقافاته، ولما تحمله في داخلها من مفسدات. . . هذه المؤسسات كانت وستبقىٰ مرفوضة لأنها لم تحقق إلا التبعية والضعف والإنحلال في مجتمعات المسلمين، وبما أننا نستطيع اعتبار دعوة الشيخ شمس الدين نداءً إلى المسلمين في العالم كي يعملوا من أجل بناء مؤسسات حرة مستقلة، وبما أن هذه الدعوة تأتي في سياق دعوات ونداءات سابقة للمصلحين العرب والمسلمين الذين أكدوا على ضرورة التربية بما هي وسيلة فعالة لبلوغ الكمال والاستقلال، فإن هذا النداء لامس عقول وقلوب المسلمين هذا فضلاً عن تحميله المسؤولية لهم بدليل أن الأجانب أنفسهم وخصوصاً الفرنسيين قد تأثروا بهذه الدعوة القديمة الحديثة، وهذا ما نجده في كتاب فرنسي أصبح منسياً الآن لكنه أحدث ضجة في ذلك الحين وهو مصادر تفوق الأنكلوسكسون لديمولان[1].

---

(١) في هذا الكتاب يشرح ديمولان أسباب استيلاء الشعوب الأنكلوسكسون على العالم وتسنمها على درجات القوة والإزدهار بين جميع الشعوب، وهو ينسب ذلك إلى روح المبادرة الفردية، وذلك كله لم يكن إلا بسبب التربية حيث كان الهدف الرئيسي للتربية عندهم تدريب الإنسان على العيش في العالم الحديث. را: البرت حوراني، عصر =

لقد نجحت المؤسسات التربوية للمسلمين سابقاً، وقد نتج عن هذا النجاح الوصول إلى أقصىٰ درجات التقدم والإزدهار في حينه، ولما تخلىٰ المسلمون عن هذه المؤسسات واختاروا مؤسسات بديلة غربية حصل التخلف والانحطاط، وهذا ما علق عليه أحد الباحثين العرب لطفي السيد بالقول: «إن المدارس القرآنية القديمة كانت تتناسب مع الواقع الإجتماعي في القرن الثامن عشر (١٨) لكنها أصبحت غير فعالة في العالم الحديث، وقد استبدلت هذه المؤسسات بمؤسسات أجنبية وهذه بطبيعتها غير مؤهلة لتربية الأطفال المسلمين التربية الخلقية اللازمة وليس لدىٰ الأساتذة في مدارس الحكومة ما يقدمونه لتلاميذهم، وهكذا كان كل نمط من هذه الأنماط فاسداً. . . وأهم شيء عنده كان التربية البيتية»[١].

إذن رؤية الشيخ شمس الدين للواقع القائم، ودعوته إلى إيجاد مؤسسات بديلة للمؤسسات القائمة، التي تنهج نهجاً غربياً، يبقىٰ الشرط الأساس لتحصين هذا المجتمع ضد شرور الحضارة الغربية من دون أن يعني ذلك موقفاً من الحضارة برمتها، كونه دعا إلى موقف انتقائي يؤهل الإنسان لأخذ ما يتوافق معه، ولا يضر بثقافته.

«فإذا أراد المسلمون، والعرب في صميمهم ـ أن يبنوا حضارة، وأن يستعيدوا السيادة على ساحة العالم، فليستعيدوا ثقافتهم الإسلامية، ليس في الكتاب والمجلات المتخصصة بإحياء التراث، وإنما في الحياة العملية المعاشة من خلال الفرد المسلم ـ التربية البيتية) والأسرة المسلمة، والمؤسسة المسلمة»[٢].

هذه الدعوة الملحة إلى الخروج عن التقليد المتبع في المجتمعات الإسلامية، الذي يقتصر على أسلوب الوعظ المجرد عن أية فائدة عملية من شأنها أن تؤدي إلى نجاحات في الواقع، وإلى وعي بالأزمات، وإن كان

= النهضة، دار النهار، ط ٤، ١٩٨٦، نقلاً عن المنتخبات، لطفي السيد، ج ١، ص ١٢٠، حوراني، ص ٢٢٣.

(١) أنظر، حوراني، البرت، م. س. ص ٢٢٣، نقلاً عن لطفي السيد. م. س.

(٢) را: الشيخ شمس الدين، الإتجاهات الفكرية المعاصرة. م. س.

الشيخ شمس الدين لا يدعو إلى هجرة التراث لما له من قيمة نظرية وبسبب إتصاله بالعواطف والمشاعر «إن الوعي الصحيح العميق والفعال مسألة تربوية بالدرجة الأولىٰ يدخل في تكوينه الفكر والغريزة والعاطفة والعمل»[١].

إن من أول مهمات هذه التربية الإسلامية تمكين المسلمين من التوحد والإلتزام بقضاياهم ومن حل مشاكلهم، لأن الغرب وامتداداته في المنطقة كان ولا يزال يعمل من أجل عرقلة كل المساعي، وإفشال كل الجهود التي تبذل لتحقيق الوحدة الإسلامية التي هي المدخل الوحيد لحل أزمات هذا العالم، وهذا ما عبر عنه لطفي السيد من أن الأساتذة في مدارس الحكومة لا يتلقون شيئاً عن هذا ولا يتعلمون ما يفيدهم، وغالباً ما تكون شهادة التلاميذ خالية من العلم والعمل لأنها لا تتضمن حلولاً لمشاكلهم، ولا تدفع بهم نحو التوحد، بل تدفع بهم نحو التجزئة، وهو يلتقي مع كثير من المصلحين حول هذه المسألة الهامة.

إذن المؤسسات التي يدعو الشيخ شمس الدين إلى إقامتها في المجتمع الإسلامي مهمتها الوقوف أمام كل التيارات والمؤسسات الأجنبية، وضد محاولات الأنظمة التي تربي المسلمين على ما يضاد وحدتهم وعزتهم وكرامتهم، ولا تتفق معها. «إن الأنظمة الحاكمة، ومراكز التوجيه الفكري، ومؤسسات الأعلام والتربية والتعليم، بل المساجد والمؤسسات الدينية في بعض الحالات في العالم الإسلامي تربي المسلم والجماعات الإسلامية والشعوب الإسلامية على ما يضاد أو يناقض عقيدة الوحدة»[٢].

ومن هنا نقول أنه يستحيل أن تحقق الحركات الإسلامية مشروعها إذا لم تعمل على إيجاد مؤسسات بديلة تربي المسلمين على الوحدة والإستقلالية والتفاعل مع الغير والتحاور معه من موقع حريتها وكرامتها، وهذا يعني أن

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، العلاقة الموضوعية بين عقيدة التوحيد ووحدة الأمة، جريدة السفير، ١٦ أيلول ١٩٨٨.

(٢) را: الشيخ شمس الدين، العلاقة الموضوعية بين عقيدة التوحيد ووحدة الأمة. م. س.

أسلمة المجتمع من فوق قد لا تكون مجدية في أغلب البلاد الإسلامية، لأن الأنظمة لن تلقىٰ حبالها بسهولة، والصراع معها من شأنه أن يعرقل العملية التربوية لما يفرزه هذا الصراع من مشاكل إجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية تحول دون الإسراع في إيجاد مؤسسات تربوية حرة.

وهي إن وجدت فستكون ضعيفة، لأنها لم تعط الإهتمام اللازم لأجل أن تكون ذات فاعلية) هذا إذا لم تقع في صراع مع مؤسسات أخرىٰ ذات توجه غربي هي أقوىٰ منها في المجتمع الإسلامي نتيجة لأهتمام السلطة الزائد بها على حساب مؤسسات الأمة الحقيقية. . .!؟

نعم أسلمة المجتمع من فوق ممكنة، ويمكن أن تحصل بطريقة أو بأخرىٰ من دون أن تعكس مشاكل وتناقضات إجتماعية، لكن في بعض المجتمعات غير ممكنة لعدم وجود وعي شامل، ومؤسسات تربوية ترعىٰ عملية الإنتقال إنتقال السلطة بسرعة هائلة، يقول جيل كيبل الذي يعتبر في فرنسا الإختصاصي رقم واحد بالحركات الأصولية الدينية الإسلامية والمسيحية واليهودية: هناك نوعان من حركات إعادة أسلمة المجتمع الإسلامي في العالم العربي الأول يشمل حركات إعادة الأسلمة من فوق مثل تنظيم الجهاد الذي اغتال السادات في ٦/١٠/١٩٨١ والجبهة القومية الإسلامية في السودان. هنا الأولوية تتمثل في الإستيلاء على الحكم، ومن ثم فرض خيارات على المجتمع في السلوك والتوجه، واقتحام السلطة قد يبدو عنيفاً، ومن خلال المشاركة في الإنتخابات كما في الجزائر، والمهم عندها السيطرة على السلطة والتفرغ لتربية المجتمع الإسلامي بعدما تتم معادلة إعادة أسلمة المجتمع إنطلاقاً من تطبيق قسري وخاص للشريعة تبعاً لنظرة ومفهوم قادة هذه الحركات.إن الحركات الأصولية السنية ـ كما يقول جيل ـ فشلت في شكل عام باستثناء السودان والنجاح فقط حالف الأصولية الشيعية في إيران»[1].

(١) را: ملف المعلومات المركز العربي، م. س. لا شك أن جيل كيبل يتحدث عن الحركات الإسلامية من قناعة أنها أمبراطورية الشر الجديدة في المستقبل، وهذا ما يجعلنا نتهمه بعدم الموضوعية وإن كان لكلامه أحياناً معنىٰ من المعاني، فهو لم يتحدث عنها من موقع حيادي، بل من موقع التحيز للغرب. . .

فالشيخ شمس الدين الذي هو أحد قادة الحركة الإسلامية العالمية لا يقف عند مقولة الأسلمة من فوق أو من تحت، إذ أن المهم عنده أن تحدد الأولويات، وأن تدرس الخيارات، فإذا كانت الأولوية عند بعض الحركات الإسلامية وقياديها هي لإقامة الدولة الإسلامية ومن ثم إعادة تأهيل المجتمع الإسلامي، فإن الأولوية عند الشيخ شمس الدين يجب أن تعطىٰ لتربية المجتمع، ومن ثم العمل من أجل استمرار الإسلام في الأمة، لأنه ضمانة تطبيق الشريعة، وضمانة إقامة الدولة، وهذا لا يحصل إلا بإيجاد مؤسسات قائدة تعنىٰ بالعملية التربوية وترعاها على مستوىٰ الأمة تتركز مهمتها على إحياء القيم والمقولات الثقافية الإسلامية، لا باعتبارها مواد علمية يكتفي بمعرفتها، وإنما باعتبارها مواد تربوية تساهم في تكوين شخصية الإنسان المسلم وتطبع سلوكه الحياتي، وفي نفس الوقت لابد من أن تقوم هذه المؤسسات البديلة بمهمة تنقية عقل المسلم وقلبه من المقولات الدخيلة التي لابستها. . .»[1].

خاتمة القول: يجب أن لا تكون السلطة هي الأولوية في الوقت الذي يعاني فيه المجتمع من جهل مفرط بتعاليم الإسلام، ومن سوء تربية، ولو فرضنا أنه تمت أسلمة المجتمع من فوق وفرضت عليه خيارات معينة تلزمه (طوعاً أو قسراً) بأشياء كثيرة واحترام قوانين جديدة، فهل بإمكان القيمين على هذه الحركة أن يتصدوا لمؤامرات الخارج في الوقت الذي يعملون فيه على أسلمة المجتمع من تحت؟؟

إن أية حكومة في الدنيا إسلامية لا تستطيع أن تقوم بهاتين المهمتين التي لا تقل الواحدة منهما أهمية عن الأخرىٰ، نحن نعتقد جزماً أن الثورة الإسلامية في إيران لو لم تكن قد أنجزت المهمة الأصعب والتي هي أسلمة

---

(١) را: الشيخ شمس الدين، م. س. بحث الثقافة: وهنا نقول أن الشيخ شمس الدين لايهمه أن تصل الحركة الإسلامية إلى السلطة إذا كان وصولها سيؤدي إلى مزيد من العنف والفوضىٰ، وهو إنطلاقاً من مقولته بولاية الأمة على نفسها يتحدث عن الحركات الإسلامية، كونه لا يعتبر الدولة أمراً مقدساً، ولهذا لا يجب أن تسفك الدماء لأجلها. إن الأمة هي المقدسة، والخطاب الألهي للأمة وليس للدولة.

المجتمع من تحت لما كان بإمكانها أن تصمد أمام مؤامرات الخارج وحروبه المفروضة عليها، وهذا أمرٌ من الوضوح بمكان يقول الشيخ شمس الدين: «كان يوجد شعب إيراني كوّن جمهوريته الإسلامية ونحن نعرفها وجزء منها. لقد كان جمهورها وكوادرها وقياداتها ومالها، وثقافتها وخطابها السياسي موجوداً، كان هناك جمهورية كاملة بلا رئيس، حكومتها كانت موجودة، كان يوجد قبعة على رأس إيران اسمه الشاه ـ الشعب الإيراني لم يُنشىء ثقافة جديدة، ولا أنشأ نظاماً جديداً، نظامه هو نظام الشعب الإيراني هذه تجربة غير موجودة، ولهذا السبب لا تصلح إيران أن تكون النموذج، هي فلتة... كوادر الشعب الإيراني الدينية اشتغلت حوالي مئة سنة أنتجت هذا الشعب الذي أقام جمهورية إسلامية ولم يقيموا له جمهورية إسلامية. الشعب الإيراني صنع لنفسه جمهورية وهنا نسأل والكلام للشيخ شمس الدين: هل الإسلاميون المصريون هم التعبير عن الخمسين مليون مصري، لو كانوا كذلك لكانوا هم الخميني، لكن لأنهم ليسوا تعبيراً عن الخمسين مليون مصري ليسوا الخميني، هم تحالف أحزاب يريد أن يفرض فهمه للإسلام بقوة على الشعب المصري والشعب المصري: يقول إن المعركة هي بينهم وبين نظام حسني مبارك، أما الشعب الإيراني فلم يقل لا دخل لي عندما دخل الإمام الخميني رضوان الله عليه. قال أنا من جماعة الخميني أو بالأحرىٰ الخميني (قده) من جماعتي...»[1].

لقد كان الإسلام مستمراً في الأمة، مما أدىٰ إلى إقامة الدولة باعتبار أن هذه الأخيرة نتيجة ضرورية لكون الأمة مسلمة ملتزمة بالشريعة...

إن أسلمة المجتمع من تحت وتربيته يضعان حداً لإطماع الإستعمار. ويحولان دون استمراره في مساعيه لإسقاط الحكومة الإسلامية لأنه يعلم أن إسقاط حكومة ـ في أجواء استمرار الإسلام في الأمة وحياتها به ـ لن يؤثر على الشعب المسلم القادر على إيجاد حكومة بديلة مباشرة، لأن الشعب في هذه

(١) را: الشيخ شمس الدين، في مقابلة مع مجلة البلاد، عدد ١٥٨، تاريخ ٢٧ تشرين الثاني، ١٩٩٣.

الحالة كله حكومة، وكله دولة لا يستطيع الاستعمار أن يغيير في طبيعة الأشياء مادام الشعب على أهبة الإستعداد للتضحية.

وهذا ما يمكن قوله بالنسبة للجزائر أيضاً بغض النظر عن الأخطاء التي جعلت الإسلام في مواجهة المجتمع، فالإستعمار يعلم تماماً أن الإسلام في المجتمع الجزائري قد انجز على مستوىٰ فهم الأمة له، وأي ضعف في دائرة الاستخبارات سيحمل حتماً المسلمين إلى السلطة، وكذا الأمر في أي مجتمع إسلامي يربي أبناؤه على الوحدة والحرية والاستقلال على خلاف ما يكون عليه الحال في مجتمع وصلت النخبة الإسلامية الملتزمة إلى السلطة، والناس يعيشون الغرب في تفاصيل حياتهم، فهؤلاء لا يمكنهم الصمود أمام مؤامرات الغرب، وستكون النتيجة القضاء على هذه النخبة التي قد تكون على حقيقة إسلامية.

لذا فإن الأولوية، كما يقول الشيخ شمس الدين يجب أن تكون لتأهيل المجتمع الإسلامي وتوعيته بإيجاد مؤسسات ثقافية وتربوية وتعليمية حرة تعمل على نشر الإسلام وتعليمه بطريقة سليمة. . . والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ نهج البلاغة، الإمام علي (ع)، دار البلاغة، بيروت، ط٤، ١٩٨٩ م.

٣ ـ المصادر المطبوعة.

محمد مهدي شمس الدين: نظام الحكم والإرادة في الإسلام، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، (مج) ط ٢، ٩٩١ م.

٢ ـ في الإجتماع السياسي الإسلامي، المجتمع السياسي الإسلامي، (محاولة تأصيل فقهي وتاريخي)، مج، ط ١، ١٩٩٢ م.

٣ ـ شرح عهد الأشتر، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ١، ١٩٨٤ م.

٤ ـ مطارحات في الفكر المادي والفكر الديني، دار التعارف، بيروت، ط ٢، ١٩٨٦ م.

٥ ـ العلمانية، تحليل ونقد للعلمانية محتوىً وتاريخاً في مواجهة المسيحية والإسلام، وهل تصلح حلاً لمشاكل لبنان، (مج)، ط ٢،.١٩٨٣ م.

٦ ـ ثورة الحسين وظروفها الإجتماعية وآثارها الإنسانية، دار التعارف، بيروت، ط ٥، ١٩٧٩ م.

٧ ـ دراسات في نهج البلاغة، الدار الإسلامية، بيروت، ط ٣، ١٩٨١ م.

٨ ـ دراسات ومواقف في الفكر والسياسة والمجتمع، (مج)، بيروت، ج ١، دراسات ومواقف، .... (مج)، بيروت، ج ٢، ط ١.

١٠ ـ دراسات ومواقف .... (مج)، بيروت، ج ٣، ط ١، ١٩٩٣ م.

١١ ـ عاشوراء، ١٤٠١ ـ ١٤٠٩ هـ، (مج)، بيروت، ط ١، ١٩٩١ م.

١٢ ـ السلم وقضايا الحرب عند الإمام علي (ع)، دراسة في نهج البلاغة، المركز الإسلامي للدراسات والأبحاث، ص ١، ١٩٨١ م.

ـ أبحاث حول الأصولية.

١ ـ مستقبل الأصولية في العالم العربي: دراسات وتحقيقات حول الحركات الإسلامية الأصولية: في: لبنان ـ فلسطين المحتلة ـ مصر ـ السودان ـ الأردن ـ الجزائر ـ المغرب ـ تونس:

ـ وجهات نظر: وجيه كوثراني ـ رضوان السيد ـ ناصيف نصار ـ جيل كيبل ـ فريد هاليداي ـ فارس غلوب.

ـ تصدر عن المركز العربي للمعلومات، عدد (٣) أيار ١٩٩٣.

٢ ـ محمد حسين فضل الله ـ الحركة الإسلامية تتجذر في وعي الأمة ـ حوار ياسين مجيد. عدد (٣)، م، س. ١٩٩٣.

٣ ـ وجيه كوثراني: مستقبل المشروع السياسي الإسلامي أصولية أم حزبية إسلامية. م. ع. عدد (٣)، ١٩٩٣.

٤ ـ ناصيف نَصار: إشارات تمهيدية في نقد الأصولية... ١٩٩٣.

٥ ـ فريد هاليداي: نحو تصحيح المفاهيم التاريخية عن الإسلام والحركات السياسية. م. ع. ١٩٩٣.

٦ ـ فهمي هويدي: بيان تنصيب «العدو» الأصولي، م. ع. ١٩٩٣.

٧ ـ رضوان السيد: البيئات الإيديولوجية والإجتماعية لحركات الإسلام السياسي المعاصر. م. ع. ١٩٩٣.

٨ ـ جيل كيبل: الأصولية الإسلامية: أمبراطورية الشر الجديدة، م. ع. ١٩٩٣.

٩ ـ فارس غلوب: الصحوة الإسلامية وإمكانية تطويرها إلى وعي إسلامي م. ع. ١٩٩٣.

١٠ ـ كيم مورفي: الإنبعاث الإسلامي والغرب، م. ع. ١٩٩٣.

١١ ـ حسن الترابي، مستقبل الحركة الإسلامية، م. ع. ١٩٩٣.

المراجع!

١ ـ الأعمال الكاملة، جمال الدين الأفغاني، محمد عمارة...

٢ ـ المؤتمر الثالث للفكر الإسلامي، طهران، نشرة منظمة الإعلام الإسلامي، ١٩٨٦.

٣ ـ أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ٢، ١٩٨١.

٤ ـ المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ت، أمام عبد الفتاح امام، عدد/١٧٣ المجلس الوطني للثقافة، الكويت.

٥ ـ الوحدة، والجماعة، والسلطة، رضوان السيد، دار اقرأ، بيروت ١٩٨٤.

٦ ـ الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري (مرتضى مطهري)، وزارة الإرشاد الإسلامي ١٤٠٤ هـ.

٧ ـ الحرية في القرآن، السيد محمد باقر الصدر، دار الزهراء، بيروت، ١٩٧٩.

٨ ـ الإسلام ومتطلبات العصر، مرتضى مطهري، دار الأمير، بيروت، ط ١، ١٩٨٨.

٩ ـ الرسالة الإنسانية، ميرزا حسن الإحقاقي، مؤسسة البلاغ، ط ١، ١٩٨٨.

١٠ ـ الإسلام والعقل، محمد جواد مغنية، دار الجواد، بيروت، ١٩٨٤.

١١ ـ الإسلام وإيران، مرتضى مطهري، دون تاريخ.

١٢ ـ المراجعات، السيد عبد الحسين شرف الدين، دار الأندلس، ط ١، ١٩٧١.

١٣ ـ الحكومة الإسلامية، الإمام الخميني (قده)، النجف الأشرف.

١٤ ـ الأمة والإمامة، علي شريعتي، دار الأمير، بيروت.

١٥ ـ الزمن والمعارضة، دراسة في الفكر الحركي للسيد فضل الله، سليم الحسني، دار المنتدى ط ١، ١٩٨٥.

١٦ ـ أصل الأخلاق وفصلها، فردريك نيتشه، ت، حسن قبيسي، دار مج، ط ١، ١٩٨٣.

١٧ ـ الإسلام في الغرب، روجيه غارودي، دار الهادي، ت محمد مهدي الصدر، بيروت، ط ١، ١٩٩١.

١٨ ـ المدخل إلى تاريخ الحضارة، جورج حداد، الجامعة السورية، دمشق، ١٩٥١.

١٩ ـ السنن النفسية، غوستاف لوبون، ت، عادل زعيتر، دار المعارف، مصر، ١٩٥٧.

٢٠ ـ التفسير المبين، محمد جواد مغنية، مؤسسة عز الدين.

٢١ ـ الإنسان ذلك المجهول، الكسس كارل، تعريب شفيق أسعد فريد، بيروت.

٢٢ ـ القاموس المحيط، الفيروز أبادي.

٢٣ ـ السيد شرف الدين، من رواد الإصلاح، هادي فضل الله، مؤسسة عز الدين، بيروت.

٢٤ ـ محمد جواد مغنية، فكر وإصلاح، هادي فضل الله، دار الهادي،

ط ١، بيروت ١٩٩٣.

٢٥ ـ السيد شرف الدين، بغية الراغبين، كتاب مخطوط.

٢٦ ـ نشأة العلمانية ودخولها إلى المجتمع الإسلامي محمد زين العرمابي، ط ١، ١٤٠٧.

٢٧ ـ في الفكر السياسي، موريس دوفرجية، ت، سامي الدروبي، دار دمشق.

٢٨ ـ دراسة علمية في الكتب المقدسة، موريس دي بوكاي، دار الأفكار، بيروت ط ١، ١٩٩١.

٢٩ ـ لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت.

٣٠ ـ دائرة معارف القرن العشرين، وجدي.

٣١ ـ تاج العروس.

٣٢ ـ في معركة الحضارة، قسطنتين زريق، دار العلم للملايين، بيروت ط ١، ١٩٦٤.

٣٣ ـ فلسفة الحضارة، البرت اشفيستر، ت، عبد الرحمٰن بدوي، دار الأندلس، ط ٣، ١٩٨٣.

٣٤ ـ معالم على تحديث الفكر العربي، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٧.

٣٥ ـ في المشروع الإسلامي الحضاري، السيد محمد حسين فضل الله، مؤسسة العارف ط ١، ١٩٩١.

٣٦ ـ حضارة العرب، غوستاف لوبون، ت، عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٦.

٣٧ ـ الإمام الخميني، والمشروع الحضاري الإسلامي، د. سمير سليمان، دار الوسيلة، ط ١، ١٩٩٣.

٣٨ ـ شروط النهضة، مالك بن نبي، دار دمشق.

٣٩ ـ مطارحات مع قادة الفكر الإسلامي، المؤسسة العالمية للحضارة الإسلامية . . .

٤٠ ـ نقد حالة الفن العسكري، والهندسة والعلوم في القسطنطينية، تحقيق خالد زيادة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ٧٩.

٤١ ـ رسائل فلسفية، عبد الرحمٰن بدوي، دار الأندلس، ط ٣، ١٩٨٣.

٤٢ ـ الشيخ شمس الدين بين وهج الإسلام وجليد المذاهب، فرح موسى، دار الهادي، ٩٣.

٤٣ ـ مصباح الشريعة، الإمام جعفر الصادق، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

٤٤ ـ مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، دار الحداثة. بيروت. دون تاريخ.

٤٥ ـ تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت ط ١، ١٩٩١ م.

٤٦ ـ في رحاب نهج البلاغة، مرتضى مطهري، دار التعارف، ١٩٨٠.

٤٧ ـ اقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، خير الدين التونسي، مطبعة تونس، ط ١، ١٩٨٤.

٤٨ ـ هذه هي الوهابية، محمد جواد مغنية، دار بيروت، ١٩٨٣.

٤٩ ـ معالم في الطريق، سيد قطب، دار دمشق، دون تاريخ.

٥٠ ـ سيرة ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا، ١٣٧٥ هـ.

٥١ ـ منبعا الدين والأخلاق، هنري برغسون، ترجمة، سامي الدروبي، وعبد الله عبد الدائم، دار العلم للملايين، ط ١، القاهرة ١٩٤٥.

٥٢ ـ الحضارة الإسلامية والحضارة المعاصرة، عبد الغني عبود، دار الفكر العربي، القاهرة ط ١، ١٩٨١ م.

٥٣ ـ طبائع الاستبداد، ومصارع الإستعباد، عبد الرحمٰن الكواكبي، دار النفائس، ط ١، ١٩٨٤ م.

٥٤ ـ مستقبل الحضارة، دي بويس، دار الكرنك، مصر، ١٩٦١ م.

٥٥ ـ قصة الحضارة، وِل ديورانت، ترجمة نجيب محمود، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، ١٩٧١.

٥٦ ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين أبو الحسن الندوي دار المعارف، ١٩٨٨. القاهرة.

٥٧ ـ مجمع البحرين.

٥٨ ـ الموسوعة الفلسفية، معهد الإنماء العربي، دار مج.

٥٩ ـ المعجم الوسيط، انتشارات خسرو، طهران.

٦٠ ـ نقد العقل العربي، محمد عبد الجابري، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٤.

٦١ ـ حضارتهم وحضارتنا، عبد المنعم النمر، دار المعارف، مصر ١٩٧٨.

٦٢ ـ شرع عقائد الصدوق، الشيخ المفيد، منشورات الرضى، قم ١٣٦٣ هـ.

٦٣ ـ جولة في السياسة الدولية، تأليف، حسن إبراهيم، عزيز شكري، سيف عباس، الدار المتحدة للنشر، الكويت.

٦٤ ـ البحرين وقضايا السلطة، فيصل هرمون، دار الصفا، لندن ١٩٨٨.

٦٥ ـ عقائد فلسفية وقرآنية، جعفر سبحاني، دار الروضة، ط ١ ١٩٩٣.

٦٦ ـ عصر النهضة، البرت حوراني، دار النهار، ط ٤ ١٩٨٦ م.

٦٧ ـ الفقيه والسلطان، وجيه كوثراني، دار الراشد، ط ١، ١٩٨٩.

أما المجلات والجرائد التي اعتمدناها فهي:

١ ـ مجلة الشعلة: مقابلة مع الشيخ شمس الدين، عدد (٣٨) ١٩٩٣.
٢ - مجلة الاجتهاد: بحث للشيخ شمس الدين ـ عدد (٩) سنة ثالثة، ١٩٩٠.
٣ ـ مجلة الإنسان. عدد (١) ١٩٩٠.
٤ ـ مجلة المنطلق، عدد ٩٩.
٥ ـ مقالة تحت عنوان: العلاقة الموضوعية بين عقيدة التوحيد ووحدة الأمة، نشرتها جريدة السفير بتاريخ ١٦/ أيلول/ ١٩٨٨.
٦ ـ جريدة السفير: تاريخ ١٩/ ٢/ ١٩٧٩.
٧ ـ مجلة المنطلق: عدد ٩٨/ ١٩٩٣.
٨ ـ مجلة الوطن العربي، عدد ٨٤٧/ ٢٨/ ٥/ ١٩٩٣.
٩ ـ مجلة الغدير، عدد ١٢ ـ ١٣ ـ ١٩٩١.
١٠ ـ مجلة الحوار، عدد (٢٨)، ١٩٩٣.
١١ ـ مجلة الغدير، عدد ١٠ ـ ١١ ـ ١٩٩٠.
١٢ ـ مجلة البلاد، عدد (٦)، تاريخ ١٨/ ١٢/ ١٩٩٣.
١٣ ـ مجلة الغدير، عدد ٨ ـ ٩ ـ ١٩٩٠.
١٤ ـ جريدة السفير، تاريخ ٢٩/ ٩/ ١٩٩٣.
١٥ ـ بحث حول الجهاد في القرآن، الشيخ محمد مهدي شمس الدين..
١٦ ـ مجلة البلاد، عدد ١٥٨.. ٢٧/ ١١/ ١٩٩٣.
١٧ ـ مجلة الشراع، تاريخ ٣/ كانون الأول/ ١٩٨٨.
١٩ ـ مجلة الأسبوع العربي، تاريخ ٢٦/ ١١/ ١٩٨٤.
٢٠ ـ مجلة الشراع عدد ١٩٣. تاريخ ٢٥/١١/ ١٩٨٥.
٢١ ـ مجلة الحوادث، ١٨ شباط ١٩٧٧، عدد ١٠٥٨. السنة الحادية

والعشرون.

٢٢ ـ مجلة افاق عدد حزيران ١٩٨٧.

٢٣ ـ مجلة سروش، عدد صادر بتاريخ ٣/٦/١٩٨٥.

٢٤ ـ مجلة الأسبوع العربي، عدد ٩٣٣. ١٩٧٧.

٢٥ ـ مجلة الشراع، تاريخ ٣١/ كانون الأول ١٩٨٤.

جرائد ومجلات.

٢٦ ـ جريدة السفير. تاريخ ١٧ ـ ١٢ ـ ١٩٨٨.

٢٧ ـ جريدة اللواء السياسي (٩) شباط، ١٩٨٩.

٢٨ ـ مجلة كانت تصدر عن كلية الاعلام والتوفيق تحت عنوان الصحافي الجديد، العدد الثاني ١٩٨٦.

٢٩ ـ مجلة الشراع، عدد ١٤٦. سنة ١٩٨٤.

٣٠ ـ مجلة الدنيا، تاريخ ٦/٧/٨٩.

٣١ ـ مجلة المنطلق، عدد (١٣). ١٤٠١.

٣٢ ـ مجلة المنطلق: عدد (٦٢)، ١٩٩٠.

٣٣ ـ را: جان فريمون، وتلاقي الثقافات والعلاقات الدولية، في مجلة العلاقات الدولية، عدد ٢٤ وقد ترجمته مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت العدد ٢٩.

٣٤ ـ الكفاح المسلم في وجه التحدي الصهيوني، محاضرة للشيخ شمس الدين، القاها في كلية الحقوق الجامعة اللبنانية الفرع الأول تاريخ ٢٥/ ٣/ ١٩٨٨.

٣٥ ـ الثقافة والثقافة المضادة، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد ٢٧/ ٢٨/ ١٩٨٣.

٣٦ ـ الإتجاهات الفكرية المعاصرة، الشيخ شمس الدين محاضرة ألقاها

في الجزائر تاريخ ١٥/ تموز/ ١٩٨٥.

٣٧ ـ أبحـاث في النجف الأشرف، ومحـاضرات في ذكـرى مولـد الإمـام علي (ع) في النجف الأشرف أيضاً.

٣٨ ـ نشرة القرار، ٦ تموز ١٩٨٤.

* * *

محتويات الكتاب

الموضوع .... **الصفحة**
الإهداء ٦
مصطلحات مستعملة في الكتاب ٧
توطئة ٨
المقدمة ٩
القسم الأول ....
الحركة الإسلامية وتناقضات الواقع ١٩
الفصل الأول: الحركة الإسلامية والتسمية بالأصولية (مصطلح الأصولية) ... ٢١
الفصل الثاني: مشروع الحركة الاسلامية ٣٣
الفصل الثالث ....
تمهيد ٥١
أسلوب الحركة الإسلامية ٥٦
الفصل الرابع: إمكانية الهدنة مع الأنظمة ....
مبررات الهدنة فقهياً وسياسياً عند الشيخ شمس الدين ٦٩
الهدنة مع الأنظمة والأسلوب المبرر شرعاً ٧٤
خلاصة واستنتاج ١٠٠
القسم الثاني ....
الفصل الأول: السمات الإيجابية للحركة الإسلامية ١١٤
الفصل الثاني: السمات السلبية للحركة الإسلامية ١٤١
القسم الثالث: الحركة الإسلامية في لبنان وموقف الشيخ شمس الدين من العلاقات مع الخارج ....

الموضوع . . . . الصفحة

الفصل الأول: نشأة وتطور الحركة الإسلامية في لبنان ١٦٧
تطور الحركة الإسلامية في لبنان ١٦٨
الحركة الإسلامية في مواجهة الطائفية السياسية ١٨٠
الحركة الإسلامية في مواجهة التيار العلماني ١٨٦
الحركة الإسلامية لا تريد العلمانية، ولكن ١٩١
الحركة الإسلامية والخطاب الذاتي ١٩٩
مشروع توحيد المسلمين في لبنان ٢٠٥
مشروع الحركة الإسلامية في لبنان ٢٠٩
الفصل الثاني: إيران والحركة الإسلامية في لبنان ٢١٥
تأثير إيران على مسلمي لبنان ٢١٦
طبيعة العلاقة مع الجمهورية الإسلامية ٢٢١
الفصل الثالث موقف الشيخ شمس الدين من المعارضة . . . .
المعارضة والنظام الديمقراطي ٢٣١
المعارضة والنظام الإسلامي ٢٣٧
الحركة الإسلامية بعد وفاة الإمام الخميني ٢٤٤
الشيخ شمس الدين يرصد مستقبل الحركة الإسلامية بعد وفاة الإمام (قده) ٢٤٨
القسم الرابع: الحركة الإسلامية والأزمة الحضارية وموقف الشيخ شمس الدين من الحضارة السائدة . . . .
الفصل الأول: الموقف من الحضارة السائدة . . . .
الحضارة في اللغة والاصطلاح ٢٥٥
المعنى الاصطلاحي ٢٥٥
الحضارة فعل في الطبيعة ٢٥٦
تعريف الشيخ شمس الدين للحضارة ٢٥٦
موقف الشيخ شمس الدين من الحضارة السائدة ٢٦١
أزمة الحضارة في العالم الإسلامي ٢٧٢
الحركات الإسلامية في مواجهة الحضارة ٢٨١

الموضوع	الصفحة

الفصل الثاني ....
موقف الشيخ شمس الدين من الثقافة السائدة ....
الثقافة في اللغة ٢٩٩
مفصوم الثقافة ٣٠٠
موقف الشيخ شمس الدين من الثقافة السائدة ٣٠٩
الحركة الإسلامية وثقافة التغيير ٣٢٢
الحركة الإسلامية ومهمة التربية ٣٣٤
المصادر والمراجع ٣٥٣

مَن الذي يَملك في العَالم كله أوعَلى مُسْتَوى الأمَة الإسلاميّة أوعلى مُسْتَوى الأمَة العَربيّة أوعَلى مُستَوى الشَعب الفلسطيني، من الذي يَملك شرعية أن يُزيل هَوية تراب فلسطين عَن كَونه فلسطيني فيَكون إسرائيلي مَن؟

من مُنطلق إسلامي لا توجَد شَرعية في الكَون لأي مَخلوق أن يُغير هَويّة هَذه الأرض مِن كَونهَا فلسطين إلى كَونهَا إسرائيل.

دار الهادي للطِّبَاعَةِ وَالنّشر وَالتّوزيع

تلفون وَفاكس: ٨٣٤٢٦٥ - ٣١٧٤٢٥ - تلكس: MCS٢٠٧٧٧-٢٢٥٩٧ بلاغ.
ص.ب: ٢٥/٢٨٦ غبيري - بيروت - لبنان.